نور الأنوار

في شرح الصحيفة السجادية

للسيد الأيد الفاضل المتبحر المحدث

السيد نعمة الله الجزائري

رحمة الله عليه

دار الرسول الأكرم (ص)

دار المحجة البيضاء



كتاب

نور الأنوار

في شرح الصحيفة السجادية

كتاب

نور الأنوار

في شرح الصحيفة السجادية

للسيد الأيد الفاضل المتبحر المحدث

السيد نعمة الله الجزائري

رحمة الله عليه

دار المحجة البيضاء

دار الرسول الأكرم (ص)

الطبعة الأولى

٢٠٠٠م - ١٤٢٠هـ



بيروت - لبنان - حارة حريك - ص.ب: ١٤/٥٤٧٩
ت: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أطلع أبناء التراب على أسرار ملكوته الخفية، ونور قلوبهم بأدعية الصحيفة السجادية، والصلاة على رسوله الهادي للأنام، وعلى آله مصابيح غياهب الظلام.

وبعد، فيقول تراب نعال أهل العلم نعمة الله بن عبد الله الحسيني الجزائري. إن للوصول إلى جناب قربه تعالى طرائق متعددة، ووسائل متبددة، وكان أوضحها سبيلاً وبرهاناً، وأعلاها شرفاً ومكاناً، سلوك محجة الدعوات المروية، والولوع بما انطوت عليه الصحيفة السجادية، ولما لم يكن لها شرح يذلل منها الصعاب، ويكشف عنها اللباب، كتبنا عليها في عنفوان الشباب شرحاً مبسوطاً وافياً، ومنهلاً عذباً صافياً، وقد رأينا الطباع آبية إلا الاختصار، ومنحرفة إلا عن الذي فيه الانحصار، فأحببنا أن نعلق عليها شرحاً آخر يناسب الحال، ويكون خالياً من الإطناب والإملال، ووسمناه نور الأنوار، في شرح كلام خير الأخيار.

سلام من الرحمن نحو جنابه فإن سلامي لا يليق ببابه

والمرجو من اخواننا في الدين، وخلاننا في طلب اليقين، أن يذكرونا بدعاء جميل، وبصفح جزيل:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

قال راوي الصحيفة:

«حدثنا السيد الأجل»

اختلف في المتكلم به، فذهب شيخنا البهائي (قده)، إلى أنه علي بن السكون، وهو من ثقات علماء الإمامية، وأيده بقول الكفعمي في حواشي مصباحه، في نسخة ابن إدريس كذا، وفي نسخة ابن السكون كذا، وقال السيد الداماد. ما لفظه: حدثنا في هذا الطريق عميد الرؤساء، وهو الذي روى الصحيفة الشريفة عن بهاء الشرف، وأيد ما ذهب إليه بقوله: وهذه صورة خط شيخنا المحقق الشهيد قدس الله تعالى لطيفته، على

نسخته التي عورضت بنسخة ابن السكون، وعليها. أعني على النسخة التي بخط ابن السكون، خط عميد الدين عميد الرؤساء، قراءة قرأها على السيد الأجلّ النقيب الأوحد العالم، جلال الدين، عماد الإسلام، أبو جعفر القاسم بن الحسن بن محمد بن الحسن بن معية أدام الله تعالى علوه، قراءة صحيحة مهذبة، ورويتها له عن السيد بهاء الشرف، أبي الحسن محمد بن الحسن بن أحمد عن رجاله المسمين في باطن هذه الورقة، وأبحته روايتها عني حسب ما وقفته عليه وحددته، وكتب هبة الله بن حامد، في شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وستمائة. انتهى. وحينئذ فالطريق في نسخة ابن السكون هكذا: أخبرنا أبو علي الحسن بن محمد بن اسمعيل بن أشناس البزاز، قراءة عليه فأقرأنيه، قال: أخبرنا أبو الفضل محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الشيباني، إلى آخر ما في الكتاب، وكلاهما حسن لما يظهر من كتب الإجازات، من أنهما يرويان الصحيفة الشريفة عن السيد الأجلّ.

وأما النسخة التي في الهامش المصدرة بقوله: حدثنا الشيخ الأجلّ، فهي النسخة التي نقلها الفاضل السديدي من نسخة ابن إدريس، لبيان الاختلاف في السند بينها وبين نسخة ابن السكون، وقد وجدناها مكتوبة في الأصل في كثير من النسخ، والمتكلم يحدّثنا. هو ابن إدريس.

قوله «أبو الحسن محمد بن الحسن»

حاله مجهول في الرجال، كحال الخازن والخطاب والبلخي، وهو غير ضائر لتواترها بين الفريقين حتى أن الغزالي وغيره سموها. إنجيل أهل البيت، وزبور آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما رتبها أصحابنا على طريق التعنعن عنهم سلوكاً لمحجة التيمن والتبرك باتصال روايتها بالمعصوم عليه السلام، مع أنهم من أهل الإجازة، لا من أهل الرواية، وأيضاً. إعجاز أسلوبها، وغرابة أطوارها، شاهدان عدلان على أن مثلها لا يصدر إلا عن مثله، وأما أنا فلي في روايتها طرق شتى، كما لأصحابنا رضوان الله عليهم، وهو الداعي إلى اختلاف عباراتها، وقد بنينا شرحنا هذا على نسخة شيخنا البهائي (قده) التي هي بخط جد أبيه شمس الدين صاحب الكرامات والمقامات، وهو نقلها من خط السديدي، ونقلها هو من خط علي بن السكون، فما هو في أصل نسختنا فهو موافق لنسخة ابن السكون، وما هو بعلامة س فهو نسخة ابن ادريس، وما كان في

الأصل مرقوم عليه معاً فكانا معاً في نسخة ابن السكون، وما كان في س معاً فكانا معاً في نسخة ابن ادريس، وما كان مرقوماً عليه خ فهو ما كتبه ابن ادريس أو ابن السكون في الهامش.

قوله «شَهْرَيَارْ»

بفتح آخر الجزء الأول على الفتح تشبيهاً له بخمسة عشر، ومنع صرف الثاني والكسر حمزة، وقد جوّزه شرذمة قليلة وبنوه على إضافة الجزء الأول إلى الثاني ومنع صرف المضاف إليه، وهذا وإن كان من المركبات الأعجمية، لأن الشهر بمعنى البلاد، ويار بمعنى الخل والمعين والناصر، أي ناصر أهل البلاد ودافع الظلم والتعدي عنهم، والإعراب والبناء إنما يكونان في الأسماء الموضوعة في لغة العرب، لكن ما استعمله العرب كثيراً أجروا عليه أحكام كلامهم، وإن لم يتصرفوا به.

قوله «مَوْلاَنا»

أي ناصرنا أو من هو أولى منا بأمورنا، والمراد منه ما وقع في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه.

قوله «أَمِيرُ المُؤْمِنِينْ»

مشتق من الميرة، وهو الكيل، لأنه يكيل العلم للمؤمنين، ومنه قوله تعالى: ﴿ونمير أهلنا﴾. وقد خصه الله تعالى به، حتى أن السيد الزاهد ابن طاووس، صنف كتاباً كبير الحجم سماه كشف اليقين، في تسمية مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، ونقل فيه أحاديث كثيرة تدل صريحاً على انحصار التسمية به عليه السلام، ولذا لم يسم أحد من أولاده المعصومين به وإن شاركوه في معناه.

وقد روى العياشي في تفسيره حديثاً، عن الصادق عليه السلام، بأنه لم يسم أحد بهذا الاسم غير علي بن أبي طالب عليه السلام إلا كان مخنثاً، وهو غير بعيد، لقول جلال الدين السيوطي وهو من أكابر علمائهم، في تعاليقه على القاموس، عند تصحيح لغة الأُبنة، وكانت في جماعة في زمن الجاهلية أحدهم سيدنا عمر، وقول ابن الأثير، وهو أيضاً من أعاظم فضلائهم. زعمت الروافض أن سيدنا عمر كان مخنثاً، كذبوا لعنهم الله، ولكن كان به داء دواؤه ماء الرجال. فانظر إلى اعتذار هذا الفاضل عن إمامه،

وكيف استحق الروافض عنده اللعنة، مع أنه هو الذي علمهم صفات إمامه المباركة عليه، وهذا قليل بالنسبة إلى نسبه الشريف، المستفيض بين الفريقين، الذي قد نظمه الشاعر:

من جده خاله ووالده وأمه أخته وعمته
أجدر أن يبغض الوصي وأن ينكر يوم الغدير بيعته

وذكر أبو المنذر هشام بن محمد السايب الكلبي، وهو من رجالهم، في كتاب المثالب، فقال ما هذا لفظه: في عدد جملة من ولدوا من سفاح، هشام عن أبيه قال: كانت صهاك أمة حبشية لهاشم بن عبد مناف، فوقع عليها نضر بن هشام، ثم وقع عليها عبد العزى بن رباح فجاءت بنفيل جد عمر بن الخطاب. وذكر ابن عبد ربه في كتاب العقد في المجلد الأول، في حديث استعمال عمر بن الخطاب لعمرو ابن العاص في بعض ولاياته، ما هذا لفظه: قبح الله أمراً عمل فيه عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب، والله إني لأعرف الخطاب يحمل على رأسه حزمة من حطب، ورأيت ابنه مثلها. وذكر مؤلف نهاية العلوم، أن عمر بن الخطاب كان قبل خلافته نخاس الحمير، وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام، في كتاب الشهاب، في تسمية تسع من قريش في الجاهلية، ما هذا لفظه: والخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عدي بن كعب أبو عمر بن الخطاب، قطع يده في سرقة قدر، ومحاه رضى الناس عنه.

وذكر ابن عبد ربه في ذلك الكتاب، قال: خرج عمر بن الخطاب ويده على المعلى بن أبي الجارود فلقيته امرأة من قريش، فقالت: يا عمر فوقف لها فقالت: كنا نعرفك من قبل عمير، ثم صرت من بعد عمير عمر، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين، فاتق الله يابن الخطاب، وانظر في أمور الناس، فإنه من خاف الوعيد، قرب عليه البعيد. أقول فيا عجباً من قوم رووا أن عمر كان ولد زناً وأنه كان في الجاهلية نخاس الحمير، وأن أباه كان سراقاً، وأنه ما كان يعرف إلا بعمير لرذالته، ثم مع هذا جعلوه خليفة قائماً مقام نبيهم، ونائباً عن الله في عباده، وقدموه على أهل الشرف في الجاهلية والإسلام.

قوله «ست عشرة»

بسكون الشين، وهي اللغة الفصيحة الحجازية فراراً فيها عن توالي أربع فتحات فيما هو كالكلمة الواحدة، مع امتزاجها بالنيف الذي في آخره فتحة، وفتح الشين حمزة، وقد جوّزه بعض النحاة بناء على عروض التركيب. وأما بنو تميم فقد فروا من ذلك المحذور، والتجأوا إلى كسر الشين، وهو من باب إزالة الثقل بثقل آخر.

قوله «قِرَاءَة» تمييز برفع الإبهام عن النسبة.

قوله «عَلَى الشَّيْخْ»

متعلق بفعل محذوف، أي تقرأ عليه، ويجوز تعلقه بالفعل المذكور بتضمينه الفعل المحذوف.

قوله «العُكْبَرِي»

بفتح الباء، والضم حمزة، نسبة إلى عكبرا بفتح الباء والمد، قرية بالشام.

قوله «المعدل» أي الموصوف بالعدالة، وقيل هو لقبه.

قوله «المُطَّلِبْ الشَّيبَانِي»

فتح الياء وكسر الشين حمزة، وهما خارجان عن الفصاحة.

قوله «الأَعْلَمْ» أي المشقوق الشفة العليا.

قوله «وأَحْفَى السُّؤَالْ»

بالحاء المهملة، أي استقصاه وبالغ فيه، وفي كثير من النسخ بالخاء المعجمة، ولعل وجهه الخوف والتقية.

قوله «أَشارَ علَى أَبي بِتَرْكِ الخُرُوجْ»

ربما يستفاد من هذا وأضرابه ذم أبيه، بل ما هو أعظم منه لمخالفته لإمامه، لكن المستفيض في الأخبار مدحه والثناء عليه، وأن خروجه إنما كان لطلب ثار الحسين عليه السلام، ولا ينافيه نهي الإمام عليه السلام له، لأنه إما من باب التقية، أو من باب الشفقة عليه، كما يستفاد من سياق العبارات الآتية، وما قيل من أن نهيه عليه السلام له كان

نهي تحريم، إلا أن الله تعالى قد عفا عنه بدعاء الإمام له وقرابته منه، فلا يخفى بعده، وأما غير زيد من أصحاب الخروج، كيحيى ومحمد وإبراهيم فقد استشكل أصحابنا حالهم لما صدر منهم بالإضرار بالإمام عليه السلام، والحق أن بكاءه عليه السلام عليهم بعد قتلهم، وتأسفه عليهم عند أسرهم، مما يرفعان الإشكال عن حالهم، وأي فرد من أفراد الشيعة لم يصدر منه الإضرار بالإمام، ولو لم يكن إلا بارتكابنا للمعاصي، فإنه من أشد الضرر على طباعهم المباركة، لكن شفقتهم علينا توجب الصفح عن مثله، وكيف لا، وقد روي أن الله تعالى غضب على الشيعة بإفشائهم أسرار الأئمة وأراد أن يستأصلهم بالعذاب، فأخبر موسى الكاظم عليه السلام بأني مستأصل شيعتك هذه السنة، فقال عليه السلام: يا رب أحب أن أفدي شيعتي بنفسي، ويبقون هم على الأرض، فأماته الله شهيداً تلك السنة فداء للشيعة، فإذا كان هذا حالهم مع الأجانب، فكيف مع اولادهم وأقاربهم، مع أن خروجهم إنما كان بعد أن هتكت حرمتهم، ونهبت أموالهم، وسبيت ذراريهم، ولقبوهم بالخوارج، وقالوا لهم لو كان جدكم على الحق لما فعل بكم ما ترون، ومثل هذا يوجب أعمال الغيرة من أراذل الناس، فكيف من بني هاشم، مع أنه روي عن الرضا عليه السلام صريحاً، النهي عن تناول عرض العباس بن موسى الكاظم عليه السلام مع أنه صدر منه بالنسبة إلى أخيه الرضا عليه السلام وإلى أم أحمد زوجة أبيه من الأذية والاستخفاف ما لم يصدر من غيره، وحينئذٍ فتكلم بعض علمائنا في أعراضهم جرأة على ذرية أهل البيت عليهم السلام.

قوله «نعِم»

كسر العين فيه وفيما سيأتي حمزة، وهي لغة في الفتح، حكاها بعض أهل العربية.

قوله «فِدَاءَكْ»

بالمد لمكان كسر الفاء، والقصر لو فتح، وجوّز القصر مع الكسر أيضاً، إما مطلقاً، أو إذا لاقى لام الجر مثل فداء لك.

قوله «أَسْتَقْبِلُكَ» أي أشافهك، أو أقوله لك في مستقبل سفرك.

قوله «هَاتْ» بكسر التاء، اسم فعل بمعنى أعطني.

قوله «يمْحُو الله مَا يَشَاءُ ويُثبِت وعِنْده أمُّ الكِتَاب»

ذكر المفسرون فيه ضروباً من التفسير، وكلها لا تناسب المقام، والمناسب له ما روي عنهم عليهم السلام، من أنه تعالى خلق لوحاً سماه لوح المحو والإثبات، وقد كتب فيه الآجال على طريق التعليق والشرط، كأن يكون عمر زيد ثلاث سنين إن قطع رحمه، وثلاثين إن وصله، فإن أتى بالأول محا الثاني، وإن أتى بالثاني محا الأول، وكذا في جانب الأرزاق وغيرها من التقديرات، وقد روي أنه تعالى ينظر إلى ذلك اللوح كل يوم ثلاثمائة نظرة، يمحو في كل نظرة ما يشاء ويثبت في كل نظرة ما يشاء، وأما أمّ الكتاب، فالمشهور تفسيراً وأخباراً، أن المراد به اللوح المحفوظ الذي لا يلحقه محو ولا إثبات، بل الأمور مثبتة فيه على ما هي عليه في الواقع، وحينئذ فالحكمة في إيجاد لوح المحو والإثبات خفية، وربما كان منها حث العباد على الطاعات وترغيبهم فيها، وقيل هو تأكيد للأول، وتسميته به، باعتبار ما روي أن الله تعالى إذا أراد شيئاً، من إنزال آية، أو إمضاء حكم، أمر القلم فكتب في ذلك اللوح، وقرأه إسرافيل فانتقش في جبهته، وقرأه جبرائيل من جبهته، فذلك اللوح أصل للقرآن ومحل لإيجاده أولاً، فلذا سمي أم الكتاب.

قوله «هَذَا الأَمْر»

أي دين الشيعة والإمامة والخروج، وقيل طلب ثار الحسين عليه السلام، وهو بعيد.

قوله «مَلِيّاً» زماناً طويلاً، للتفكر في التكلم بالحق.

قوله «رَأْسُه» بالهمزة، وبقلبها ألفاً تخفيفاً، لكنه غير مشهور عند أرباب الاشتقاق.

قوله «مِنْ ابنِ عَمِّي»

يروى بفتح نون من للخفة، لأن في كسره اجتماع الكسرتين، وبكسرها، بناء على ما اشتهر من تحريك الساكن بالكسر لكمال المناسبة بينهما، وأما المشهور في هذه الحركة فهو الفتح إن لاقت لام التعريف طلباً للخفة فيما كثر استعماله، والكسر في غيره كما هنا لعدم كثرة استعماله، فيرجع فيه إلى تحصيل المناسبة المشهورة.

قوله «وُجُوهاً» أي أنواعاً وأبواباً.

قوله «أَمْلاَهْ»

بالألف، من الإملال على الكاتب، وأصله ملله من المضاعف، بحكم قوله فليملل الذي عليه الحق قلبت لامه ياء، ويوجد في بعض النسخ بالهمزة، وحكم الفاضل الداماد بأنه تصحيف، وهو كما ترى لأن مثل هذا القلب ذائع شائع.

قوله «وإنَّ أَبي» الواو إما للاستئناف أو الحالية.

قوله «يَابْنَ رَسُولِ الله»

ظاهر الإطلاق الحقيقة، سيما وقد اعتضد بتقرير الأئمة عليهم السلام، وبتلفظهم وافتخارهم به على بني العباس وخلفاء الجور، واستدلالهم عليهم السلام على حرمة بناتهم على جدهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله تعالى: **﴿وحلائل أبنائكم﴾** في مقام المفاخرة، وحَ فما ذهب إليه علم الهدى (قده) في هذه المسألة جيد، وطريق ما عارضه من الأخبار الضعيفة الحمل على التقية، وقد بسطنا الكلام في هذه المسألة في كتابنا الموسوم بغاية المرام في شرح تهذيب الأحكام.

قوله «بِولاَيَتِكُمْ»

بفتح الواو بمعنى النصرة والمتابعة، وبكسرها بمعنى تولي الأمور وتدبيرها، فعلى الأول يكون من إضافة المصدر إلى المفعول، وعلى الثاني يكون من باب إضافته إلى الفاعل.

قوله «فَرَمَى صَحِيفَتِي»

الظاهر أن مثله لم يكن من سوء الأدب عندهم كما هو الآن، وإلا فلا يجوز صدور مثله عن مثله.

قوله «غُلاَم»

ورد بمعنى العبد، وبمعنى الخادم، وبمعنى الشاب الذي طلع شاربه.

قوله «بِعَيْبَة» وهو وعاء الثياب أو لامة الحرب.

قوله «وبكَى» لأنه كان خاتم أبيه.

قوله «فَيَكْتُمُوهْ» وفي س[1] بإثبات النون، وحينئذٍ فالفاء فيه للاستئناف، على حد قوله:

ألم تسأل الربع القواء فينطق أي فهو ينطق.

قوله «مُحَمَّد وإبْرَاهِيمْ»

روى الكليني حديثاً طويلاً، وفيه أن الصادق عليه السلام منعهما عن الخروج أشد المنع، ومنه استدل بعض المعاصرين أنهما ملعونان مطرودان من رحمة الله سبحانه، وحمل التشبيه المذكور فيما سيأتي من قوله إني لأعلم أنكما ستخرجان كما خرج، على مطلق الخروج والقتل، لا في الحقية، فإن زيداً محق قطعاً، وهو غير جيد، لأنه إن أراد الحقية في الواقع فهما وزيد سواء، لورود النهي بالنسبة إليهم جميعاً، وإن أرادها بالنسبة إلى الاعتقاد فكذلك أيضاً، فإنه لم يخرج أحد من هؤلاء إلا لطلب ثار الحسين عليه السلام، أو لرفع تسلط الظلمة عن بني هاشم، أو ليكون خليفة وحاكماً، ولا ريب أنهم أحق من بني أمية بها نظراً إلى الواقع والاعتقاد، وإن كان أصلها لغيرهم، وهم المعصومون منهم عليهم السلام، نعم يفرق بينهما وبين زيد بإيذائهما للإمام عليه السلام وعدم إيذاء زيد له، وقد عرفت الجواب عنه، مع أن في ذلك الحديث الطويل أنه لما أرسل إليهم الدوانيقي فقيّدوهم وحملوهم في محامل لا وطاء لها وأوقفوهم بالمصلى لكي يشتمهم الناس، فكف الناس عنهم ورقُّوا لحالهم، ثم لما أتى بهم باب المسجد، الباب الذي يقال له جبرئيل، اطلع عليهم ابو عبد الله عليه السلام، وعامة ردائه مطروحة بالأرض، ثم اطلع من باب المسجد فقال: لعنكم الله يا معاشر الأنصار، ثلاثاً، ما على هذا بايعتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا بايعتموه، أما والله إن كنت حريصاً، ولكنني غلبت، وليس للقضاء مدفع، ثم أنه دخل بيته فحم عشرين ليلة، لم يزل يبكي فيها الليل والنهار حتى خيف عليه، ولو لم يكن له إلا بكاؤه عليه السلام لكان كافياً في عدم جواز تناول أعراضهم باللعن والسب.

قوله «إبني عَبْدُ اللهِ بنِ الحَسَنْ»

وهو الذي سماه الدوانيقي أبا قحافة تهكماً به، لأنه لم يدَّع الخلافة من أبوه حي سواهما، وسوى أبي بكر، وسوى عبد الكريم الطائع لله، فإنه تولى الخلافة وأبوه المطيع خلع نفسه منها، وروى أهل السير أن أبا قحافة كتب إلى ابنه أبي بكر، زمن

---

(١) هذا الحرف هو علامة على «نسخة ابن ادريس».

خلافته، كتاباً فيه، إنك يا بني لما وليت خلافة المسلمين، فإن كان لكبر سنك، فأنا أبوك أكبر منك، فأنا أحق بها، وإن كان لقدمك في الإسلام، ففيهم من هو أقدم منك.

قوله «فِي هَذَا الأَمْر» أي الأمر بالسيف، أو أمر وصيته.

قوله «هَا هِي»

ها حرف تنبيه، وقد اشتهر بين النحاة أنها لا تدخل من المفردات إلا على أسماء الإشارة، وجوّزوا الفصل بينها وبين اسم الإشارة إما بقسم أو بضمير، وحينئذٍ فإما أن يقال بتقدير اسم الإشارة، أو بتقدير خبر هي ليكون مدخولها جملة.

قوله «يا إسْمٰعِيلْ»

قال بعض الأعلام هو إسمعيل الذي ورد فيه حديث البداء، بمعنى النسخ، من إمامته إلى إمامة موسى بن جعفر عليه السلام، والعجب من صاحب نقد المحصل، حيث أنكر البداء مع شيوع هذا الحديث واستفاضته، انتهى.

أقول: أما الحديث المذكور فهو قول الصادق عليه السلام، ما بدا لله في شيء مثل ما بدا له في إسمعيل، وأما جعله البداء هنا بمعنى النسخ فغير جيد، فإن النسخ إزالة ما ثبت بدليل شرعي، وليس الثابت في الألواح السماوية والألواح الأرضية، كلوح فاطمة عليها السلام المكتوب فيه أسماء الأئمة عليهم السلام إلا موسى عليه السلام، بل البداء هنا بمعنى ظهور شيء لعامة الناس لم يكن ظاهراً قبل، فإن عامة الشيعة كانوا يزعمون أن الإمام بعد أبيه إسماعيل، لأنه أكبر أولاده عليه السلام، فأظهر الله لهم بموته أن الإمام هو موسى عليه السلام، وإن أطلقت النسخ على هذا مجازاً فلا مشاحة، وأما إنكار صاحب النقد لأخبار البداء فمنكر، لاستفاضة الإخبار به بين الفريقين، حتى أنه ورد ما عبد الله بمثل البداء، ولم ينكره سوى اليهود، حيث قالوا يد الله مغلولة، فأُجيبوا بقوله: **﴿غلت أيديهم ولُعنوا بما قالوا﴾**، وتابعهم عليه الفخر الرازي وشرذمة من أهل الخلاف، بل قال الفخر الرازي إنه من مبتدعات أئمة الروافض، لاضطرابهم في المسائل، حتى أنهم إذا أخبروا شيعتهم بأمر ووقع خلافه قالوا في الاعتذار **﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾**، ولعمري إن هذا الفاضل قد شارك اليهود في هذه المسألة، فاستحق ما أجيبوا به، وهو حسبه في هذا المقام.

قوله «فقبّلها»

إما لكونها دعاء جده، أو لانضمام خط أبيه إليه، وعلى الأول فيدل بمفهوم الموافقة على استحباب تعظيم القرآن وتقبيله ووضعه على العين، بل يدل على استحباب تقبيل جميع ما ينسب إليهم عليهم السلام من الآثار.

قوله «عليهم السلام»

المسلم هو الإمام عليه السلام، والإتيان بضمير الجمع إنما هو للتعظيم، والقول بإدخال من تقدم من آبائه عليهم السلام أو بكون المسلم هو أحد الرواة فإدخاله في السلام بعيد.

قوله «إنْ رأيت»

هو من الأفعال القلبية، وقد حذف هنا ثاني مفعوليه مع جزاء الشرط، أي إن رأيت العرض حسناً فأذن لي فيه.

قوله «إلَى ابنِي» وفي نسخة البهائي (قده) أبي، وهو تصحيف.

قوله «إنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ، انتهى».

هو في الظاهر هذا، وفي الباطن المراد بالأمانة المأمور بردها الخلافة، أو الصلاة، أو الإمامة التي أمر كل إمام أن يؤديها إلى من بعده، على اختلاف الأخبار.

قوله «مَكَانَكْ» أي اجلس مكانك.

قوله «لا تَخْرُجَا بِهَذِهِ الصَّحِيفَةَ»

وفي س لا تخرجا هذه الصحيفة، والفرق بينهما هو ما ذكره أهل العربية بين قولهم. أذهَبَ عمرو زيداً وذهب عمرو بزيد، من أن مؤدى الأول إذهاب عمرو لزيد سواء ذهب معه أم لا، ومؤدى الثاني مصاحبتهما في الذهاب، قال بعض الأعلام. وعلى هذا يكون قوله عليه السلام على الرواية المشهورة، أدلّ وأنصّ وأصرح في عدم خروجهما من المدينة مع الصحيفة منه على رواية ابن إدريس، بل على هذه الرواية إنما يدل على عدم إخراج الصحيفة منها، لا على عدم خروجهما منها، والمقام يقتضي المنع منهما كما لا يخفى، فظني أن القرائن إنما تدل على المعنى المستفاد من عبارة

س، لأن قوله عليه السلام هذا ميراث ابن عمكما انتهى. الظاهر أن المراد نهيهما عن إخراجها، وأما نهيه عليه السلام لهما عن الخروج فقد استفيد من دليل خارج، ويتضمن هذا الكلام ضمناً.

قوله «فَلا تَأْمَنا»

دخول الفاء إما على تقدير أما، أو على تقدير خبر المبتدأ، أي وأنتما مثله فلا تأمنا، ويجوز الاستدلال به على ما ذهب إليه الأخفش من جواز إدخال الفاء على الخبر وإن لم يكن المبتدأ متضمناً لمعنى الشرط.

قوله «لاَ حَوْلَ ولاَ قُوَّةَ إلاّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمْ»

المشهور في تفسيرها أن الحول بمعنى القوة، فالجملة الثانية تأكيد للأولى، وروي في تفسيرها عن علي عليه السلام، أن الحول بمعنى الحائل والمانع، أي لا حائل عن المعاصي، ولا قوة على الطاعات إلا بالاستعانة منه تعالى.

قوله «عَنْ جَدِّهِ عَنْ عَلِيّ»

وفي س عن جده عن علي، وحينئذٍ فالضمير راجع إلى الأب الثاني، وقد روى رئيس المحدثين عن زرارة عن أحدهما عليهما السلام، قال أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً كئيباً حزيناً، فقال له علي عليه السلام ما لي أراك يا رسول الله كئيباً حزيناً، فقال وكيف لا أكون كذلك، وقد رأيت في ليلتي هذه أن بني تميم وبني عدي وبني أمية، يصعدون منبري هذا، يردون الناس عن الإسلام القهقرى، فقلت يا رب في حياتي أو بعد موتي، فقال بعد موتك، ولا تنافي بين الروايتين، لجواز وقوع الرؤيتين.

قوله «القَهْقَرَى»

هو الرجوع إلى خلف، وهو مصدر نوعي، وحقيقته هنا أنهم كانوا قبل زمانه عليه السلام جاهلية كفرة، وقد شرفهم الإسلام، وبعد موته عليه السلام رجعوا إلى ذلك الكفر والجهل الذي كانوا عليه، بحكم قوله عليه السلام ارتد الناس كلهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ ثلاثة.

قوله «جَبْرَئِيلْ»

وفيه لغات كثيرة، جبرئيل بوزن قنشليل، وجبرئل بحذف الياء، وجبريل بحذف

الهمزة، وجبريل بوزن قنديل، وجبرالّ بلام مشددة، وجبرائيل بوزن جبراعيل، وجبرائل بوزن جبراعل، وما أحسن قول صاحب الكشاف، عجمي فالعبوا به ما شئتم، ومعناه عبد الله وصفوته.

قوله «وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا، انتهى».

والمعنى والله أعلم، وما جعلنا الذي أريناكه في المنام من نزو القردة على منبرك، وما خلقنا الشجرة التي لعناها في القرآن، التي هي شجرة بني أمية، التي منها الخليفة الثالث وأضرابه، إلا ليفتتن الناس بهم بالإطاعة والعصيان، والظاهر أن لعنها كان صريحاً في القرآن، كما يدل عليه كثير من الأخبار، لكنهم حذفوه كما حذفوا غيره، والضمير في تخوفهم راجع إلى الناس، أي تخوف الناس عن متابعة التميمي والعدوي وشجرة بني أمية فلا يزدادون إلا طغياناً وتعصباً على متابعتهم، وقد ذكرنا آراء المفسرين في هذه الآية في شرحنا الكبير.

قوله «رَحَى» بألف الحمرة في المواضع الثلاثة وهو لبيان ضبط رسم الكتابة، لا لبيان اختلاف المعنى.

قوله «مَهاجِرِكْ»

بفتح الجيم[1]، وهو أحسن النسختين، أي وقت المهاجرة، وحاصله أن رحى الإسلام تدور على قطبيها من حين هجرتك إلى المدينة إلى عشر سنين، وهي مدة مكثه صلوات الله عليه وآله في المدينة، ثم تنقطع عن هذا الدوران الحقيقي وتدور معوجة خمساً وعشرين سنة، مدة خلافة الثلاثة، ثم تستأنف دورانها الحقيقي إلى مدة خمس سنين، زمن خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والحسن عليهما السلام، وحينئذٍ فثم في قوله: ثم «لا بد من رحى ضلالة»، للتراخي في الرتبة لا للتراخي في الزمان، ورحى الضلالة عبارة عن خلافة التميمي والعدوي والأموي، وملك الفراعنة هو ملك بني العباس، ويجوز أن يكون للتراخي فيه، فيكون رحى الضلالة إشارة إلى ملك معاوية ومن بعده من سلاطين بني أمية.

قوله «في ذلك» أي في ملك بني أمية وبيان مدته.

---

(١) لم أعثر عليه ـ بهذ المعنى ـ بالفتح مطلقاً، بل هو بالكسر كما في المنجد.

قوله «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ»

ولا ينافيه ما استفاض من نزوله في مدة ثلاث وعشرين سنة منجماً، لأن المراد ابتداء نزوله كان في ليلة القدر، كما قيل، أو المراد أنه أنزل في فرضه، وإيجاب صومه على الخلق القرآن، فيكون فيه بمعنى في فرضه، كما يقول القائل أنزل الله في الزكاة كذا، يريد في فرضها، أو أنه نزل جملة، ليلة القدر إلى السفرة، أو إلى سماء الدنيا، ثم نزل منجماً، وقال الصدوق (ره) تكامل نزول القرآن في ليلة القدر، ويفهم من تتبع الأخبار معنى آخر، وهو أنه نزل عليه ﷺ قبل البعثة جملة، ليتعبد به، ولعله كان في ليلة القدر، ثم نزل بعد البعثة مفصلاً على حسب المصالح، ويؤيده ما روي أنه ﷺ كان يسبق جبرئيل بتلاوته، حتى نزل قوله تعالى: ﴿**ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه**﴾، وأما تسمية هذه الليلة بهذا الاسم، فإما باعتبار أن القدر بمعنى التقدير، لأنه تعالى يقدر فيها جميع أمور السنة، بحكم قوله تعالى: ﴿**فيها يفرق كل أمر حكيم**﴾.

وفي الحديث أن الله تعالى قدر فيها السموات والأرض وولاية أمير المؤمنين عليه السلام، أو لأن القدر بمعنى الشرف والخطر، لأن لها قدراً وشرفاً عند الله تعالى، ولصاحبها إذا أطاع الله فيها، أو للطاعات فيها لتضاعيفها وعظمها، أو لأنه أُنزل فيها كتاب ذو قدر، إلى رسول ذي قدر، لأجل أمة ذات قدر، على يدي ملك ذي قدر، وقيل مأخوذ من القدر بمعنى الضيق، من قوله: ﴿**ومن قدر عليه رزقه**﴾، لأن الأرض تضيق بالملائكة، وأما أنها آية ليلية، فقد أجمع أصحابنا رضوان الله عليهم على أنها إحدى الليالي الثلاث المشهورة، وأكثر الأخبار دالة على انحصارها في أخيرتها، بل ادعى شيخ الطائفة في التبيان عليه الإجماع، ويستفاد من بعض الأخبار طريق لجمع الأخبار دال على أن لكل ليلة من الليالي الثلاث مدخل في التقدير، ففي الأولى تقدير الأمور، وفي الثانية يكون امضاؤها، قال أستاذنا العلامة لما اقتضت حكمته البالغة توجه الخلق إلى جنابه، قدر للأمور تقديرات، وقدر للتقديرات مراتب مختلفة، ففي المرتبة الأولى من التقدير يمكن تغير ما قدر من سوء القضاء، أسهل من كونه في المرتبة الثانية، وتغيره في الثانية أسهل منه في الثالثة، كما في أحكام الملوك والسلاطين، تعالى عن المشاكلة، فإن فيها مراتب في الحكم وقبول في التغير إلى أن تنتهي إلى التزين بخاتم الملك، فعند ذلك يعسر تغيره، فكذا تغير ما قدره وأحكمه

وأمضاه تعالى يعسر بعد ليلة ثلاث وعشرين، وإن ورد أن لله فيه المشيئة، وأما فائدة تنزل الملائكة بحوادث السنة تلك الليلة على الإمام عليه السلام مع أنه قد تواتر بين الشيعة أن عند الأئمة عليهم السلام كتاب الجفر والجامعة ومصحف فاطمة وسائر علوم القرآن، وفيها ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، فالذي يظهر من ممارسة آثارهم عليهم السلام أن لعلومهم مراتب في الإجمال والتفصيل، فالكتب المزبورة متضمنة لسائر العلوم على طريق الإجمال، من غير تفصيل للأمور الواقعة في كل سنة، وفي ليلة القدر يعزز منها علم ما يقع في تلك السنة من غير تفصيل لحوادث كل أسبوع، وفي ليلة الجمعة تزور أرواحهم العرش فيفرز من هذا العلم العلم المتعلق بذلك الأسبوع، كما قال عليه السلام ولولا أن أرواحنا تزور العرش، وتطوف حوله ليلة الجمعة وتكتسب من هناك علوماً شتى لنفد ما عندنا، وأما ما يحتاجون إليه من حوادث الساعات فيحصل لهم تارة بالنقر في الأسماع، وأخرى بالنكت في القلوب، وهذا إنما هو بالنسبة إلى بعض علومهم، كما لا يخفى.

وأما القول بأنهم عليهم السلام يعلمون تلك العلوم على طبق لوح المحو والإثبات وينزل عليهم تلك الليلة ما خلا عنهم، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وما يكون إلى يوم القيـامة، وهي قوله تعـالى: ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**﴾، أو أنهم عليهم السلام يعلمونها مفصلاً لكنهم غير مأذونين في إلقائها إلى الناس إلا إذا فصلت تلك الليلة، كما وقع لجدهم عليه السلام من معرفته لتفاصيل القرآن قبل البعثة، ولم يرخص في الإخبار بها بعدها إلا بعد نزولها مفصلة ثانياً، أو أن فائدة النزول تشريف الملائكة بخدمتهم وبالسلام عليهم فلا يخلو من بعد، سيما هذا الأخير، فإنه خال من الدليل، وهذا كله ظاهر لا غبار عليه، وإنما الإشكال في أن ليلة القدر مختلفة باختلاف الأقاليم بناء على كروية الأرض، وحينئذٍ فمدار ليلة القدر على أي بلاد، ذكر فيه أستاذنا العلامة ضروباً من الأقوال، أولها أن المدار على بلد الإمام عليه السلام، ويكون لمن سواهم ذلك الثواب إذا عملوا أعمالها في الليلة الأخرى، وثانيها أن يكون عليه السلام في كل ليلة في إقليم، وتتنزل عليه الملائكة في الليلتين، وثالثها أن يكون عليه السلام مستقراً في بلده، وتتنزل عليه الملائكة في كل ليلة بأحوال تلك البلاد التي تلك الليلة ليلة قدرهم، وأحسن هذه الوجوه هو الأول.

قوله «تَمَلَّكَها بَنُو أُمية، انتهى».

وحاصل المعنى أن سلطنة الإمام عليه السلام في تلك الليلة بتنزل الملائكة وسلامهم عليه وتهنيتهم له خير من مدة ملك بني أمية تلك المدة الطويلة، وقيل المراد أن عبادة تلك الليلة الواحدة خير من العبادة في مدة ملك بني أمية، لأنهم سلبوا فضلها، وقيل أيضاً إن امتنان الطاعات الواقعة في غيرها أعظم من امتنان ملك بني أمية، بالنظر إلى باقي السلاطين، وقوله ليس فيها ليلة القدر، معناه أنه تعالى رفعها من شهور ملكهم، أو يكون المعنى أنها خير منها ما عدا ليلة القدر، والأول أوفق باللفظ، والثاني أوفق بالروايات الدالة على وجودها في زمان كل إمام، وفي إضافة المالكية إلى الشهور مبالغة لا تخفى.

قوله «تَمْلِكُ سُلْطانْ»

في الأصل بوزن تقتل، وفي س بوزن تكرم، وكلاهما غير موجود في كتب اللغة، بل الموجود منها بوزن تضرب، كما هو موجود في بعض النسخ القديمة.

قوله «وملكها طول»

في الأصل بنصبهما، فنصب الأول على المفعولية لتملك، ونصب الثاني على الظرفية.

قوله «فلو طَاوَلَتْهُم الجِبَالْ لَطَالُوا عَلَيْها»

يقال طاوله أي قابل طوله بطوله، وطال عليه أي غلبه في الطول، وهو مثل للاقتدار والغلبة، لأن أغرّاء الرجال طيالها، وقال بعضهم: إنّ طاول مشتق من الطول بفتح الطاء بمعنى السعة والغنى، أي أن غناهم وأموالهم أزيد من معادن الجبال وأكثر منها، ولعل الإمام عليه السلام أشار بقوله لطالوا عليها، إلا أن قلوبهم في القساوة أشد من الجبال والأحجار، انتهى. ولا يخفى ما في هذا القول من الخروج من أسلوب العرب.

قوله «يَسْتَشْعِرُونَ عَدَاوَتَنا»

أي يجعلونها شعاراً لهم، وهو كناية عن تمكن العداوة في قلوبهم، لأن الشعار الثوب الذي يلي الجسد، كما أن الدثار هو الثوب الذي يكون فوقه.

قوله «أَهْلُ البَيْتْ»

نصبه على الاختصاص، وجره كما في س على ما ذهب إليه الأخفش من جواز إبدال الظاهر من ضمير المتكلم على حدبي المسكين، والمشهور جوازه، لكن في غير بدل الكل.

قوله «نِعْمَتُ الله»

قال الصادق عليه السلام: نحن والله نعمة الله التي أنعم بها على عباده، وبنا يفوز من فاز، وقد بدلوها بولاية الجبت والطاغوت، وقد روي مستفيضاً عن الصادق عليه السلام أنه لما بلغه تفسير أهل العراق للنعيم، في قوله تعالى: ﴿**لتسألن يومئذ عن النعيم**﴾، بالماء البارد والنوم الطيب، غضب وقال إن الأمتنان مستقبح من المخلوقين، فكيف يضاف إلى الخالق عز وجل ما ينزّه المخلوقون به، ولكن النعيم حبنا أهل البيت وموالاتنا، يسأل الله عنه بعد التوحيد والإيمان، لأن العبد إذا وفى بذلك أداه إلى نعيم الجنة الذي لا يزول.

قوله «دَارَ البَوَارِ جَهَنَّمَ» البوار الهلاك، وجهنم بدل منها.

قوله «يَصْلَوْنَها»

حال من قومهم، أو من جهنم، أو منهما، وروي عن علي عليه السلام أن المعنى بهذه الآية هما الأفجران من قريش، بنو أمية، وبنو المغيرة، فأما بنو أمية فمتعوا إلى حين، وأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وقيل إنهم جبلة بن الأيهم ومن تبعه من العرب، تنصّروا ولحقوا بالروم، وأحلّوا قومهم، أي أنزلوهم دار الهلاك، أي النار بدعائهم إياهم إلى الكفر بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله «وبِئْسَ القَرَارْ» قرار من يكون قراره النار.

قوله «ذَلِكْ»

المشار إليه ما رأى صلى الله عليه وآله وسلم في منامه إلى هنا، وقد روى الفريقان أنه صلى الله عليه وآله وسلم بعد الرؤيا أسرَّ إلى أبي بكر وعمر أمر بني أمية، واستكتمهما عليه ذلك، فأفشى عمر عليه سره، وحكاه للحكم بن أبي العاص، وأسر إلى حفصة أمر أبي بكر وعمر، وقال لها إن أباك وأبا بكر يملكان أمر أمتي، فاكتمي عليّ هذا، فأفشت عليه سره، ونبأت به

عائشة، فجاءه بذلك الوحي ونزلت فيه سورة التحريم، أقول وهذا هو الذي حملهما على أن سقياه السم، كما رواه الثقة العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام، فإنه لما أسرَّ إليهما أن أبواهما يملكان أمر هذه الأمة ظلماً وتعدياً، قالا لابنتيهما اسقياه السم، تعجيلاً على إتلافه، فسقياه السم، فكان السبب في موته صلى الله عليه وآله وسلم، مضافاً إلى الأثر الذي كان في بدنه الشريف من سم اليهودية الخيبرية في السخلة المشوية.

قوله «أَوْ يُنْعِشُ حَقّاً»

أي يرفعه ويشيده، وفي هذا إشعار بأن خروج محمد وإبراهيم ويحيى وزيد إنما كان لأحد هذين الأمرين، لأن المقام والكلام في شأنهم وقصتهم، فيدل على أنهم كانوا محقين في خروجهم، وإن حصل بسببه مكروه على الأئمة عليهم السلام، لأنهم لم يقصدوا من الخروج المكروه على الأئمة عليهم السلام، لكنه لزم من خروجهم، بل يمكن أن يستفاد منه حقية خروج كل خارج منهم، لعموم اصطلام المنية، أي استئصالها لكل خارج منهم.

قوله «وَشِيعَتِنَا»

من باب العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار، كما هو أحد المذهبين، وسيأتي تحقيقه، وأنه الحق.

قوله «نيِّفاً»

بتشديد الياء، وهو ما بين عقدين من عقود العشرات، وقد سقط من هذا العدد عشرة أبواب أيضاً، وبقي أربعة وخمسون باباً، والشهيد (ره) قد ألحق بعض الأبواب بأبواب الصحيفة، ظناً منه أنه هو الذي سقط، والظاهر أنه رآه في بعض النسخ القديمة، إلا أن بين الملحق والملحق به بون بعيد في مراتب الفصاحة والبلاغة، كما ستعرف إن شاء الله تعالى، وكذلك بعض مشايخنا المعاصرين جمع الدعوات والمناجاة المروية عن الإمام زين العابدين عليه السلام، فصارت ستين دعاء، وسماها أخت الصحيفة، لأنها مع الصحيفة متحدة في المنبع، قريبة في الفصاحة.

قوله «وحدَّثَنا»

هذا كلام الصدوق، وفائدته بيان أن فهرست الأبواب كان في رواية المطهري،

ولم يكن في رواية الحسني، فلذا أورد هذا السند فيما بين أجزاء الرواية الأولى، وذكر الفهرست ثم رجع إلى تلك الرواية، والحاصل أن الصدوق أسند إلى المتوكل بطريق آخر، لتلك الفاصلة، قال أستاذنا العلامة سلمه الله تعالى: والظاهر أنه كان بين الروايتين اختلاف، وكأن رواية الحسني أحسن، فذكر الصحيفة بلفظ الحسن، كما هو مصطلح المحدثين من أنه إذا كان الخبر منقولاً بزيادة على طريق واحد أن يذكروا الطريق أولاً ثم يقولوا واللفظ لفلان.

قوله «الرِّحْبَة»

بالكسر، والفتح غلط، وهي محلة من محال الكوفة، وقرية بدمشق، وموضع ببغداد، والأول هو الأشهر في الإطلاق، قال في القاموس وبالفتح رحبة مالك بن طوق على الفرات، فقال بعض من يدعي التحقيق: إن النزيل الضيف والرحبة شخص اسمه مالك بن طوق على الفرات، واستند إلى عبارة القاموس، وهو فاسد، لأن معناها أن رحبة محلة هذا الرجل الواقعة على شط الفرات.

قوله «وهِيَ التَّحْمِيدُ»

لم يقحم لفظ الدعاء في هذه الأربعة، للإشعار بأنه عليه السلام كان يجمع بينها في القراءة فكأنها دعاء واحد، يؤيده إيراد العاطف أوائلها، كما سيأتي، لكن يرد على هذا أنه ينبغي الإقحام في الأول والترك في غيره، كما لا يخفى.

قوله «وَبَاقِي الأَبْوَابْ»

أي أصل الصحيفة دون الفهرست بلفظ الحسني، لا المطهري، وإن كانا سواء في المعنى، وقيل المراد بباقي الأبواب باقي ترجمة كل باب من قوله: وكان من دعائه عليه السلام ، انتهى. مما ليس فيما تقدم، والمعنى أنه سمع هذه العبارات من لفظه حال روايتها عنه مع الأدعية المذكورة، وهو بعيد، وأبعد منه ما قيل أن معناه، هذا المذكور مع باقي الأبواب، وقوله بلفظ أبي عبد الله كلام مستأنف، معناه أن الذي سمعه من لفظة قوله: حدثنا أبو عبد الله، انتهى.

دعاؤه عليه السلام بالتحميد لله عزّ وجلّ

«الحَمْدُ لِلَّهِ»

روى الكليني بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام، ما أنعم الله على عبد بنعمة صغرت أو كبرت، فقال الحمد لله، إلاّ أدى شكرها، وروى بإسناده إلى عثمان، قال خرج أبو عبدالله عليه السلام وقد ضاعت دابته، فقال لئن ردها الله تعالى علي لأشكرنه حق شكره، قال فلما أُتي بها فقال الحمد لله، فقال قائل جعلت فداك أليس قلت لأشكرن الله حق شكره، قال فقال أبو عبدالله عليه السلام، يعني قلت الحمد لله، وفي خبر آخر، أنه ما من أحد إلا وهو يدعو لك بقوله سمع الله لمن حمده، واللام إما للجنس، وإما للاستغراق، وهما عند التحقيق متلازمان في إفادة الانحصار، ويجوز كونها للعهد، والمراد به الحمد الذي حمد به نفسه، لأن الحمد هو إظهار صفات الكمال لأحد، وقد بسط بساط الوجود على ممكنات لا تعد ولا تحصى، ووضع عليه موائد كرمه التي لا تتناهى، فقد كشف عن صفات كماله بدلالات قطعية تفصيلية غير متناهية، فإن كل ذرة من ذرات الوجود تدل عليه، ولا يتصور مثل هذه الدلالات في الألفاظ والعبارات، ومن ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم :رب لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، ويجوز أن يكون هذا المعهود عبارة عما روي، من أنه تعالى يخلق صوتاً في عالم الملكوت، فيمجد نفسه في الليل والنهار ثلاث ساعات، وقيل هو ما حمده به أنبياؤه المرسلون، وملائكته المقربون، لأنه الذي عرفهم حمده، والله مشتق إما من أله بمعنى عبد بفتح العين لأنه المعبود، أو من ألهت إلى فلان إذا سكنت إليه، إذ القلوب تطمئن بذكره، أو من أَلِه إذا تحير، إذ العقول تتحير في معرفته، وكلما ازدادت معرفة ازدادت حيرة لمشاهدتها لآثار العظمة والجبروت، وملاحظتها لعالم اللاهوت، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم زدني فيك تحيراً، وقوله: اللهم زدني فيك معرفة، وههنا سؤال مشهور، هو أن قول أمير المؤمنين عليه السلام وسيد الموحدين. لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً، دال على بلوغه في المعرفة غاية لا يتصور عليها الزيادة، فيلزم أن يكون أكمل فيها من

النبي ﷺ مع أنه خلاف الإجماع، والجواب عنه من وجوه، الأول: إن كلام أمير المؤمنين عليه السلام منزل على أمور الآخرة، من الجنة والنار والصراط والميزان، يعني لو كشف الغطاء عن الأمور الأخروية لم أزدد يقيناً، كما قال عليه السلام: كأني أنظر إلى أهل جهنم وزفيرها على أهل المعاصي، وكأني أنظر إلى الناس يساقون إلى عرصات القيامة، وكأني أنظر إلى أهل الجنة متكئين فيها على أرائكهم، ونحو ذلك، الثاني: أن يكون نصب يقيناً على المفعول به لازددت لا على الظرفية والتمييز، وحاصل المعنى أن لي علماً ومعرفة بوجود الصانع حتى لو كشف الغطاء لما حصلت علماً يغاير ما علمته به، ككونه في مكان أو في زمان، مما يغاير العلم الأول، لا أن العلم الذي عندي لا يحصل له الزيادة، بل يحصل له الزيادة، لأن العيان أبلغ من المعرفة القلبية، الثالث: إن النبي ﷺ كانت مراتب علومه ومعارفه تتزايد يوماً فيوماً، حتى أنه ربما عد مرتبته أمس تقصيراً أو ذنباً بالنسبة إلى مرتبته في يومه، وعليه نزل قوله عليه السلام إني لأستغفر الله كل يوم سبعين مرة من غير ذنب، ولما تكامل عمره الشريف تكاملت معرفته اللائقة بالمادة النبوية، وقد سلّم تلك العلوم التي حصلت له مدى عمره الشريف لعلي عليه السلام، في ساعة واحدة، بحكم قوله: علمني ألف باب ينفتح من كل باب ألف باب، وكلام علي عليه السلام إنما هو بعد موت الرسول، فلا منافاة بين طلب الرسول ﷺ زيادة المعرفة أيام حياته، وبين كلام علي عليه السلام بعد مماته، لأنه إنما حصّل هذه المرتبة من ذلك العلم الذي أفاضه عليه، فلا يلزم زيادة علمه على علمه ﷺ، وقيل هو علم للذات المخصوصة، فلا اشتقاق حينئذٍ، والواضع له إما الله تعالى وإن كان واضع غيره، أو أنه موضوع لغيره، ولكن يكفي في الوضع التصور بوجه ما.

«الأوّلِ بِلاَ أوّلٍ كانَ قَبْلَهُ»

في الأصل إعراب أول الثاني بالكسر والتنوين، وفي س بالفتح وحده، ولا بد لهما من مقدمة، وهي أنه قد اختلف في الاشتقاق الأول، فالكوفيون على أنه فوعل من وأل أي نجا، لأن النجاة في السبق، فنقلت الهمزة إلى موضع الفاء، أو قلبت الواو الأولى همزة، والبصريون على أنه أفعل، لكنهم اختلفوا في الاشتقاق فبعض على أنه من وول، وآخرون على أنه من آل أي رجع، لأن كل شيء يرجع إلى أوله، فهو بمعنى

المفعول كأشهر، ومن تمامها قول نجم الأئمة إن أول كأسبق معنىً وتصريفاً واستعمالاً، تقول في الاستعمال زيد أول من غيره، ولما لم يكن لفظ أول مشتقاً من شيء مستعمل على الوجه الصحيح خفي فيه معنى الوصفية، إذ هي إنما تظهر باعتبار المشتق منه واتصاف ذلك المشتق به، وإنما تظهر وصفية أول بسبب تأويله بالمشتق، وهو أسبق فلا جرم لم يعتبر وصفيته إلا مع ذكر الموصوف قبله ظاهراً، نحو يوماً أول، أو ذكر من التفضيلية بعده ظاهرة، إذ هي دليل على أن أفعل ليس اسماً صريحاً، فإن خلا منهما ولم يكن مع اللام والإضافة دخل فيه التنوين مع الجر لخفاء وصفيته، كقول علي عليه السلام أحمده أولاً بادياً، ومن تمامها أيضاً أن الجار إذا دخل على لا التبرئة منع من بناء المنفي بعدها، لتعذر تقدير من حينئذ، ومنهم من فتح نظراً إلى لفظ لا، إذا تحققت هذا، فاعلم أن مبنى نسخة الأصل إما على أن أول فوعل أو أفعل، لكنه منسلخ عن معنى الوصفية، مع تخطي عمل الجار، فمعنى بلا أول حينئذ، أي بلا ابتداء أو مبدأ، ومبناه على نسخة س إما على أنه أفعل تفضيل بمعنى أسبق، واعتبار من والمفضل عليه، لكنهما حذفا للعلم بهما، أو على أنه أفعل الصفة مع اعتبارك المعنى الوصفي فيه، كقولك حججت عام أول، أي السابق، ففيه الوصف والوزن، أو يكون منسلخاً عن هذا المعنى وناصبه لا بدون تخطي عمل الجار، وإما بمعنى أوليته تعالى، فقيل المراد بها الأسبقية بحسب الزمان التقديري، أي لو فرض قبل حدوث الزمان زمان لكان الواجب تعالى أسبق وأقدم، وقيل المراد بالأول القديم لا الأسبق، وبالآخر الأبدي، وعليه أكثر المحققين، وقيل المراد الأولية والآخرية بحسب العلية، لأنه أول المبادي وغاية الغايات، وقيل المراد أنه أول سلوك العارف ومنتهاه، فإنه بتوفيقه يبتدأ وإليه ينتهى، وقيل المراد بها الأولية الذاتية، والحق إرادة هذه المعاني كلها من هذا اللفظ، وأما فائدة قوله بلا أول، انتهى. فدفع الإضافية وإثبات الحقيقية.

«والآخِرِ بِلاَ آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ»

في الأصل بالتنوين، بناء على ما هو المشهور من تخطي العامل، وعلى س مبناه على إلغائه وإعمال لا، وفي بعض نسخ س فتح الخاء بلا تنوين، ولا وجه ظاهر لمنع صرفه، لأنه تجرد عن الوصفية وصار بمعنى غير، إلاّ أن يعتبر الوصفية الأصلية، أوثق بدخول لاء النافية أولاً ثم دخول الجار بعدها، ومعنى الآخر الباقي بعد فناء الخلق، وروي أنه الذي ليس له نهاية، وفي صحيحة ابن أبي يعفور قال سألت أبا

عبدالله عليه السلام، عن قول الله عز وجل، الأول والآخر، فقلت أما الأول فقد عرفناه، وأما الآخر فبيِّن لنا تفسيره، فقال: إنه ليس شيء إلا يبيد أو يتغير أو يدخله التغير من لون إلى لون، ومن هيئة إلى هيئة، ومن صفة إلى صفة، ومن زيادة إلى نقصان، ومن نقصان إلى زيادة، إلاّ رب العالمين، فإنه لم يزل ولا يزال، بحالة واحدة، هو الأول قبل كل شيء، وهو الآخر على ما لم يزل، لا تختلف عليه الصفات والأسماء كما تختلف على غيره، مثل الإنسان الذي يكون تراباً مرة، ومرة لحماً، ومرة رفاتاً ورميماً، الحديث، وهو دال على معنى آخر للآخر.

«أبْصَارُ النَّاظِرِينَ»

أي الرائين أو المتفكرين، وحينئذٍ فالأبصار إما جمع بصر، أو جمع بصيرة، وجمعية البصر مع كونه مصدراً لقصد الأنواع المختلفة، وقيل بعدم مصدريته فلا إشكال حينئذٍ.

«وَعَجَزَتْ عنْ نَعْتِهِ أَوهَامُ الوَاصِفِينَ»

أي قواهم الباطنة، لأن التخصيص بهذا المشعر المخصوص اصطلاح حكمي، ويمكن أن يقال في نكتة التعبير به الإشارة إلى أن العقل لكماله وشرافته لا يحوم حول هذا الحمى، لأنه لا يتعرض إلا لإدراك ما يمكن، بخلاف الوهم فإنه هو الذي يدرك ما لا يمكن ولا حقيقة له خارجاً، كإنسان ذي رأسين أو جناحين، ومع هذا فهو عاجز عن الوصول إلى حقيقة الصفات، لأنها عين الذات، أو عن الإحاطة بها لتكثرها، وقيل المراد أنها عجزت عن نعته بغير ما نعت به نفسه، أو عن نعت ذاته بمعرفتها بغير الصفات التي وصف بها، وإرادتهما بعيدة من اللفظ، وفيه وفي ما قبله رد على ما زعمه مخالفونا، من أنه يرى في الآخرة بحس البصر، وفي الدنيا بحاسة العقل، ولا ينافي هذا قول علي عليه السلام إني لم أعبد رباً لم أره، وقوله بل رأته القلوب بحقائق الإيمان، فإن المراد به الانكشاف التام الحاصل له عليه السلام في الدنيا، ولغيره في الآخرة، وهو غير إحاطة العقل به.

«ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الخَلْقَ ابْتِداعاً، واخْتَرَعَهُمْ علىٰ مَشِيَّتِهِ اخْتِراعاً»

الابتداع لغة الاختراع لا على مثال، والاختراع الشق، وفي الاصطلاح الاختراع الإحداث لا على مثال سبق، والابتداع الإحداث لا عن مادة، ولا ينافيه ما ورد، من

أن النطفة إذا وقعت في الرحم قال الله تعالى لملائكة التصوير احضروا صور آبائه إلى آدم، وصوروا صورته مثل واحدة منها، لأن ذلك التصوير السابق أيضاً منه تعالى، وبالآخرة تنتهي إلى آدم ولم يسبق له تصوير، وهذا هو أحد المعاني التي خطرت بالبال في تفسير الحديث المشهور. وهو قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ إن الله خلق آدم على صورته، لأنه ليس له أب حتى يخلقه على صورته، ومن المعاني التي خطرت بالبال أيضاً، أن آدم لم يتخلق بالصور المختلفة، ككونه تارة نطفة، وأخرى علقة، وأخرى مضغة وعظاماً، بل خلق على هذه الصورة التي هو عليها، وقيل المراد الصورة المعنوية، وحينئذٍ فالضمير راجع إلى الله تعالى كقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ تخلقوا بأخلاق الله، وفي الحديث القدسي، إذا تقرب عبدي إليّ بالنوافل كنت سمعه الذي به يسمع، ويده التي بها يبطش، ورجله التي بها يمشي، الحديث، وقال المرتضى إن على بمعنى مع، أي أنه خلق مادته مع صورته، رداً على ما زعمه الطبيعيون من أن الصورة من مقتضيات المادة، وقد روي أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مر برجل يضرب رجلاً، فقال له لا تضربه، إن الله خلق آدم على صورته. وروى أيضاً محمد بن يعقوب بإسناده إلى محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ، عما يروون من أن الله خلق آدم على صورته، فقال هي صورة مخلوقة، اصطفاها الله واختارها على باقي الصور المختلفة، فأضافها إلى نفسه، كما أضاف الكعبة إلى نفسه، والروح إلى نفسه، فقال بيتي، ونفخت فيه من روحي، ولو ثبت هذا لم يكن فيه إشكال، ونصب ابتداعاً واختراعاً على المفعول المطلق النوعي، أي شديداً عظيماً.

«ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ، وَبَعَثَهُمْ في سِبِيلِ مَحَبَّتِهِ، لاَ يَمْلِكُونَ تأْخِيراً عمَّا قدَّمَهُمْ إليهِ، ولاَ يسْتَطِيعُونَ تَقدُّماً إلىٰ مَا أَخَّرَهُمْ عنْهُ»

ثم هنا إما لتراخي الزمان أو الرتبة، وسلك يتعدى بنفسه وبالحرف، وعلى الأول ما وجد في بعض النسخ القديمة، ثم سلكهم في طرق إرادته، وبعثهم على سبيل محبته، وقد تحصل لهذه الفقرات معان ثلاثة، الأول إنه تعالى بعد الاختراع والابتداع، أدخلهم وبعثهم في الطريق الذي أراده وأحبه من مراتب التكليف، بواسطة الرسل والعقول، فكلفهم ما أراد، لا ما أرادوا وأحبوا، فلا يملكون ولا يقدرون على تأخير التكاليف عن أوقاتها المؤقتة لها، كما كانت تفعله العرب من النسيء في الحج، وكذا لا يستطيعون تقدماً ولا تأخراً في الأحكام، بأن يقدموا منها ما أخر ويؤخرون ما قُدّم،

كجعل الحرام واجباً والواجب حراماً، الثاني: إنه أدخلهم وخلقهم على ما أراد من تفاوت مراتبهم في الاستعداد، فجعل مادة بعضهم مستعدة للنبوة، والبعض الآخر للإمامة، والثالث للفضيلة، والرابع للتقليد، على حسب ما اقتضته الحكمة الكاملة، فالنبي لا يقدر أن يتخلف عما قدم إليه من تلك المرتبة فيصير مقلداً لغيره، والمقلد من الرعية لا يمكنه التقدم عما خلق له بأن يصير نبياً أو إماماً لعدم إعطاء مادته لذلك الاستعداد، ومن جملة أسمائه تعالى المقدم والمؤخر، وقد قيل فيهما هذا المعنى، كما سيأتي إن شاء الله تعالى، الثالث: إن السالك إذا صرف شراشره وهمته في خدمة مطلوبه أدخله ذلك المطلوب في الطريق المراد له، حتى أن كل ما يصدر منه يكون على وفق إرادة ذلك المطلوب، فيتخلى عن إرادات نفسه، ويتحلى بإرادات قدسه، كما مر من قوله: إذا تقرّب العبد إليّ بالنوافل، الحديث، وتسمى هذه المرتبة عند السالكين، الفناء في الله، وإليه أشار عليه السلام بقوله: قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرحمن، يقلبه كيف شاء، وبعد أن عمل بقوله عليه السلام، موتوا أنفسكم قبل أن تموتوا، وبعد هذا الموت يحبه الله تعالى ويبعثه ويؤيده بالقوة الإلهية، ولذا قال، ثم بعثهم في سبيل محبته، وإلى هذه المرتبة أشار سيد الموحدين عليه السلام بقوله ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية، بل بقوة ربانية، فإنه أفنى قوته الجسمانية في جنب الله، فأفاض الله عليه من قوته، وكذا قوله في صفة المتهجدين، إنهم خلوا بربهم فكساهم من نوره، فإنهم أفنوا حسّهم البشري بالفكر والسهر، واصفرت وجوههم منه، وبعد هذا أفاض الله عليهم من حسنه وأنواره، وتسمى هذه المرتبة البقاء في الله، وقوله لا يملكون تأخيراً، انتهى. كالتأكيد له، فإنهم قد تخلقوا بأخلاق الله فلا يستطيعون مخالفته، لأنه هو المتصرف في قلوبهم وأمورهم، وهم كالآلات التي يقع بها الفعل.

«وجَعَلَ لِكُلِّ رُوْحٍ مِنْهُم قُوتاً مَعْلُوماً (مَقْسُوماً)[1] مِنْ رِزْقِهِ، لاَ يَنْقُصُ مَنْ زَادَهُ نَاقِصٌ، وَلا يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُم زَائِدٌ»

الظاهر أن المراد ذي روح، ويجوز أن يراد نفس الأرواح، فيكون إما عبارة عما تضمنه حديث جابر، من تعداد أرواح الإنسان، وهي روح الحيوان، وروح المدرج، وروح الشهوة، وروح الإيمان، وروح القدس، فإنه جعل لكل روح رزقاً يناسبه، ويتغذى به، من الأرزاق الحسية أو المعنوية من الحكم والمعارف، وإما أن يكون

(١) كما في بعض النسخ أي (قوتاً مقسوماً).

عبارة عن الروح الحيوانية والروح النفسانية والطبيعية النباتية والناطقة، وفي س زوج، والمراد به إما الصنف والنوع أو ما قابل الفرد، فإنه تعالى خلق الأشياء أزواجاً، ليعرف أن لا ثاني له فيكون معه زوجاً، أو لأن كل ممكن مزدوج التركيب، وأقله أن يحلله العقل إلى مهية ووجود، أو روح مع بدن، ولا يتوهم من هذا وأضرابه عدم وجوب السعي وعدم الفائدة فيه، لأنه تعالى قسّم الأرزاق معلقة على الأسباب والشروط التي من أعظمها السعي، ولو تركه فهل يجب على الله تعالى إيصال الرزق إليه، فيه خلاف، فقيل إن الواجب هو أيصال القدر الضروري، الذي لا يمكن التعيش إلاّ به، وقيل إنما يجب إيصال هذا القدر على من عظم توكله على رازقه، لقوله تعالى: **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾**، والخلف في الوعد لا يجوز عليه تعالى، والحق أن إيصال هذا القدر كغيره غير واجب إلا بالسعي، لعموم الآيات والأخبار، وآيات التوكل غير منافية له، لأنه كما قال عليه السلام التوكل أن تعقل بعيرك وتقول توكلت على الله في حفظه لا على العقال، وإيصال القدر الضروري وغيره إلى عديم السعي، إنما هو من باب التفضل لا من باب الوجوب عليه تعالى، وأما زاد ونقص، فوردا في اللغة متعديين ولازمين، ولذا كان في نسخة الأصل ينقص بوزن ينصر.

«ثُمَّ ضَرَبَ لهُ فِي الحيَاةِ أجَلاً مَوْقُوتاً، ونصَبَ لهُ أمَداً مَحْدُوداً»

جعل بعض الأعلام ثم هنا للتراخي في الرتبة لا غير، لأن ضرب الأجل مقدم على سلوك طريق الإرادة وما بعده، وهو كما ترى، فإن ثم هنا للعطف على قوله وجعل، وهو متراخ عنه في الزمان، لما روي أنه إذا استتم خلق الإنسان في بطن أمه كتب على جبهته سعادته وشقاوته ورزقه وأجله وسائر ما يصير إليه حاله، وعلى هذا لو عطف على قوله ثم سلك لكانت ثم أيضاً للتراخي في الزمان كما لا يخفى، والأجل أتى تارة بمعنى المدة، وأخرى بمعنى نهايتها، ويؤيد إرادة الأول هنا قوله في الحياة، لأن نهاية الأجل إنما يكون عند الموت، وإن أمكن أن يقال إن الظرف في محل الحال، أي ضرب له أجلاً عند موته، حال كونه متلبساً في الحياة، وترجيح التأسيس على التأكيد ولفظ ضرب والنصب، فإن الضرب لغة بمعنى السير، يقال ضرب في الأرض أي سار، أي أنه سيره في الحياة مدة ذات وقت، فهو يناسب الأجل بمعنى المدة، والغاية لما كانت معترضة في طريق العمر علامة لانتهاء تلك المسافة كانت

كالمنائر الموضوعة على ظهر الطريق يعلم به حدود المسافة ناسبها النصب، وهذه الفقار كالصريحة في نفي الأجل المخروم وعدم صحة القول به، وما قيل من أنه موقوت أيضاً بشرط لا يخفى ما فيه، فتدبر.

«يَتَخَطَّى إليْهِ بأَيَّامِ عُمُرِهِ»

بالهمزة، إما من الخطوة، وهي ما بين القدمين، قلبت الألف همزة هنا على غير قياس، ولعل فائدته كما قيل، التنبيه على تضمين معنى الخطا، والمعنى يتخطأ إليه بأيام عمره متخطياً، أي من غير تعمد وقصد، وإما من الخطاء بالهمزة بمعنى الاستعجال ومجاوزة الحد، لعدم خلو السرعة عن الخطاء والغلط، ويؤيد هذا عدم احتياج الفعل إلى تضمين معنى الذهاب والاستعجال ونحوهما، أو جعل الظرف حالاً، أي منتهياً إليه كما يحتاج إليهما على الأول، لأنه بذلك المعنى متعد بنفسه، كما يؤيد الأول ما وجد في بعض النسخ القديمة من عدم الهمزة، ولا يخفى ما في هذه الفقرة وفيما اكتنفاها من أنواع الاستعارات اللطيفة.

«وَيَرْهَقُهُ» أي يدنو إليه بسرعة.

«حتَّى إِذَا بَلَغَ أَقْصَىٰ أثَرِهِ»

وهو الأمد المحدود، فهو من باب إقامة الظاهر مقام المضمر، للدلالة على أنه لا يمكن أن يبلغ تلك الغاية وقد بقي لقدمه في الدنيا موضع أثر، لأن الإنسان ما دام حياً يلزمه الأثر الذي يضع قدمه فيه، ومنه قولهم قطع الله أثرك أي أماتك، لأن الحي لا يكون مقطوع الأثر، واعلم أن الكلام في الأجل مما كثر بين العامة والخاصة، وقد بسّطنا الكلام فيه في حواشينا على كتاب التوحيد للصدوق (ره)، وفي كتابنا نوادر الأخبار، ولا بأس بالإشارة هنا إلى نبذة من تحقيقه، وهو أن الأخبار قد تظافرت بأن صلة الأرحام تزيد في العمر، وقد أشكل هذا المعنى على كثير من العلماء باعتبار أن المقدورات في الأزل والمكتوبات في اللوح المحفوظ لا يتغير بالزيادة والنقصان، لاستحالة خلاف معلوم الله تعالى، وقد سبق العلم بوجود كل ممكن أراد وجوده وبعدم كل ممكن أراد بقاءه على حالة العدم الأصلي أو إعدامه بعد إيجاده، فكيف يمكن الحكم بزيادة العمر أو نقصانه بسبب من الأسباب، واضطربوا في الجواب، فتارة قالوا إن هذا على سبيل الترغيب، وأخرى بأن المراد الثناء الجميل بعد الموت.

وقد قال الشاعر:

ذكر الفتى عمره الثاني وغايته ما فاته وفضول العيش أشغال

وقال آخر:

ماتوا فعاشوا بحسن الذكر بعدهم ونحن في صورة الأحياء أموات

وقيل المراد زيادة البركة في الأجل، أما في نفس الأجل فلا، قال شيخنا الشهيد طاب ثراه، وهذا الإشكال ليس بشيء، أما أولاً، فلوروده في كل ترغيب مذكور في القرآن والسنة، حتى الوعد بالجنة وبجواز الصراط والحور والغلمان، وكذلك التوعد بالنيران، ثم قال والجواب عن الجميع واحد، وهو أن الله تعالى كما علم كمية العمر علم ارتباطه بسببه المخصوص، وكما علم من زيد دخول الجنة جعله مرتبطاً بأسبابه المخصوصة من إيجاده، وخلق العقل له وبعث الأنبياء ونصب الألطاف وحسن الاختيار والعمل بموجب الشرع، فالواجب على كل مكلف الإتيان بما أمر فيه ولا يتكل على العلم، فإنه مهما صدر منه فهو المعلوم بعينه، فإذا قال الصادق: إن زيداً إذا وصل رحمه زاد الله في عمره ثلاثين سنة ففعل ذلك إخباراً بأن الله تعالى علم أن زيداً يفعل ما يصير به عمره ثلاثين سنة زايداً، كما أنه إذا أخبر أن زيداً إذا قال لا إله إلاّ الله دخل الجنة، فإن قلت قد قال الله تعالى: ﴿**ولكلٍّ أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾، وقال تعالى: ﴿**ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها**﴾، قلت صادق على كل ما يسمى أجلاً موهبياً، أو أجلاً مسببياً، فيحمل على الموهبي ويكون وقته وفاء لحق الحفظ، ويجاب أيضاً بأن الأجل عبارة عما يحصل عنده الموت لا محالة، سواء كان بعد العمر الموهبي أو المسببي، ونحن نقول كذلك لأنه عند حصول أجل الموت لا يقع التأخير، وليس المراد به العمر إذ الأجل مجرد الوقت، وينبه على قبول العمر للزيادة والنقصان ـ بعدما دلت عليه الأخبار الكثيرة ـ قوله تعالى: ﴿**وما يعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب**﴾، انتهى، وهو تحقيق حسن، نعم يظهر من جوابه أن الأجل ضربان موهبي ومسببي، وهذا هو مذهب المعتزلة حيث قالوا إن المقتول لو لم يقتل لعاش إلى أمد هو أجله الذي قدره الله له، فالقاتل عندهم غيرياً لتقديم الأجل الذي قدره الله تعالى، وادّعوا فيه الضرورة، واستشهدوا عليه بذم القاتل، ولو كان المقتول بأجله الذي قدره الله له لمات وإن لم يقتله، فالقاتل لم يجلب بفعله أمراً لا مباشرة ولا توليداً، وكان لا يستحق الذم عقلاً ولا شرعاً، والجواب أنه يستحقه

من حيث النهي، وأنه الذي أوصل الألم إليه، وكان الواجب عليه أن يترك المقتول مع ربه حتى يوصل إليه ألم الهلاك ويثيبه عليه، فقد صار شريكاً لله تعالى كما صرح به الصدوق (ره)، والمسببي راجع إلى الموهبي بل هو عينه، والتحقيق في هذا المقام يبلغ مقامات، وقد ورد النهي عن الدخول فيها، وليس الواجب إلا هذا القدر وأقل، والله العالم.

«مَوْفُورِ ثَوَابِهِ»

من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، وكذا ما بعده، وموفور إما بمعنى وافر، كمدفوق بمعنى دافق، عبّر به للمشاكلة، أو الذي وفر على طريقة المجهول.

«بِمَا عَمِلُوا» الباء للسببية أو للصلة.

«بِالْحُسْنىٰ» أي بالمثوبة الحسنى وهي الجنة، أو بأحسن من أعمالهم، أو بسبب الأعمال الحسنى.

«عَدْلاً»

إما مفعول له أو تمييز، ونقل عن شيخنا البهائي (قده)، أنه قال بالنصب على الحال وهو كما ترى، لأن الظرف يمنعه.

«تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ»

أي تنزهت عن أن يجوز إطلاقها على غيره كما أطلقوها على آلهتهم، ولا يحتاج إلى تأويله بالمسمى أو القول بإقحامه، كما قيل زعماً منه أن المقصود إنما هو تنزه الذات وتقدسها، لأن تنزيه الاسم مستلزم لتنزيهها كما لا يخفى.

«وَتَظَاهَرَتْ آلاَؤُهْ»

تتابعت نعماؤه، وقيل الآلاء النعم الباطنة والنعماء النعم الظاهرة.

«لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلْ» لأنه حكيم على الإطلاق.

«وَهُمْ يُسْأَلُونْ»

لأنه يجوز عليهم الخطأ والغفلة، وقيل في الآية ضروب من التفسير، الأول: إنه

لا يسأل عن ادعاء الربوبية، وهم يسألون إذا ادّعوها، الثاني: إنه لا يحاسب على أفعاله، وهم يحاسبون على أفعالهم، الثالث: إنه لا يسأله الملائكة والمسيح عن فعله، وهو يسألهم ويجازيهم، فلو كانوا آلهة لم يسألوا عن أفعالهم.

«**أَبْلاَهُمْ**» البلاء يكون محنة ويكون منحة وهو المراد هنا.

«مِنْ حُدُودِ الإِنْسَانِيَّةِ إِلَى حَدِّ البَهِيمِيَّةِ»

وجمعية الحدود الأولى وإفراد الثانية للدلالة على تعدد حدود الإنسان في مراتب الكمال، فإن أعلى المراتب مراتب الأنبياء، ثم الأوصياء، ثم الأولياء، ثم الأدنى فالأدنى، وأما البهيمية فليس لها إلاّ حد واحد، وهو عدم الشعور وكون همها علفها، وفيه تعبير بليغ للإنسان الخارج من الحدود الكثيرة المخلوق لها، الداخل في حد واحد لم يخلق له، وفي بعض النسخ، ولدخلوا في حريم البهيمية.

«مُحْكَمِ كِتَابِهْ»

أي كتابه المحكم المتقن الواضح الدلالة، أو غير المنسوخ.

«بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً»

إما لعدم قابلية الأنعام، أو أنها عرفت الضار فاحترزت منه وعرفت النافع فأقبلت إليه، وهم بالعكس، أو لأنها تطيع ربها ومن أحسن إليها وتفر ممن يضربها ويسيء إليها، وهم أيضاً بعكسها حيث أطاعوا الشيطان وخالفوا الرحمٰن، أو أن جهالة الأنعام لم يسر ضررها إلى أحد، وجهالة هؤلاء أضلت العالمين وأثارت الفتن بينهم وبين المسلمين.

«عَلَى مَا عَرَّفَنا مِنْ نَفْسِهْ»

أي على الذي عرفناه، ومن إما للابتداء، أو للبيان، أو البعضية، فإن ما عرفناه جزء مما لم يعرّفناه، وهذا التعريف إما بواسطة الرسل، أو بإقامة الدلائل في الآفاق والأنفس، أو بواسطة العقول، أو بخلقه لهم على فطرة التوحيد فإن من عرف نفسه فقد عرف ربه، ولمعرفته تعالى مراتب شتى أشار إلى بعضها المحقق الطوسي حيث قال: مراتب معرفة الله تعالى مثل مراتب معرفة النار مثلاً، فإن أدناها من سمع أن في الوجود شيئاً يعدم كل شيء يلاقيه، ويظهر أثره في كل شيء يحاذيه، وأي شيء أخذ منه لم

ينقص منه شيء، ويسمى ذلك الموجود ناراً، ونظير هذه المعرفة في معرفة الله معرفة المقلدين الذين صدّقوا بالدين من غير وقوف على الحجة، وأعلى منها مرتبة من وصل إليه دخان النار وعلم أنه لا بد له من مؤثر، فحكم بذات لها أثر هو الدخان، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل النظر والاستدلال، الذين حكموا بالبراهين القاطعة على وجود الصانع، وأعلى مرتبة مرتبة من أحس بحرارة النار بسبب مجاورتها، وشاهد الموجودات بنورها، وانتفع بذلك الأثر، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة المؤمنين الخلّص، الذين اطمأنت قلوبهم بالله، وتيقنوا أن الله نور السموات والأرض كما وصف به نفسه، وأعلى منها مرتبة مرتبة من احترق بالنار بكليته، وتلاشى فيها بجملته، ونظير هذه المرتبة في معرفة الله تعالى معرفة أهل الشهود والفناء في الله، وهي الدرجة العليا، والمرتبة القصوى، رزقنا الله الوصول إليها والوقوف عليها بمنه وكرمه.

«وأَلْهَمَنَا مِنْ شُكْرِهْ»

أي الذي هو شكره، أو من بعض شكره، والشكر في اللغة فعل ينبىء عن تعظيم المنعم، ومورده الثلاثة، وفي الاصطلاح صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه إلى ما خلق لأجله، كصرف النظر إلى مطالعة مصنوعاته، والسمع إلى تلقي ما ينبىء عن مرضاته، وعليه ورد قوله تعالى: ﴿**وقليل من عبادي الشكور**﴾، والمفهوم من تتبع الأخبار هو المعنى الأول.

«وفَتَحَ لَنا مِنْ أَبْوابِ العِلْمِ بِرُبُوبِيَّتِهْ»

الظرف وهو قوله بربوبيته، إما أن يتعلق بقوله فتح، فإن الرب مأخوذ من التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً، ولا ريب في أن العلم من أشرف الكمالات، فلا بد للمربي من أن يبلغ المربّى إلى مراتب العلوم المختلفة، من علوم الشرائع والأحكام، والعلم بأحوال العقول والنفوس والأجرام، وإما أن يتعلق بالعلم، أي بسبب العلم والمعرفة بكونه رباً فتح لنا أبواب العام وعرفناه، ويجوز أن يراد بالأبواب الأئمة عليهم السلام، فإنهم الباب المأمور بالدخول منه بقوله تعالى: ﴿**واتوا البيوت من أبوابها**﴾، وقوله عليه السلام أنا مدينة العلم وعلي بابها.

«ودَلَّنَا عَلَيْهِ مِنَ الإِخْلاَصِ فِي تَوْحِيدِهْ»

من ههنا مثلها فيما تقدم، وقال الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي إنها للتعليل، مثلها في قوله تعالى: ﴿**مما خطيئاتهم أُغرقوا**﴾، أي دلنا على أبواب العلم لأجل إخلاصنا له التوحيد، أو لكي نخلص له التوحيد، والإخلاص في الطاعة ترك الرياء، وفي التوحيد ترك الشرك بقسميه الجلي والخفي، وله مراتب شتى، أعلاها امتثال قوله تعالى: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾، الذي نكذب فيه كل يوم مراراً، وكل مرتبة انحط المكلف منها إلى ما هو أدون منها دخل فيما يقابلها من مراتب الشرك، بحكم قوله تعالى: ﴿**أفرأيت من اتخذ إلهه هواه**﴾، وقوله تعالى: ﴿**ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان**﴾، وما رواه أبو بصير عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ، في قول الله عز وجل: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**﴾، فقال والله ما صاموا لهم ولا صلوا لهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فاتبعوهم، فإذا كان إطاعة الغير شركاً فما ظنك بباقي المعاصي، روي أنه جاء جبرئيل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال له النبي يا جبرئيل ما تفسير الإخلاص، فقال المخلص الذي لا يسأل الناس شيئاً إذا لم يجد، وإذا وجد رضي، وإذا بقي عنده شيء أعطاه، فإن من لم يسأل المخلوق أخلص لله عز وجل بالعبودية، وإذا وجد فرضي وهو عن الله راض، والله تبارك وتعالى عنه راض، وإذا أعطى لله عز وجل فهو على حد الثقة بربه عز وجل.

«وجَنَّبنَا مِنَ الإلْحَادِ وَالشِّرْكِ فِي أَمْرِهْ»

من هنا إما للبيان أو زائدة، والإلحاد الميل، وهو يشمل الإلحاد في الذات والصفات والأفعال والأسماء، فالإلحاد في الذات يشمل القول بالشريك، وفي الصفات يشمل القول بزيادتها على الذات، وفي الأفعال يشمل نسبة أفعاله إلى غيره وأفعال غيره إليه، وأما الإلحاد في الأسماء فقد أشار إليه بقوله: ﴿**وذر الذين يلحدون في أسمائنا**﴾، أي يسمونه بما لا توقيف فيه، أو بما يوهم معنى فاسداً، كقولهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه، أو إنكارهم ما سمى به نفسه، كقولهم ما نعرف إلا رحمن اليمامة، أو إطلاقها على الأصنام واشتقاق أسمائها منها، كاللات من الله والعزى من العزيز.

«حَمْداً نُعَمَّرُ بِهِ فِيمَنْ حَمِدَهُ مِنْ خَلْقِهِ»

نعمر بالعين المهملة من باب التفعيل، والباء للملابسة، أي تنقضي أعمارنا بين حامديه متلبسين بحمده، أو للسببية، أي نُعطي العمر ويزاد في أعمارنا بسببه، كما قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾، ويجوز أن يراد بالتعمير استمرار الذكر الجميل على صفحات الأيام، كقوله:

كم مات قوم وما ماتت محاسنهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

وفي س يغمر من حمده بالياء التحتانية والغين المعجمة، بوزن ينصر، والغمر أتى بمعنى العلو وبمعنى الانغماس وبمعنى الكثرة، وكلها يناسب المقام، أي يعلو وينغمس في رحمته ويكثر عدداً بسببه، وفي بعض النسخ نغمر بالنون والغين المعجمة أيضاً على صيغة المتكلم بوزن ننصر، أي نكثر وننغمس بهذا الحمد فيما بين الحامدين، وإن أردت معنى العلو فاجعل في هنا مثلها في قوله تعالى: ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾، ويؤيده إسقاط في من هذه النسخة، وفي بعض النسخ القديمة حمّده بوزن فرّحه للمبالغة أفراداً أو زماناً.

«وَنَسْبِقَ بِهِ مَنْ سَبَقَ إِلَى رِضَاهُ وَعَفْوِهِ»

قد يتوهم أن هذا إسراف في الدعاء، فإن السابقين هم الأنبياء والأئمة عليهم السلام، ويمكن التفصي إما بأن يقصد الداعي في أمثاله في الرتبة، أو يكون هذا من قبيل الإنشاء لا الإخبار.

«حَمْداً يُضِيءُ لَنَا بِهِ ظُلُماتِ البَرْزَخْ»

قال الجوهري الإضاءة تتعدى ولا تتعدى، ولذا كان في النسخ رفع الظلمات ونصبها على أن الفاعل هو الله تعالى، والبرزخ لغة هو الحاجز بين الشيئين، والدائر على ألسنة الأصحاب أخذاً من القرآن ومتواتر الأخبار إطلاقه على ما بين الدنيا والآخرة، فمن مات فقد دخل البرزخ، أي القبر لأنه بين الدنيا والآخرة، وجمع الظلمات إما باعتبار شدتها حتى كأنها ظلمات، وإما باعتبار ظلمة القبر وظلمة الوحشة وظلمة العمل، وقيل في موضع ظلمة الوحشة ظلمة البدن الهيولاني، لأنه انقطع عنه نور النفس المجردة، واستعد للرجوع إلى المادة الأصلية، قال أُستاذنا العلامة أطال الله

أيامه: والظلمات إما عبارة عن شدائد الروح في عالم البرزخ، أو كناية عن ناره فإنها مظلمة كنار القيامة، أو ظلمة الموضع الذي فيه جسده المثالي، انتهى، وما ذكرناه أظهر، إذا تحققت هذا فاعلم أن بعض الأعلام بعد أن ذكر هذا الكلام قال: لا يبعد أن يحمل البرزخ على الوجود في عالم الشهود، أعني الوجود الحسي كما يطلق عليه المحققون من الصوفية، كما يقولون الموجودات في غواسق برزخية، ووجه الإطلاق أنهم ارتقوا عن فناء العدم الصرف، وما اتصلوا بالوجود البحت، فكانوا بين بين، وتعدد الظلمات حينئذ باعتبار ظلمة الإمكان والاحتياج والمادة وبقية آثار ظلمة العدم الصرف إلى غير ذلك، وزعمي أن حمل كلام المعصوم على هذا الوجه اللطيف أبهى وأحرى من حمله على المعنى السابق، ولا سيما بقرينة ما سيذكره عليه السلام في الفقرة التي تليه من تسهيل سبيل المبعث الشامل للقبر، بل هو مساوق له، وفي الفقرة التي بعدها من شرف المنازل الحاصل في يوم المبعث، لئلا يكون فيه شائبة من التكرار، فاستقم كما أمرت، انتهى.

أقول: أما إطلاق البرزخ على هذا فغير معهود لا في عرف الشرع ولا في عرف المتشرعة، بل هو من اصطلاحات الصوفية كما اعترف به، وسنتلو عليك حالهم، والأخبار الواردة في ذمهم، ووجوب لعنهم والبراءة منهم، وأن من زار أحداً منهم كان كمن زار الشيطان، وعبدة الأوثان، وزار أبا بكر وعمر وعثمان، وأما ما أقامه عليه من القرينة فغير جيد، لأن سبيل المبعث ليس شاملاً ولا مساوقاً للبرزخ، لأنه عبارة عن بعث الأجساد من القبور يوم القيامة للجزاء، ومواقف الجزاء فيه أيضاً كما ستعرف، والعجب من هذا الفاضل كيف جعل هذا الوجه السخيف أبهى وأحرى، مع دعواه التشرع في دين الإسلام، ولكن لا عجب، لأن بعضهم أنكره رأساً، وأوّله بالانكشاف العلمي التام الذي يحصل لهم في ذلك الوقت، وأخرى بحصول صور الأشياء في الحس المشترك، استناداً إلى أن القول بظاهر البرزخ يستلزم القول بالتناسخ، لأن الروح تنتقل من هذا البدن إلى البدن المثالي وهو خلاف إجماع المسلمين، وهو كما ترى فإن ما أجمع عليه المسلمون غير هذا، قال الإمام الرازي إن المسلمين يقولون بحدوث الأرواح وردها إلى الأبدان لا في هذا العالم، والتناسخية يقولون بقدمها وردها في هذا العالم وينكرون الآخرة والجنة والنار، إنما كفروا من أجل هذا الإنكار، إذا عرفت هذا فاستقم عكس ما أمرت.

«وَيُسَهِّلْ عَلَيْنَا بِهِ سَبِيلَ المَبْعَثْ»

في الجمهرة يسهل بوزن يعلم، وهو غلط، إذ لم يرد في اللغة بالتخفيف إلا بوزن حسن يحسن، وسبيل المبعث قد عرفت أنه عبارة عن الطريق من القبر إلى العرصات، وقد روي أن الناس في ذلك الطريق على أحوال شتى، فبعضهم يحشر بصورة الذر يطأهم الخلائق وكل ذي ظلف وحافر، وهم المتكبرون ومن منع زكاة الأنعام، ومن غصب أرضاً يكلف بحمل ترابها إلى المحشر وأنى له، ومن منع زكاة الأجناس يكلف بحمل أرضها إلى المحشر، وبعضهم يؤتى له بنوق من نوق الجنة يركبون عليها تطير بهم إلى الجنة.

«مَوَاقِفَ[1] الأَشْهَادْ»

جمع شهد بفتح الفاء وسكون العين، وهو جمع شاهد كصحب وصاحب، قيل المراد بهم أهل القيامة، لأنهم يشاهدون فيه الأفعال القبيحة التي كانت مستورة عنهم في الدنيا، وقيل هم الملائكة الشاهدون على أفعال العباد القيّمون بالشهادة في يوم المبعث، وقيل هم الآمنون من العذاب، وقيل هم الأئمة عليهم السلام فإنهم الشهداء على أعمال الخلائق، بحكم قوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾، وهي على قراءة أهل البيت، وقوله تعالى: ﴿**قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾ وهم الأئمة عليهم السلام بحكمهم، ولا أرضى بهذه التفاسير بعد أن فسره عليه السلام في دعائه بعد الفراغ من صلاة الليل حيث قال: فأجرني من فضيحات دار البقاء عند مواقف الأشهاد من الملائكة المقربين والرسل المكرمين والشهداء والصالحين، من جار كنت أكاتمه سيئاتي، ومن ذي رحم كنت أحتشم منه في سريراتي، انتهى، وروى علي بن إبراهيم في الصحيح، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث ليلة المعراج، أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال مضيت فرأيت رجلاً آدماً جسيماً، فقلت من هذا يا جبرئيل، فقال هذا أبوك آدم، فإذا هو تعرض عليه ذريته فيقول، رَوْح طيب وريح طيبة من جسد طيب، ثم تلا: ﴿**إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليُّون كتاب مرقوم يشهده المقربون**﴾ الآية.

---

(١) بفتح الفاء على أنها مفعول به وبضمها على أنها مبتدأ.

«يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلَىً عَنْ مَوْلَىً شَيْئاً وَهُم لاَ يُنْصَرُونْ»

اليومان ظرف ليشرف أوله ولما قبله على طريق التنازع، قيل لا يبعد أن يكون إعطاء الجزاء بسبب الكسب إشارة إلى إعطاء الحسنات بسبب الطاعات، وقوله وهم لا يظلمون إشارة إلى أن التعذيب بسبب المعاصي لا يستلزم الظلم بل هو عين العدل، والمولى ورد بمعنى الحليف والرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والنافع والجار وابن العم والعقيد والعبد والصهر والمنعم عليه والشريك، وكلها يناسب المقام، وجمع الضمير باعتبار تنكير المولى، أو باعتبار تعدد معانيه، والضمير راجع إلى المولى الأول، ويجوز رجوعه إلى الثاني وإليهما معاً.

«إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّين فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونْ»

قيل العليين اسم لأعلى مكان في الجنة، وهو المفهوم من كثير من الأخبار، وقيل هو اسم ديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين، جمع على معنى العلو، سمي به بسبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة، أو لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريماً له وتعظيماً، وروي أن الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه، فإذا انتهوا إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم، أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه وإنه أخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له، وإنها لتصعد بعمل العبد فيزكونه، فإذا انتهوا إلى ما شاء الله أوحى إليهم، أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على قلبه وإنه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في سجين، وقيل المراد بعليين سدرة المنتهى التي ينتهي كل شيء من أمر الله تعالى، وقيل هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيها، هذا والمراد بالمرقوم ما كتب فيه جميع الطاعات، أو ما يرقم فيه كل الأشياء، وقيل هو تفسير لقوله عليين، والمراد بالمقربين الكروبيون المقيمون في عليين، أو يحضرون الكتاب.

«حَمْداً تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا إِذَا بَرِقَتِ الأَبْصَارْ»

مأخوذ من القر وهو البرد، والعرب تكني عن سرور القلب بقر العين، وعن سوء

ذلك الحال بسخونها، وذلك لما ثبت في علم الطب من أن دمع السرور بارد، لما يتحرك الروح فيه إلى خارج بتفصيل أجزاء الشؤون والمفاصل بعضها من بعض، فيخرج بعض الأجزاء والرطوبات الباردة المحتبسة في الدماغ، وفي الحزن لما يتحرك الأبخرة الحارة إلى الدماغ فتنعصر ما كانت باقية على سخونتها السابقة، وقيل قرار العين بمعنى سكونها، أي سكنت بحيث لا تطمح إلى فوق، وذلك لا يكون إلا في البهجة والسرور، وبرق في الأصل بوزن علم، بمعنى تحير، وبوزن فتح بالحمرة بمعنى شخص، وهو عند معاينة ملك الموت وفي القيامة، وما قيل من أنه كناية عن شدة الحال وكثرة الأهوال فيهما فبعيد.

«وتَبْيَضُّ بِهِ وُجُوهُنَا إِذَا اسوَدَّتِ الأَبْشَارُ»

جمع بشرة، وهو ظاهر الجلد، والمراد هنا إما بشرة الوجه خاصة، بقرينة المقابلة، أو جميع البدن، والبياض والسواد إما حقيقة، أو كناية عن حسن الأعمال وقبحها، وبهما فسر قوله تعالى: ﴿**يوم تبيض وجوه وتسود وجوه**﴾.

«حَمْداً نُعْتَقُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ نَارِ اللهِ إِلَى كَرِيمِ جِوَارِ اللهِ»

أليم بمعنى آلم وهو الشخص المتألم، أي نعتق بسببه من مجاورة الشخص المتألم من نار الله، صايرين إلى جواره الكريم، وأن النار لشدة حرارتها كأنها هي المتألمة، فيكون التألم مجازاً، ويمكن حمله على الحقيقة لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ في الدعاء الثاني والثلاثين، اللهم إني أعوذ بك من نار يأكل بعضها بعضاً، ويصول بعضها على بعض، وقال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ إن النواويس وهي طبقة من طبقات النار شكت إلى الله عز وجل شدة حرها، فقال لها اسكني فإن مواضع القضاة أشد حراً منك. وروي في تفسير قوله تعالى: ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾ إن الفلق جب في النار، فيه سبعون ألف دار، وفي كل دار سبعون ألف بيت، في كل بيت سبعون ألف أسود، وفي كل أسود سبعون الف جزوء من السم، لا بد لأهل المحشر أن يمروا عليها، وأن أهل النار يستغيثون من شدة حره، فيسأل الله أن يأذن له أن يتنفس فأذن له فأحرق جهنم، وفي ذلك الجب صندوق من نار ينعق تلك الجب من حر ذلك الصندوق، وفي ذلك التابوت ستة من الأولين وستة من الآخرين، فأما الستة من الأولين ابن آدم الذي قتل أخاه ونمرود وفرعون والسامري والذي هوّد اليهود والذي نصّر النصارى، فأما الستة

من الآخرين الأول والثاني والثالث والرابع وصاحب الخوارج وابن ملجم، وهذا كله مبني على عدم مجيء فعيل بمعنى مُفعِل كما ذهب إليه صاحب الكشاف وأضرابه، وذهب بعضهم إلى مجيئه بمعناه، وقد حققنا في حواشينا على تفسير القاضي أنه الحق لمجيئه في أفصح الكلام، كقوله تعالى: ﴿**بديع السموات والأرض**﴾، و﴿**من عذاب أليم**﴾، ومن ريحانة الداعي السميع، وقوله: «تحية بينهم ضرب وجيع».

«حَمْداً نُزَاحِمُ بِهِ مَلاَئِكَتَهُ المُقَرَّبِينْ، ونُضَامُّ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ المُرْسَلِينْ»

المقربين إما صفة كاشفة أو موضحة، ونضام بمعنى ننضم، فنصب المفعول حينئذٍ إما على تضمينه معنى المضايفة ونحوها، أو على حذف الخافض، أي معهم، ولا يتوهم هذا من خواصه عليه السلام لأنك قد عرفت أن هذا وأمثاله إنما هو من باب الإنشاء، وإن أبيت إلا الإخبار فاحمل مكان المزاحمة على الجنة، لأنهم بالأصالة استحقوها بأعمالهم، فإذا دخلها غيرهم فكأنه قد زاحمهم على مكانهم، لا على أعالي درجاتهم المخصوصة بهم عليهم السلام .

«فِي دَارِ المُقَامَة»

بالضم والفتح معاً، قال الجوهري المقامة بالضم الإقامة، وبالفتح المجلس والجماعة من الناس.

«والحَمْدُ للهِ الّذِي اخْتَارَ لَنَا مَحَاسِنَ الخَلْقْ»

بفتح الخاء وضمها، وعلى الأول يكون الضمير راجعاً إلى نوع الإنسان، فإنه تعالى منحهم استقامة القامة وإطلاق اللسان، فإنه أحسن مراتب الخلقة بحكم قوله تعالى: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾، وقال أيضاً: ﴿**وصوركم فأحسن صوركم**﴾ ويجوز أن يكون راجعاً إلى معاشر الأئمة عليهم السلام ، فإنهم هم الذين خصهم الله تعالى بالصور الحسان، حتى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذكر حسن يوسف عليه السلام قال وأنا أملح، ويعضده الدليل العقلي من أنه يجب أن يكون الإمام أحسن الناس وأكملهم خَلقاً وخُلقاً، لما تقرر في محله، وأما استشهاد يوسف عليه السلام بهذه الصفة دونهم عليهم السلام فلوجهين: الأول: إنه تعالى منحهم من الأوصاف ما يكون ذكر الحسن بالنسبة إليه نقصاً، بخلاف يوسف عليه السلام فإنه كان نبياً والنبوة أعظم وأرفع، إلا أنه كان له فيها

شركاء كثيرون، ولم يشاركه أحد منهم في صفة الحسن. الثاني: وهو سر غريب يظهر من إمعان النظر في أخبارهم المشتملة على بيان أسرارهم، وحاصله أنك قد عرفت بحكم الدليل العقلي والنقلي أنه يجب أن يكونوا أحسن مما عداهم، مع أنه قد نقل أن الباقر والرضا عليهما السلام كانا أسمري اللون، وسره أنهم عليهم السلام كانوا يظهرون أنفسهم لآحاد شيعتهم ولسائر الناس على أنحاء شتى في سائر الأوصاف على قدر ما تحتمله عقولهم، فيظهرون لخواصهم أنهم يعلمون ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، ولغيرهم أنهم لا يعلمون أين يكون ما ضاع منهم من دابة أو أَمَة ونحوهما، وكذلك مراتب حسن صورهم عليهم السلام، فإنه قد روي في كثير من الأخبار أن بعض خواصهم قد شاهد من النظر إليهم أنواراً علت على الحيطان، واشتملت على البنيان، حتى روي أن بنات الملوك كن يعشقن الحسن عليه السلام ويفدينه بأرواحهن ويطلبن منه أن يجعلهن في عداد زوجاته، وأنه عليه السلام قد رأى يوسف عليه السلام في المنام، فقال له ما فعل حسنك بأهل مصر، وأي فتنة افتتنوا به، فقال له وأنت يا بن رسول الله فلا تنسى نفسك فإن بنات العرب قد افتتن بك. وقد نقل أن هذا من بعض أسرار تغشية النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه بثوب حال نزول الوحي، لأن الصحابة ما كانوا يحتملون النظر إلى أنواره في ذلك الحال، ولو نظروا إليه لعميت أبصارهم من شدتها، وأما كون الباقر والرضا عليهما السلام أسمري اللون، فإنما هو باعتبار رؤية العامة من الناس، وأما الخواص من الشيعة فقد رأوا من جمالهم ما يدهش العقول والألباب، والسر في هذا ملاحظة أن يظنوا بهم الربوبية كما قد وقع لعدم احتمال عقولهم لما رأوه، مع أنه قليل من كثير بحكم قوله عليه السلام قولوا فينا ما شئتم إلا الربوبية، وأن يظنوا بهم عكسه، كما روي أن زوجة المأمون أحبت أن ترى الجواد عليه السلام جالساً مع بنتها أم الفضل، فلما دخل عليه السلام على أم الفضل ألقت بنفسها وأتاها الحيض في ذلك الوقت، وقالت لأمها زوجتني برجل ساحر، يظهر نفسه علي ويزينها في كل وقت على هيئة من هيئات الحسن والجمال، فخرج عليه السلام وهو يقول: ﴿**فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن**﴾ الآية، وكذا في مراتب الأصوات والألحان، فإنه قد نقل أن سيد الساجدين عليه السلام كان إذا تلا القرآن في بعض الأحيان تتحير من حسن صوته العقول، وربما وقفت السقاية استماعاً له حتى يمضي عامة اليوم، وروى الكليني بإسناده إلى أبي الحسن عليه السلام قال: ذكر الصوت الحسن، فقال: إن علي بن الحسين عليه السلام كان يقرأ فربما يمر به المار فصعق من حسن صوته، وإن

الإمام عليه السلام لو أظهر من ذلك شيئاً لما احتمله الناس من حسنه، قلت ولِمَ كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي بالناس ويرفع صوته بالقرآن، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحتمل الناس من خلفه ما يطيقون، وعند التحقيق يظهر أن ما تلوناه عليك هو السر في طعن أصحابنا الرجاليين على كثير من رواة أسرار أخبار الأئمة عليهم السلام، كمحمد بن سنان والجعفي والمفضل وأضرابهم، فإنهم كانوا يحتملون ما لا يحتمله غيرهم، فهم أرفع قدراً وأجلّ رتبة من أن يظن بهم الغلو وارتفاع القول، وما أحسن ما قال السيد الزاهد ابن طاووس إن بعض الأجلاء من الشيعة الذين رووا أسرار الأئمة عليهم السلام كان علو قدرهم وجلالة مرتبتهم سبباً في انحطاطها عند أصحابنا حتى نسبوهم إلى ما لا يليق بجنابهم، وعد منهم محمد بن سنان، مع أن حديثه في الضعف عند أصحابنا أشهر من أن يذكر، وحينئذٍ فلا بد من إمعان النظر في أحوال الرواة، وأن لا يعتمد على ما دوَّنه أهل الرجال، فإنا قد شاهدنا من كتبهم ما يقضى منه العجب، وقد ذكرناه في كتابنا الموسوم بغاية المرام في شرح تهذيب الأحكام، وأما على تقدير ضم الحاء فظاهر، فإنهم عليهم السلام كانوا مجمع أخلاق سائر الأنبياء، وكان يوجد فيهم مجتمعاً ما يوجد في غيرهم متفرقاً، بحكم قوله تعالى في خطاب نبيه صلى الله عليه وآله: **﴿فبهداهم اقتدِه﴾** أي اقتد بكل الأنبياء، في سائر صفاتهم الحميدة وخصالهم المجيدة، ونحن إذا تلونا هذه الفقرة أمكننا تحصيل معنى صحيح منها يوافق حالنا كما لا يخفى، ولا يحتاج إلى تخصيص محاسن الأخلاق بولاية أهل البيت عليهم السلام وإن كان من أعظم أفرادها وأشرفه.

«وَأَجْرَى عَلَيْنا طيِّبَاتِ الرِّزْقْ»

أجرى هنا مأخوذ من قولهم أجريت الماء على الأرض، ولا يخفى ما فيه من الدلالة على التوسعة في الرزق، وعلى كوننا معاشر المرزوقين كالجمادات والأراضي التي لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً، بل هي محتاجة في إجراء الماء عليها إلى الزارع والعامر، والطيب إما ما هو أطيب الأرزاق طعماً ولطافة لا كالتبن والحشيش، أو هو الحلال كما فسر به قوله تعالى: **﴿أحل لكم الطيبات﴾** والحلال أيضاً قسمان، منه ما هو حلال في الظاهر ومنه ما هو حلال في الواقع، ولعله عليه السلام قد قصده، كما روي أن رجلاً قال بحضرة الإمام عليه السلام اللهم ارزقني رزقاً حلالاً، فقال له عليه السلام الحلال رزق النبيين فكيف تطلبه، ولكن اطلب الرزق الواسع، وأما نحن فنقصد منه الفرد

الأول الذي كلفنا تحصيله، وقيل بناء على قاعدة الحسن العقلي، طيب الرزق ما فيه صفة محسّنة موجبة للمدح عاجلاً والثواب آجلاً، وإن لم يستقل بمعرفتها العقل وحده من دون كشف الشرع لها، وفيه على التفسير الثاني دليل على ما ذهب إليه أصحابنا من تخصيص الرزق بالحلال، لأنه عليه السلام في مقام بيان النعم، وفي قوله أجرى أيضاً دليل على أنه كله منه سبحانه سواء حصل بواسطة سعينا وكدنا أم لا، كما هو مذهب محققي المتكلمين خلافاً لما ذهب إليه بعضهم، من أن العبد إذا حصل بسعيه فهو الرازق لنفسه وهو كما ترى، فإن الآيات والأخبار تأباه، مع أن التوكل عليه سبحانه من أعظم درجات السعي حيث أنه جهاد مع النفس بأن تنقطع عن كل أحد إلاّ عنه سبحانه، ومن الدلائل الواضحة على تخصيص الرزق بالحلال قوله عليه السلام في خطبة الوداع المستفيضة بين جماهير المسلمين: إن الله تعالى قد قسّم الأرزاق حلالاً ولم يقسمها حراماً، والأشاعرة لما جعلوا الرزق متناولاً للحرام أيضاً فسروه بما ساقه الله تعالى إلى الحيوان فانتفع به، ومن أقوى دلائلهم أنه لو لم يكن الحرام رزقاً لم يكن المنتفع بطول عمره مرزوقاً، وليس كذلك لقوله تعالى: **﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾**.

وأجاب عنه شيخنا البهائي (قده)، بأنا لا نخص الرزق بالغذاء، بل نريد به مطلق الانتفاع، ولم نرد الانتفاع بالفعل بل بالتمكن منه، وكون ذلك الشخص لم ينتفع به من وقت ولادته إلى وقت وفاته بشيء انتفاعاً محللاً لا رضعة من ثدي مباح ولا شربة من ماء قراح ولا نظرة محبوب ولا وصلة إلى مطلوب، بل ولا تمكن من ذلك وقتاً من أوقات عمره، ولاريب أن العادة تقضي بعدم وجوده، ولو جوّزنا وجود هذا المولود المبارك لقلنا إن ذلك ليس محرماً عليه، لقوله تعالى: **﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾**، وأيضاً فهو من وقت ولوج الروح فيه في بطن أمه مرزوق البتة، بما ليس محرماً عليه، ويلزمكم النقص بحيوان عاش يوماً ما مثلاً ثم مات قبل أن يتناول شيئاً محللاً ولا محرماً فما هو جوابكم فهو جوابنا، وأقصى ما دلت عليه دلائلكم من الآيات والأخبار أنه تعالى يسوق الرزق إلى العبد ويمكّنه من الانتفاع به، فإذا أعرض العبد عن الحلال وعدل إلى الحرام لم يكن ذلك قادحاً في تحقيق رازقيته جلّ وعلا، انتهى.

«وَجَعَلَ لَنا الفَضِيلَةَ بِالمَلَكَةِ عَلَى جَمِيعِ الخَلْقْ»

الملكة القدرة والسلطنة واحتمال إرادة الكيفية الراسخة القائمة بمحلها، وحينئذٍ

فالباء للالصاق أو للسببية، أي جعل لنا الأفضلية على جميع الخلق بالكيفية الراسخة الذاتية لنا من غير تجشم كسب، بعيداً جداً، فإن إطلاق الملكة على ما ذكر اصطلاح طارىء، والإنسان منا إذا قرأ مثل هذه الفقرة ينبغي أن يقصد ملكة هذه الأمة المرحومة على جميع الأمم، فإن منها الأئمة عليهم السلام وقد جعل الله سلطنتهم ووجوب طاعتهم شاملاً لجميع الأمم، بل لسائر المخلوقات، كما دلت عليه الأخبار المستفيضة من أنه تعالى عرض ولاية أهل البيت على المياه والجبال والأراضي والأشجار والطيور والسباع وسائر الحيوانات والموجودات، فقبلها بعض المياه فاحلولت، وأباها البعض الآخر فصارت مالحة، وكذلك الأراضي الطيبة والخبيثة، وكذلك الأشجار ذي الثمار الحلوة والمرة وعديمها، وأما الطيور فقد أباها منها العصفور وقد كان يحب الجبت والطاغوت، والفاختة[1]، وقبلها أكثر الطيور، وقد تفاوتت مراتب القابلين بتفاوت مراتب حبهم وولايتهم لأهل البيت عليهم السلام .

«فَكُلُّ خَلِيقَتِهِ مُنْقَادَةٌ لَنا بِقُدْرَتِهْ»

الخليقة فعيل بمعنى مفعول، وإلحاق التاء به لصيرورته اسماً كالذبيحة، ونحن إذا قرأناه ينبغي أن نقصد ما مر من نسبة الحكم إلى الكل باعتبار البعض، كما يقال بنو تميم قتلوا زيداً وإنما قتله واحد منهم، ويمكن إجراؤه على ظاهره فإن الله تعالى قد جعل جميع المخلوقات من العالم العلوي والسفلي منقادة لابن آدم، متمنطقة لخدمته، فإن من أشرفها الأنبياء، والملائكة، والأنبياء يخدمونهم في تبليغ الرسالات إليهم وهداياتهم، وأما الملائكة فبعضهم موكل بإيصال السحاب والأمطار والأرزاق إليهم، وبعضهم موكل بالاستغفار للمؤمنين منهم، بحكم قوله تعالى: **﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا﴾** وإذا كان حال الأنبياء والملائكة فما ظنكم بغيرهم.

«وَالحَمْدُ للهِ الَّذِي أَغْلَقَ عَنَّا بابَ الحاجَةِ إلاّ إلَيْهْ»

حذف صلة الحاجة لقصد التعميم، أي لم يحوجنا في كل أمورنا إلى أحد، أو لم يجوّزه لنا إلا إليه، وأما احتياج الناس بعضهم إلى بعض، الاحتياج الذي يتوقف

---

(١) الفاختة: ج. فواخت، نوع من الحمام البري المطوق. سميت كذلك للونها لأنه يشبه الفخت أي ظل القمر.

عليه النظام لتحصيل المرام فهو بالآخرة راجع إليه كما لا يخفى، قال الفاضل الداماد وبيان الاحتياج إليه تعالى فقط، وذلك لما قد استبان في العلم الذي فوق الطبيعة أن المعلول الصدوري إنما يحتاج بالذات إلى العلة الفاعلة، وأما ما سوى الفاعل من سائر العلل، فإنما الإسناد إليه في تصحح الإسناد إلى الفاعل، والتهيؤ لقبول الفيض، ثم النظر الأدق عرف وحقق وأفاد وأعطى أن طباع الإمكان علة في الحقيقة إلى الواجب بالذات، فالعلة الفاعلة التي يكون المعلول حائجاً إليها بالذات في حصوله وصدوره عنها يجوز أن تكون هي الفاعل الحق القيّوم الواجب بالذات جل ذكره، فأما ما عدا، من الفواعل والأسباب فمصححات الصدور عنه ومهيئات الاستناد إليه لا غير، وقوله عليه السلام : أغلق، انتهى، معناه ومغزاه: علَّمنا انغلاق باب الحاجة إلا إليه، وألهمنا صدق التوكل في كل الأمور عليه، وأوزعنا شخوص النظر إلا إلى جنابه، انتهى.
وكأنه (قده) أراد إدخال العقول العشرة في الأسباب والعلل، والأدلة العقلية قاصرة عن إثباتها، والنقلية بعمومها قائمة على نفيها، والعجب كل العجب أن الأئمة عليهم السلام قد علمونا آداب بيت الخلا ولم يغفلوه وسكتوا عن إثبات العقول، مع أنها من مسائل الأصول فهو دليل قاطع على نفيها، فلا تصغ إلى من قال بها فإنه يحدث عن الشيطان ليضل الإنسان.

«فَكَيْفَ نُطِيقُ حَمْدَهُ، أَمْ مَتَى نُؤَدِّي شُكْرَهُ»

الفاء تفريعية أو فصيحة، وكيف هنا للاستفهام التعجبي، وأم للإضراب، وصلة لا ومتى محذوفة، أي لا نطيق حمده ومتى نؤدي شكره، وهذا ما يسمى في اصطلاح البديعيين بصنعة الاكتفاء، وهو أن يكتفي المتكلم عن بعض الكلام عن بعض آخر لدلالة القرائن على ذلك المحذوف، مثل قوله تعالى: ﴿**ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله**﴾، التقدير لكان خيراً لهم، وينبغي الوقف على كل من شكره ولا ومتى، ولهذا يرقم ط بالحمرة فوقها علامة للوقف المطلق، حتى يعلم أن ههنا شيئاً محذوفاً، وقيل معناه لا يقال متى، فإنه يتوهم منه إمكان وقوعه، وهو بعيد جداً.

«وَالحَمْدُ للهِ الَّذِي رَكَّبَ فِينَا آلاتِ البسْطِ، وجَعَلَ لَنا أَدَوَاتِ القَبْضْ»

الظاهر أن المراد بآلات البسط من الأعصاب والعضلات والأوتار والرباطات ونحوها على كيفية مخصوصة من الطول والعرض وحركات مخصوصة إلى جهات

مخصوصة، وآلات القبض هذه بعينها، إلا أنها على غير تلك الهيئة وعلى غير تلك الحركات، ويناسب الأول لفظ التركيب والثاني لفظ الجعل، لأن الأعصاب والعضلات إنما كانت حين التركيب على هيئة البسط، لكن بمنته تعالى جعل في تلك الأعضال الموضوعة على هيئة البسط القدرة على هيئة القبض، وقيل المراد بهما الماسكة والدافعة المودعتان في كل عضو، وقيل الفرح والحزن ويناسبه ما قيل إن المراد بهما حالتا القلب، كما روي عن علي عليه السلام أنه قال: إن للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فأقبلوا على النوافل وإذا أدبرت فدعوها، وروي عن الصادق عليه السلام أنه كان يقول تارة يبسط لنا فنعرف وتارة يقبض عنا فلا نعرف.

«ومَتَّعَنَا بِأَرْوَاحِ الحَيَاةْ»

الظاهر أَن جمع الأرواح إشارة إلى ما تضمنه حديث جابر عن الباقر عليه السلام قال فيه خمسة أرواح للمقربين: روح القدس وبه علموا جميع الأشياء، وروح الإيمان وبه عبدوا الله، وروح القوة وبه جاهدوا العدو وعالجوا المعاش، وروح الشهوة وبه أصابوا لذة الطعام والنكاح، وروح البدن وبه يدبون ويدرجون، وأربعة لأصحاب اليمين لفقد روح القدس منهم، وثلاثة لأصحاب الشمال لفقد روح الإيمان منهم، وقيل المراد بها الأرواح الثلاثة التي يقول بها الأطباء، أحدها روح الحيوانية التي تقوم بها القوة الحيوانية المنبعثة من القلب، وثانيها الروح النفسانية التي تقوم بها القوة المدركة والمحركة، أعني القوة الشوقية والفاعلة للحركة في العضلات المنبعثة من الدماغ، وثالثها الروح الطبيعية التي تقوم بها القوة الطبيعية من التغذية والتنمية المنبعثة من الكبد، فالنفس الناطقة الواحدة قد تعلقت بهذه الأرواح الثلاثة بأسرها، من حيث تعلقت أولاً بالروح الحيوانية القلبية ويتوسطها بالأخيرين، ونازع بعض الحكماء في ذلك، فأذعنوا بتعدد النفوس المجردة وتثليثها بتعدد الأرواح المتعلقة بالأعضاء الرئيسية الثلاثة، فيلزم عليهم أن يشير كل شخص إلى نفسه بنحن لا بأنا، وقد مشى بعض المفسرين في إثرهم فزعم أن إيثاره تعالى النون في إياك نعبد وإياك نستعين مع كونها دالة على التكثير الموهم لتعظيم العابد والمستعين نفسه على الألف الدالة على الوحدة الناصة على التحقير إنما هو لأجل تعدد النفوس المتعلقة بتلك الأعضاء الثلاثة في كل شخص، فكأنه تعالى يقول بلسان الخلق: إنا بشراشر النفوس المجردة من الحيوانية والنفسانية والطبيعية وجميع القوى المتعلقة بها نعبد الله، ولا يخفى بعده،

ويجوز أن يراد بروح الحياة ما امتاز به الأحياء عن الأموات، وتسمى أيضاً في الشرع بروح الحياة، والجمعية باعتبار تكثرها بتكثر الأشخاص، وقيل إن الأرواح هنا جمع روح بفتح الراء إما بمعنى الراحة أو النسيم، ولا يخفى بعده.

«وأَثْبَتْ فِينا جَوَارِحَ الأَعْمَالْ»

وفي س[1] أنبت بالنون، وحاصل المعنى أنه تعالى أثبت فينا الأعضاء الجارحة الكاسبة للأعمال بوساطة الأدوات المذكورة المتوسطة، لتحريك الأعضاء الجارحة وصدور الأعمال منها.

«وأَغنَانا بِفَضْلِهْ، وأَقْنَانَا بِمَنِّهِ»

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**هو أغنى وأقنى**﴾، وقد قيل فيه ضروب من التفسير، أحدها أن المراد بالغنى الغنى بالأموال، والقنى أصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية فيها، وأن معنى أغنى موّل، وأقنى أرضى بما أعطى، وثالثها أنه أغنى بالقناعة وأقنى بالرضا، ورابعها أن المراد أغنى من شاء وأقنى أي أفقر وحرم من شاء، وقيل المراد أنه أقنانا، أي أعطانا القينة أي الذخيرة من العلوم الربانية أو رأس المال الذي به نستفيد المزيد وهو العقل والفهم.

«ثُمَّ أَمَرَنا لِيَخْتَبِرَ طَاعَتَنَا، وَنَهانَا لِيبْتَلِيَ شُكْرَنا»

الاختبار التجربة، والابتلاء الامتحان، والمعنى ليعاملنا معاملة من أراد أن يجرب عبده ويمتحنه باجتناب ما يكره وامتثال ما يحب، والمراد بالشكر هنا معناه الاصطلاحي، ويجوز إرادة اللغوي أيضاً، وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: شكر النعمة اجتناب المحارم، وتمام الشكر قول الرجل الحمد لله رب العالمين، وقال عليه السلام : شكر كل نعمة وإن عظمت أن يحمد الله عز وجل، وفي خبر آخر أن الشكر هو الولاية والمعرفة، وقال عليه السلام : أوحى الله عز وجل إلى موسى، يا موسى اشكرني حق شكري، فقال يا رب كيف أشكرك حق شكرك، وليس لي من شكر أشكرك به إلا أنت أنعمت به علي، قال يا موسى الآن شكرتني حين علمت أن ذلك مني.

«فَخَالَفْنا» ضُمّن معنى الميل.

---

(١) نسخة ابن ادريس، وقد مرت الاشارة إليها أكثر من مرة فلا حاجة للتكرار.

«مُتُونَ زَجْرِهِ» أي عظائم مناهيه.

«بَلْ تَأَنَّانا بِرَحْمَتِهِ تكَرُّماً»

التأني الرفق، والتكرم المبالغة في الكرم، وفي القاموس تكرم عنه أي تنزّه وهو يناسب المقام أيضاً.

«وانْتَظَر» أي عاملنا معاملة من انتظر صاحبه.

«حِلْماً مِنْهُ»

وفي بعض النسخ تحلماً، وكأن النكتة فيه الإشعار بأن أعمالنا ليست مظان الحلم، بل الحليم عنها يحتاج إلى أن يتكلفه.

«لم نُفَدْهَا»

بكسر الفاء وفتحها، قال في القاموس أفدت المال استفدته وأعطيته ضد، فعلى رواية كسر الفاء يكون مأخوذاً من الإفادة بمعنى الاستفادة، وعلى رواية الفتح يكون بمعنى الإعطاء، وفي س نعتدها أي نعددها من العد.

«لَقَدْ حَسُنَ»

هو جواب لو، لأنه بمعنى قوله لكان كثيراً، وقيل الجواب محذوف والتقدير لكفانا.

«بلاَؤُهُ» أي نعمته.

«لِمَنْ كَانَ قَبْلَنَا»

إذ كانت توبة بعض الأمم السالفة قطع العضو الجاني أو إحراقه بالنار، وفي بني إسرائيل كانت توبتهم قتل نفوسهم، بحكم قوله تعالى: **﴿فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم﴾**. روي أن موسى عليه السلام أمرهم أن يقوموا صفين، فاغتسلوا ولبسوا أكفانهم، وجاء هٰرون باثني عشر ألفاً ممن لم يعبدوا العجل، ومعهم الشفار المرهفة، فلما قتلوا سبعين ألفاً تاب الله على الباقي، وجعل قتل الماضين شفاعة لهم، وروي أن الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنه المضي لأمر الله، فأرسل الله ضبابة أو سحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وأُمروا أن يحتبوا بأفنية بيوتهم، ويأخذ

الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم، وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه، أو حل حبوته واتقى بيد أو رجل، فيقولون آمين، فقتلوهم إلى المساء، حتى دعا موسى وهٰرون وقالا، يارب هلكت بنو إسرائيل، البقية، البقية، فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من أيديهم، وكانت القتلى سبعين ألفاً، وكانوا أيضاً يقرضون لحومهم بالمقاريض عند إصابة البول لها.

«**مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا**» وهم كانوا يطيقونه بمشقة.

«**يُجشِّمْنا**» أي يكلفنا.

«**هَلَكَ عَلَيهْ**»

قيل إن الظرف في موضع الحال، وعلى للضرر، أي ليس الهالك على الحقيقة المستحق للعقاب الدائم إلا من هلك حال كونه خصماً عليه، كمن قابله في ادعاء الربوبية والمذنبين المقرين بذنوبهم، والأظهر أن معنى عليه على يديه وعلى بابه، كما يقال هلك زيد على عمرو، أي كان هو المهلك له، أو السبب في إهلاكه، وحاصل المعنى أن الذي يستحق إطلاق اسم الهالك عليه هو الذي تهلكه أنت، إما لشدة ذلك الهلاك، أو لأنك أكرم الأكرمين فالويل لمن تهلكه، واعلم أن الهالكين هم أهل الدرجة الأولى من درجات الآخرة، لأنها أربع درجات، الهالكون، والمعذبون، والناجون، والفائزون، ومثاله من الدنيا أن يستولي سلطان على إقليم، فيقتل بعضهم فهم الهالكون، ويعذب بعضهم ولا يقتاهم فهم المعذبون، ويخلي بعضهم فهم الناجون، ويخلع على بعضهم فهم الفائزون، فإن كان الملك عادلاً لم يقسمهم كذلك إلا بالاستحقاق، فلا يقتل إلا من عانده في الدولة، ولا يعذب إلا من قصر في الخدمة مع اعترافه باستحقاق السلطان لها، ولا يخلي إلا من اعترف له برتبة الملك لكنه لم يقصر فيعذب، ولم يخدم فيخلع عليه، ولا يخلع إلا على من خدم، ثم أن مراتب الفائزين تتفاوت بحسب تفاوت خدماتهم كتفاوت درجات الهالكين والمعذبين، فأما الرتبة الأولى فهم الآيسون من رحمته تعالى، إذ الذي قتله السلطان في ذلك المثال آيس من رضى الملك وإكرامه، وهذه الدرجة لا تكون إلا للجاحدين المكذبين بالله ورسوله، وهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون، فهم محترقون مع نار جهنم بنار الفراق التي هي أشد، فإنها نار الله الموقدة المطلعة على الأفئدة، فنار جهنم تحرق الأجساد

وهي تحرق الفؤاد، ولذلك قال بعض أهل العرفان:

ففي فؤاد المحب نار هوى أحر نار الجحيم أبردها

وله نظير في عالم الشهود، فقد رأينا من غلب عليه الوجد يعدو على الشوك ولا يبالي، ويقطع لحم نفسه بالسكاكين ولا يحس بالألم، والغضبان في الحرب ربما جرح ولم يحس، لأن هذه الأمور مهيجة لنار القلب التي هي أشد من نار الأبدان الظاهرة، وذلك لأن ألمك من السيف من حيث أنه يفرق بين جزئين متلائمين، والتفرق بين القلب ومحبوبه أشد من كل تفرق، والجاهل لا يدرك هذا الألم، فإن الصبي لو خيّر بين ألم الحرمان من الصولجان وبين الحرمان من رتبة السلطان لم يحس بالثاني ولم يعده ألماً، وكذا عبد البطن لو خير بين الهريسة وبين مصاحبة يوسف الصديق لاختار الهريسة، وذلك لأنه قد استرقته صفات البهائم والسباع، ولم تظهر فيه الصفات الملكية التي لا يستلذ إلا من القرب، ولا تتألم إلا من البعد، وذلك لعقد القلب كما قال سبحانه: ﴿**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**﴾، فجعل من لم يتذكر بالآيات خالياً من القلب، وليس المراد به اللحم المحيط به الصدر، بل المراد به السر الذي هو من عالم الأمر، وهذا اللحم الذي هو من عالم الخلق عرشه، والصدر كرسيه، وسائر الأعضاء جنوده وعالمه، ولله الخلق والأمر جميعاً، ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿**قل الروح من أمر ربي**﴾ هو الملك والأمير، لأن بين عالم الأمر وعالم الخلق ترتيباً وعالم الأمر أمير على عالم الخلق، وهي اللطيفة التي إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، من عرفها فقد عرف نفسه، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه، وعند ذلك يعرف حقيقة قوله ﷺ إن الله خلق آدم على صورته، إن لم يكن لنزوله شأن.

الرتبة الثانية: رتبة المعذبين، وهي رتبة من تحلى بأصل الإيمان وقصر في الوفاء بمقتضاه، فإن رأس الإيمان هو التوحيد، وهو أن لا يعبد إلا الله، ومن اتبع هواه فقد عبد غير الله، وقد قال سبحانه: ﴿**لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد**﴾، قال ابن عباس: نهاك ربك أن تتخذ إلهين فاتخذت آلهة، عبدت نفسك وهواك ودنياك ومرادك والخلق فأنى تكون موحداً، وقال سبحانه: ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**﴾، ولما كان صراط التوحيد أدق من الشعر وأحدّ من السيف مثل صراط الآخرة، فلا ينفك عن ميل عن الاستقامة وعن اتباع هواه، هو قادح في التوحيد بقدر ذلك الميل، وهو يقتضي نقصاناً في درجة القرب، ومع كل نقصان نار الفراق لذلك الكمال الفائت

بالنقصان ونار جهنم، فكل مايل عن الصراط القويم معذب مرتين من وجهين، ولكن تفاوت ذلك العذاب بحسب طول المدة إنما هو بأمرين، أحدهما قوة الإيمان وضعفه، وكثرة اتباع الهوى وقلته، وإن لا يخلو في غالب الأمر من أحدهما، **﴿إن منكم إلا واردها﴾** **﴿كان على ربك حتماً مقضياً﴾** **﴿ثم ننجي الذين آمنوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾**.

الرتبة الثالثة: رتبة الناجين، وهي النجاة فقط دون السعادة، وهم قوم لم يخدموا ليخلع عليهم ولم يقصروا، ويشبه أن يكون هذا حال المجانين والسفهاء الذين تبلغهم الدعوة في أطراف البلاد وعاشوا على السفه والجنون.

الرتبة الرابعة: الفائزون، وهم المقربون، فلا تعلم نفس ما أُخفى لهم من قرة أعين، وهم الذين كفوا أنفسهم عن أن يكون مطاعم الجنة وملاذها مطلباً لهم فلا يطلبون إلاّ لذة القرب، كما قال سيد الموحدين: ما عبدتك خوفاً من نارك. وما أحسن قول رابعة العدوية حين سئلت ما رغبتك في الجنة، فقالت: الجار ثم الدار، وهؤلاء قوم مستهترون بالعشق، فد غرقوا فيه وغفلوا عن نفوسهم فهم لا يحسون بآلامها. روى الصدوق (ره) في كتاب علل الشرائع والأحكام مسنداً إلى أنس، قال قال رسول الله (ص) بكى شعيب من حب الله عز وجل حتى عمي، فرد الله عز وجل عليه بصره، ثم بكى حتى عمي، فرد الله عز وجل عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عز وجل عليه بصره، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه يا شعيب إلى متى يكون هذا أبداً منك، إن يكن هذا خوفاً من النار فقد أجرتك، وإن يكن شوقاً إلى الجنة فقد أبحتك، قال إلهي وسيدي أنت تعلم أني ما بكيت خوفاً من نارك ولا شوقاً إلى جنتك ولكن عقد حبك على قلبي فلست أصبر أو أراك، فأوحى الله جل جلاله إليه أما إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأُخدمك كليمي موسى بن عمران. وروى الصدوق (ره) أيضاً عن الصادق عليه السلام، أنه سئل ما سبب العشق، فقال: تلك قلوب خلت من محبة الله فأذاقها الله حلاوة غيره، والأخبار الواردة في هذا المعنى كثيرة والله الموفق للصواب.

«أَدْنَى» أي أقرب.

«وَأَكْرَمُ وأَرْضَى فِعْلاً»[1]

تفضيل بمعنى المفعول على خلاف المشهور، وقد حققنا في حواشينا على شرح

---

(١) وأكرم خليقته عليه، وأرضى حامديه لديه.

الجامي أنه قياس، وحاصل الفقرة إني أحمدك وأقول لك الحمد بمحامدهم التي ذكروها في حمدك، وإن لم أصل إليها كماً ولا كيفاً، ولكن أقول هكذا لعل الله يتفضل علي بإدخالي في زمرتهم، كما نحمده تعالى بالمحامد التي حمد بها نفسه.

«سَائِرُ الحَمْدْ»

قال الجوهري سائر بمعنى جميع، وغلّطه الحريري في درة الغواص الموضوعة لتغليط الخواص، وقال إنه بمعنى البقية، كقوله عليه السلام لغيلان وقد أسلم على عشر، أمسك أربعاً وفارق سائرهن، وأيضاً يلزم على معنى الجوهري أفضلية الجزء على الكل.

«وعلَى جَمِيعِ عِبَادِهِ المَاضِينْ»

يجوز أن يكون الغرض منه كثرة إفراد الحمد، أو يكون عبارة عن بعض إفراد المحمود عليه، لأن النعمة على الماضين والباقين نعمة عليه وعلى آبائه من حيث أن الإنسان مدني الطبع يحتاج إلى بني نوعه.

«عَدَد مَا أَحاطَ بِهِ عِلْمُه»

منصوب على أنه صفة مصدر محذوف، أي نحمده حمداً عدد معلوماته، وقيل لفظ مكان فيما سبق ولفظ عدد ههنا منصوبان بنزع الخافض، وحاصلهما أنه حمد الله تعالى بالعدد الحاصل من ضرب عدد معلوماته الغير المتناهية في عدد نعمه الغير المتناهية، فانظر إلى صاحب الضرب كيف يكون.

«ومَكَانَ كُلِّ واحِدَة»

أي أحمده مكان كل نعمة من تلك النعم عددها، وهو خبر عددها على تقدير رفعه، وعلى تقدير النصب يكون مفعول فعل محذوف أي أعد عددها.

«أَضْعَافاً»

صفة للعدد على تقدير نصبه، وعلى المصدرية على تقدير رفعه، وهو قيد للمضاعفة لا لأصل الحمد.

«أَبْدَاً سَرْمَداً»

الأبد عبارة عن تقدير أوقات لا نهاية لها في المستقبل، والسرمد الدائم، وفي

كتاب الفروق أن الأبدي هو المصاحب لجميع الأزمنة محققة كانت أو مقدرة في جانب المستقبل إلى غير النهاية، والسرمدي هو المصاحب لجميع الثابتات المستمرة الوجود في الزمان.

«لِغَايَتِهْ»

الغاية بمعنى النهاية وبمعنى المدى كالأمد، إلا أن الغاية تستعمل في الزمان والمكان، والأمد لا يستعمل إلا في الزمان والمراد بهما هنا المدى، قال الراغب: الأمد والأبد متقاربان، لكن الأبد عبارة عن مدة الزمان الذي لها حد محدود، فلا يقال أبد كذا لمدة مجهولة إذا أطلق، وينحصر نحو أمد كذا، والفرق بين الزمان والأمد أن الأمد يقال باعتبار الغاية، والزمان عامة في المبدأ والغاية، ولذلك قالوا المدى والغاية متقاربان، انتهى.

«وخَفِيراً» أي مجيراً.

«وظَهِيراً» أي معيناً.

«وعَوْناً عَلَى تَأْدِيةِ حَقِّهِ وَوَظَائِفِهْ»

المراد بهما مطلق الأحكام، وقيل المراد بالحق الواجبات وبالوظائف المستحبات، قال بعض الأعلام ولعل في هذه الفقرات الأنيقة الشريفة إشارة لطيفة، باعتبار توصيف الحمد بهذه الصفات، إلا أنه لا يشترط في القربة التي هي في غاية العبادات أن يكون المقصود مجرد موافقة إرادته تعالى حتى أنه لا يجوز أن يكون الغاية طلب الرفعة عنده تعالى بواسطة الثواب والهرب من العقاب، كما نقل الشهيد طاب ثراه في قواعده، عن الأصحاب بطلان العبادة بهاتين الغايتين، وبه قطع ابن طاووس محتجاً بأن قاصد ذلك إنما قصد الرشوة والبرطيل، ولم يقصد به الرب الجليل، وهو دال على أن عمله سقيم، وأنه عبد لئيم، ولكن اختار في القواعد والذكرى الصحة محتجاً بأن قصدهما لا يخرج عن ابتغاء الله تعالى لأن الثواب من عنده تعالى فمبتغيه بمنزلة مبتغي وجه الله سبحانه، بل يلوح من هذه الفقرات جعلهما غايتين، انتهى. أقول أما المدعى فحق لما سنبرهن عليه، من أنه لا ينافي الإخلاص إلا الرياء والسمعة، وأما رجاء الثواب والهرب من العقاب فهما من مراتب الإخلاص، وإن كان فوقهما ما هو أعظم منهما وهو موافقة إرادته تعالى التي قصدها سيد الموحدين عليه السلام، ولكن

الاستدلال عليه في هذه الفقرات غير جيد، لأن أقصى ما استفيد منها طلب كون الحمد سبباً لها، وهو لا ينافي اشتراط موافقة الإرادة عند مشترطيه، غايته أنه من تلك الفوائد المترتبة على ذلك القصد، ولا ضير فيه، ألا ترى أن سيد الموحدين عليه السلام مع كون غايته من العبادة الغاية القصوى، كان يطلب مراتب الجنان والخلاص من النيران، نعم لو قال لأجل جنته لكان نصاً في المطلوب.

«فِي نَظْمِ الشُّهَداء»

جمع شهيد وهو المقتول في سبيل الله وإن لم يكن بمعركة الإمام عليه السلام، كما نطق به كثير من الأخبار، سمي به إما لأن الله تعالى وملائكته شهدوا له بالجنة، وإما لأن ملائكة الرحمة تشهده، فهو فعيل بمعنى مفعول أي مشهود له، وإما لأنه حي عند ربه فكأنه شاهد أي حاضر، كما قال تعالى: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء**﴾، وإما لأنه قام بشهادة الحق في أمر الله تعالى حتى قتل، وإما لأنه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل، وحينئذٍ ففعيل بمعنى فاعل، وحاصله إما طلب أن يقتل في سبيل الله حتى يصيّره منهم لأن الأعمال الصالحة تنتهي إليه إذ لا عمل فوقه، كما ورد به الخبر، وإما طلب أن يعطيه الله تعالى مثل ثوابهم ويحشر في زمرتهم وإن لم يقتل بالسيوف، كما روي أن شيعتنا هم الشهداء وإن ماتوا على فراشهم، وكان الإمام عليه السلام يقول: إني لا أعد ثوابي أقل من ثواب شهداء كربلاء، لأن من نيتي أن لو كنت معهم لجدت بنفسي معهم، وكان عليه السلام يقول: من وطّن نفسه على انتظار القائم عليه السلام وكان من نيته نصرته كتب الله له ثواب من استشهد بين يديه عليه السلام.

«وَلِيٌّ حَمِيدٌ»

الولي الناصر وقد يكون بمعنى الأولى، ومنه قوله عليه السلام: ألست أولى بكم من أنفسكم، وقد يكون بمعنى المتولي للأمر القائم به، ومنه ولي الطفل، والحميد المحمود الذي استحق الحمد بفعاله أو الحامد لمن أطاعه.

وكان من دُعائه الصّلاة على رسُول الله ﷺ

قد يختلج في البال ذكر تحقيقات في هذا المقام فلنذكرها فنقول: المقام الأول: في بيان فائدة تصدير الحوائج منه تعالى بالتصلية كما فعل عليه السلام، وقد ذكر له وجوه، أحدهما ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال:

من كانت له إلى الله حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآل محمد ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلاة على محمد وآل محمد، فإن الله عزّ وجلّ أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط إذ كانت الصلاة على محمد وآله لا تحجب عنه، وثانيها أنهم مقربو حضرة هذا السلطان الأعظم، ولا بد لمن كان له حاجة إلى مثله من أن يمد الهدايا إلى وزرائه ومقربي حضرته، وثالثها أنهم عليهم السلام هم المقصود بإيجاد الكونين كما تضافرت به الأخبار، وهم القابلون للفيوض الربانية بالذات، وغيرهم بالعرض وبوساطتهم، لأن موائد كرمه لو أفيضت علينا أولاً لكان مثل أن يصنع سلطان عظيم الشأن مضيافة عالية المقدار لرجل من أراذل الناس، ولا ريب في أن العقول تأبى مثله، أما لو كان المقصود بها أحد مقربيه وأكل منها جميع الرعية وأهل البلد لكان مستحسناً في العقول.

المقام الثاني: في بيان الصلاة هل تزيد في مراتبهم عليهم السلام أم لا، ذهب طائفة إلى الثاني، زعماً منهم أن الله سبحانه أعطى نبيه وأهل بيته أكمل المنازل اللائقة بنوع الإنسان، فلا زيادة حينئذ، نعم فائدتها ترجع إلى المصلي، والأخبار على الأول، لوجود القابل والفاعل، لأن مراتب فيضه تعالى لا تقف إلى حد، كيف لا وهو عليه السلام كان يلتمس من صلحاء أمته الدعاء له ويقول: إن ربي وعدني مرتبة الشفاعة والوسيلة ولا تنال إلا بالدعاء، ولو لم تكن الفائدة الراجعة إليهم إلا ما روي في تفسير السلام عليهم من أن معناه سلامتهم وسلامة دينهم وشيعتهم في زمن القائم عليه السلام لكفى، وأيضاً أمته له ولأهل بيته، وصلواتهم من جملة أعمالهم صلوات الله عليهم الهادون للخلق إلى الحق، ومن سن سنة حسنة كان له مثل ثواب من يعمل بها إلى يوم القيامة.

بقي الكلام في اللعن على أعدائهم، فقيل أيضاً لا يزيد في عذابهم والحق خلافه بالتقريب المذكور، وأما ما يترائى من منافاته لقاعدة العدل لأنه كيف يكون فعل شخص سبباً لزيادة عذاب غيره مع أنه لا اختيار له فيه، فالجواب عنه من وجهين:

الأول: إنه تعالى قرر لهم عذابين عذاباً بإزاء أفعالهم وآخر بإزاء لعن اللاعنين، وأسمعهم إن هم فعلوا ذلك الفعل القبيح أن يعذبهم بهما، وبعد هذا فأين الظلم.

الثاني: إن لعنهم من باب شكاية المظلوم من ظالمه، فإنهم ظلموا جميع المسلمين لأن منهم قد ثارت الفتن أولاً، ومنهم استتر الإمام العدل وبقي الناس في ظلم الجهالة، فهم قد ظلمونا معاشر المسلمين ولعمري إن ظلمهم علينا أشد من ظلمهم على أهل البيت عليهم السلام، لأن فوائدهم كانت تصل إلينا، وإني كلما أشكلت علي مسألة أوجبت على نفسي لعنهم والبراءة منهم، لأنهم سبب في استتار الحجة بل وفي كل فساد وقع، وفي الخبر أن القائم عليه السلام إذا ظهر يُحيِيهم ويلزمهم بكل ذنب وفساد وقع في الدنيا حتى قتل قابيل هابيل ورمي أخوة يوسف عليه السلام له في الجب ورمي إبراهيم في النار وسائر ما وقع، ولذا روي عن الصادق عليه السلام أنه ما أزيل حجر عن موضعه ولا أريقت محجمة دم إلا وهو في أعناقهما، يعني الخليفة الأول والثاني، وقد روى جابر عن أبي جعفر عليه السلام، قال سمعته يقول: إن من وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس، ما بين شمس إلى شمس أربعون عاماً فيها خلق كثير، ما يعلمون أن الله خلق آدم أو لم يخلقه، وإن من وراء قمركم هذا أربعين قمراً، ما بين قمر إلى قمر مسيرة أربعين يوماً، فيها خلق كثير، ما يعلمون أن الله خلق آدم أو لم يخلقه، قد أُلهموا كما ألهمت النحل لعن الخليفة الأول والثاني في كل وقت من الأوقات، وقد وكل بهم ملائكة متى ما لم يلعنوهما عذبوا، وفي تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إذا كان يوم القيامة يؤتى بإبليس في سبعين غلاً وسبعين كبلاً، فينظر الأول إلى زفر في عشرين ومائة كبل وعشرين ومائة غل، فينظر إبليس فيقول من هذا الذي أضعف الله له العذاب وأنا أغويت هذا والخلق جميعاً، فيقال هذا زفر ببغيه على علي عليه السلام، فيقول له إبليس ويل لك وثبور لك، أما علمت أن الله أمرني بالسجود لآدم فعصيته وسألته أن يجعل لي سلطاناً على محمد وأهل بيته وشيعته فلم يجبني إلى ذلك وقال: **﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلاّ من اتّبعك من الغاوين﴾** وأما ما يقع من الشيعة من الأعمال القبيحة فليس بداخل في التسلط، لما رواه الصدوق

عن علي بن النعمان عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام، في قوله: **﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾**، قال ليس على هذه العصابة خاصة سلطان، قال قلت وكيف جعلت فداك وفيهم ما فيهم، قال ليس حيث تذهب إنما قوله ليس لك عليهم سلطان، أن يحبب إليهم الكفر ويبغّض إليهم الإيمان. وروي عن العسكري عليه السلام أن رجلاً قال للصادق عليه السلام يا بن رسول الله إني عاجز بيدي عن نصرتكم، فلم أملك غير البراءة من أعدائكم واللعن، فكيف حالي، فقال الصادق عليه السلام حدثني أبي عن أبيه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من ضعف عن نصرتنا أهل البيت، فلعن في صلاته أعداءنا بلغ الله صوته جميع الأملاك من الثرى إلى العرش، وكلما لعن هذا الرجل أعداءنا ساعدوه فلعنوا من يلعنه ثم ثنوا وقالوا اللهم صل على عبدك هذا فإنه بذل ما وسعه، فقال الله تعالى جعلته من الأخيار.

المقام الثالث: في بيان وجوب التصلية واستحبابها في غير الصلاة، المشهور بين أصحابنا الثاني، وبعض على الأول وهو الحق، لدلالة الأخبار المتكثرة عليه مثل قوله عليه السلام: من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله، إلى غير ذلك من الأخبار المشتملة على الوعيد والترغيب، والظاهر أن الذكر متناول لما كان باسمه الشريف أو بكنيته أو بلقبه أو بالضمير الراجع إليه، وبعضهم خص الوجوب بالأول لتبادره من الإطلاق، وذهب الفاضل الأردبيلي إلى وجوبها في كل مجلس مرة إن صلى آخرا وإن صلى عليه ثم ذكر عنده وجبت التصلية، ومنهم من أوجبها عند حصول الفاصلة العرفية، وقد عرفت أن الأقوى هو الوجوب مطلقاً وهو ظاهر الصدوق (قده).

المقام الرابع: في كيفيتها، بعض من ذهب إلى وجوبها ذهب إلى أن الواجب هو الصلاة عليه وحده، وأما ضم الآل إليه فللكمال والفضل، والآخر على وجوب ضم الآل إليه وهو الصواب، للأخبار المستفيضة من الطرفين التي فيها بيان التصلية عند تفسير قوله تعالى: **﴿إن الله وملائكته يصلّون على النبي﴾** الآية، فإن فيها قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد، وقال صلى الله عليه وآله: لا تصلّوا عليَّ الصلاة البتراء، فقالوا يا رسول الله وما الصلاة البتراء، قال: أن تقولوا اللهم صل على محمد. وروي أيضاً في صحيح أخبارنا أنه قال: من صلّى عليَّ ولم يصل على آلي لم يجد ريح الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام. وفي الصحيح أيضاً أنه قال إذا صُلّيَ عليّ ولم يُتْبَع بالصلاة على أهل

بيتي كان بينها وبين السماء سبعون حجاباً، يقول الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك، لا تُصْعِدوا دُعَاءَه إلا أن يلحق بنبيي عترته، فلا يزال محجوباً حتى يلحق بي أهل بيتي، وقد تمسك الأولون بما رواه أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا ذكر النبي فأكثروا الصلاة عليه، فإنه من صلى على النبي صلى الله عليه وآله صلاة واحدة صلى الله عليه في ألف صف من الملائكة ولم يبق شيء مما خلقه الله إلا صلى على ذلك العبد لصلاة الله عليه وصلاة ملائكته، فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور وقد بريء الله منه وملائكته ورسوله.

والجواب أن هذا اللفظ قد صار علماً على تلك الجملة، أو أنه إشارة إلى أن الصلاة عليه لا تتم بدون الصلاة عليهم، أو أنه إشارة إلى كونهم عليهم السلام نفسه فاكتفى عن أحد الجزأين بذكر الآخر.

المقام الخامس: هل يجوز الصلاة على طوائف المؤمنين وعلى الآل بدون التبعية له عليه وآله والسلام، أصحابنا على الجواز للآيات وللأخبار، لكن قال فخر المحققين اللائق واللاحق والأولى بالوجوب اختصاص هذه الصيغة بالنبي وآله بتبعيته ومنفردين إجمالاً وتفصيلاً، وذهب علامة زمخشر إلى جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى: ﴿**هو الذي يصلي عليكم وملائكته**﴾، وعلى الآل على سبيل التبع، أما على سبيل الانفراد فلا، لأنه صار شعار الروافض، فتهم فاعله بالرفض، فانظر إلى دليل هذا الفاضل وإلى دينه الحق الذي يخاف عليه، ومما يتعلق بهذه المقامات أنه ينبغي أن تكتب التصلية صريحاً لا بلفظ صلعم وأشباهه كما يفعله المحرومون من الثواب، فإنه خلاف الأولى والمنصوص، بل قال بعض العلماء إن أول من كتب صلعم قطعت يده، وأقل ما في الإخلال بها تفويت الثواب العظيم عليها، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب، كيف لا والصلاة عليهم قد جعل مهراً لحواء. روي أنه كلما نظر آدم إلى حواء قال يا رب زوجني منها، فقال جل اسمه هات مهرها، فقال يا رب أنت أعلم، قال يا آدم صل على محمد وآله عشر مرات، فصلى آدم كما أمره الله جل جلاله، فزوجه بها، فإذا كانت مهر حواء فكيف لا تكون مهر حور العين.

«وَالحَمْدُ للهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ ﷺ دونَ الأُمَمِ المَاضِيَةِ والقُرُونِ السَّالِفَة»

الظاهر أن الواو للعطف على ما في الدعاء السابق، لأن الظاهر أنه عليه السلام كان يدعو بهما في مجلس واحد، ويؤيده أنه في بعض النسخ القديمة خال من العنوان، وإن أبيت هذا فاجعله إما للاستئناف أو للعطف على مقدر، وفي قوله وآله بالجر كما هو المتفق عليه في النسخ دليل قاطع على ما ذهب إليه الكوفيون من جواز العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار في سعة الكلام، وقراءة حمزة والأرحام بالجر، وقوله فاذهب فما بك والأيام من عجب وغيرهما دليل عليه، ومنعه البصريون اختياراً لأن فيه العطف على جزء الكلمة، ولا يسمع هذا بعد الورود، قال الفاضل الداماد: صلى الله عليه وآله بالجر على ما قد بلغنا بالضبط على النسخ المعوّل على صحتها جميعاً رويناه بالنقل المتواتر في سائر العصور إلى عصرنا هذا، وما في حواشي جنة الأمان للشيخ الكفعمي أن الصواب صلى الله عليه وعلى آله لا صلى الله عليه وآله إلا على تقدير أن يكون الآل بالعطف على موضع الهاء من عليه ففاسد، وأفسد منه جعل الواو للمعية كما لا يخفى، انتهى. أقول وعلى تقدير تصحيح مذهب البصريين يمكن أن يقال النكتة في ترك الجار ههنا توافق الاتصال اللفظي مع الاتصال المعنوي حتى كأن الفاصل اللفظي لا ينبغي أن يكون، وأما ما توهم من أن ترك الجار ههنا للحديث المروي عند الشيعة وهو قوله ﷺ من فصل بيني وبين آلي بعلى لم ينل شفاعتي، فخطأ لأن هذا الحديث لم نجده في شيء من كتبنا، كيف لا وقد وجدنا الفصل في الأدعية المأثورة والمصنفات المشهورة، بل قد وجد في دعاء ختم القرآن من هذه الصحيفة الشريفة، نعم نقل أستاذنا العلامة سلمه الله تعالى عن شيخنا بهاء الملة والدين أنه رآه في أحاديث الإسماعيلية وكتبهم، وقد تكلف بعض أصحابنا لإصلاحه فصحّف لفظ على بعلي عليه السلام، أي يكون الفصل ببغضه وباعتقاده أنه ليس من الآل، بل من الصحابة كما ظنه بعض الأشاعرة وبعض المعتزلة، فقالوا ينبغي في التصلية أن يقال اللهم صل على محمد وعلي وال محمد، ولفظ دون بمعنى غير، وقيل بمعنى وراء أو بعد ونصبها على الظرفية والقرون جمع قرن، قال في النهاية القرن أهل كل زمان وهو مقدار التوسط في أعمارهم، مأخوذ من الاقتران فكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم، وقيل القرن أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل مطلق من الزمان، والقرن أخص من الأمة، إذ كل أمة مشتملة على قرون.

«ولاَ يَفُوتُها شَيْءٌ وَإِنْ لَطُفْ»

فاته الأمر ذهب عنه، ولطف بمعنى صغر ودق، وفيه وفيما قبله بأن الممتنعات لا حظ لها في الشيئية، بل الشيء هو ما أمكن وجوده في الأعيان.

«فَخَتَمَ بِنَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ ذَرَأْ»

الباء إما للصلة أو للسببية أو للزيادة فإن ختم جاء متعدياً ولازماً، أي جعلنا خاتماً على جميع المخلوقات وزينة لهم، كما أن الخاتم زينة اليد، وفيه إثبات احتياج جميع المخلوقات إليهم كاحتياج الكتابة إلى الخاتم، وخاتمة لهم وفي آخرهم ناسخين لجميع شرائعهم وأحكامهم، قد أوجب على من بقي منهم الرجوع إلى ديننا وكتابنا، وهذا كما أنه إثبات لشرفهم عليهم السلام بالنسبة إلى سائر الأنبياء إثبات لفضيلتنا أيضاً بالنسبة إلى سائر الأمم، لأن شرف الرعية بشرف سيدها. روى جابر عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: إنما مثلي في الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وحسنها إلا موضع لبنة، وكان الداخل إليها يقول ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة، وأنا موضع تلك اللبنة، وذرأ بمعنى خلق.

«وَجَعَلَنا شُهَدَاء عَلَى مَنْ جَحَدْ»

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾، يجوز أن يكون الضمير في كلامه عليه السلام راجعاً إلى الأمة كما هو مقتضى ظاهر الآية، ومقتضى ما روي عن الصادق عليه السلام أيضاً أنه قال إذا كان يوم القيامة وجمع الله الخلائق للحساب فأول من يدعى له نوح عليه السلام، فيقال له هل بلّغت؟ فيقول نعم، فيقال له من يشهد لك، فيقول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال فيخرج نوح فيتخطى رقاب الناس حتى يجيء إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو على كثيب من مسك ومعه علي عليه السلام، وهو قول الله عز وجل: ﴿**فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا**﴾، فيقول نوح لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم إن الله تبارك وتعالى سألني هل بلّغت فقلت نعم فقال من يشهد بذلك فقلت محمد، فيقول يا جعفر ويا حمزة اذهبا واشهدا له أنه قد بلّغ، فقال أبو عبد الله عليه السلام فجعفر وحمزة هما الشاهدان للأنبياء، بما بلّغوا، فقلت جعلت فداك فعلي عليه السلام أين هو؟ فقال هو أعظم منزلة من ذلك، وفي روايات العامة

أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء، فيطالب الله تعالى بشاهد التبليغ، فيؤتى بهذه الأمة فيشهدون لهم بالتبليغ، فتقول لهم الأمم من أين عرفتم هذا، فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله في كتابه الناطق بلسان نبيه الصادق، فيؤتى بالنبي (صلى الله عليه وآله) فيشهد بعدالة أمته، ويجوز أن يكون الضمير راجعاً إليهم (عليهم السلام) بل هو الظاهر، لما روي عن الصادق (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً**﴾ أنها نزلت في أمة محمد (صلى الله عليه وآله) خاصة، في كل قرن منهم إمام شاهد عليهم، ومحمد شاهد علينا، ويؤيده في أن قراءة أهل البيت (عليهم السلام) أئمة مكان أمة، وكان الصادق (عليه السلام) يبالغ في إنكار هذه القراءة ويقول كيف يكون هذه الأمة وسطاً وعدلاً وأحسن الأمم وهم قتلوا ابن رسول الله (عليه السلام)، ليس هكذا نزلت بل هي أئمة وقد حرفت، وليس هو أول قارورة كسرت في الإسلام، كيف لا وقد سئل (عليه السلام) عن الربط بين الجزاء والشرط في قوله تعالى: ﴿**وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**﴾ إذ الربط منتفٍ ظاهراً، فقال (عليه السلام) قد سقط بينهما أكثرمن ثلث القرآن وأخبارنا متواترة بوقوع التحريف والسقط منه بحيث لا يسعنا إنكاره، والعجب العجيب من الصدوف وأمين الإسلام الطبرسي والمرتضى في بعض كتبه كيف أنكروه وزعموا أن ما أنزله الله تعالى هو هذا المكتوب، مع أن فيه رد متواتر الأخبار وما قيل من طرفهم أنه يلزم عليه ارتفاع الوثوق بالآيات الأحكامية، وينتفي جواز الاستدلال بها لمكان جواز التحريف عليها، فجوابه أنهم (عليهم السلام) أمرونا في هذه الأعصار بتلاوة القرآن والعمل بما تضمنته آياته، لأنه زمن هدنة فإذا قامت دولتهم وظهر القرآن كما أنزل، الذي ألفه أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وشده في ردائه وأتى إلى أبي بكر وعمر وهما في المسجد في جماعة من الناس فعرضه عليهم فقالوا لا حاجة لنا في قرآنك ولا فيك، عندنا من القرآن ما يكفينا، فقال لن تروه بعد اليوم حتى يقوم قائمنا، فعند ذلك يكون ذلك القرآن هو المتداول بين الناس، مع أن ما وقع من التحريف في الآيات الأحكامية أظهروه (عليهم السلام)، فيقوم الظن بأن ما لم يعرفونا تحريفه لم يكن فيه تحريف، ومن هذا يظهر عدم تحقق تواتر القراءات السبعة كما لا يخفى، وقد بسطنا الكلام فيه في شرح تهذيب الحديث بما لا مزيد عليه، ولنرجع هنا إلى سابق كلامنا فنقول على تقدير صحة قراءة الأمة يكونون (عليهم السلام) هم المراد منها، لما روي عن الباقر (عليه السلام) أنه قال نحن

الأمة الوسط ونحن شهداء الله علي خلقه وحجته في أرضه، ورسول الله ﷺ الشهيد علينا بما بلغنا عن الله ونحن الشهداء على الناس فمن صدق يوم القيامة صدقناه ومن كذب كذبناه.

«وكَثَّرَنَا عَلَى مَنْ قَلّ»

التكثير جاء بمعنى العزة والغلبة كقول الشاعر:

وإنما العزة للكاثر

وجاء أيضاً بمعنى تكثير العدد، وبهما فسر قوله تعالى: **﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾**، ويقابله القلة بالمعنيين وعلى التقديرين، فالظرف إما أن يتعلق بالفعل أو بالمصدر، وحاصل معناه على الثاني أنه سبحانه كثّر عددنا أو أعزنا معاشر آل الرسول أو أمته بمنته على الجماعة القليلة الذين هم أصول الإسلام أي المسلمين، لأنهم كانوا جماعة معدودين، أو الرسول ﷺ لأن الكفار كانوا يقولون إن محمداً أبتر لا عقب له فإذا مات رجع المسلمون إلى ديننا، وكذلك قد منّ الله تعالى على علي بن الحسين عليه السلام، وأخرج هذه الذرية الطيبة الحسينية من صلبه، مع كونه واحداً مستضعفاً ذليلاً في أعين الناس، بل الأئمة كلهم كما قال تعالى: **﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾**، ولعل في كلامه عليه السلام إشارة إلى هذا، وأما على الأول فقد توهم أن فيه إشكالاً حيث أنه خال عن الفائدة، وهذا التوهم مدفوع، لأن حاصل الكلام ومغزاه وكثر عدد هذه الأمة أو آل الرسول وأعزهما وغلبهما على غيرهما، فإنه أوجب على جميع الأمم اتباع هذه الأمة، وقد روي أن صفوف يوم القيامة مائة وعشرون ألف صف ثمانون ألفاً من أمة محمد ﷺ وأربعون ألفاً من سائر الأمم، إلا أنه عبّر بهذا اللفظ للمبالغة في قلتهم وذلتهم، إذ لو قال وكثرنا على غيرنا لتوهم أن ذلك الغير أيضاً له كثرة وعزة إلا أننا أكثر منه وأعز، كما يدل عليه صيغة التكثير، وقيل التكثير إشارة إلى أن إمامتهم شاملة للعرب والعجم، أو للإنس والجن، أو باعتبار بقائها إلى قيام الساعة، والكل تكلف.

«اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد»

أصله يا الله حذف حرف النداء وعوض عنه الميم المشددة، وقال الفراء أصله يا الله أمنا بالخير فخفف لكثرة الاستعمال، واعترضه الفاضل الرضي بقولهم اللهم لا

تؤمهم بالخير، ورده شيخنا البهائي (قده) بأنه يجوز أن يكون الأصل يا الله أمنا بالخير لا تؤمهم بالخير، ثم قال نعم يتجه كلام الرضي لو سمع منهم اللهم لا تؤمنا بالخير، وقد رد هذا الرد أستاذنا العلامة (قده) بأن مراد الفاضل الرضي هو هذا، لأن التعبير عنه بضمير الغائب مثل التعبير في آية اللعان لئلا ينسب المكروه إلى المتكلم، أو بأن ما أورده الفاضل الرضي كان في رد ما ذهب إليه الفراء لأنه لو كان الحال على ما قال لناسب توسط حرف العطف لوجود التناسب، والأمين بمعنى المأمون، وحمله على معنى الأمن كما نقل عن الأخفش بعيد.

«وَنَجِيبِكْ»

أي مختارك، وفي س نَجِيُّك مأخوذ إما من نجا أي خلص، وإما من ناجاه أي سارّه وخاطبه، والاسم منه النجوى فالنجي بمعنى المناجي.

«وَصَفِيِّكْ» أي حبيبك.

«إِمَامِ الرَّحْمَةَ»

الإضافة هنا إما لامية لأن الرحمة جاءت معه وبسببه فهو إمامها وقائدها، أو بيانية كقوله تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾ وأما تقدير المضاف أي أهل الرحمة كما قيل فبعيد.

«وقَائِدِ الخَيْرْ» أي إلى الخلق لا قائد الناس إليه كما قيل.

«ومِفْتَاحِ البَرَكَةَ» محركة النماء والسعادة.

«كَمَا نَصَبَ لأَمْرِكْ نَفْسَهْ»

مأخوذ إما من نصب الخشبة أي أقامها، وإما من النصب، بمعنى التعب والكاف للتعليل، وعلى الأول أن يكون المراد بنفسه علي بن أبي طالب عليه السلام فإنه نفسه بحكم الله وحكم الرسول، قال تعالى: ﴿**وأنفسنا وأنفسكم**﴾ في آية المباهلة، والمراد به علي عليه السلام إجماعاً، وقوله صلى الله عليه وآله يا علي نفسك نفسي ونفسي نفسك، لأننا خلقنا من نور واحد، وقد استفاض عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**فإذا فرغت فانصب**﴾ أي إذا فرغت من نبوتك أو من حجة الوداع فانصب علياً للخلافة، وقوله لأمرك أي لأجل مصالح دينك فإن به كان تمام دين الإسلام، بحكم قوله تعالى:

﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ ولأنك أمرته به بقولك: يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك في علي فإن لم تفعل فما بلغت رسالته، وهي قراءة أهل البيت عليهم السلام، ويجوز أن يراد به هو عليه السلام على المعنى الثاني أيضاً، فإن بسيفه عليه السلام قد شيدت أركان الدين، وعلت كلمة المسلمين، وقد جازاه صاحب الإنصاف علامة زمخشر في تفسيره حيث قال ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد، أي فانصب علياً للإمامة، ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمراً بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته، ولعمري أن هذا الفاضل هو الذي أبدع، لأن الرافضي قد أورد روايات عن أئمته عليهم السلام فيما قرأ فكيف يصح للناصبي أن يفعل ما ذكره من غير رواية، لكن هذا الفاضل أراد إبراز ما كان كامناً في سريرته، وكان أعوراً فعمي ولم يستبصر.

وعَرَّضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهْ»

أي في رضاك، قيل مناسبة الكراهة مع النفس ومناسبة التعب مع البدن أنسب من العكس، لكن في كلامه عليه السلام إشارة لطيفة إلى أن كراهة النفس وصلت إلى حد وصلت إلى البدن وتعب البدن وصل إلى حد أثّر في النفس، انتهى. أقول: ولعل المراد بالمكروه هنا غير التعب الذي يصل إلى البدن وهو على حاله، بل المراد ما وصل إلى بدنه الشريف من الجراحة وشج رأسه يوم أُحد وكسر ثنيته وتأثير السم الذي وضعته اليهودية في عنزة مطبوخة حتى أكل منها وأثر في جسده الشريف، وكان يهيج به كل سنة، وهو الذي مات به كما قال عليه السلام ما زالت تلك الأكلة تؤذيني حتى قطعت نياط قلبي، وقول الصادق عليه السلام ما منا إلا شهيد أو مسموم، وروى العياشي في تفسيره عن الصادق عليه السلام أن عائشة وحفصة لما أسرّ إليهما أن أبويهما يملكان أمر هذه الأمة بعده حملهما أبواهما على أن يسقياه السم، تعجيلاً منهما على الخلافة، فسقتاه السم، وكان مع سم اليهودية سبباً في شهادته صلى الله عليه وآله وسلم ومثل هذا لا يقال له تعب عرفاً بل مكروه وصل إلى البدن.

«وكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْكَ حَامَّتَهْ»

أي أظهر العداوة في الدعوة إلى دينك، وبسببها خاصته وعشيرته، وفي بعض النسخ لحمته أي أقاربه.

«أُسْرَتَه» هم رهط الرجل وعشيرته وأهل بيته.

«وَأَقْصَى الأَدْنَيْن»

أبعدهم وهو والأقصين بعده جمع كسر ما قبل يائه أصلاً، إذ الأصل أدنيين وأقصيين كالمصطفين والمرتضين.

«عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ»

على هنا وفي السابق مثلها في قوله تعالى: **﴿ولتكبروا الله على ما هداكم﴾**، ويحتمل الاستعلاء المجازي أي حال كونهما ركوباً عليهما إشعاراً بالملابسة والملازمة للشيئين.

«وَوَالَى فِيكَ الأَبعَدِينْ، وَعَادَى الأَقْرَبِينْ»

هو كالتأكيد لما سبقه، ويمكن الفرق بحمل الأولين على الأقصاء والقرب المكانيين، وهذين على المحبة والعداوة القلبيين وإن كانا سواء في المكان.

«وَأَدْأَبَ نَفْسَهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِكْ»

أي أتعبها، وقد حصل لنفسه الشريفة التعب في مواضع، أحدها: الغزوات والمنازعات مع الكفار، وثانيها: تفهيم المطالب الدقيقة الإلهية، وإيصالها إلى العقول الناقصة الحيوانية، وثالثها: التكلم مع كل شخص يما يليق بحاله، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم إنا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم، وفيه تعب عظيم، لأن منه يثار تكذيبهم والطعن عليهم ونسبتهم إلى الجهالة والنسيان، حيث أنهم أخبروا هذا بغير ما أخبروا به ذاك، كما يظهر من تتبع أحوال الأئمة عليهم السلام وما نالهم من المخالف والمؤالف على مثل هذا، ورابعها: التعب الذي حصل له عليه السلام بسبب تنزله من مراتب القرب الذي منه قوله تعالى: **﴿فكان قوب قوسين أو أدنى﴾** إلى هذه المراتب السفلية البشرية المشار إليها بقوله تعالى: **﴿إن هو إلاّ بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه﴾** الآية، فإنه تعالى رباه وغذاه بالكمالات والعلوم والآداب من ولادته إلى مدة أربعين سنة، وقد رقاه على جميع مراتب الآداب والقرب، ثم نزله عنه إلى رسالة مثل هذه الأنعام بل هم أضل سبيلاً، وليس هذا إلاّ من قبيل سلطان عظيم يكون عنده وزير مقرب قد حلاّه وتوّجه بتاج القرب والالتفات ويكون في مملكته رعايا وأقوام لا يعرفون عظمة السلطان

ولا طرق التقرب إليه، قد سلكوا طرق التجبر والعناد، فيبعث السلطان ذلك الوزير بريداً إلى تلك الرعايا، وينزله عن مراتبه الجليلة لعلمه بأنه لا يسعهم خلقاً وطباعاً إلا هو، وبعد أن أتى إليهم لم ينقد لرسالته إلاّ أقلهم، فيحصل له من هذا ألم عظيم وتأسف جسيم، حيث لم يمتثلوا رسالته ليكون وجيهاً عند ذلك السلطان، وقد حزن عليه السلام لمثل هذا حزناً عظيماً كاد يهلكه، كما قال تعالى: ﴿**فلعلك باخع نفسك على آثارهم**﴾، أي أتهلك نفسك على أنهم لم يقبلوا رسالتك ولم يصدقوك، فسلاه في كثير من الآيات بقوله: ﴿**وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين**﴾، وبقوله: ﴿**وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم**﴾، وبقوله: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت**﴾، ونظائرها من الآيات، وعلى هذا التحقيق ينزل قوله تعالى: ﴿**إنا أنزلنا إليكم ذكراً رسولاً**﴾، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن في موضع مرتفع بحسب الحس ثم نزل عنه كما هو مقتضى هذه الصيغة، بل المراد تنزيله من تلك المراتب العلية إلى هذه المراتب البشرية، وكذا قوله تعالى للعقل حين خلقه: أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، على تقدير أن يراد منه هو صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون الإقبال كناية عن ترقية إلى تلك المراتب العالية، والإدبار كناية عن تنزله منها إلى هذه المراتب السافلة.

«وَشَغَلَها بِالنُّصْحِ لأَهْلِ دَعْوَتِكْ»

أي الذين دعوتهم إلى جنتك، بقولك والله يدعو إلى دار السلام، أي كل أحد، وقيل إضافة الدعوة إليه سبحانه إما باعتبار انتسابها إليه تعالى باللام التخصيصية التعليلية، أي أهل الدعوة إليه سبحانه بمحض ذاته والقرب منه تعالى فتكون إضافته مقدرة باللام المفيدة للاختصاص والارتباط الخاص، ولهذا صرح المحققون من النحاة بأن الإضافة اللامية تشمل الإضافة الظرفية أيضاً كضرب اليوم، أو باعتبار إضافة أهل الدعوة حقيقة لا نفس الدعوة إليه سبحانه كما قيل في مثل هذا حب رمانك، انتهى.
ولا يخفى ما فيه من التكلف، وأشد منه تكلفاً ما قيل في الفرق بين هذه الفقرة وما قبلها إن المراد بتبليغ الرسالة تبليغ مطلق الرسالة منه سبحانه، من دون تبيين الأحكام التي تتعلق بأصول الدين وفروعه، فإن في هذا التبليغ مع فرط تهالك المعاندين في جحده ورفعه إتعاباً عظيماً لنفسه صلى الله عليه وآله وسلم، ويراد بالدعاء إلى الملة تبليغ الأحكام الأصولية، كما يشعر به لفظ الملة، وبالنصح لأهل الدعوة تبليغ الأحكام المفصلة الفرعية الشرعية كما يشعر لفظ النصح، انتهى.

«وهَاجَرَ إلَى بِلاَدِ الغُرْبَة»

أي المدينة وإن كانت واحدة لأنه مجاز شائع، وقد تكلف لتصحيح الجمعية بشمول المهاجرة للأمر بها لدخول جعفر وأضرابه الذين هاجروا إلى بلاد الحبشة، وقال بعض المحققين يمكن أن تحمل المهاجرة على مهاجرة نفس النبي ﷺ المجردة عن شوائب التعلقات المادية من موطنها الأصلي، أعني شراشر أعضائه الجسمانية إلى عوالم الملكوت واللاهوت الذي هو غريب بالنسبة إلى هذا الموطن الذي نشأت منه حركة نفسه المجردة إلى عوالم المجردات، وهبطت نفسه الشريفة بقواه الدراكة حين الوقوع والنزول على هذه الأعضاء الشريفة، وأتعب نفسه في مبادىء حالاته إلى هذا الموطن، فيكتسب بهذه المهاجرة الروحانية إلى عوالم الجبروت بالوحي والإلهام الرباني والأحكام الإلهية والشرائع الدينية التي بها يعز الدين المبين، انتهى، وهو قريب من تحقيقنا السابق.

«ومَحَلِّ النَّأْيِ عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهْ»

النأي مصدر بوزن النصر، وفي ش النائي اسم فاعل أي الشخص البعيد، والرحل مسكن الرجل والمراد به مكة شرفها الله تعالى.

«وَمَسْقَطِ رَأْسِهْ»

بفتح القاف وكسرها وهو الشائع، لأن مضموم العين في المضارع يجوز فيه الفتح أيضاً وإن لم يسمع، وهو كناية عن موضع الولادة، لما استفاض في الأخبار من أن النبي وأهل بيته عليهم السلام ينزلون من بطون الأمهات مستقبلين الأرض بأرجلهم المباركة، لا أنهم يسقطون على رؤوسهم كغيرهم لأن فيه تحقيراً لشأنهم، ولأن سببه زجر الملك للمولود وهو في بطن أمه حتى يصير منكوساً بعد أن كان واقفاً في بطن أمه، وذلك لامتناعه من الخروج، وأي ملك يقدر أن يزجرهم عليهم السلام.

«ومَأْنَسِ نَفْسِهِ»

وقد استدل بهذه الفقار على أشرفية مكة على سائر البقاع، وظاهر الشهيد طاب ثراه دعوى الإجماع عليه وليس هو في محله، لأن بعض الأصحاب قد ذهب إلى أشرفية أرض قبور الأئمة عليهم السلام على غيرها، وهو الحق عندي لدلالة الأخبار عليه،

بل يظهر من بعضها أشرفية الغريين وكربلاء على سائر البقاع، وروي أنه لما خلق الله الكعبة ابتهجت فرحاً فقال الله لها قري كعبة، لولا بقعة تسمى كربلاء ما خلقتك، فلما ابتهجت كربلاء قال لها قري كربلا لولا من يدفن فيك ما خلقتك.

«وَاسْتِنْصاراً عَلَى أَهْلِ الكُفْرِ بِكَ»

الظرف الثاني إما أن يتعلق بالمصدر الثاني، وحاصل معناه حينئذ أنه هاجر إلى المدينة طالباً النصر من أهلها على من كفر بربوبيتك، وإما أن يتعلق بالمصدر الأول بل هو أبلغ من حيث المعنى لدلالته على أنه ﷺ لم يعتمد في طلب النصرة على أحد من المهاجرين والأنصار.

«حَتَّى اسْتَتَبَّ لَهُ ما حَاوَلَ فِي أَعْدَائِكَ»

استتب الأمر أي استقام، وفي بعض النسخ استنم من السنام، أي ظهر وارتفع له الأمر الذي حاوله من مقهورية الأعداء كارتفاع سنام الجمل على سائر أعضائه.

«وَاسْتَتَمَّ لَهُ مَا دُبِّرَ فِي أَوْلِيائِكَ»

استتم كما قال اللغويون بمعنى أتم فهو متعد إلا أنه ضمن معنى كمل فعدي بالحرف، فقول بعضهم إن الفعل المعلوم تصحيف الفعل المجهول على غير محتاج إليه.

«فَنَهَدَ إِلَيْهِمْ مُسْتَفْتِحاً بِعَوْنِكَ»

النهود النهوض، والباء إما للصلة وإما للسببية أي افتتح في أول جهاده بقوله اللهم أعنّي عليهم، أو طالباً الفتح وهو فتح مكة بسبب توفيقك وإعانتك له.

«ومُتَقَوِّياً عَلَى ضَعْفِهِ بِنَصْرِكَ»

والباء إما للصلة أو للسببية، من قولهم تقويت بزيد على عمرو، أي استعليت عليه بسببه فعلى للاستعلاء، فقول بعض الأفاضل إن على للمجاوزة أو الظرفية كقوله تعالى: ﴿**ودخل المدينة على حين غفلة**﴾، فإنه عليه السلام حين كونه ضعيفاً بحسب الظاهر من قلة أنصاره من الناس صار متقوياً بجنوده الأقدسين من الملائكة الكروبيين، أو للتعليل تكلف لا يحتاج إليه.

«**عُقْرِ دِيَارِهِمْ**» العقر بالضم والفتح الأصل.

«**بُحْبُوحَةِ قَرارِهِمْ**» أي وسطها.

«وَعَلَتْ كَلِمَتُكَ ولو كَرِهَ المُشْرِكُونْ»

أي كلمة الإسلام، والظاهر أن المراد به فتح مكة، ويحتمل الأعم، وهذا إشارة إلى الآية، وقد روي أن تمام هذا الوعد بحيث تنمحي جميع الأديان ولا يبقى إلا دين الإسلام كما هو ظاهر اللفظ، إنما يكون في زمن القائم عليه السلام، كما روي عن الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**يا أيها المدثر قم فأنذر**﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وقيامه في الرجعة ينذر فيها، وهو قوله: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾، قال يظهره الله عز وجل في الرجعة، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن لعلي عليه السلام كرة مع الحسين ابنه عليه السلام، حتى ينتقم له من بني أمية ومعاوية وآل معاوية ومن شهد حربه، إلى قوله، ثم أخرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يكون خليفته في الأرض ويكون الأئمة عليهم السلام عماله، وحتى يبعثه الله علانية فتكون عبادته علانية في الأرض كما عبد الله سراً في الأرض، ثم قال والله وأضعاف ذلك، ثم عقد بيده أضعافاً، يعطي الله نبيه ملك جميع أهل الدنيا منذ خلق الله الدنيا إلى يوم يفنيها، وحتى ينجز له موعده في كتابه كما قال: ﴿**ويظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾، وروى الصدوق في كتاب إكمال الدين بإسناده إلى أبي بصير قال قال أبو عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**﴾، قال والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم عليه السلام، فإذا خرج القائم لم يبق كافر بالله العظيم ولا مشرك بالإمام إلا كره خروجه حتى لو كان كافراً أو مشركاً في بطن صخرة لقالت يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله، قال بعض الأفاضل معنى هذه الفقرات الشريفة بحسب البادي من النظر واضح، لكن يخطر بقريحتي وجه لطيف بهي لتقديم الإعزاز على الاستنصار في الفقرة السابقة على هذه الفقار وتأخير استتمام تدبير الأولياء من تهيؤ ما حاول في الأعداء، وهو أن الغاية الأصلية من الجهاد تدبير أولياء الله تعالى وكمال تعظيمهم وتبجيلهم، وهذا إنما يتحقق بعد مغلوبية الكفار والاستنصار عليهم وخذلانهم وقمعهم وقتلهم، وإنما يتحقق هذا بعد شوكة الإسلام وإعزازه وغلبة

المسلمين وقوتهم على دفع الكفار، ولا جرم إنما يتحقق كمال تعظيم المسلمين ووفور شوكتهم بعد تحقق شوكتهم وإعزازهم، وليس هذا دوراً باطلاً كما يمكن أن يتوهم بل كل إعزاز الإسلام وتعظيم الإسلام وأهله معدّ لوفوره وازدياده واستكماله، فمغلوبية الكفار وقتلهم متوسط في المرتبة بين مطلق إعزاز الإسلام وأهله وبين وفور شوكة الإسلام وكمال تعظيم أهله، فللإشارة إلى هذه المراتب قدم في الفقرة السابقة مطلق الإعـزاز على الاستنصـار الذي هـو حقيقة مغلوبية الكفـار وانقهارهم وقتلهم في هذه الفقرة على ما هو المقصود الأصلي من الجهاد أعني تدبير أولياء الله وازدياد شوكتهم وتبجيلهم، فما دبره عليه السلام في الأولياء متأخر عن الإعزاز بمرتبتين.

«بِمَا كَدَحْ»

أي أتعب نفسه ولا يكافأ رفعه كما في بعض النسخ على أن واوه للاستئناف أو من باب عطف الجملة على الجملة.

«وعَرِّفْهُ فِي أَهْلِهِ الطَّاهِرِينَ وأُمَّتِهِ المُؤْمِنِينْ مِنْ حُسْنِ الشَّفَاعَةِ أَجَلَّ ما وَعَدتهْ»

التعريف بمعنى الإعلام، أي أعلمه وحقق له قبل يوم القيامة ما وعدته من شفاعته لهما أو من شفاعتهما لباقي الأمة، كما روي أن المؤمن يشفع في مثل ربيعة ومضر، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الله تعالى إذا بعث الخلائق من الأولين والآخرين نادى منادي ربنا من تحت عرشه يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم لتجوز فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين على الصراط، لا يبقى أحد في القيامة إلا غض بصره عنها إلاّ محمد وعلي والحسن والحسين والطاهرين من أولادهم فإنهم محارمها، فإذا دخلت الجنة بقي مرطها ممدوداً على الصراط طرف منه بيدها وهي في الجنة وطرف في عرصات القيامة فينادي منادي ربنا يا أيها المحبون لفاطمة تعلقوا بأهداب مرط فاطمة سيدة نساء العالمين، فلا يبقى محب لفاطمة إلاّ تعلق بهدبة من أهداب مرطها حتى يتعلق بها أكثر من ألف فئام وألف فئام وألف فئام قالوا وكم فئام واحد يا رسول الله قال: ألف ألف وينجي بها من النار، وقد استفاض في الأخبار أنه لا يجوز أحد على الصراط إلا من كان معه كتاب من علي بن أبي طالب، وقال عليه السلام: لا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول رب سلّم شيعتي ومحبيّ وأنصاري ومن تولاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش قد أجبت دعوتك وشفعت في شيعتك، ويشفع كل

رجل من شيعتي ومحبِّيَّ وأنصاري ومن تولاني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألف من جيرانه وأقربائه. وروى الشيخ في الأمالي بإسناده قال دخل سماعة بن مهران على الصادق عليه السلام، وقال يا بن رسول الله نحن عند الناس شر الناس كفاراً ورافضة، فنظر إليّ ثم قال: إذا سيق بكم إلى الجنة فينظرون إليكم فيقولون ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار، يا سماعة بن مهران إنه من أساء منكم إساءة مشينا إلى الله يوم القيامة بأقدامنا فنشفع فيه فنشفع، والله لا يدخل النار منكم عشرة رجال، والله لا يدخل النار منكم خمسة رجال، والله لا يدخل النار منكم ثلاثة رجال، والله لا يدخل النار منكم رجل واحد، ونظائره كثيرة، وإنما طلب تحقق هذا الأمر لأنه تعالى صدر وعده له بعسى وسوف في قوله تعالى: ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾، وقوله: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾، وإن ورد أنهما في كلامه تعالى للتحقيق كلعل، وقال الفاضل الداماد وعرفه في أهله، أي أذقه أجل ما وعدته منهم، وهو معنى ما قلنا، وقيل من التعريف بمعنى التطييب من العرف أي الريح، فكأن هذه الشفاعة بمنزلة تطييب له صلى الله عليه وآله وسلم، وقيل بمعنى الحمل على العرف وهو المعروف أي الخير والإحسان، أعني الشفاعة، وقيل من العريف وهو رئيس القوم سمي به لأنه عرف بذلك، أو النقيب وهو دون الرئيس أي اجعله رئيساً لهم، وعلى هذه الاحتمالات يكون اجمل منصوباً بنزع الخافض.

«يا نَافِذَ العِدَّة»

نفذ الأمر قضاه، والعدة هو ما تقدم في الآيتين وهو مقام الشفاعة، وتفصيله ما روي في كتاب الاحتجاج بإسناده إلى الحسين عليه السلام، قال إن يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قال لأمير المؤمنين عليه السلام فإن هذا سليمان أعطي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فقال له عليه السلام لقد كان كذلك ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم أُعطي ما هو أفضل من هذا، إنه أهبط إليه ملك لم يهبط إلى الأرض قبله وهو ميكائيل فقال له يا محمد عش ملكاً منعماً، وهذه مفاتيح خزائن الأرض معك، ويسير معك جبالها ذهباً وفضة، ولا ينقص لك فيما ادخر لك في الآخرة شيء، فأوحى إلى جبرئيل عليه السلام وكان خليله من الملائكة، فأشار له أن تواضع، فقال بل أعيش نبياً عبداً آكل يوماً ولا آكل يومين وألحق باخواني من الأنبياء، فزاده الله تعالى الكوثر، وأعطاه الشفاعة، وذلك أعظم من ملك الدنيا من أولها إلى آخرها سبعين مرة، ووعده المقام المحمود، فإذا كان يوم

القيامة أقعده الله تعالى على العرش، فهذا أفضل مما أعطي سليمان عليه السلام، مع أن الذي طلبه سليمان إنما كان لله، كما رواه علي بن يقطين قال قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، أيجوز أن يكون نبي الله بخيلاً، فقال لا، فقلت له فقول سليمان عليه السلام رب اغفر لي وهب ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي ما وجهه؟ فقال الملك ملكان ملك مأخوذ بالغلبة والجور وإجبار الناس، وملك مأخود من قبل الله تعالى ذكره كملك ابراهيم وملك طالوت وذي القرنين، فقال سليمان عليه السلام هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، أنه يقول إنه مأخود بالغلبة والجور وإجبار الناس فسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، وسخر له الشياطين، وعلم منطق الطير، فعلم الناس في وقته أن ملكه ليس ملك الملوك المالكين بالظلم والجور، قال فقلت لِمَ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله أخي سليمان ما كان أبخله، قال له وجهان أحدهما ما كان أبخله بعرضه وسوء القول فيه، والآخر يقول ما كان أبخله إن كان أراد ما كان يقوله الجهال، ولا خلاف في ثبوت الشفاعة، إلاّ أن المعتزلة على أنها تكون في زيادة جزاء المؤمنين لا في دفع جرائمهم.

«يا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الحَسَنَاتْ»

يجوز أن يكون إشارة إلى ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾، أي الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب، كما روي عن علي عليه السلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أرجى آية في كتاب الله تعالى: ﴿**أقم الصلاة طرفي النهار**﴾ وقرأ الآية كلها، يا علي والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً إن أحدكم ليقوم في وضوئه فتساقط عن جوارحه الذنوب، فإذا استقبل الله بوجهه وقلبه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته أمه، فإن أصاب شيئاً بين الصلاتين كان له مثل ذلك، حتى عد الصلوات الخمس، ثم قال يا علي إنما منزلة الصلوات الخمس لأمتي كنهر جارٍ على باب أحدكم فما يظن أحدكم لو كان في جسده درن ثم اغتسل من ذلك النهر خمس مرات أكان يبقى في جسده درن، فكذلك والله الصلوات الخمس لأمتي، ويجوز أن يكون إشارة إلى ما رواه محمد بن مسلم في الصحيح عن أبي ذر في تفسير قوله تعالى: ﴿**إلاّ من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات**﴾. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ونحّوا عنه كبارها، فيقال له عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من

الكبار، فيقال أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول إن لي ذنوباً ما أراها ههنا، قال ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ضحك حتى بدت نواجذه.

ويجوز أن يكون إشارة إلى ما رواه الصدوق طاب ثراه في علل الشرائع بإسناده إلى أبي اسحٰق الليثي قال قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يا بن رسول الله أخبرني عن المؤمن المستبصر إذا بلغ في المعرفة هل يزني، قال لا، قلت فيلوط، قال لا، قلت فيسرق، قال لا، قلت فيشرب الخمر، قال لا، قلت فيذنب ذنباً، قال نعم هو مؤمن مذنب ملم، قلت ما معنى ملم؟ قال الملم بالذنب الذي لا يصر عليه، قال فقلت سبحان الله ما أعجب هذا لا يزني ولا يلوط ولا يسرق ولا يشرب الخمر ولا يأتي بكبيرة من الكبائر، فقال لا عجب من أمر الله سل ولا تستنكف، قلت يا بن رسول الله إني أجد من شيعتكم من يشرب الخمر ويرتكب الفواحش، فقال هل يختلج في صدرك شيء غير هذا، قلت نعم يا بن رسول الله أخرى أعظم من ذلك وهو أني أجد من أعدائكم ومناصبيكم من يكثر الصلاة والصيام وجميع أفعال الخير فلِمَ ذاك يا بن رسول الله فقد كثر فكري وضاق ذرعي، قال فتبسم صلوات الله عليه ثم قال خذ إليك بياناً شافياً فيما سألت، وعلماً مكنوناً من خزائن علم الله، أخبرني يا ابراهيم كيف تجد اعتقادهما، قلت يا بن رسول الله أجد محبيكم وشيعتكم على ما هم عليه مما وصفته من أفعالهم لو أعطي أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضة أن يزول عن ولايتكم إلى موالاة غيركم ما زال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف، وأرى الناصب على ما هو عليه مما وصفته من أفعالهم لو أعطي أحدهم ما بين المشرق والمغرب ذهباً وفضة أن يزول عن محبة الجبت والطاغوت وموالاتهم إلى موالاتكم ما زال ولو ضربت خياشيمه بالسيوف، قال فتبسم الباقر عليه السلام ثم قال: يا ابراهيم من ههنا هلكت العاملة الناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية، ومن أجل ذلك قال الله تعالى: ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً**﴾ ويحك يا ابراهيم أتدري ما السبب والقصة في ذلك؟ قلت اشرحه لي، قال يا ابراهيم إن الله عز وجل خلق أرضاً طيبة ثم فجّر منها عذباً زلالاً فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلتها فأجرى عليها ذلك الماء سبعة أيام حتى طبقها وعمها، ثم نضب منها ذلك الماء فأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الأئمة عليهم السلام، ثم أخذ ثفل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا، ولو ترك طينتكم يا ابراهيم على حالها كما ترك طينتنا لكنتم أنتم ونحن شيئاً واحداً، قلت يا بن رسول الله

فما فعل بطينتنا؟ قال أخبرك يا ابراهيم خلق الله عز وجل بعد ذلك أرضاً سبخة خبيثة منتنة ثم فجّر منها ماء أجاجاً آسناً ملحاً فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فلم تقبلها، فأجرى عليها ذلك الماء سبعة أيام حتى طبقها وعمها ثم نضب ذلك الماء عنها، ثم أخذ من ذلك الطين طيناً فخلق منه الطغاة وأئمتهم ثم مزجه بثفل طينتكم، ولو ترك طينتهم على حالها ولم يمزجها بطينتكم لم يشهدوا الشهادتين ولا صلوا ولا صاموا ولا زكوا ولا حجوا ولا أدوا أمانة ولا أشبهوكم في الصورة، قلت يا بن رسول الله فما فعل بالطينتين؟ قال مزج بينهما بالماء الأول والماء الثاني ثم عركهما عرك الأديم ثم أخذ من ذلك قبضة فقال هذه إلى الجنة ولا أبالي، وأخذ قبضة أخرى وقال هذه إلى النار ولا أبالي ثم خلط بينهما فوقع من سنخ المؤمن وطينته على سنخ الكافر وطينته، ووقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المؤمن وطينته فما رأيته من شيعتنا من زنى أو لواط أو ترك صلاة أو صيام أو حج أو خيانة أو كبيرة من الكبائر فهو من طينة الناصب وعنصره الذي قد مزج فيه، لأن من سنخ الناصب وطينته اكتساب المآثم والكبائر، وما رأيت من الناصب ومواظبته على الصلاة والصيام وسائر أعمال الخير فهو من طينة المؤمن وسنخه الذي قد مزج فيه لأن سنخ المؤمن وعنصره اكتساب الحسنات واستعمال الخير واجتناب المآثم، فإذا عرضت هذه الأعمال كلها على الله عز وجل قال أنا عدل لا أجور ومنصف لا أظلم الحقوا الأعمال السيئة التي اجترحها المؤمن بسنخ الناصب وطينته، والحقوا الأعمال الحسنة التي اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن وطينته، ردوها كلها إلى أصلها فإني أنا الله لا إله إلاّ أنا عالم السر وأخفى وأنا المطلع على قلوب عبادي لا أحيف ولا أظلم ولا ألزم أحداً إلاّ عرفته من قبل أن أخلقه.

ثم قال الباقر عليه السلام إقرأ هذه الآية، قلت يا بن رسول الله أية آية؟ قال قوله تعالى: ﴿**قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون**﴾، هو في الظاهر ما تفهمونه وهو والله في الباطن هذا بعينه، يا ابراهيم إن للقرآن ظاهراً وباطناً ومحكماً ومتشابهاً وناسخاً ومنسوخاً، ثم أخبرني يا ابراهيم عن الشمس إذا طلعت وبدا شعاعها في البلدان أهو باين من القرص، قلت هو في حال طلوعه باين، قال أليس إذا غابت الشمس يرجع إليها كما بدأ منها ويعود كل شيء إلى سنخه وجوهره وأصله، فإذا كان يوم القيامة نزع الله طينة الناصب مع أثقاله وأوزاره من المؤمن فيلحقها كلها بالناصب، وينزع سنخ المؤمن وطينته مع حسناته وأبواب بره واجتهاده من الناصب

فيلحقها كلها بالمؤمن أفترى ههنا ظلماً وعدواناً، فقلت يا بن رسول الله ما أعجب هذا تؤخذ حسنات أعدائكم فترد على شيعتكم وتؤخذ سيئات محبيكم فترد على مبغضيكم، قال إي والله الذي لا إله إلاّ هو فالق الحبة وباريء النسمة وفاطر الأرض والسماء ما أخبرتك إلا بالحق وما أنبأتك إلاّ بالصدق، وما ظلمهم الله وما الله بظلام للعبيد، وإن ما أخبرتك موجود في القرآن كله، قلت هذا بعينه يوجد في القرآن؟ قال نعم يوجد في أكثر من ثلاثين موضعاً في القرآن، أفتحب أن أقرأ ذلك عليك، قلت بلى يا بن رسول الله، فقال: قال الله عز وجل: ﴿**وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم**﴾، ألا أزيدك يا ابراهيم، قلت بلى يا بن رسول الله، قال: ﴿**ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون**﴾، ألا أزيدك؟ قلت بلى يا بن رسول الله، قال: ﴿**فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً**﴾، يبدل الله سيئات شيعتنا حسنات ويبدل الله حسنات أعدائنا سيئات، يا أبا إسحٰق ولا تطلع على سرنا أحداً إلا مؤمناً مستبصراً، فإنك إذا أذعت سرنا بليت في نفسك وأهلك ومالك وولدك. والإشكال على هذا الحديث وأضرابه من أحاديث الطينة مشهور، لأن الأعمال إذا كانت بمقتضى المادة ساغ للناصبي أن يقول لو جعلت طينتي مثل طينة المؤمن لكنت أنا وهو سواء، وقد تصدى أصحابنا للقول فيها فقال علم الهدى (قده) إنها أخبار آحاد مردودة لا تصلح لإثبات هذه المطالب الجليلة، وآخرون صاروا إلى حملها على المجاز، يعني لما اتصف المؤمنون بحب أهل البيت ووِدادهم فكأن طينتهم خلقت من عليين، والنواصب بالعكس، وبعضهم قالوا إنها أخبار متشابهة يجب تسليم القول فيها إليهم عليهم السلام.

وأما الجواب المشهور فهو أنه سبحانه لما علم أنهم سيصير حالهم بعد التكليف إلى النصب والعداوة لأهل البيت عليهم السلام، فلذلك خلقهم من الطينة المالحة المنتنة، وقد علم من المؤمنين عكس ما علم من هؤلاء فلذلك خلقهم من تلك الطينة المباركة، والعلم ليس علة للمعلوم بل العلم تابع له وهو كاشف عنه، وعندي أن هذه الأجوبة كلها لا تحسم مادة النزاع بحيث تدحض حجة الخصم واعتراضه، بل الجواب الصواب هو أن يقال أنه قد استفاض بل تواتر أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بأربعين ألف عام، أو اثني عشر ألف عام، أو ألفين عام، على اختلاف الروايات، وبعد أن

خلقها أجج ناراً فكلفها الدخول فدخلها أهل اليمين، فجعلها عليهم برداً وسلاماً، وأبى أهل الشمال وقالوا لا طاقة لنا بحرِّها، فقال إلى ناري ولا أبالي، وكذلك خاطبهم تكليفاً بقوله ألست بربكم ومحمد نبيكم وعليّ والأئمة الراشدون أئمتكم، وبعضهم قال بلى عاقداً عليه قلبه، وأنكره آخرون بقلوبهم، فكتب الله سبحانه شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام في ذلك اليوم وأودعها عندهم، وهي الآن عند إمام زماننا صاحب الزمان عليه السلام، ولذا كان الأئمة عليهم السلام ينكرون بعض من يدعي التشيع، ويقولون له إن اسمك ليس مكتوباً في الصحيفة التي فيها أسماء شيعتنا، فلما وقع ذلك التكليف وامتثله البعض باختيارهم ناسب تلك الأرواح المباركة طينة طيبة تكون مادة لهم، ولتلك الأرواح العاصية تلك الطينة الخبيثة، وحينئذٍ فلا اعتراض للناصبي لأن المادة لا دخل لها في الإيمان والكفر، وهذا الجواب يستفاد من تعمق الأنظار في الأخبار، بل رواه أصحابنا رضوان الله عليهم صريحاً عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً**﴾، يعني به أنهم لو استقاموا في عالم الأرواح على التصديق بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام لجعلنا ماء طينتهم من العذب الزلال لا من الملح الأجاج، ولعل في قوله في هذا الحديث ولا ألزم أحداً إلاّ عرفته منه قبل أن أخلقه إشارة إليه كما لا يخفى، واعلم أن هذا الحديث أصل من الأصول يبتنى عليه قواعد كثيرة، منها ما ورد عنهم عليهم السلام من أن المؤمن إذا صلى مع المخالفين خرج بحسناتهم وبقي لهم جرائمه وذنوبه، ولا يحتاج إلى ما أجاب به بعض المحققين من أن المراد به حسناتهم التقديرية، لاستفاضة الأخبار ببطلان أعمالهم، وهو كما ترى، فإن من عمل عملاً انتفع به غيره لا ريب في صدق البطلان عليه بالنسبة إلى ذلك العامل، ولذا روي في تفسير قوله تعالى: ﴿**يوم يرون أعمالهم حسرات**﴾، أن المخالفين يرون حسناتهم في موازين الشيعة فيندمون، وسنذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿**الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**﴾. عن الصادق عليه السلام أن الله تعالى يورث المؤمنين منازل المخالفين التي أعدت لهم في الجنة، ويورث المخالفين منازل المؤمنين في النار، ومنها ما ورد عنهم عليهم السلام من أن المؤمن لا يصير مخالفاً، وكذا المخالف لا يصير مؤمناً، وأما المستبصر فقد صده الشيطان عن أصله الأزلي ثم تداركته الألطاف الإلهية فيرجع إلى أصله، ولنرجع نحن أيضاً إلى ما نحن بصدد شرحه فنقول يجوز أن تكون هذه الفقرة الشريفة إشارة منه إلى قوله تعالى:

﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلاّ مثلها**﴾، كما ورد في بعض الأخبار، وأكثر ما نقلنا في شرح هذه الفقرة من الأخبار وإن لم يفهم منه التضعيف صريحاً، لكنه معلوم الإرادة منها كما لا يخفى، وقال بعض الأفاضل وأما حمل تبديل السيئة بالحسنة على الإحباط والتكفير كما ذهب إليه جماعة من المعتزلة ففاسد لأن الإحباط باطل، انتهى.

أقول يجوز أن يكون إشارة إلى الإحباط، وأما قول هذا الفاضل إنه باطل فباطل، وقبل الخوض في إثباته لا بد من تعريفه، فأكثر المعتزلة على أن معناه إسقاط الثواب المتقدم بالمعصية المتأخرة، وتكفير الذنوب المتقدمة بالطاعات المتأخرة، والجبائي على أن المتأخر يسقط المتقدم ويبقى هو على حاله، وقال أبو هاشم: الإحباط الموازنة وهو أنه ينتفي الأقل بالأكثر وينتفي من الأكثر بالأقل وساواه ويبقى الزائد مستحقاً وإن تساويا صار كأن لم يكن، إذا عرفت فنقول لا ريب أن الإحباط بالمعنى الأول والثاني باطل على قواعد العدلية، وأما بالمعنى الثالث فلا ينبغي أن يرتاب في صحته لدلالة الآيات والأخبار عليه، وكان أصحابنا المتأخرين تابعوا المحقق الطوسي في هذا فإنه قد نفاه مطلقاً، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾ ونظائرها من الآيات والأخبار، وأنت عند التأمل ترى طباق هذه الآيات مع تلك، فإن رؤية ما عمل لا ينافي الإحباط بذلك المعنى لتحققها معه، لأنه يرى خير ما عمل حيث أنه دفع عنه جزاء من العذاب الذي استحقه بفعل المعاصي، ويرى شر ما عمل حيث أنه منعه عن الترقي إلى درجات الصالحين ومجاورة المقربين، وأما فائدة وضع الموازين ووزن أعمال الصالحين والفاسقين، فلعل من فوائده اطلاعهم على كمية أعمالهم وكيفياتها حتى لا يظن أحد الظلم على ذلك الجناب، وبعدما يرون الأعمال بأعينهم يعاملهم بالإحباط بما قلناه، وقد استدلوا على بطلان الإحباط بدلائل عقلية أبطلناها في شرحنا الكبير، ولعمري إن جل ما حداهم على هذا ما استفاض بينهم من أنه إذا تعارض الدليلان العقلي والنقلي وجب تأويل الثاني أو طرحه إن لم يمكن التأويل، وقد ضقت بهذه المسألة ذرعاً حتى ظهر لي بفضل الله أن هذا لا يتمشى إلا فيما إذا كانت مقدماته بديهية، أو ما إذا كانت مقدماته مأخوذة من الدليل النقلي، أما في غيرهما فلا ينبغي لعاقل فضلاً عن فاضل أن يرتاب في بطلان ما اشتهر، بل يجب عليه أن يجزم بعكسه لأنها عند التحقيق لا تفيد

إلا ظناً، كيف ولو صح ما اشتهر لوجب علينا أن لا نكفر من كفر من آحاد الفلاسفة، ولا نحكم بفسق من فسق من آحاد المسلمين في المسائل التي صارت سبباً لحكمنا عليهم بهما، لأن الدليل حداهم إلى ما صاروا إليه، وإن قلت إن الدليل العقلي المقدم هو ما أذعنت له عامة العقول، قلنا وجود مثل هذا نادر جداً بل لا يكاد يوجد لتوارد الأنظار والأبحاث على كل دليل دليل، ونحن نرى هؤلاء الأفاضل يختلفون كثيراً في المسائل ويستندون إلى الأدلة العقلية، فما بال تلك الأدلة العقلية قد تعارضت في أنظارهم مع أن كلاً منها يفيد القطع واليقين بزعمهم، والعجب كل العجب من أعاظم فقهائنا رضوان الله عليهم كيف عولوا على هذه المسألة وقبلوها رأساً وجعلوها أساساً، وبنوا عليها الأحكام الشرعية والمسائل الفرعية، وقد أشبعنا الكلام في هذه المسألة في شرحنا الموسوم بغاية المرام في شرح تهذيب الأحكام.

في الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرّب

وإنما خص هذين النوعين بالدعاء لما لهم من المزية على سائر الملائكة، أما النوع الأول فلأنهم مع ما هم فيه من الشغل العظيم الذي لا يقدر عليه غيرهم كما ستعرف، يستغفرون للشيعة كما قال تعالى: **﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا﴾**.

وأما النوع الثاني فلأنهم مع ما هم فيه من الخدمات التي يعود نفعها إلى العباد قد أقروا بولاية آل محمد صلى الله عليهم، كما قد ورد في الخبر أن ولايتنا عرضت على الملائكة فمن قبلها صار من الملائكة المقربين، بل قد روي في كثير من الأخبار عن أبي حمزة الثمالي أن علي بن الحسين عليه السلام دعا حوت يونس بن متى فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول لبيك لبيك يا ولي الله، فقال من أنت؟ فقال حوت يونس يا سيدي إن الله تعالى لم يبعث نبياً من آدم إلى أن صار جدك محمد صلى الله عليه وآله إلّا وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت، فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلص، ومن توقف عنها وتتعتع في حملها لقي ما لقي آدم من المصيبة، وما لقي نوح من الغرق، وما لقي إبراهيم من النار، وما لقي يوسف من الجب، وما لقي أيوب

من البلاء، وما لقي داود من الخطيئة، إلى أن بعث الله يونس فأوحى الله إليه أن تولَّ أمير المؤمنين علياً والأئمة الراشدين من صلبه، في كلام له، قال وكيف أتولَّ من لم أره ولم أعرفه، وذهب مغاضباً فأوحى الله إليّ أن التقمي يونس ولا توهني له عظماً، فمكث في بطني أربعين صباحاً يطوف معي في البحار في ظلمات ثلاث ينادي أن لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قد قبلت ولاية علي بن أبي طالب والأئمة الراشدين من ولده عليهم السلام، فلما أن آمن بولايتكم أمرني ربي فقذفته على ساحل البحر، فقال زين العابدين عليه السلام ارجع أيتها الحوت إلى وكرك، فرجع الحوت واستوى الماء.

«وَحَمَلَةُ عَرْشِكْ»

الواو إما للعطف على الجمل السابقة أو للاستئناف والخبر، قوله فصل عليهم وهو من أقوى الدلائل على جواز وقوع الإنشاء خبراً، وعلى ما ذهب إليه الأخفش من جواز دخول الفاء على الخبر وإن لم يتضمن المبتدأ معنى الشرط وما تكلف له بعضهم من تقدير الخبر أي هم مستحقون لأن تصلي عليهم فلا حاجة إليه، إذا تحققت هذا فاعلم أن العرش في اصطلاح المحدثين يقال على معان.

أولها: الجسم العظيم المحيط بالسموات بل والكرسي أيضاً على المشهور، وهو المراد بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما خلق الله تعالى العرش خلق له ثلاثمائة وستين ألف ركن وخلق عند كل ركن ثلاثمائة وستين ألف ملك، لو أذن الله لأصغرهم التقم السموات السبع والأرضين السبع ما كان ذلك بين لهاته إلاّ كالرملة في المفازة الفضفاضة، فقال الله تعالى لهم يا عبادي احتملوا عرشي هذا، فتعاطوه فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه، فخلق الله تعالى مع كل واحد واحداً فلم يقدروا أن يزعزعوه، فخلق الله مع كل واحد عشرة فلم يقدروا أن يحركوه، فخلق بعد لكل واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدروا أن يحركوه فقال عزّ وجلّ خلوه عليّ أمسكه بقدرتي فأمسكه بقدرته، ثم قال لثمانية منهم احملوه أنتم، فقالوا ربنا لم نطقه نحن وهذا الخلق العظيم الجم الغفير فكيف نطيقه الآن دونهم، فقال الله عز وجلّ لأني أنا المقرب للبعيد والمذلل للعنيد والمخفف للشديد والمسهل للعسير، أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد، أعلمكم كلمات تقولون بها تخفف عنكم، قالوا وما هي يا ربنا؟ قال تقولون بسم الله

الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله الطيبين، فقالوها فحملوه وخف على كواهلهم كشعرة نابتة على كاهل رجل جلد قوي، فقال الله لسائر تلك الأملاك خلوا على هؤلاء الثمانية عرشي ليحملوه وطوفوا أنتم حوله وسبحوني ومجدوني وقدسوني فإني أنا الله القادر على ما رأيتم وعلى كل شيء قدير.

وروي عن الصادق عليه السلام أن حملة هذا العرش أربعة، أحدهم على صورة ولد آدم يسترزق الله لولد بني آدم.

والثاني: على صورة الديك يسترزق الله للطير.

والثالث: على صورة الأسد يسترزق الله للسباع.

والرابع: على صورة الثور يسترزق الله للبهائم، ونكس الثور رأسه منذ عبد بنو إسرائيل العجل، فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية، ولا تنافي بينهما لجواز أنهم كانوا ثمانية في ابتداء خلق العرش، ثم صاروا أربعة، وسيعودون في القيامة إلى ذلك العدد السابق، والعرش بهذا المعنى لا تكاد العقول تحوم حول عظمته، كيف لا وقد روي عن سيد الساجدين عليه السلام أنه قال: إن لله ملكاً يقال له خرقائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام، فخطر له خاطر هل فوق العرش شيء، فزاده الله تعالى مثله أجنحة أخرى فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح (إلى الجناح)[1] خمسمائة عام، ثم أوحى الله إليه أيها الملك طر، فطار مقدار عشرين ألف عام لم ينل رأس قائمة من قوائم العرش، ثم ضاعف له في الجناح والقوة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف عام، لم ينل أيضاً، فأوحى الله إليه أيها الملك لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوتك لم تبلغ إلى ساق العرش، فقال الملك سبحان ربي الأعلى.

وثانيها: علمه تعالى فإنه محيط بكل شيء أحاطه ذلك الجسم، روي عن الصادق عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿**وسع كرسيه السموات والأرض وما بينهما**﴾ في الكرسي، والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحد قدره، وهذا العرش يحمله أربعة من الأولين وأربعة من الآخرين محمد وعلي والحسنان ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وإلا فهم عن حمل هذا الجسم العظيم بمكان من الشغل.

---

(١) غير موجودة في الأصل، ولكن يقتضيها سياق الكلام.

وثالثها: الملك كما روي عن ابن سدير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي، فقال: إن للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كل سبب وضع في القرآن صفة على حدة، فقوله: ﴿رب العرش العظيم﴾ يقول الملك العظيم.

ورابعها: علم الإمكان وهو ما سواه تعالى كما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾، قال على كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، لأن عرش السلطان يجلس عليه ويظهر عظمته عليه، ولا ريب أن كل ذرة من ذرات الوجود تنادي بلسان الحال بل بلسان المقال بعظمة خالقها وجبروته.

وخامسها: صفات الكمالية والجلالية كالرحيم والجبار.

وسادسها: قلوب المؤمنين فإنها مستقر عظمته ومعرفته كما روي أن قلب المؤمن عرش الرحمن، وفي الحديث القدسي لا تسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن، وله معان أُخر لا نطوّل الكتاب بذكرها، وقد رويت عن أستاذنا العلامة صاحب التفسير الموسوم بنور الثقلين أن العرش في الأخبار يطلق على سبعين معنى.

«ولا يَسْأَمُونَ مِنْ تَقْدِيسِكْ»

لما روي أن طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس، وحمل الأول على تنزيه الذات، والثاني على الصفات والأفعال، قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الملائكة: فهم سجود لا يركعون، وركوع لا ينتصبون، وصافون لا يتزايلون، ومسبحون لا يغشاهم نوم العيون، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النسيان، ومنهم أمناء على وحيه، والسنة إلى رسله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظة لعباده والسدنة لأبواب جنانه، ومنهم الثابتة في الأرضين السفلى أقدامهم، والمارقة من السماء العليا أعناقهم، والخارجة من الأقطار أركانهم، والمناسبة لقوائم العرش أكتافهم، ناكسة دونه أبصارهم، متلفعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم وبين من دونهم حجب العزة، وأستار القدرة. الحديث. وقال عليه السلام: إن لله تبارك وتعالى ملائكة لو أن ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته، ومنهم من لو كلفت الإنس والجن أن يصفوه ما وصفوه لبعد ما بين مفاصله وحسن تركيب صورته، وكيف (يوصف من ملائكته من سبعمائة عام)[1] ما بين منكبه وشحمة أذنيه، ومنهم من يسد الأفق بجناح من

(١) العبارة كذا في الأصل، وربما كان هناك نقصاً.

أجنحته دون عظم بدنه، ومنهم من السموات إلى حجراته، ومنهم من قدمه على غير قرار في جو الهواء الأسفل والأرضون إلى ركبتيه، ومنهم من لو أُلقى في نقرة إبهامه جميع المياه لوسعتها، ومنهم من [لو][1] أُلقيت السفن في دموع عينيه لجرت دهر الداهرين، فتبارك الله أحسن الخالقين.

«ولاَ يَسْتَحْسِرُونْ» أي لا يكلون.

«عَلَى الجِدّ»

بكسر الجيم وفتحها، فعلى الأول هو بمعنى الاجتهاد، وعلى الثاني هو بمعنى النصيب والشرف، والألف واللام عوض المضاف إليه، أي نصيبهم في الأمر الذي أمرتهم به، ولفظ التقصير يؤيد الأول.

«عَنِ الوَلَهْ»

أي التحير والخوف، وعدى بإلى المتضمنة معنى الاشتياق، والوله والتحير إنما يكونان لكمال المعرفة بحكم قوله ﷺ **اللهم زدني فيك تحيراً**.

«صَاحِبُ الصّورْ» وهو قرنه الذي ينفخ فيه.

«الشَّاخِصْ» أي الرافع بصره لانتظار أمرك، كما روي أنه جعل الصور في فمه من حين خلقه الله إلى يوم القيامة شاخصاً ببصره منتظراً الأمر.

«فيُنَبِّهُ بالنَّفْخَةِ صَرعَى رَهائِنِ القُبُورْ»

الصريع المطروح، وأرهن الميتَ القبر ضمَّنه إياه، وكل ما احتبس به شيء فهو رهينته، وإضافة الرهائن إلى القبور إما معنوية أو لفظية، وعلى الأول يكون بمعنى في أو اللام، أي أنهم رهائن في هذه الأمكنة بإزاء أعمالهم، فالأعمال بمنزلة المال المرهون عليه، وبعد وزن الأعمال إن رجحت حسناتهم فقد فكوا أبدانهم من الرهانة، وإن رجحت سيئاتهم فقد مضى الرهن بما فيه، كما قال تعالى: **﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾**، وعلى الثاني يكون معناه أنهم رهائن للقبور يعني أنه رهنهم، فهم في قيد رهانته حتى يخرجوا منها بفعل الأعمال، وإذا كانت الإضافة لفظية يكون الرهائن

---

(١) غير موجودة في الأصل، ولكن يقتضيها سياق الكلام.

بمعنى المرهونين، أي ينبه مرهوني القبور، فهو من قبيل قولهم الدار مرهونة زيد، ونصب رهائن إما على البدلية على الاحتمالين، أو على الوصفية على الاحتمال الثاني.

قال الفاضل الداماد: صرعى مضافة إلى رهائن المضافة إلى القبور، ولعله كان في نسخته جر رهائن كما في نسخة ابن أشناس البزاز، والنفخ مرتان بحكم القرآن، وكأنه عليه السلام قصد الجنس، وتفصيله ما رواه علي بن إبراهيم عن علي بن الحسين عليه السلام قال سئل عن النفختين كم بينهما، قال ما شاء الله، وفي خبر آخر أربعين سنة، فقيل له فأخبرني يا بن رسول الله كيف ينفخ فيه، فقال أما النفخة الأولى فإن الله جلا جلاله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه الصور، والصور رأس واحد وطرفان وبين طرفي كل رأس منهما ما بين السماء إلى الأرض، قال فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء، قال فيهبط إسرافيل عليه السلام بحضرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة فإذا رآه أهل الأرض قالوا قد أذن الله في موت أهل الأرض، قال فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى ذو روح إلا صعق ومات ثم ينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي السماء فلا يبقى في السماء ذو روح إلاّ صعق ومات إلاّ إسرافيل. قال فيقول الله تعالى لإسرافيل يا إسرافيل مت فيموت إسرافيل، فيمكثون في ذلك ما شاء الله تعالى ثم يأمر الله تعالى السموات فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله تعالى: ﴿**يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً**﴾، يعني تبسط وتبدل الأرض يعني بأرض لم يكتسب عليها الذنوب بارزة ليس عليها جبال ولا نبات كما دحاها أول مرة، ويعيد عرشه على الماء كما كان أول مرة، وفي خبر آخر تبدل بأرض خبزة نقية بيضاء يأكل منها أهل المحشر حتى يفرغوا من الحساب، وفي خبر آخر أيضاً أنها تبدل بأرض من فضة حارة أحر من الجمر، وفي رواية أخرى أنها تبدل بأرض من نار يمشون عليها، ويمكن الجمع بحمل كل حديث على قطعة من قطعات تلك الأراضي، أو يكون اختلافه منزّلاً على اختلاف الأشخاص، قال فعند ذلك ينادي الجبار جل جلاله بصوت له جهوري يسمع أقطار السموات والأرض: أين الجبارون وأين الملاك؟ فلا يجيبه مجيب، فعند ذلك يقول الجبار عز وجل مجيباً لنفسه[1]، لله الواحد

---

(١) لعله سقطت هنا جملة سهواً هي قوله تعالى: لمن الملك اليوم.

القهار وأنا قهرت الخلائق كلهم وأُميتهم، إني أنا الله لا إله إلاّ أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير وأنا خلقت خلقي وأميتهم بمشيئتي، وأنا أحييهم بقدرتي، قال فنفخ الجبار نفخة في الصور يخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السموات فلا يبقى في السموات أحد إلاّ يحيا وقام كما كان وتعود حملة العرش وتحضر الجنة والنار ويحشر الخلائق للحساب، قال فرأيت علي بن الحسين صلوات الله عليهما يبكي عند ذلك بكاء شديداً.

«ومِيكَائِيلُ ذُو الْجَاهِ عِنْدَكْ»

من الكيل لأنه يكيل مياه السحاب، كما روي أنه ما خرج ماء قط إلا بمكيال، إلا في زمن نوح عليه السلام فإنه عتى على خزانه فخرج مثل خرق الإبرة فأغرق الدنيا كلها، أو لأنه يكيل أرزاق الخلائق، وروي أنه قال جبرائيل أقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل.

«مِنْ طَاعَتِكْ» من هنا للابتداء، ويحتمل التبيين والتبعيض مثلها في قولك لزيد مكان رفيع من الدار.

«وجِبرِيلُ الأَمِينُ عَلَى وَحْيِكْ»

وكيفية تلقيه الوحي على ما ورد في بعض الأخبار أنه قال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وصف إسرافيل: إن هذا حاجب الرب وأقرب خلق الله منه، واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء فإذا [أمر[1]] تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه ثم ألقي إلينا نسعى به في السموات والأرض، وفي بعضها أنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لجبرئيل من أين تأخذ الوحي؟ قال آخذه من إسرافيل وقال من أين يأخذه إسرافيل؟ قال يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين، قال فمن أين يأخذه ذلك الملك؟ قال يقذف في قلبه قذفاً، وفي بعض الأسانيد هكذا، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللوح عن القلم عن الله تبارك وتعالى: إن ولاية علي بن أبي طالب حصن من حصوني من دخله أمن من عذابي، واختلاف هذه الأخبار منزل على تعدد مراتب الوحي.

«المَكِينْ» صاحب المكانة والمنزلة.

«مَلاَئِكَةُ الحُجُبْ»

بضم العين وسكونها معاً، والموافق اللغة هو الأول، والحجب هو ما رواه

(١) غير موجودة في الأصل، ولكن يقتضيها سياق النص.

الصدوق بإسناده عن وهب قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحجب، فقال: أول الحجب سبعة غلظة كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام، وطوله خمسمائة عام حجبة كل حاجب منها سبعون ألف ملك، قوة كل ملك منها قوة الثقلين، منها ظلمة، ومنها نور، ومنها نار، ومنها دخان، ومنها سحاب، ومنها برق، ومنها رعد، ومنها ضوء، ومنها رمل، ومنها جبل، ومنها عجاج، ومنها النهار، وهي حجب مختلفة، غلظة كل حجاب مسيرة سبعين ألف عام ثم سرادقات الجلال وهي ستون سرادقاً، في كل سرادق سبعون ألف ملك، بين كل سرادق وسرادق مسيرة خمسمائة عام ثم سرادق الفخر، ثم سرادق الكبرياء، ثم سرادق العظمة، ثم سرادق القدس، ثم سرادق الجبروت، ثم سرادق النور الأبيض ثم سرادق الوحدانية وهي مسيرة سبعين ألف عام، ثم الحجاب الأعلى، وانقضى كلامه وسكت عليه السلام ، ثم قال عمر لا بقيت ليوم لا أراك فيه يا أبا الحسن.

وقال الفاضل الداماد: الحجب إما المعني بهم موالينا الطاهرين صلوات الله وسلامه عليهم، وبالملائكة الملائكة الموكلين عليهم ولهم، وإما صفة للملائكة المضافة إليها أو على طريقة إضافة البيان، والأول أولى لما في الأحاديث عنهم عليهم السلام من أن الحجج صلوات الله عليهم يتجلون لمن يعرف هذا الأمر حين موته فيحجبون بينه وبين ما يسوؤه من هول الموقف، انتهى.

أقول إطلاق الحجب على الأئمة عليهم السلام وإن ورد في الأخبار كثيراً إما لما قال هذا العالم، أو لأنهم معبرون عنه تعالى ووسائط بيننا وبينه تعالى في تأدية الشرائع كما أن الحجاب واسطة بين الرائي والمرئي، إلا أن إرادته هنا بعيدة جداً كما لا يخفى، بل يجب الجزم بإرادة ما ذكرنا، وكذا فيما روي من قوله عليه السلام إن لله سبعين ألفَ حجاب من نور وظلمة لو كشف منها حجاب واحد لأحرقت سبحات جلاله ما في الكونين، وقد عرّج بعضهم على تأويله بالعلائق النفسانية التي كل واحد منها حجاب يمنع من الاطلاع على مشاهدة أسرار الملكوت.

«والرُّوحُ الّذِي هِو مِنْ أَمْرِكْ»

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً**﴾، وللمفسرين فيه آراء والصواب فيه ما رواه الصفار بسند صحيح

عن هشام بن سالم، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول (يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي)، قال خلق عظيم أعظم من جبرئيل وميكائيل لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يوفقهم ويسددهم وليس كلما طلب وجده.
وعن أمير المؤمنين عليه السلام إن له سبعين ألف وجه، ولكل وجه سبعون ألف لسان، لكل لسان سبعون ألف لغة، يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها يخلق الله تعالى بكل تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة، ولم يخلق الله خلقاً أعظم من الروح غير العرش، ولو شاء أن يبلع السموات السبع والأرضين السبع بلقمة واحدة لفعل.
وعن الصادق عليه السلام إن الملائكة تقف كلها في صف واحد يوم القيامة ويقف هو وحده في صف، وبالجملة هو خلق غير الملائكة، وحينئذٍ فيجوز أن يكون الوصفان لموصوف واحد، ويجوز أن يكون نوعاً تحته أفراد بعضها رؤساء على ملائكة الحجب وبعضها قائم بخدمة الأئمة عليهم السلام وتسديدهم.

«والَّذِينَ مِنْ دُونِهِمْ مِنْ سُكَّانِ سَمَوَاتِكْ»

أي دونهم في المكانة والمنزلة، أو المكان، أو الأعم منهما، وسئل أبو عبد الله عليه السلام عن الملائكة أهم أكثر أم بنو آدم؟ فقال والذي نفسي بيده لملائكة الله في السموات أكثر من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضع قدم إلا وفيها ملك يسبحه ويقدسه، ولا في الأرض شجر ولا مدر إلا وفيها ملك موكل فيها يأتي الله كل يوم بعملها، وما منهم أحد إلاّ ويقر كل يوم بولايتنا أهل البيت ويستغفر لمحبينا ويلعن أعداءنا ويسأل الله أن ينزل عليهم العذاب.

«والَّذِينَ لاَ تَدْخُلُهُمْ سَآمَةٌ من دُؤُوبٍ وَلاَ إِعْيَاءٍ مِنْ لُغُوبٍ ولاَ فُتُورْ»

السآمة الملال، والدؤوب الجد والتعب، والإعياء الكلال، واللغوب التعب، وإثبات هذه الأوصاف لبعض الملائكة لا تنافي في ثبوته للبعض الآخر.

«ولاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْ تَسْبِيحِكَ الشَّهَوَاتْ»

لعدمها، وقال أستاذنا العلامة يمكن أن يكون لهم شهوات ودواعي ويجبرون أنفسهم على خلافها تحصيلاً للمثوبات العظمى.

«سَهْوُ الغَفَلاتْ» من إضافة المسبب إلى السبب.

«الخُشَّعُ الأَبْصَارْ» يقال خشع ببصره إلى الأرض إذا لم يرفع طرفه.

«النَّظَرُ إِلَيْكْ» إلى عرشك أو عظمتك.

«النَّوَاكِسْ»

جمع ناكس وهو المتطأطىء رأسه، روي في الصحيح عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مررنا ليلة المعراج بملائكة من ملائكة الله عز وجل خلقهم الله كيف شاء، ووضع وجوههم كيف شاء، ليس شيء من أطباق وجوههم إلاّ وهو يسبّح الله ويحمده من كل ناحية بأصوات مختلفة، أصواتهم مرتفعة بالتسبيح والبكاء من خشية الله، فسألت جبرئيل عنهم فقال كما ترى خلقوا، إن الملك منهم إلى جنب صاحبه ما كلّمه قط، ولا رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقهم، ولا خفضوها إلى ما تحتهم، خوفاً من الله وخشوعاً، فسلمت عليهم فردوا عليّ إيماء برؤوسهم لا ينظرون إليّ من الخشوع، فقال لهم جبرئيل هذا محمد نبي الرحمة أرسله الله إلى العباد رسولاً ونبياً وهو خاتم الأنبياء وسيدهم أفلا تكلمونه، قال فلما سمعوا ذلك من جبرئيل أقبلوا عليّ بالسلام وبشروني وأكرموني بالخير لي ولأمتي.

«المُسْتَهْتِرُونْ» المولعون.

«دُونَ عَظَمَتِكَ» أي عِندَ النظر إليها، أو قبل الوصول إليها.

«تَزْفِرُ» أي تصوت والزفير أول نهيق الحمار.

«سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبادَتِكْ»

صدوره منهم على سبيل التعجب، وهو إما تعجب من جهنم وأهوالها، وإما من ارتكاب أهل المعاصي للأعمال القبيحة الموجبة لذلك العذاب، ويجوز أن يكون هذا الكلام تنزيهاً له تعالى عن أن يكون قد عبده الملائكة العبادة اللائقة بذاته حتى تكون نجاتهم من النار بإزائها، وقيل هو تنزيه له تعالى عن أن يكون جائراً أو ظالماً في عذاب أولئك.

«وعَلَى الرُّوحَانِيِّينْ»

نسبة إلى الروح وهو نسيم الريح والألف والنون من زيادات النسب، سمي به

هذا النوع من الملائكة لأنهم أجسام لطيفة لا يدركها البصر، وهو لا ينافي التجسم والمادة، فإن الأدلة النقلية قد تعاضدت بنفي التجرد عن كل الملائكة، وقال كثير من الأفاضل تبعاً للمحقق الداماد المراد بالملائكة الروحانيين الجواهر المجردة العقلية والنفسية، ودون إثبات ما قال خرط القتاد فضلاً عن أن يكون مراداً هنا.

«وأَهْلُ الزُلْفَة»

أي القرب الكامل، وقد روي في مستفيض الأخبار أن الله سبحانه عرض ولاية الأئمة عليهم السلام في عالم الذر والأرواح على جميع المخلوقات فمن بادر إليها وعقد قلبه عليها من الأنبياء انتظم في سلك أولي العزم، بحكم قوله تعالى في باب آدم: ﴿**فنسي ولم نجد له عزماً**﴾ أي ترك ولايتهم ولم يعقد قلبه عليها عقداً جازماً، وكذا من بادر إليها من الملائكة صار من أهل الزلفى، ومن نوع الإنسان صار من أهل اليمين، ومن الشجر صار ذا ثمر حلو حسن، ومن قطعات الأرض صار قابلاً للزراعة، ومن البهائم كان من البهائم الممدوحة، ألا ترى إلى الأخبار الواردة في مذمة العصفور أنه كان يحب فلاناً وفلاناً، وقد سبق له تحقيق آخر.

«إِخْتَصَصْتَهُمْ لِنَفْسِكْ» بشغلهم بعبادتك ولم يكلفهم العروج والنزول وخدمة الخلائق.

«أَطْباقُ سَمَواتِكْ»

يدل كغيره من الأخبار على أن ما بين السموات فرج واسعة، فقول الرياضيين بالمماسة بين محدب كل واحد مع مقعر الآخر باطل، وتأويل الأخبار للانطباق على ذلك القول أشد بطلاناً.

«والَّذِينَ عَلَى أَرجَائِها إذا نَزَلَ الأَمْر»

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها**﴾، وحاصله أن الله تعالى إذا أذن بخراب الدنيا شق السماء فيتفرق عند ذلك سكانها من الملائكة على أطرافها بعدما كانوا في وسطها خوفاً، كالبيت المنهدم فإن ساكنيه يقومون في أطرافه ونواحيه خوفاً من الضرر، وقيل: إن الملائكة على جوانب السماء تنتظر فيما يؤمر به في أهل النار من السوق إليها، وفي أهل الجنة من التحية والتكرمة فيها.

«وخُزَّانُ المَطَرْ» الموكلون بتقدير آياته والخازنون لمائه.

«وزَوَاجِرُ السَّحَابْ»

وهم الملائكة التي تسوق السحاب، وبه فسر قوله تعالى: ﴿فالزاجرات زجراً﴾.

والذِي بِصَوتِ نَصْرِهِ يُسْمَعُ زَجَلُ الرُّعُودْ»

يجوز أن يكون هذا عين سابقه، وتعدد الزواجر بتعدد السحب، ويجوز أن يكون أخص منه، وحاصل المعنى أن بسبب زجره يسمع صوت الرعد مع أن الصوت إنما هو له لا للرعود، وروى الصدوق عن أبي بصير، قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرعد أي شيء يقول؟ قال إنه بمنزلة الرجل يكون في الإبل يزجرها فيقول هاى هاى كهيئة ذاك، وقال عليه السلام الرعد صوت ملك أكبر من الذباب وأصغر من الزنبور فينبغي لمن سمع صوت الرعد أن يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، وبعض المفسرين على أن ذلك الصوت هو صوت اصطكاك أجرام السحاب خوفاً من ذلك الملك الزاجر، وقد عرفت الصواب من أنه صوت ذلك الملك لزجرها، وإن كان الوهم يتبادر من هذه العبارة إلى بعض أقوال المفسرين.

«وإذَا سَبَحَتْ بهِ حَفيفَةُ الرِّياحِ التَمَعَتْ صَوَاعِقُ البُرُوقْ»

بتخفيف سبحت، وحفيفة بحاء مهملة وفائين، مأخوذ من السباحة في الماء وهو الجري فيه، والحفيفة السحابة ذات الصوت، من الحف وهو الركض والصوت، وحاصله وصف ذلك الملك بأنه كلما جرت بسبب زجره السحاب ذوو الأصوات ظهرت صواعق من البروق، وفي س تشديد سبحت وخفيفة بخاء معجمة وفاء وقاف، من التسبيح والخفقان وهو الاضطراب والتصويت، وظاهره أن تلك السحب تسبح الله تعالى عند زجر الملك لها خوفاً من جبروته الذي منه انقياد تلك الأجرام العظيمة السحابية لذلك الملك الصغير، وإضافة الصواعق إلى البروق من باب إضافة المسبب إلى السبب، لما روي من أن البرق هو سوط ذلك الملك والصاعقة نار تتكون بسبب ذلك الضرب، وقيل من باب إضافة الموصوف إلى الصفة أو بالعكس، وقيل هي مثلها في لجين الماء، وهي جسم كثيف إذا وقع على الأرض شقها، ولا يسكن إلا إذا وصل إلى الماء، ومن خواصه أنه إذا نزل على ذهب أو فضة في معدن أذابه، وإذا جعل ذلك

الذهب في كيس أو نحوه فلا يغير جوهره ولا يذيبه، ومحققو الحكماء على أن الصاعقة تحصل من احتراق أجرام كثيفة أرضية دخانية تكون بين السحاب كما أن البرق عندهم احتراق أجزاء لطيفة دخانية متولدة في السحاب، واستدل عليه ابن سينا في شفائه بأنها إذا خرجت من الأرض فهي تارة تشبه الحجر وتارة تشبه الحديد وتارة تشبه النحاس ونحو ذلك، وزعم أن السيوف التي تمدحها الشعراء متخذة من حديد الصواعق، وذهب في إشاراته إلى أن جوهر النار إذا برد وجمد حصلت الصاعقة مع قطر المطر. قال الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يضعها الموضع الذي قدرت له، وذهب أفلاطون ومتابعوه إلى أن لكل قطرة من المطر والثلج وكل حبة من حب الغمام وكل شجرة وكل نبت وكل حيوان عقلاً مربياً له في العالم العلوي يحصل منه نماه ونشوؤه، وتفاضلها في هذا العالم لوناً وطعماً ورائحة إنما هو باعتبار تفاوت مراتب تلك العقول المربية، وبالغ متابعوه في تحقيق هذا المعنى حتى أنهم ذهبوا إلى أن لكل ريشة من الطاووس عقلاً يستند إليه اختلاف ألوان الريش، وقد رام بعض أفاضل العصر الجمع بين الأخبار وهذا القول فحمل الملائكة المشيعين على هذه العقول، وهو عن دين الإسلام بمراحل.

والقُوَّامُ علَى خَزَائِنِ الرِّياحْ»

بهمز خزائن، وياؤها بالحمرة، وهو الموافق لقواعد علم الاشتقاق فإن الواو والياء الواقعتين بعد ألف باب مساجد لا يقلبان همزة إلاّ إذا كان قبل الألف واو أو ياء كما في أوائل وجنائز، فقلبها همزة على خلاف القياس مثلها في مصائب، وإن صح القلب هنا عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ فهو من أقوم الحجج على جوازه، وهذه الفقرة وما قبلها إشارة إلى ما روي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال ما نزل قطر قط إلا بمكيال إلا في زمن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه عتا على خزانه فخرج مثل خرق الإبرة فغرق قوم نوح، وما خرجت ريح قط إلا بمكيال إلا في زمن عاد فإنها عتت على خزانها فخرجت مثل خرق الإبرة فأهلكت قوم عاد، وتعبيره عَلَيْهِ السَّلَامُ بلفظ الجمع لأنه خير ومنة علينا ويستحق القائمين به منا الصلاة، قال صاحب الغريبين لم يأت لفظ الريح إلاّ بالشر، والرياح إلا في الخير، وقال الله تعالى: ﴿**وعاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم**﴾.

«**لَواعِجُ الأمْطَارْ**» أي المطر الشديد.

«**وَعَوالِجُهَا**» أي المتلاطم منها.

«**وَرُسُلُكْ**» في بعض النسخ بسكون السين وهو تخفيف الجمع لا أنه جمع على حياله لعدم وروده.

«**والسَّفَرَةُ الكِرَامُ البرَرَة**»

هم الملائكة يسفرون بين الله تعالى وبين أنبيائه بتبليغ الأحكام والأخبار، وصاحب القاموس وتبعه بعضهم على أن المراد بهم الملائكة الذين يحصون الأعمال.

«**والحَفَظَةُ الكِرَامُ الكَاتِبِينْ**»

أي حافظ الأعمال أو الأبدان عن التردي في الآبار والمهالك، فإذا جاء حكم الله خلوا بينه وبينه، بل روي أن على كل شجرة مثمرة [حفظة][1] يحفظونها من الحيوانات الآكلة لثمرها، ولذا ورد أن لها إنساً وقت الثمرة لمكان الملائكة، وبعض الأعلام جعل الحفظة والسفرة طائفة واحدة، وبعضهم فرق بينهما بحمل الحفظة على كتبة الألواح بعد أن نقلوها من صحائف السفرة، وبعضهم أطال في الفرق والكل لا يخلو من التعسف.

«**ومَلِكُ المَوْتِ وَأَعْوانُه**»

في قبض الأرواح إلا أنهم يعرضونها عليه بعد القبض، وهو أيضاً يقبض الأرواح، وعن الحديث أن إبراهيم عليه السلام لقي ملكاً فقال له من أنت؟ قال أنا ملك الموت، فقال أتستطيع أن تريني الصورة التي تقبض بها روح المؤمن، قال نعم اعرض عني، فأعرض عنه، فإذا هو شاب حسن الصورة، حسن الثياب، حسن الشمائل، طيب الرائحة، فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن إلا حسن صورتك لكان حسبه، ثم قال له هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر، فقال لا تطيق، فقال بلى، قال اعرض عني، فأعرض عنه ثم التفت إليه، فإذا رجل أسود قائم الشعر منتن الرائحة أسود الثياب يخرج من مناخره النيران والدخان، فغشي على إبراهيم ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى حالته الأولى، فقال يا ملك الموت لو لم يلق الكافر إلا صورتك هذه لكفى.

---

(١) غير موجودة في الأصل، ولكن يقتضيها سياق النص.

«وَمُنْكَرٌ ونكِيرْ»

قيل هما نوعان وقيل هما شخصان يجيئان إلى المؤمن بصورة مبشر وبشير، وإلى الكافر بصورة منكر ونكير، وقيل إن منكراً ونكيراً يأتيان إلى الميت ليسألاه عن أصول دينه فإن عرفها شَخَصا عنه وجاء إليه مبشر وبشير يبشرانه بما أعد الله له من الثواب العظيم، وهذا أقرب لوجوده معطوفاً في أكثر النسخ.

«وَرُومَانُ فَتَّانُ القُبُورْ»

روي عن عبد الله بن سلام أنه قال سألت رسول الله ﷺ عن أول ملك يدخل في القبر على الميت قبل منكر ونكير، فقال رسول الله ﷺ ملك يتلألأ وجهه كالشمس اسمه رومان يدخل على الميت، ثم يقول له اكتب ما عملت من حسنة ومن سيئة، فيقول له بأي شيء أكتب أين قلمي ودواتي ومدادي فيقول له ريقك مدادك وقلمك أصبعك، فيقول على أي شيء أكتب وليس معي صحيفة، قال صحيفتك كفنك فاكتبه، فيكتب ما عمله في الدنيا خيراً، فإذا بلغ سيئاته يستحيي منه فيقول له الملك يا خاطىء ما تستحي من خالقك حين عملتها في دار الدنيا وتستحي الآن، فيرفع الملك العمود ليضربه، فيقول العبد ارفع عني حتى أكتبها، فيكتب فيها جميع حسناته وسيئاته، ثم يأمره أن يطوي ويختم، فيقول بأي شيء أختمه وليس معي خاتم، فيقول اختمه بظفرك وعلقه في عنقك إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً**﴾ وقد روي أيضاً أنه يأتي الى القبر فيشم الميت فإن عرف حسن الاعتقاد منه أخبر منكراً ونكيراً حتى يرفقا به وقت السؤال، وإن علم منه ضدها أخبرهما أيضاً فيسلطان عليه الحيات والعقارب تنهشه إلى يوم القيامة، ولا منافاة بين هاتين الروايتين لجواز صدور الامتحان، وهذا الشم منه، وحينئذٍ ففتان مشتق من الفتنة بمعنى الامتحان، ونصبه على المدح، وقيل هو مشتق من الفتّ بمعنى الكسر لأنه يهدم القبر ويكسره، وحينئذٍ فالنصب على أنه غير منصرف، وبناء نسخة الأصل وهو الكسر على الاحتمال الأول لا غير.

«والطَّائِفِينَ بِالبَيْتِ المَعْمُورْ»

وهو بيت في السماء الرابعة بجبال الكعبة تعمره الملائكة بالطواف مثل الكعبة، وهو المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفي حديث صحيح عن الصادق عليه السلام أنه

في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً، وعن النبي (ص) أنه في السماء الدنيا، وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخل فيه جبرئيل كل يوم طلعت فيه الشمس وإذا خرج انتفض انتفاضة جرت منه سبعون ألف قطرة فيخلق الله من كل قطرة ملكاً يؤمرون أن يؤموا البيت المعمور فيصلون فيه أبداً، وهو أول مسجد وضع للعبادة في الأرض فلما خلقت الكعبة شرفها الله تعالى رفع إلى حيالها.

«والخَزَنَة»

أي خزنة النار وخدامها وملكهم مالك، كما أن رضوان ملك سدنة الجنان.

«والَّذِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ»

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار**﴾، أي الذين صبروا على القيام بما أوجبه الله عليهم وعلى بلاء الله من الأمراض والعقوبات وغير ذلك لطلب ثواب الله تعالى وأقاموا الصلاة، أدوها بحدودها، ويدرؤون بالحسنة السيئة أي يدفعون بفعل الطاعة المعصية، وقيل معناه يدفعون إساءة من أساء إليهم بالإحسان والعفو، أولئك يعني هؤلاء الذين هذه صفاتهم لهم عقبى الدار أي ثواب الجنة، ثم وصف الدار جنات عدن (أنها)[1] بساتين إقامة تدوم ولا تفنى، وقيل هي الدرجة العليا وسكانها الشهداء والصديقون، وقيل هي مدينة الجنة فيها الأنبياء والأئمة والشهداء، وقيل قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل، وهو المروي عن الأئمة عليهم السلام. ثم بيَّن سبحانه ما يتكامل به سرورهم من اجتماع قومهم معهم فقال يدخلونها ومن صلح من آبائهم، انتهى. يعني من آمن معهم وصدق بما صدقوا به، وذلك أن الله سبحانه جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله من إلحاقهم به في الجنة كرامة له، كما قال: ألحقنا بهم ذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب، قيل من كل باب من أبواب الجنة الثمانية، وقيل من كل باب من أبواب البر كالصلاة والصوم،

---

(١) في الأصل، أنّ.

وتفصيل هذا المقام ما روي عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال سأل علي عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن تفسير قوله تعالى: ﴿**لكن الذين اتّقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف**﴾، بماذا بنيت هذه الغرف يا رسول الله؟ فقال يا علي تلك غرف بناها الله لأوليائه بالدر والياقوت والزبرجد سقوفها الذهب محبوكة بالفضة، لكل غرفة منها ألف باب من ذهب على كل باب منها ملك موكل به، وفيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض من الحرير والديباج بألوان مختلفة، وحشوها المسك والعنبر والكافور، وذلك قول الله تعالى: ﴿**فرش مرفوعة**﴾ فإذا دخل المؤمن إلى منازله في الجنة وضع على رأسه تاج الملك والكرامة وألبس حلل الذهب والفضة والياقوت والدر منظوماً في الإكليل تحت التاج وأُلبس سبعين حلة حرير بألوان مختلفة منسوجة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت الأحمر، وذلك قوله: ﴿**يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير**﴾ فإذا جلس المؤمن على سريره اهتز سريره فرحاً، فإذا استقرت بولي الله منازله في الجنة استأذن عليه الملاك الموكل بجناته ليهنيه بكرامة الله إياه، فيقول له خدام المؤمن ووصفاؤه مكانك فإن ولي الله قد اتكى على أريكته وزوجته الحوراء العيناء قد ذهبت إليه فاصبر لولي الله حتى يفرغ من شغله، قال فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمتها تمشي مقبلة وحولها وصفاؤها، وعليها سبعون حلة منسوجة بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد قد صبغن بمسك وعنبر وعلى رأسها تاج الكرامة وفي رجلها نعلان من ذهب مكللان بالياقوت واللؤلؤ شراكهما ياقوت أحمر فإذا دنت من ولي الله وهمَّ يقوم إليها شوقاً تقول يا ولي الله ليس هذا يوم تعب ولا نصب ولا تقم أنا لك وأنت لي فيعتنقان قدر خمسمائة عام من أعوام الدنيا لا تمله ولا يملها، قال فينظر إلى عنقها فإذا عليه قلادة من قصب ياقوت أحمر وسطها لوح مكتوب أنت يا ولي الله حبيبي وأنا الحوراء حبيبتك، إليك تتأهب نفسي وإليّ تتأهب نفسك، ثم يبعث الله ألف ملك يهنونه بالجنة ويزوجونه الحوراء، قال فينتهون إلى أول باب من جناته فيقولون للملك الموكل بأبواب الجنان استأذن لنا على ولي الله فإن الله بعثنا مهنين له، فيقول الملك حتى أقول للحاجب فيعلم مكانكم قال فيدخل الملك الى الحاجب وبينه وبين الحاجب ثلاث جنان حتى ينتهي إلى أول باب فيقول للحاجب إن على باب العرصة ألف ملك أرسلهم رب العالمين جاؤوا يهنون ولي الله وقد سألوا أن يستأذن لهم عليه، فيقول الحاجب إنه ليعظم عليّ أن أستأذن لأحد على ولي الله وهو مع زوجته، قال وبين الحاجب وبين

ولي الله جنتان، فيدخل الحاجب على القيم فيقول له إن على باب العرصة ألف ملك أرسلهم رب العالمين يهنون ولي الله فأعلموه مكانهم، قال فيعلمون الخدام مكانهم، قال فيؤذن لهم فيدخلون على ولي الله وهو في الغرفة ولها ألف باب وعلى كل باب من أبوابها ملك موكل به، فإذا أذن للملائكة بالدخول على ولي الله فتح كلٌ بابه الذي وكل به فيدخل كل ملك من باب من أبواب الغرفة فيبلغونه رسالة الجبار، وذلك قول الله: **﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾** يعني من أبواب الغرفة **﴿سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾** وذلك قوله **﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾**، يعني بذلك ولي الله وما هم فيه من الكرامة والنعيم والملك العظيم، وإن الملائكة من رسل الجبار ليستأذنون عليهم فلا يدخلون عليه إلا بإذن فذلك الملك العظيم.

بقي الكلام في الصبر وتحقيقه وبيان حده وفضله وتعداد أسمائه والأوقات التي يحتاج فيها إليه ونبذة من توابعه، أما ما ورد في فضله من الآيات والأخبار فأكثر من أن تحصى ولو لم يكن سوى قوله تعالى: **﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾** لكفى في الثناء عليهم، مع قوله ﷺ الصبر نصف الإيمان، وهو مقام من مقامات الدين، ومنزل من منازل السالكين، وهو من خواص الإنسان، ولا يتصور في البهائم والملائكة، أما في البهائم فلأنها قد سلطت عليها الشهوات فلا باعث لها على حركاتها وسكناتها إلاّ الشهوة، وليس فيها ما يصادم الشهوة حتى يسمى ذلك صبراً، وأما الملائكة فعلى العكس، أما الإنسان فقد كان في ابتداء الصبا ناقصاً مثل البهيمة ليس فيه إلاّ شهوة الغذاء ثم ركب فيه شهوة اللعب والزينة، ثم شهوة النكاح ثم منّ الله عليه بنور العلم والهداية ورزانة العقل حتى يقابل جنود الجهل، فالجنودان متقابلان دائماً في البراز، وميدان حربهما القلب، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة، فتارة يغلب [هذا] وتارة أخرى [يغلب][1] ذاك فيكونان في العراك حتى تأتي القيامة الصغرى وهي الموت كما قال ﷺ من مات فقد قامت قيامته، وفي هذه القيامة يكون العبد وحده كما قال سبحانه: **﴿ولقد جئتمونا فرادى﴾** أي كما خلقناه أول مرة، وأما القيامة الكبرى فهي لا تغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، ويجري في الصغرى بالخصوص ما يجري في الكبرى بالعموم فإن بدن

---

(١) العبارة في الأصل هكذا: فتارة يغلب أخرى وتارة ذاك، وما ذكرناه هو الأصح.

الإنسان أرضه وعظامه جبال تلك الأرض ورأسك سماء أرضك وقلبك شمس أرضك وسمعك وسائر حواسك نجومها، ومفيض العرق من أرضك بحر أرضك وشعورك نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهكذا جميع أجزائك، فإذا انهدمت بالموت أركان بدنك فقد زلزلت الأرض زلزالها وإذا انفصلت العظام من اللحوم فقد حملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فإذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفاً فإذا أظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويراً وإذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدرت النجوم انكداراً فإذا انشق دماغك فقد انشقت السماء انشقاقاً فإذا انفجر من هول الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيراً وإذا التفت إحدى ساقيك بالأخرى وهما مطيتاك فقد حملت الأرض وهدت حتى ألقت ما فيها وتخلت، وهذا تمثيل لِأحوال هذه القيامة بتلك القيامة لأن معنى هذه الآيات هو هذا المذكور، وأما كون الصبر نصف الإيمان فلأن الإيمان عن العقائد والأعمال، والعمل لا يحصل إلاّ بتوطين النفس على الطاعات وعلى ترك المنهيات، وهذا هو الصبر، وأما تعداد أسمائه فهو إن كان صبراً عن شهوة البطن والفرج سمي عفة، وإن كان على احتمال مكروه سمي صبراً، ويضاده حالة الجزع، وإن كان في احتمال الغنى، سمي ضبط النفس، ويضاده حالة تسمى البطر، وإن كان في حرب ومقاتلة سمي شجاعة، ويضاده الجبن، وإن كان في كظم الغيظ سمي حلماً، وإن كان في نائبة سمي سعة الصدر، وإن كان في إخفاء كلام سمي كتمان السر، وصاحبه كتوماً، وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً، ويضاده الحرص، وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة، ويضاده الشره، فأكثر أخلاق الإيمان داخلة في الصبر، ولذلك لما سأل ﷺ عن الإيمان قال: هو الصبر، كما قال: الحج عرفة، وقد جمع الله أقسام ذلك وسمى الكل صبراً فقال تعالى: ﴿**والصابرين في البأساء** أي المصيبة **(والضراء)** أي الفقر **(وحين البأس)** أي المحاربة **أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون**﴾، وبعضهم ظن أن هؤلاء أحوال متخالفة في ذواتها وحقائقها، وأما الأحوال التي يحتاج فيها إلى الصبر فمنها الطاعات، والصبر عليها شديد لأن النفس تنفر عن العبودية وتشتهي الربوبية، ولذلك قال بعض أهل التحقيق ما من نفس إلا وهي مضمرة ما أظهر فرعون من قوله (أنا ربكم الأعلى) ولكن فرعون وجد له مجالاً وقولاً فأظهر إذ استخف قومه فأطاعوه، وما من واحد إلا وهو يدعي ذلك مع خادمه وعبده وأتباعه وكل من هو تحت قهره وإطاعته،

وإن كان ممتنعاً من إظهاره فإن غيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر إلا من إضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء، فإن العبودية شاقة على النفس، ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة، ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة، ومنها ما يكره بجميعها كالحج والجهاد، فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد.

الحالة الثانية: حالة العمل كيلا يغفل عن ذكر الله في حال عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه ويدوم على شروط الآداب إلى آخر العمل.

الحالة الثالثة: بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج[1] إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به للسمعة والرياء، كما قال سبحانه: ﴿**ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**﴾.

الحالة الرابعة: المعاصي والصبر عنها مشكل جداً، لألف النفس بها معاونة لشياطين الجن والإنس، وتوفر الدواعي الباطلة عليها.

الحالة الخامسة: الصبر على المصائب مثل موت الأعزة وهلاك الأموال وفساد الأعضاء، ولذا ورد أن الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة درجة، وصبر على محارم الله [فله][2] ستمائة درجة، وصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة، وفضل على المرتبتين لما فيه من الكلفة على النفس، وروي أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم قال الله عز وجل إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن انصب له ميزاناً أو انشر له ديواناً، فإن قلت الصبر على المصيبة ما معناه، قلنا أما البكاء وحزن القلب فهو غير مناف للصبر، فقد بكت الأنبياء والأئمة عليهم السلام على موتاهم، وناهيك بواقعة الطفوف، فلقد أحرقت الأكباد، وبعدت عن العين الرقاد، وبكى السجاد عليه السلام خمساً وعشرين سنة في ليله ونهاره، وكان يقول كلما ذكرت مصارع أولاد فاطمة خنقتني العبرة، أما منافي الصبر ومحبط الأجر فهو ما روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الأجر، ومن استرجع بعد المصيبة جدد الله له أجرها كيوم أصيب بها، وسأل رجل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما يحبط الأجر في المصيبة؟ فقال تصفيق الرجل بيمينه على شماله، ومنه شق الجيوب وخمش

---

(١) العبارة في الأصل: إذ لا يحتاج، وما وضعناه أصح.

(٢) غير موجودة في الأصل، ولكن يقتضيها سياق الكلام.

الوجوه والمبالغة في الشكوى، وإظهار الكابة، وتغير العادة في الملبس والمشرب والمفرش والمطعم، بل يبقى مستمراً على عادته معتقداً أن ذلك كانت وديعة فاسترجعت.

روى صاحب عيون المجالس عن معاوية بن قرة قال كان أبو طلحة يحب ابنه حباً شديداً، فمرض فخافت أم سليم على أبي طلحة الجزع حين قرب موت الولد، فبعثته إلى النبي ﷺ فلما خرج أبو طلحة من داره توفي الولد، فسجَّته أم سليم بثوب وعزلته في ناحية البيت ثم تقدمت إلى أهل بيتها فقالت لهم لا تخبروا أبا طلحة بشيء، ثم إنها صنعت طعاماً ثم مست شيئاً من الطيب، فجاء أبو طلحة من عند رسول الله ﷺ فقال لها ما فعل ابني؟ فقالت هدأت نفسه، ثم قال لها هل لنا ما نأكل، فقامت فقربت إليه الطعام ثم تعرضت له فوقع عليها، فلما اطمأن قالت له يا أبا طلحة أتغضب من وديعة كانت عندنا فرددناها إلى أهلها؟ فقال سبحان الله لا، فقالت كان ابنك عندنا وديعة فقبضه الله تعالى، فقال أبو طلحة فأنا أحق بالصبر منك، ثم قام من مكانه فاغتسل وصلى ركعتين ثم انطلق إلى النبي ﷺ فأخبره بصنيعتها فقال رسول الله ﷺ بارك الله لكما في وقيعتكما، فولدت غلاماً، فقال رسول الله ﷺ الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل صابرة بني إسرائيل، فقيل يا رسول الله ما كان من خبرها، فقال: كان في بني إسرائيل امرأة وكان لها زوج ولها منه غلامان، فأمرها بطعام ليدعو عليه الناس ففعلت واجتمع الناس في داره، وانطلق الغلامان يلعبان فوقعا في بئر كان في الدار، فكرهت أن تنغص على زوجها الضيافة فأدخلتهما البيت وسجّتهما بثوب فلما فرغوا دخل زوجها فقال أين ابناي؟ قالت هما في البيت، وأنها كانت تمسحت بشيء من الطيب وتعرضت للرجل حتى دخل عليها، ثم قال أين ابناي؟ قالت هما في البيت، فناداهما أبوهما فخرجا يسعيان، فقالت المرأة سبحان الله والله لقد كانا ميتين ولكن الله أحياهما ثواباً لصبري. وأسند أبو العباس بن مسروق عن الأوزاعي قال حدثني بعض الحكماء قال خرجت وأنا أريد الرباط حتى إذا كنت بعريش مصر، وإذا أنا بمظلة وفيها رجل قد ذهبت عيناه واسترسلت يداه ورجلاه وهو يقول لك الحمد سيدي ومولاي، اللهم إني أحمدك حمداً يوافي محامد خلقك كفضلك على سائر خلقك إذ فضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً، فقلت والله لأسألنه فدنوت منه وسلمت عليه فرد عليّ السلام، فقلت رحمك الله إني أسألك عن شيء تخبرني به أم لا فقال إن كان عندي منه علم أخبرتك به فقلت رحمك الله على أي فضيلة من فضائله تشكره فقال أوليس ترى ما صنع بي،

قلت بلى فقال والله لو أن الله تبارك وتعالى صب عليّ ناراً تحرقني وأمر الجبال فدمرتني وأمر البحار فغرقتني وأمر الأرض فخسفت بي ما ازددت له إلا شكراً، وإن لي إليك حاجة أفتقضيها لي؟ قلت نعم قل ما تشاء فقال: ابن لي كان يتعاهدني أوقات صلاتي ويطعمني عند إفطاري وقد فقدته منذ أمس فانظر هل تجده لي، قال فقلت في نفسي إن في قضاء حاجته لقربة إلى الله تعالى، وقمت وخرجت في طلبه حتى إذا صرت بين كثبان الرمال إذا أنا بسبع قد افترس الغلام يأكله، فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون كيف آتي هذا العبد الصالح بخبر ابنه، قال فأتيته فسلمت عليه فرد عليّ السلام فقلت رحمك الله إن سألتك عن شيء أتخبرني به، فقال إن كان عندي منه علم أخبرتك، فقال قلت أنت أكرم على الله تعالى وأقرب منزلة أو نبي الله تعالى أيوب صلوات الله وسلامه عليه، فقال بل أيوب أكرم على الله تعالى مني وأعظم عند الله تعالى منزلة مني، فقلت إنه ابتلاه الله تعالى فصبر حتى استوحش منه من كان يأنس به وكان غرضاً لمُرّار الطريق، إعلم أن إبنك الذي أخبرتني به وسألتني أطلبه لك افترسه الأسد فأعظم الله أجرك، فقال الحمد لله الذي لم يجعل في قلبي حسرة من الدنيا، ثم شهق شهقة وسقط على وجهه، فجلست ساعة ثم حركته فاذا هو ميت فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون كيف أعمل في أمره ومن يعينني على غسله وكفنه وحفر قبره ودفنه فبينا أنا كذلك إذا أنا بركب يريدون الرباط فأشرت إليهم فأقبلوا نحوي حتى وقفوا عليّ، فقالوا ما أنت وهذا فأخبرتهم بقصتي فعقلوا رواحلهم وأعانوني حتى غسلناه بماء البحر وكفناه بأثواب كانت معهم وتقدمت وصليت عليه مع الجماعة ودفناه في مظلته، وجلست عند قبره آنساً أقرأ القرآن إلى أن مضى من الليل ساعات فغفوت غفوة فرأيت صاحبي في أحسن صورة وأجمل زي في روضة خضراء عليه ثياب خضر قائماً يتلو القرآن، فقلت له ألست صاحبي؟ قال بلى قلت فما الذي صيرك إلى ما أرى فقال اعلم إني وردت مع الصابرين لله عز وجل لم ينالوها إلاّ بالصبر والشكر عند الرخاء وانتبهت.

بقي الكلام في دواء الصبر وما يستعان به عليه، إعلم أن الذي أنزل الداء هو الذي أنزل الدواء ووعد الشفاء وله علاجات مختلفة كاختلافه، فنقول إذا نازعته النفس الأمّارة إلى الزنى ولم يجد الصبر فليستعن على تحصيله بأمور: منها أن ينظر إلى مادة قوتها وهي الأغذية الطيبة المحركة للشهوة من حيث النوع والكثرة فيقطعها بالصوم الدائم مع الاقتصاد عند الإفطار في أكل الطعام، ومنها قطع المهيجات كالنظر فإنه

محرك القلب والشهوة وهذا يحصل بالاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهاة، قال ﷺ النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، يسدده الملعون ولا تُرس يمنع منه إلاّ تغميض الأجفان أو الهرب من صوب رميه، ومنها تسلية النفس بالمباح من الجنس الذي يشتهيه، وذلك بالنكاح، فإن كل ما يشتهيه الطبع ففيه ما يغني عن المحرمات، ولذا قال ﷺ عليكم بالباه فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإن الصوم له وجاء، فهذه ثلاث علاجات فالأول منها قطع العلف عن الدابة الجموح فتسقط قوتها، والثاني يضاهي تغييب الشعير عنها حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدته، والثالث يضاهي تسكينها بشيء قليل مما يميل إليه الطباع، حتى يبقى معه من القوة ما يصبر معه على التأديب، وإن أراد إضافة التقوية فهنا أمران:

أحدهما اطماعه في فوائد المجاهدة وثمراتها في الدين والدنيا، وذلك بأن يكثر فكره في حسن عواقب الصبر وفيما وعد الله الصابرين، وثانيهما أن يعوّد النفس مصارعة الشهوات والغلبة تدريجاً قليلاً قليلاً حتى يدرك لذة الظفر فتجري عليها، فإن الممارسة للأعمال الشاقة تؤكد القِوى، ولذلك تزيد قوة الحمالين والفلاحين.

فالفلاح الأول يضاهي أطماع المصارع في الخِلعة عند الغلبة كما وعد فرعون سحرته بقوله ﴿إنكم من المقربين﴾.

والثاني يضاهي تعويد الصبي الذي يراد منه المصارعة مباشرة أسباب ذلك في مبدأ الصبا حتى أنس به، وصاحب هذه المقامات يحتاج إلى فراغ بال حتى يتعرض لقوله ﷺ لله تعالى في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لها، وذلك لأن تلك النفحات لها أسباب سماوية، وقال سبحانه: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾، والأمور السماوية غائبة عنا فلا ندري متى ييسر الله تعالى أسباب الرزق فما علينا إلاّ تفريغ المحل والانتظار لنزول الرحمة، كالذي يصلح الأرض وينقيه من الحشيش وينبت البذور وكل ذلك لا ينفعه إلا بالمطر ولا يعلم متى يكون إلا أنه يثق بفضل الله أنه لا يخلو سنة عن مطر، فكذلك لا يخلو سنة وشهر ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات، فينبغي للعبد أن يطهر القلب من حشيش الشهوات، ويبذر فيه بذور الإخلاص ويتعرض لمهابّ رياح الرحمة، وكما يقوى انتظار الأمطار في أوقات الربيع وعند ظهور الغيم. فكذا يقوى انتظار النفحات في الأوقات الشريفة وعند اجتماع

الهمم وتساعد القلوب كما في يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام شهر رمضان، فإن الهمم والأنفاس أسباب بحكم تقدير الله عز وجل لاستبذار رحمته فإنها يستدر بها الأمطار في أوقات الاستسقاء، فهي لاستدرار لطائف المعارف من خزائن الملكوت أشد مناسبة منها لاستدرار قطرات الماء واستجرار الغيوم من أقطار الجبال والبحار، فلذا قال سبحانه: ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر**﴾، والمقصود من هذا فتح باب هذه المقامات، فلنقتصر على ما ذكرناه.

«والزَّبَانِيَة»

مأخوذ من الزبن وهو الدفع، وعنه ﷺ كأن أعينهم البرق وكأن أفواههم الصياصي يجرون أشعارهم، لأحدهم مثل قوة الثقلين، يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم، وهم تسعة عشر.

«خُذُوهُ فَغُلُّوهْ»

أي أوثقوه بالغل، وهو أن تشد إحدى يديه أو رجليه إلى عنقه.

«ثُمَّ الجَحِيمَ صَلُّوهْ»

أي ثم أدخلوه النار العظيم لأنه كان يتعظم على الناس، ثم يدخلوه في سلسلة لو أن حلقة منها وضعت على جبل لذاب من حرها.

«سِرَاعَاً» مصدر من غير لفظ الفعل.

«ولم يُنظِرُوهْ» أي لم يمهلوه.

«أوهَمَنا» أي تركنا.

«ولمْ نعلَمْ مكانَه مِنْك» أي موضعه ومرتبته.

«ومَنْ مِنْهُمْ عَلَى الخَلْق»

أي موكلين على الخلق لحفظ أبدانهم أو لحفظ أعمالهم، قال الفاضل الداماد لا يبعد أن يكون مراده صلوات الله عليه بمن منهم على الخلق الملائكة الذين هم من المجردات المحضة والمفارقات الصرفة، والمعنى أنهم في عالم الأمر يشرفون على عالم الخلق، فإن الملائكة حسب ما حقق عند علماء الشريعة القديمة ضروب متخالفة

وأنواع متباينة منها الجسمانيات ومنها المفارقات الصرفة ومنها المجردات المتعلقة بالجسمانيات، وقد ذكر عليه السلام المجردات المتعلقة بالجسمانيات من قبل بالتوكيل على الأمطار والجبال وغيرها أو بالسكون في الهواء والأرض فذكر هنا المفارقات المحضة، انتهى. ولا يخفى بعده، وأبعد منه ما قيل في حده ما يوجد في أكثر النسخ: و«من منهم في النجوم السفلى» بدل هذه الفقرة، من أن المراد بتلك النجوم ما يحدث في كرة النار من النيازك والشهب وذوات الأذناب بسبب تصاعد الأدخنة والأبخرة إلى كرة النار فتحترق ويحدث منها هذه الأشياء وتسمى في اصطلاحهم ثواني النجوم، فإن المفهوم من الأخبار الواردة في تفسير آيات الشهب أنها أعمدة من نار ونور ترمي الملائكة بها الشياطين المسترقين للسمع، والمقارنة بعيدة جداً، بل المراد بتلك النجوم ما تحت فلك الثوابت كزحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد، والظرفية إما حقيقة لأن كل كوكب كالقبة العظيمة، أو على حذف المضاف أي في تدبير النجوم وحركاتها.

«سَائِقٌ وَشَهِيدٌ»

من الملائكة يسوقها إلى الحساب، وشهيد من الملائكة يشهد عليها بما يعلم من حالها، وقيل السائق من الملائكة والشهيد الجوارح تشهد عليه، وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات، وقيل السائق له نفسه والشهيد عليه أعضاؤه، ويفهم من بعض الأخبار أن الله تعالى يأمر الملائكة بأن يضربوا سرادقات من نار وراء الناس لسوقهم إلى عرصات القيامة وأمامهم ظلمة يزدحمون فيها، وفي نسخة الشهيد بدل شهيد قائم وكأنه بمعناه.

«عَلَى كَرامَتِهِمْ»

على هنا للاستعلاء المعنوي نحو ﴿**فضلنا بعضهم على بعض**﴾، وقيل إنها بمعنى مع.

الصلاة على الآل

لم يوجد هذا الدعاء في النسخ المعتبرة، إلا أن الشيخ الفاضل الزاهد شيخنا الشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي ذكر أنه نقلها من نسخة بخط الشهيد (قده)، وذكر أيضاً أنه وجدها بخط الشيخ الكفعمي (ره)، وقد كانت نسخة الشهيد في خزانة سيدنا المحقق الداماد ولم يكن فيها هذا الدعاء، والظاهر أنه (ره) كتب نسختين.

«وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ»

وإنما فعل تعالى ذلك إجابة لدعوة الخليل حيث قال: ﴿**رب إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع** ـ إلى قوله ـ **واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم**﴾، قاله عند وضعه اسماعيل وأمه هاجر في الحرم، وقال الباقر عليه السلام نحن بقية تلك العترة، وكانت دعوة إبراهيم لنا خاصة فقلوب شيعتنا تهوي إلينا.

الصلاة على أتباعِ الرسل ومصدّقيهم

«وَأَتْبَاعُ الرُّسُلْ»

مبتدأ والخبر قوله فاذكرهم، وقيل هو محذوف وقد تقدم الكلام عليه، ويجوز أن يكون بالواو للعطف لما عرفت من أن الظاهر أنه عليه السلام كان يوالي بين هذه الأدعية في القراءة.

«ومُصَدِّقُوهُمْ بِالغَيْبْ»

يتعلق بالتصديق أو بأتباع، والغيب بمعنى الغائب وهو يحتمل معاني سبعة.

الأول: إن المراد بها جميع الأحكام فإنها غائبة عنا وقت الوحي.

الثاني: إن المراد بها الجنة والنار الغائبتين عن حواسنا.

الثالث: إن المراد ما غاب عنا علمه وهو المهم منهما ويدخل فيه الإخبار عن المهدي عليه السلام.

الرابع: إن المراد به القرآن لأن معانيه غائبة عن علمنا لا يعلمها إلا الله والراسخون في العلم.

الخامس: إن المراد به الرسول الغائب أي يصدقوه مع كونه غائباً عن أعينهم لتأخر زمانهم عن زمانه.

السادس: ما قيل أن المراد به ما أُدرك بالدلائل والآيات مما يلزم معرفته كوجود الصانع وإثبات صفاته.

السابع: إن المراد به القلب يعني أن تصديقهم ليس باللسان وحده.

«وَالإِشْتِيَاقْ»

معطوف إما على الأرض أو على معارضة أو على الغيب وعطفه على التكذيب كما قيل بعيد معنى، ويجوز عطفه على قوله وأتباع إما بتقدير المضاف وبقاء المضاف إليه على إعرابه أي أهل الاشتياق، وإما بجعل المصدر بمعنى اسم الفاعل.

«بِحَقَائِقِ الإِيمَانْ»

يتعلق إما بالمرسلين أي الذين أُرسلوا بتبليغ الحق الخالص وإما بالاشتياق يعني اشتياقهم بسبب حقائق إيمانهم وخالصها.

«فِي كُلِّ دَهْرْ» يحتمل تعلقه بأتباع ويحتمل تعلقه بالإشتياق.

«آدَمَ» سمي به لأنه خلق من أديم الأرض أي وجهها.

«أَئِمَّة» بالهمزة وبالياء وهو الأوفق بقولهم إذا اجتمع همزتان متحركتان قلبت الثانية ياء إن انكسرت أو انكسر ما قبلها.

«التُّقَى» بمعنى التقوى مأخوذ من الوقاية أبدلت واوه بتاء.

وأَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم خَاصَّةً»

أصحاب جمع صاحب بمعنى الصحابي وقيل إن فاعلاً لا يجمع على أفعال بل

هو إما جمع لصحب مسكن الحاء أو مكسورها مخفف صاحب، والصحابي على ما هو المشهور بين الجمهور كل مسلم رأى الرسول ﷺ، وقيل وطالت صحبته، وقيل روى عنه، وكان أهل الرواية عند وفاته ﷺ مائة وأربعة عشر ألفاً، وعندنا مع ما تقدم أن يموت على دين الإسلام، ونصب خاصة إما على الحالية من المبتدأ كما ذهب إليه ابن مالك، وإما على المصدرية، ومعناه على الأول طلب عدم النسيان على الأصحاب حال كونهم مخصوصين بالنسبة إلى سائر أصحاب الأنبياء عليهم السلام، وعلى الثاني طلبه لأصحاب الرسول ﷺ خصوصاً هؤلاء الجماعة منهم.

«أَبْلَوا البَلاَءَ الحَسَنْ»

الإحسان والإنعام، ويجوز أن يكون من باب التعريض أو الصيرورة مثل أتعب الجارية وأحصد الزرع، والبلاء الحسن الجهاد وقيل هو كل محنة يجب الصبر عليها.

«وكانَفُوهُ»

عاونوه «وأسرعوا إلى وفادته» يقال وفد فلان إلى فلان أي ورد رسولاً، وهي إما من باب إضافة المصدر إلى الفاعل أي أنهم أسرعوا إلى قبول رسالته التي أرسل بها، وإما من باب الإضافة إلى المفعول أي وفادتهم إليه والهجرة نحوه، وقيل الوفادة هنا بمعنى الوفد أي الرسول يعني أنهم أسرعوا إلى إجابة رسوله لما بعثه إليهم يدعوهم إلى نصرته والتصديق به.

«حُجَّةُ رِسَالاَتِهْ» المعجزات، وقيل القرآن.

«كَلِمَتِه»

وهي كلمة التوحيد نسبت إليه لأنه هو الذي تلفظ بها مع علي بن أبي طالب والأئمة عليهم السلام قبل الكائنات، كما قال ﷺ سبحنا وسبحت الملائكة، وهللنا وهللت الملائكة، وكبّرنا وكبرت الملائكة، وكانت لا تعرف تسبيحاً ولا تهليلاً ولا تكبيراً، وكان جبرئيل عليه السلام كثيراً ما يكرم أمير المؤمنين عليه السلام ويجلسه مجلسه ويقول هو معلمي لأن الله تعالى خلقني وسألني من أنت ومن أنا فلم أدر ما أقول فأتاني أمير المؤمنين في ذلك العالم وقال لي قل أنا الحقير جبرئيل وأنت الرب الجليل، فسأله النبي ﷺ عن عمره فقال إن في العرش كوكباً يظهر في كل ثلاثين ألف سنة وقد رأيته ظاهراً ثلاثين ألف مرة، ويجوز أن تكون النسبة باعتبار أنه أمر بها، ويجوز أن يراد

بالكلمة الدين مجازاً من باب إطلاق الجزء على الكل.

«وانْتَصَرُوا بِهْ»

أي به ﷺ أو بمقاتلة الآباء والأبناء منطوين على محبته، يقال فلان يطوي بطنه عن جاره أي يجيع نفسه ويؤثر جاره بطعامه، والمنطوي أيضاً المضمر لمحبته، وعلى بمعنى اللام على الأول أي أنهم يجوعون لأجل محبته لأن الإسلام كان يفقر صاحبه، ويجوز أن يكون الظرف حالاً أي كانوا جائعين حال كونهم مستقرين على محبته، والمعنى على الثاني أن محبته ﷺ قد أضمروها في قلوبهم وأشربوها عرق أبدانهم.

«لنْ تَبُورْ» لن تهلك ولن تكسد.

«فلاَ تَنْسَ لَهُمْ»

من النسيان بمعنى الترك، ومنه قوله تعالى: **﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾**، وإن جعل نقيض الذِّكر فالمعنى لا تعاملهم معاملة الناسين.

«وَفِيكْ» أي في رضاك من العشائر والأزواج.

«وبِمَا حَاشُوا»

لعله معطوف على مقدر أي بسبب تركهم وبما حاشوا أي ضحوا وجمعوا الخلق على نصرتك، وقيل معناه أنهم صاروا على حاشية من الناس واعتزلوهم لأجل محبتك وهو بعيد منه، وأبعد منه أنه من حاشى بمعنى استثنى أي أنهم استثنوا الخلق فكل من ألفوه وحبّوه إنما هو لأجلك، ويؤيد ما قلنا ما في دعاء العسكري عليه السلام من قوله ووفقنا للدعاء إليه وحياشة أهل الغفلة عليه.

«وَاشْكُرْهُمْ» إجزهم الجزاء الأكمل.

«وَمَنْ كَثَّرْتَ فِي إِعْزَازِ دِينِكَ مِنْ مَظْلُومِهِمْ»

من مشكلات الفقار وتحتمل وجوهاً من الأقوال: الأول: أن يكون العطف على أصحاب محمد وإن بَعُدَ لفظُه لاستقامة معناه. الثاني: عطفه على ضمير لهم من قوله فلا تنس لهم. الثالث: أن يكون معطوفاً على ضمير اشكرهم البارز. الرابع: العطف

على ضيِّقه، ويراد بالموصول هنا الأنصار كما يراد به المهاجرين على التقادير كلها لأنه من باب عطف الصفات بعضها على بعض. الخامس: أن يكون مبتدأ محذوف الخبر بقرينة ما تقدم، ومن «مظلومهم» متعلق بالتكثير على التقادير كلها، وذكر الفاضل الداماد على الثالث جواز أن تكون مِن بيانية تبين مَنْ والتقدير: من كثَّرتهم من مظلومي الدعاة إليك مع رسولك في إعزاز دينك، أن تكون ابتدائية متعلقة بالإعزاز، والضمير المجرور عائد إلى من كثرتهم في إعزاز دينك الناشيء من قبل مظلومهم، وذكر أنها أيضاً في الاحتمال الرابع تحتمل التبيين أي خروج الدعاة المظلومين المهاجرين إلى من كثرتهم لإعزاز الدين وهم الأنصار، والابتدائية على أن يكون المظلوم بمعنى البلد الذي لا رعي ولا مرعى فيه للدواب والأرض التي لم تعاهد للزرع قط أعني مكة شرفها الله تعالى، ولا يخفى ما في الذي تفرد به هذا الفاضل من التكلف. السادس: أن يكون معطوفاً على الذين هجرتهم العشائر وهو وجه حسن.

«التَّابِعِينْ»

وهم الذين لم يروه ﷺ ولكن رأوا أصحابه وأخذوا عنهم وقد نزلت هذه الآية في شأنهم.

«وَإِلَى يَومِ الدِّينْ»

وفائدة هذه الواو الإعلام بأن المطلوب من هذا الاستمرار هو الصلاة على التابعين في هذا اليوم، لا التابعين في كل هذا الزمان، فكأنه قال: وصلِّ على هؤلاء التابعين في هذا اليوم صلاة مستمرة إلى يوم الدين، فيوم الدين بتقدير «وصلِّ عليهم إلى يوم الدين»، وقيل الإتيان بالواو لإرادة التابعين الذين بقيت متابعتهم، أي ما ترتب لهم على المتابعة من الثواب إلى يوم الدين ولم يغيرهم مغير ولا مبدل.

«وَلإِخْوَانِنَا»

قيل: إن الأخ الحقيقي جمعه أخوة والأخ الإيماني جمعه اخوان والمشهور عدم الفرق.

«وَتَحَرَّوا وِجْهَتَهُمْ» أي قصدوا الناحية التي قصدها أولئك.

«شَاكِلَتُهُمْ» طريقتهم.

«لَمْ يُثْنِهِم» لم يعطفهم ولم يزعجهم.

«مَنارُهُمْ»

في الأصل هو علامات الطريق يعرف بها فراسخه، وربما وضع فوقها نار في الليل ليهتدي بها المارة إلى الطريق أو إلى صاحب المنزل للإكرام والضيافة، وهو هنا عبارة عن العالم الهادي في ظلم الجهالات إلى نور الطريق المستقيم، ولذا قالوا عليهم السلام نحن منار الطريق.

«مُكانِفِينْ» معاونين.

«ومُؤَازِرِينْ» متحملين لأوزارهم وأثقالهم، ومنه وزير الملك لتحمله وزره وثقله.

«بِهَدْيِهِم» بطريقتهم.

«يَتَّفِقُونَ عَلَيهِم»

من الاتفاق افتعال من وفق يوفق وأصله اوتفاق قلبت الواو تاء وادغمت ثم لما كثر استعماله زعموا أن التاء فيه أصلية فبنوا منه تفق يتفق كعلم يعلم، فتاؤه حينئذ زائدة ذهب إليه الكوفيون والبصريون والزمخشري على أنه مأخوذ من تفق يتفق ادغمت إحدى التائين في الأخرى فتاؤه حينئذ أصلية بمعنى الموافقة، وفي بعض النسخ يتفقون وكأنه مخفف ما في الأصل، وفي بعضها يتفقون من الاتفاق وأصله اوتفاق وهو موافق لنسخة يقفون.

«وإِلَى يَوْمِ الدِّينْ» في بعض النسخ أي وصلِّ عليهم إلى يوم الدين.

«وتُفسِحُ» أي توسع.

«طَوَارِقُ اللَّيْلِ والنَّهَارْ»

الوارد في إحداهما بشر جمع طارق وهو في الأصل من الطرق بمعنى القرع لأن الآتي ليلاً يقرع الباب فاستعير لكل نائلة.

«وتَرْكِ التُّهْمَةِ فِيمَا تَحْوِيهِ أَيْدِي العِبَادْ»

في بعض النسخ سكون هاء التهمة وكأنه مخفف الفتح، ولهذه الفقرة معان:

الأول: إنا لا نتهمك في الذي أعطيته عبادك، كأن نقول لو منحتنا مثلهم لكان خيراً لنا لأنه خلاف الحكمة، بحكم قوله تعالى في الحديث القدسي وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لفسد عليه دينه، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لفسد عليه دينه.

الثاني: ترك التهمة للعباد بأنهم لم يجوزوه لأنه من المذاهب المحظورة، أو أنهم لم يؤدوا الحقوق الواجبة منه.

الثالث: أن لا نضيف ما في أيدي العباد إليهم لأن النعمة لها رشحة من رشحات جوده وخير الأمور أوسطها، وفي بعض النسخ التهمة بمعنى الحرص.

«لِتَرُدَّهُمْ إِلَى الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ والرَّهْبَةِ مِنْكْ»

وهذا هو الخوف والرجاء المشار إليه في الآيات القرآنية والأخبار النبوية، وكان الصادق عليه السلام يقول في وصية لقمان لإبنه الأعاجيب، كان يقول يا بني خف الله خيفة لو جئته بعمل الثقلين لعذبك، وارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك، وقد شك في هذه المقدمة بعض الأعلام بما حاصله أن الكريم على الإطلاق، الرحيم على سائر العباد لا ينبغي أن يخاف منه، بل الخوف إنما هو من النفس الأمّارة، ويؤيده ما روي عن علي عليه السلام أنه كان يقول: إني لا أخاف من الكريم الرحيم، بل إنما أخاف من نفسي على نفسي، ولا يعجبني ما ذهب إليه هذا الفاضل فإن له تعالى جهتين جهة رحمة وجهة قهر يرجى في إحداهما ويخاف في الأخرى، كالوالد الغضوب، كما قال: **﴿نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وإن عذابي هو العذاب الأليم﴾**.

«وتُزَهِّدَهُمْ فِي سَعَةِ العَاجِلْ»

أي ترغبهم في ترك الدنيا وزينتها.

«لِلآجِلْ» وفي س الأجل أي العمل الذي ينفع في الآجل.

«مِنْ مَحْذُورَاتِها»

أي مضلاتها، وقال أمير المؤمنين عليه السلام في النهج: لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة، لأنه ليس أحد إلا وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن، فإن الله سبحانه يقول: **﴿واعلموا إنما أموالكم وأولادكم**

فتنة﴾، وكان رسول الله ﷺ يخطب على المنبر فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما على يديه ثم قال صدق الله حيث قال ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾، لقد قمت إليهما وما معي عقلي.

«وكَبَّةِ النَّارْ»

أي الكبة فيها فالإضافة بمعنى في، أو الكبة والصرعة عليها فالإضافة تلبسية، وقال في النهاية الكبة الشدة وحينئذٍ فكبة النار شدة لهبها، فهي إما من باب إضافة الصفة إلى الموصوف وإما من باب غلام زيد.

«مِنْ مَقيلِ المُتَّقِينْ»

بيان للأمن والمقيل اسم زمان أو مكان أو مصدر ميمي من القيلولة وهي النوم في الظهيرة.

دعاؤه عليه السلام لنفسه وأهل ولايته

بكسر الواو وفتحها، فالفتح على المصدرية، وبالكسر على المعنى الحاصل بالمصدر مثل الإمارة والنقابة والمراد بها القرب والمحبة والنصرة.

«يا مَنْ لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُ عَظَمَتِهْ»

أي لا يفرغ من خلق الأمور العجيبة كما زعمت اليهود من أنه تعالى قد قدّر الأمور وفرغ منها يوم السبت فيده مقبوضة عن الخلق، تعالى عما يقول الكافرون علواً كبيراً بل هو كل يوم في شأن، وقيل إن المراد أن التفكر في مصنوعاته العجيبة الصادرة عن كمال عظمته لا تنقضي، بل ولو فكر المفكرون في عجائب مصنوع واحد دهر الداهرين لم يفرغوا من الأفكار لما أودعه فيه من عجائب الصنع.

«عَنِ الإلْحَادِ فِي عَظَمَتِكْ»

الإلحاد ورد بمعنى الميل والعدول، وبمعنى المماراة والمجادلة، وبمعنى الإنكار للأمور البديهية، وكلها يناسب المقام لأن المعنى الأول: إمنعنا عن العدول في

عظمتك إما بأن نضيف ما يصدر منها لغيرك كعقل فعال الفلاسفة، أو نشركه معك أو نصفك بضدها، وعلى الثاني والثالث: يكون معناه إمنعنا عن المماراة والإنكار لعظمتك الظاهرة ظهور الشمس في رابعة النهار، إذا تحققت هذا فقول الفاضل الكاشي لا يجوز أن يراد بالإلحاد هنا الميل والعدول بل المماراة والمجادلة ليس على ما ينبغي، وربط التفريع ظاهر لأن عجائب مخلوقاتك إذا لم تتم فاحتجبنا عن أن نضيف شيئاً منها إلى غيرك.

«وَاعْتِقْ رِقَابَنَا»

لأن سلطانك لو كان له مدة معينة لصبرنا على نقمتك حتى تزول تلك المدة.

«دُونَ رُؤْيَتِهِ الأَبْصَارْ»

أي عندها أو قبل الوصول إليها أو عندما هو أدون منها، كما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ لن تستطيع النظر إلى الشمس ونورها جزء من سبعين ألف من نور العرش فكيف تستطيع النظر إلى خالقها، والإبصار جمع البصيرة أو البصر.

«وأَدْنِنا إِلَى قُرْبِكْ»

لأنا لا نقدر على رؤيتك حتى نقرب بسببها إليك كما يقرب بعضنا إلى بعض.

«عِنْدَ خطره الأخطار»

الخطر يجيء بمعنى القدر والمنزلة، وبمعنى الخوف والإشراف على الهلاك، وبمعنى السبق الذي تراهن عليه، وبمعنى العوض والمثل، وبمعنى الحظ والنصيب، والإضافة على الأول إما بمعنى اللام أو بمعنى من، وإن كان بمعنى السبق فهو عبارة عن الجنة، كما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ألا وإن اليوم المضمار والسباق غداً ألا وإن السبقة الجنة والغاية النار.

«وَكَرِّمْنا عَلَيْكْ»

أي امنحنا الكرامة والزلفى حال ورودنا عليك لأنه لو كان يحصل من غيرك المنزلة الرفيعة لطلبناها منه، وهذا ربما إرادة المعنى الأول للخطر.

«عَنْ هِبَةِ الوَهَّابِينْ» فضلاً عن هبة الواهبين.

«وَحْشَةِ القَاطِعِينْ»

أي الوحشة الحاصلة لنا بسبب قطع القاطعين لنا، وقيل المراد وحشتهم منا، وتجنبهم وبعدهم عنا، أي إكفناها بعطيتك حتى لا يستوحش أحد منا، أو حتى يكون أُنساً لنا بدل الأُنس بهم، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ «وحتى لا نرغب ولا نستوحش» لف ونشر مرتب لقوله اغننا واكفنا.

«ولاَ تَكِدْ عَلَينا»

أي لا تعاملنا معاملة أهل الكيد والمكر، وحاصله لا تكد لغيرنا حال كونك مستعلياً علينا، وقيل المراد لا تجازينا على كيدنا على غيرنا بل اعف عنه واصفح وهو كما ترى.

«وَامْكُرْ لَنَا»

المكر من الناس الاحتيال، ومنه تعالى المجازاة عليه، سمي به على طريق المشاكلة، أو المراد به الاستدراج فإنه شبيه بالمكر أيضاً.

«وأَدِلْ لَنَا ولاَ تُدِلْ مِنّاَ»

الدولة بالضم ما يتداول من المال يكون تارة لهذا وأخرى لذاك، وبالفتح الغلبة والنصرة، أي إصرف الدولة من عدونا إلينا لا منّا إليه، ويجوز أن يكون من باب الأفعال هنا للسلب كاشتكيت زيداً، ومعناه حينئذٍ سلب الدولة والغلبة من أعدائنا لنفعنا ولا تسلبها منا لهم.

«وَاحْفَظْنَا» كسر الفاء بالحمرة ولم يوافق القواعد.

«إِنَّ مَنْ تَقِهِ يَسْلَمْ»

وفي ش تقيه والاختلاف جزماً ورفعاً بناء على أن المبتدأ المتضمن معنى الشرط إذا تقدمت عليه إن المكسورة فهل يخرج عن مشابهة الشرط وتسلب عنه أحكامه كجزم شرطه وجزائه ودخول الفاء في خبره أم لا، سيبويه على الأول لفوت الصدارة وبناء ما في س عليه، والأخفش على الثاني وعليه نسخة الرفع، وقد عرجنا في مؤلفاتنا النحوية على هذا لوروده في أفصح الكلام.

«حَدّ نَوائِبِ الزَّمَانْ» أي حدتها وشدتها والنوائب المصائب.

«مَصَائِدِ الشَّيطانْ»

إما جمع مصيد مصدر ميمي، أو اسم مكان، وإما جمع مصيدة اسم للآلة، ومن أعظم مصائده العبادة، روى الكليني بإسناده إلى أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال كان عابد في بني إسرائيل لم يقارف من أمر الدنيا شيئاً، فنخر إبليس نخرة فاجتمع جنوده، فقال من لي بفلان بن فلان، فقال بعضهم أنا له، فقال من أين تأتيه؟ قال من ناحية النساء، قال لست له لم يجرب النساء، قال آخر فأنا له من ناحية الشراب واللذات، قال آخر فأنا له من ناحية البر، قال انطلق فأنت صاحبه، فانطلق إلى موضع الرجل فقام حذاه يصلي، قال وكان الرجل ينام والشيطان لا ينام، ويستريح والشيطان لا يستريح، فتحول إليه الرجل وقد تقاصرت إليه نفسه واستصغر عمله، فقال يا عبد الله بأي شيء قويت على هذه الصلاة فلم يجبه، ثم أعاد عليه، فقال يا عبد الله إني أذنبت ذنباً وأنا تائب منه فإذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة، قال فأخبرني عن ذنبك حتى أعمله وأتوب فإذا فعلته قويت على الصلاة، قال ادخل المدينة وسل عن فلانة البغية فاعطها درهمين ونل منها، قال ومن أين لي درهمان، ما أدري ما الدرهمين، فتناول الشيطان من تحت قدمه درهمين فناوله إياهما، فقام فدخل المدينة بجلابيبه فسأل عن منزل فلانة البغية فأرشده الناس وظنوا أنه جاء يعظها فأرشدوه، فجاء إليها فرمى إليها بالدرهمين وقال قومي، فقامت ودخلت منزلها وقالت ادخل، وقالت إنك جئتني في هيئة ليس يأتي مثلي في مثلها فأخبرني بخبرك، فأخبرها، فقالت له يا عبد الله إن ترك الذنب أهون من طلب التوبة، وليس كل من طلب التوبة وجدها، وإنما ينبغي أن يكون هذا شيطاناً مثّل(لك)[1] ذلك فانصرف فإنك لا ترى شيئاً، فانصرف وماتت في ليلتها فأصبحت فإذا على بابها مكتوب احضروا فلانة فإنها من أهل الجنة، فارتاب الناس فمكثوا ثلاثاً لا يدفنوها ارتياباً في أمرها، فأوحى الله عز وجل إلى نبي من الأنبياء لا أعلمه إلاّ موسى بن عمران أن إئت فلانة فصلِّ عليها ومر الناس أن يصلوا عليها، فإني قد غفرت لها وأوجبت لها الجنة بتثبيطها فلان عبدي عن معصيتي.

---

(١) غير موجودة في الأصل، ولكن وجدنا أنه يقتضيها سياق النص.

«المُكْتَفُونْ» أي المانعين جور الجائرين أن يصل إليهم.

«جِدَتِكْ»

(يجوز فيها أمران بالكسر لأنها مجرورة وبالضم على أنها مبتدأ) عطيتك مصدر وجد يجد أي استغنى أو أغنى لا جاد يجود.

«بِنُورِ وَجْهِكَ»

أي ذاتك أو الجهة الموصلة إلى القرب منك، وقال الصادق عليه السلام نحن وجه الله، ووجه التجوز ظاهر فإنا نواجه الله بهم.

«مَنْ وَالَيْتْ» أي أحببته أو توليت أمره ونصرته.

«خِذْلاَنْ» يقال خذله خذلاناً إذا ترك نصرته.

«لَمْ يُغْوِهْ» أي لم يجعله ضالاً، وفي س بفتح ياء المضارعة وهو غلط.

«بعِزَّتكَ» غلبتك.

«مِنْ عِبادِكْ»

القاصدين لنا بمكروه، أو عن الالتجاء إليهم في حوائجنا بأن تتولى قضاءها.

«بإرفَادِكْ» إعطائك.

«وَاسْلُكْ بِنَا طَرِيقَ الحَقِّ»

أي اسلكنا فيه، أو اسلك مصاحباً لنا في طريق الحق وهو أبلغ من سابقه.

«وَاجْعَلْ سَلاَمَةَ قُلُوبِنَا فِي ذِكْرِ عَظَمَتِكْ»

أي اجعل سلامة قلوبنا من الآفات حال كونها مشغولة بذكر عظمتك، فهو طلب التحلية بعد طلب التخلية، ويجوز أن يكون المعنى اجعل سلامة قلوبنا ودواءها في ذكر عظمتك، يعني أن يكون ذكر العظمة دواء لسلامة قلوبنا من الآلام.

«الخَاصِّينْ» شديدي الخصوصية.

دعاؤه عليه السلام عند الصباح والمساء

«خَلَقَ اللَّيلَ وَالنَّهارَ بِقُدرَتِه»

الخلق يجيء تارة بمعنى الإيجاد وأخرى بمعنى التقدير، كقوله تعالى: ﴿**الذي خلق الموت والحياة**﴾، والنهار لكونه أمراً وجودياً يصح إطلاق الخلق عليه بالمعنى الأول، وأما الليل فالمحققون على أن الخلق الواقع عليه يكون بالمعنى الثاني لأنه عبارة عن عدم الضوء، والإيجاد لا يتعلق بالمعدوم، وبعضهم على صحة إطلاقه عليه حيث أنه مسبب عن أمر وجودي أعني استتار الشمس، وقول الصادق عليه السلام إن الله تعالى ضاد بين النور والظلمة، مما يدل على أنه أمر وجودي، والتعبير عنه بمفهوم عدمي لا يدل على عدميته، فإن كل الأمور الوجودية يمكن التعبير عن كل واحد منها بمفهوم عدمي، وقوله بقدرته معناه بلا معاون ونصير، ويجوز أن يكون إشارة إلى عظمتهما فإن الأمور العظيمة الغريبة تنسب إليه غالباً، كقوله تعالى: ﴿**قل الروح من أمر ربي**﴾، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم طوبى شجرة في الجنة غرسها الرحمن بيده، ويجوز أن يكون إشارة إلى أنه من خلق الله تعالى لا من خلق الملائكة الخلّاقين الذين يأمرهم الله تعالى بالخلق والتصوير، كما عرفت، إذا تحققت هذا. فاعلم أنه قد روي عن الرضا عليه السلام أنه قال: سألني رجل بالمدينة فقال: النهار خلق أم الليل؟ وكان الفضل بن سهل والمأمون حاضرين، فقلت لهم فما عندكم؟ فقال الفضل للرضا عليه السلام أخبرنا بها، قال من القرآن أم من الحساب؟ قال له الفضل من جهة الحساب، فقال قد علمت يا فضل أن طالع الدنيا السرطان والكواكب في موضع شرفها فزحل في الميزان والمشتري في السرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط الدنيا فالنهار خلق قبل الليل، وفي قوله تعالى: ﴿**لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار**﴾ أي قد سبقه النهار، وحينئذٍ فتقديم الليل هنا يمكن أن يكون إشارة إلى الاصطلاح الشرعي في تحديدهما وهو من غروب الشمس إلى غروبها، والليل مقدم فيه على النهار، والعرف واللغة على

تحديدهما من طلوع الشمس إلى طلوعها، والمنجمون على أنهما من الزوال إلى الزوال، وأهل خطا وايغور على أنهما من نصف الليل إلى النصف الآخر، كذا قيل وهو بعيد، بل الوجه فيه أن القدرة على خلق الليل أكمل منها على خلق النهار، حيث أنه تعالى نور، فصدور النور منه أسهل من صدور نقيضه منه.

«حَدّاً مَحْدُوداً» نهاية معينة.

«وأَمَداً مَمْدُوداً»

غاية ممتدة، ويجوز أن يكون الوصف فيهما للمبالغة كليل ألْيَل.

«يُولِجُ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما فِي صَاحِبِهْ وَيُولِجُ صَاحِبَهُ فِيهْ»

أي ينقص من كل منهما ما يجعله زيادة في الأخرى، أو أنه تعالى يدخل أحدهما في الآخر بإتيانه بدلاً منه في مكانه، والمعنيان يستفادان من الجملة الأولى فما فائدة الثانية؟

قال شيخنا البهائي (قده) هو التنبيه على أمر مستغرب، وهو حصول الزيادة والنقصان معاً في كل منهما في آن واحد، وذلك بحسب اختلاف البقاع، كالشمالية عن خط الاستواء والجنوبية عنه، سواء كانت مسكونة أو لا، فإن صيف الشمالية شتاء الجنوبية وبالعكس، فزيادة النهار ونقصانه في واحد لكن في بقعتين، وكذا زيادة الليل ونقصانه، ولو لم يصرح عليه السلام بقوله ويولج صاحبه فيه لم يحصل التنبيه على ذلك، بل كان الظاهر من كلامه عليه السلام وقوع زيادة النهار في وقت ونقصانه في آخر، وكذا الليل كما هو محسوس معروف للخاص والعام، فالواو في قوله عليه السلام ويولج صاحبه فيه واو الحال بإضمار مبتدأ، كما هو المشهور بين النحاة، انتهى، وهذا وإن كان تحقيقاً لطيفاً لم يسبق إليه إلا أن تكرار المعاني بتغيير العبارات شائع ذائع في مقام الدعاء.

«ونَهَضَاتِ النَّصَبْ»

والمراد الترددات البدنية الموجبة للنصب، وفي بعض النسخ بالباء التحتانية من بهظه أثقله وعجز عنه.

«**جِمَامَاً**» أي راحة.

«**لَذَّة**» إما راحة النفس، أو لذة الجماع، أو الأعم منهما.

«**مُبْصِرَاً**»

ـــ مضيئاً، أو مضيئاً للناس من أبصره فبصر، أو مبصراً أهله كأجبن الرجل إذا صار أهله جبناء، أو مجازاً من باب صام نهاره.

«**ويَسْرَحُوا فِيهْ**» استعارة مكنية وتخييلية وما أحسنهما.

«**ويَبلُو أَخْبَارَهُم**»

يختبرها كقوله تعالى: ﴿**يوم تُبلى السرائر**﴾، وفي نسخة الشهيد (قده) فتح واو يبلو مع أنه معطوف على مرفوع، واعتذر عنه شيخنا البهائي (قده) أنه على طريق الحكاية من الآية كإثبات الألف كتابة مع أنها واو إفراد لأن إثباتها في القرآن من أغاليط عثمان، ويجوز أن يكون يصلح في موضع فعل منصوب بلام كي وقد حذف لصحة إرادة المعنيين، كما قاله الأخفش في جزم وأكن، في قوله تعالى: ﴿**فاصدق وأكن من الصالحين**﴾ من أن المنصوب في موضع مجزوم كأنه قال أخِّر لي أصدق، ومثله قوله تعالى: ﴿**ومن يضلل الله فلا هادي له ويذرهم**﴾ لأن لا هادي في موضع مجزوم، ومثله قول الشاعر:

وابلوني بليتكم لعلي ... أصالحكم واستدرج نويا

وقوله:

أيّاً سلكت فإنني لك كاشح ... وعلى انتقاصك في الحياة وازدد

«**ومَنازِلِ فُرُوضِهِ وَمَواقِعَ أَحْكامِهْ**»

وفي بعض النسخ فتحها أو كأنه معطوف على قوله كيف هم لأنه بمعنى حالهم، وينظر منازل فروضه والمراد بالمنازل هنا أوقات الواجبات كالصبح والظهر مثلاً تشبيهاً لها بمنازل المسافر التي يقطعها بسيره بجامع الوصول إلى المطلوب وبمواقع الأحكام التكاليف فإن الوجوب والاستحباب والحرمة والكراهة واقعة عليها.

«لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَساؤُوا بِمَا عَمِلُوا ويَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالحُسْنَى»

اللام إما أن يتعلق بخلق السابق أي خلقهما وجعلهما ظرفاً للتكليف لغرض الجزاء، وإما أن يتعلق بيصلح وما عطف عليه واللام للعاقبة لأنه كان عاقبة اختبارهم، والإساءة فسرت تارة بالشرك كما فسر الإحسان بالتوحيد والحسنى بالمثوبة الحسنى وهي الجنة، وأخرى بأن المعنى بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الأعمال الحسنى وجاء تفسيرها في الأخبار أنه تعالى يجازي المسيئين بإزاء أعمالهم من غير زيادة، بل الواحدة بواحدة ويجازي المحسنين بما هو أحسن من أعمالهم وأزيد من جزائه، كأن يجازي بالحسنة عشرة أو سبعمائة، أو أنه يضاعف لمن يشاء كما أشار إليه في الكتاب العزيز بناء على اختلاف مراتب الأعمال والعاملين.

«فَلَقْتَ لَنَا مِنَ الإِصْبَاحْ»

أي شققت عمود الصبح عن ظلمة الليل، أو شققت ظلمة الإصباح وهو الغبش الذي يليه، والإصباح في الأصل مصدر أصبح إذا دخل في الصباح سمي به الصبح.

«وَمَتّعْتَنا»

أي جعلتنا منتفعين به من ضوء النهار، من فيه وفي مكتنفيه للبيان، وفيه دليل على ما أجمع عليه علماء الإمامية بل علماء الإسلام من أن أول النهار طلوع الفجر، حتى انتهت النوبة إلى بعض المحدثين من المعاصرين فذهب إلى أن أول النهار طلوع الشمس تبعاً للأعمش من العامة، استناداً إلى إمارات لا تفيد ظناً فضلاً عن إفادتها علماً، وقد أشبعنا الكلام معه في كتابنا الموسوم بـ«غاية المرام في شرح تهذيب الأحكام».

«مَطَالِبْ» جمع مطلب مصدر ميمي أو اسم مكان.

«لَكَ سَمَاؤُها»

قيل هي جملة استئنافية، وقيل هي حالية رابطها الضمير وحده على ضعف كما في كلمته فوه إلى في، أو بتقدير فعل ماض مع قد، وظني أن هذا كله تكلف، بل الظاهر أن سماؤها وما عطف عليه مجرور عطف بيان للأشياء.

«بَثَّتْ»

فرقت ونشرت. ساكنة مع ما عطف عليه مرفوعاً ومجروراً فالرفع على أنه عطف بيان أو بدل لقوله وما بثث، والجر على البدلية من كل واحد وركاكة المعنى تأباه.

«وشَاخِصَة» وهو ضد المقيم.

«وَمَا كَنَّ تَحْتَ الثَّرَى»

بفتح الكاف من كن أي ستر، وهو متعد وحاصله ستره الله، وفي س ضمها من الكن بمعنى الستر أو الكون، والثرى التراب الندي، وما تحته قيل هو الكنوز والأموات، وقيل ما هو أعم منه، والظاهر أن المراد به ما تضمنته أخبار الصادقين عليهم السلام من أن قرار الأرض على عاتق ملك، وقدما ذلك الملك على صخرة، والصخرة على قرن ثور، والثور قوائمه على ظهر الحوت في اليم الأسفل، واليم على الظلمة، والظلمة على العقيم، والعقيم على الثرى، وما يعلم تحت الثرى إلا الله تعالى.

«أَصْبَحْنَا»

أي دخلنا في الصباح، أو صرنا ذوي صباح، وإذا قرىء عند المساء فينبغي أن يبدل لفظ الصباح بالمساء كما ذكره الشيخ الكفعمي في حواشي المصباح.

«وسُلطَانُكْ» مصدر كغفران أي تسلطك.

«عَنْ أَمرِكْ»

أي ناشياً عنه فإنك أمرتنا بالسعي والتصرف، ويجوز أن يراد بالأمر هنا القضاء والقدر، من الأمر أي النفع أو ما يصل إلينا أو يكون علينا.

«وهَذَا يَوْمٌ حَادِثٌ جَدِيدْ»

هذه الفقار تدل على اختصاص هذا الدعاء في وقت الصباح، ويؤيده عدم ذكر المساء في بعض الصحائف المعتبرة، وعلى ما في الأكثر من وجود لفظ المساء فالظاهر أن هذه الفقار لا تأباه أيضاً، لأن المساء هو آخر النهار كما أن الصباح أوله، فيصح الإشارة إليه بهذا، لأن معناه أن هذا اليوم الجديد بالنسبة إلى ما تقدمه من الأيام

الذي نحن في آخره شاهد علينا فاعصمنا من الذنوب في تعيينه بعدم الارتكاب، وفيما مضى منه بتبديل السيئات التي صدرت منا فيه حسنات، كقوله عليه السلام واجعل ما مضى من أعمارنا في طاعتك، وإن قرىء أيضاً عند خروج النهار بأجمعه فيمكن فيه هذا التأويل أيضاً بنوع من التقريب، وهو أحسن من تغيير هذه الفقار بغيرها كما زعمه بعضهم.

«وَهُوَ عَلَيْنَا شَاهِدٌ عَتِيدٌ»

بسكون الهاء مخفف الضم كما في س تشبيهاً له بعضد الكتف، وبالجملة فتسكين الهاء فصيح مع الواو والفاء واللام لأنها صارت كالجزء مع كثرة الاستعمال، ولذا لم يؤت بهمزة الابتداء حال السكون، وشبه بالمذكورات ما فيه الهمزة لأنها وإن لم تكثر كثرته لكنها على حرف واحد مثله، وكذا ما فيه ثم لكونها للعطف مثل الواو والفاء، وعتيد بمعنى حاضر، وقد قيل في شهادة الأيام ونحوها ضروب من التأويل:

الأول: إنه من باب الكناية، كما يقول من يدعي أمراً ظاهراً يشهد لي السقوف والجدران.

الثاني: من باب المجاز العقلي فإن الشهادة حقيقة إنما تصدر من الملائكة الحافظين للأعمال في ذلك اليوم، فإسنادها إلى اليوم مجاز من باب أنبت الربيع البقل.

الثالث: إنه تعالى يخلق بكل عبادة وكل عمل صورة حسنة أو قبيحة تشهد على فاعل ذلك الفعل بما فعل، وهذه طريقة أستاذنا العلامة مد ظله العالي، وعليها حمل الأخبار الدالة على تجسم الأعمال.

الرابع: وهو الذي أذهب إليه في معنى هذه الأدعية المأثورة والأخبار المشهورة، من القول بتجسم الأعمال في تلك النشأة، والأخبار فيه مستفيضة، قال أمير المؤمنين عليه السلام ما من يوم يمر على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم، أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد فقل فيّ خيراً أو اعمل فيّ خيراً أشهد لك به يوم القيامة فإنك لن تراني بعدها أبداً، وهذا هو أحد معاني الحديث المشهور عنه صلى الله عليه وآله وسلم لا تعادوا الأيام فتعاديكم، ومن معانيه أيضاً ما رواه الصقر بن أبي دلف عن أبي الحسن العسكري عليه السلام أنه عليه السلام قال، نحن الأيام، فالسبت اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأحد

أمير المؤمنين عليه السلام والاثنين الحسن والحسين عليهما السلام والأربعاء موسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وأنا والخميس ابن الحسن والجمعة ابن ابني وإليه تجمع عصابة الخلق، فهذا معنى الأيام فلا تعادوهم في الدنيا فيعادوكم في الآخرة، وهذا من غرائب التفسير مثل الذي رواه جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿**إن عدة الشهوة عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم**﴾، قال فتنفس سيدي الصعداء ثم قال يا جابر أما السنة فهي جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشهورها اثني عشر شهراً فهم الأئمة عليهم السلام والأربعة الحرم أربعة يخرجون باسم واحد على أمير المؤمنين وأبي علي بن الحسين وعلي بن موسى وعلي بن محمد والإقرار بهؤلاء الأربعة هو الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم أي تولوا بهم جميعاً تهتدوا، ومن معاني الحديث أيضاً أنه يتضمن الرد على المنجمين والحساب في قولهم هذا يوم حسن وهذا يوم نحس، وأما ما ورد عن الأئمة عليهم السلام في الاحتراز عن بعض الأيام وقضاء الحوائج فيه كيوم الاثنين لأنه عيد بني أمية، فغير دال على معاداة ذلك اليوم، بل على معاداة الترددات وقضاء الحاجات فيه لأن الزمان لا ينبغي سبه ومعاداته، لما روي من أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تسبوا الدهر فإن الدهر هو الله، ومعناه أنه تعالى الذي خلقه وجلب الحوادث فيه، فتناول الزمان يرجع إلى تناوله تعالى.

«**بِحَمْدْ**» أي متلبساً بحمدنا.

«**بِارْتِكَابِ جَرِيرَة**»

متعلق بسوء لا بمفارقة، والجريرة الجناية ومنه ضمان الجريرة والمراد بها هنا الخطيئة لأنها جناية على النفس.

«**وأَجْرَاً وذُخْرَاً**» أي ما يوجبهما من الطاعات.

«**مُؤْنَتَنَا**»

لأنهم ملائكة كرام يشق عليهم عصيان مولاهم، ويمكن أن تكون المشقة عليهم باعتبار ما رواه عبد الله بن موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام، قال سألته عن الملكين هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعل السيئة والحسنة، فقال ريح الكنيف والطيب واحد؟ قلت لا، قال إن العبد إذا همّ بالحسنة خرج نفسه طيب الريح فقال صاحب

اليمين لصاحب الشمال قم فإنه قد همّ بالحسنة، فإذا فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها، وإذا همّ بالسيئة خرج نفسه منتن الريح فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين قف فإنه همّ بالسيئة فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده وأثبتها عليه، وحينئذٍ فالمشقة عليهم باعتبار تلك الرائحة المنتنة، وأما وصفهم بالكرام فلما روي أنهم إذا كتبوا حسنة يصعدون إلى السماء ويعرضون على الله تعالى ويشهدون على ذلك فيقولون إن عبدك فلاناً عمل حسناً كذا وكذا، وإذا كتبوا من العبد سيئة يصعدون بها إلى السماء مع الغم والحزن، فيقول الله تبارك وتعالى ما فعل عبدي؟ فيسكتون حتى يسأل الله ثانياً وثالثاً، فيقولون إلهي أنت ستّار وأمرت عبادك أن يستروا عيوبهم استر عيوبهم وأنت علّام الغيوب، ولذا يسمون كراماً كاتبين.

«ولاَ تُخْزِنَا عِندَهُم»

بأن لا نعمل قبيحاً أو إذا عملناه فلا تطلعهم عليه، كما روي أنه ما من أحد إلاّ وله مثال وشبح في السموات فإذا ركع العبد وسجد وصنع شيئاً من أفعال البر نظر الملائكة إلى مثاله يفعل مثله فاستغفروا له وإذا عمل معصية أرخى الله تعالى الستر على ذلك المثال حتى لا ينظروا إليه، وهو معنى قوله عليه السلام يا من أظهر الجميل وستر القبيح.

«مِنْ عِبَادِكْ»

أي من دعائهم وعلومهم الواصلة إليّ منهم، وفي بعض النسخ عبادتك وهو أنسب بما بعده، بل يمكن إرجاع ما في الأصل إليه، قال الفاضل الرضي وقد يحذف هاء التأنيث من المضاف إذا أمن اللبس كقوله تعالى: (إقام الصلاة)، وقولهم أبو عذرها ولا يقاس على ذلك، وقالوا إن الفراء يقيس.

«وشَاهِدُ صِدْقْ»

أي بصدق أعمالي وأنها لك لا أشرك أحداً معك فيها.

«وَاحْفَظْنا مِنْ بيْنِ أَيدِينا، انتهى».

اقتباس مما حكاه الله سبحانه عن الشيطان في قوله: **﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم﴾** الآية، وقيل فيه ضروب من التفسير.

أحدها: إن المعنى من قبل دنياهم وآخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم، أي أزين لهم الدنيا وأخوفهم الفقر وأقول لهم لا بعث ولا حساب، وأثبطهم عن الحسنات وأحثهم على المعاصي، ولم يقل من فوقهم لأنها جهة نزول الرحمة من السماء فلا سبيل له إلى الله، ولم يقل من تحت أرجلهم لأن الإتيان منه يوحش.

وثانيها: إن معنى من بين أيديهم وعن أيمانهم من حيث يبصرون، ومن خلفهم وعن شمائلهم من حيث لا يبصرون.

وثالثها: ما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال لآتينهم من بين أيديهم أهون عليهم أمر الآخرة ومن خلفهم آمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم، وعن أيمانهم أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة، وعن شمائلهم بتحبيب اللذات وتغليب الشهوات على قلوبهم.

ورابعها: إنه كناية عن الإحاطة التامة والاقتدار العام، وما هنا عكس ما في الآية لأن هناك الأخبار عن إغوائه، والمقصود هنا طلب الحفظ منه، وإنما دخلت من في القدام والخلف وعن في اليمين والشمال لأن في القدام والخلف معنى طلب النهاية وفي اليمين والشمال الانحراف عن الجهة.

«مُستَعْمِلاً لِمَحَبَّتِكَ»

أي تستعمله العباد لتحصيل محبتك لهم أو محبتهم لك، وفي س على صيغة الفاعل فاللام على الأول للتعليل وعلى الثاني للتعدية.

«وَاتِّبَاعِ السُّنَنْ»

السنة اصطلاح الإخباريين على معان، أحدها أن المراد به ما يقابل الواجب.

وثانيها: أن المراد به المستحب الذي داوم على فعله النبي(ص) ويقابله التطوع وهو ما لم يداوم(ص) على فعله كصوم رجب وشعبان، فإن صوم الأول تطوّع والثاني سنّة.

وثالثها: الواجب الذي علم وجوبه من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويقابله الفرض وهو ما علم وجوبه من القرآن لقوله عليه السلام الاختتان سنّة وغسل الجنابة فرض.

ورابعها: إطلاقها على ما ثبت جوازه من الدين وأمر به فيتناول المباح، وإرادة كل من هذه المعاني هنا جائزة.

وأما تسمية المخالفين أنفسهم بأهل السنة والجماعة، فروى ابن بطة في كتابه المعروف بالإبانة: قال الحجاج: تسمية السنة والجماعة كانت سنة أربعين، أي كان الاجتماع على معاوية، ومن ذلك ما رواه الكرابيسي وهو من أهل الظاهر فقال إنما سمى هذا زيد بن معاوية لما أُدخل رأس الحسين عليه السلام وكان أول من دخل ذلك الباب سمي سنياً، وروى الشيخ العكبري في كتاب الزواجر قال إن معاوية سمى ذلك العام عام السنّة، وهذه الروايات كلها من طرقهم، فانظر إلى أصل تسميتهم بهذا الاسم الذي صاروا يفتخرون به على الروافض ويعيرونهم بهذا الاسم مع أن الشيخ الكليني (قده) روى حديثاً مسنداً عن سليمان وفيه قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك إنا نبزنا بنبز انكسرت له ظهورنا وماتت له أفئدتنا واستحلت له الولاة دماءنا في حديث رواه لهم فقهاؤهم، فقال أبو عبد الله عليه السلام الرافضة؟ قلت نعم، قال لا والله ما هم سموكم بل الله سماكم به، أما علمت يا أبا محمد أن سبعين رجلاً من بني إسرائيل رفضوا فرعون وقومه لما استبان لهم ضلالهم فلحقوا بموسى عليه السلام لما استبان لهم هداه فسموا في عسكر موسى عليه السلام الرافضة، لأنهم رفضوا فرعون وكانوا أشد ذلك العسكر عبادة وأشدهم حباً لموسى وهرون وذريتهما عليهما السلام، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن أثبت لهم هذا الاسم في التوراة فإني قد سميتهم به ونحلتهم إياه، فأثبت موسى عليه السلام الاسم لهم، ثم ذخر الله عز وجل لكم هذا الاسم حتى نحلكموه. يا أبا محمد رفضوا الخير ورفضتم الشر، الحديث.

«ومُجانَبَةِ البِدَعْ»

جمع بدعة وهو ما لم يثبت جواز فعله من الشريعة، وتقسيم بعض الأصحاب لها إلى الأحكام الخمسة وجعلوا من البدع المستحبة بناء الرباطات والمدارس لأنه لم يكن في عصره عليه السلام غير جيد، فإن عمومات الأحاديث تشمل هذا وأمثاله، وتعريف البدع هنا وجمعيته وقوله عليه السلام كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار يؤيد ما ذكرناه.

«والأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ والنَّهيِ عَنِ المُنكَرْ»

لعل المراد بالمعروف الحسن المشتمل على نوع أرجحيته، فيختص بالواجب والمندوب، وبالمنكر القبيح أعني الحرام، وفي وجوبهما كفاية أو على التعيين خلاف

أشهرهما الأول، لما رواه مسعدة بن صدقة قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام و[قد][1] سئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أواجب هو على الأمة جميعاً، فقال لا، فقيل ولِمَ؟ قال إنما هو على القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعفاء الذين لا يهتدون إلى أي من أي من الحق إلى الباطل، والدليل على ذلك قول الله عز وجل: **﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾**، فهذا خاص غير عام، والشيخ على الثاني، وهو الذي أذهب إليه لعمومات الآيات والأخبار بل ومنها هذا الخبر فإنه إنما دل على سقوطه عن فاقد الشرائط ووجوبه على غيره، وهذا بعينه هو الوجوب العيني لأن من قال به قيده بهذه الشروط وغيرها مثل إصرار المأمور والمنهي عليهما وأن لا يلحق الآمر أو بسببه ضرر، وحينئذٍ ففائدة الخلاف ظاهرة فيما لو كان في بلد شخص مصر على ترك العبادة وفي ذلك البلد جماعة مستجمعون لتلك الشرائط فبمجرد نهي أحدهم له قبل التأثير هل يسقط عن الباقين أم يجب مبادرتهم كلهم إلى نهيه حتى يحصل ذلك الأثر، فعلى الأول ثبت الأول وعلى الثاني ثبت الثاني، إذا تحققت هذا.

فاعلم أن ظاهر المنكر وإن كان ما ذكرناه إلا أن له باطناً رواه العياشي في تفسير قوله تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي﴾**، قال شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإحسان أمير المؤمنين عليه السلام والقربى الأئمة عليهم السلام والفحشاء والمنكر والبغي فلان وفلان وفلان.

«وَحِيَاطَةِ الإسْلاَمْ»

حفظه وحراسته من جميع النواحي، وفي بعض النسخ فتح الحاء ولم يثبت في اللغة.

«وانْتِقَاصْ» وفي بعض النسخ بالمعجمة من النقض بمعنى الكسر.

«اللَّهِيفْ» أي المضطر أو المظلوم.

«أَيمَنَ» أشده يمونية أي بركة من سائر الأيام فاسم التفضيل هنا بمعنى المفعول على خلاف المشهور.

---

(١) غير موجودة في الأصل، ولكن يقتضيها سياق الكلام.

«عَهِدْنَاهُ» أدركناه.

«ظَلِلْنا فِيهْ»

أي دمنا على العمل فيه، ويجوز أن يكون مأخوذاً من الظل، فمعنى ظللنا فيه أي جلسنا تحت الظلال فيه وهو كناية عن سائر الأيام والأول هو الأقرب.

«أَشْكَرَهُمْ»

بنصبه مع عطف عليه على المدح وجره مع ما عطف عليه ش على البدلية من أرضى أو على أنه عطف بيان لخلقك.

«أَولَيْتَ» أعطيت.

«وأَقوَمَهُمْ» أكثرهم قياماً بشرائعك.

«وكَفَى بِكَ شَهِيدَاً» وفائدة هذه الجملة دفع ما يتوهم من (أن)[1] إشهاده تعالى ليس كافياً في هذه الدعوى بل لا بد من إشهاد ما أشهد.

«وأُشْهِدُ سَماءَكْ»

أي أهلهما أو أنه كناية عن شهادة كل شيء كما قيل، والأظهر بقاؤه على ظاهره فإن لمثل هذه الجمادات شعوراً في الجملة كما تدل عليه الأخبار المستفيضة.

«وسَائِرَ»

بالنصب عطفاً على أرضك، وبالجر عطفاً على[2] من ملائكتك بمعنى البقية، مأخوذ من سؤر الإناء لما بقي منه، وقولهم سائر اليوم لجميعه من أغلاط الخواص قاله في درة الغواص.

«عَبْدُكَ ورسُولُكْ»

قدم الصفة الأولى لأشرفيتها على الثانية لأنها نسبة بينه ﷺ وبين ربه بخلاف الثانية فإنها نسبة بينه وبين المرسل إليهم، ولذا لقبه تعالى بهذه الصفة في تمام المدح

---

(١) غير موجودة في الأصل، ولكن يقتضيها سياق الكلام.

(٢) في الأصل: العطف من.

العالي فقال: **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى﴾**، وأيضاً روي عن الصادق عليه السلام في شرف العبودية أن عين العبد عبارة عن العلم بالله، وباؤه من البون والبعد عن غيره، والدال مأخوذ من الدنو منه سبحانه.

«وخِيرَتُكْ» مختارك.

«الغَافِرْ» نصب على المدح ومعناه الساتر، ومنه المغفر لأنه يغطي الرأس.

«الأَخْيَارْ»

جمع خيّر بالتشديد بمعنى كثير الخير أو بالتخفيف بمعنى أخير اسم التفضيل.

وكان من دعائه عليه السلام إذا عرضت له مُهمّة أو نزلت به مُلمّة عند الكرب

مهمة مشتقة من الهم أي الحزن، فالمهمة ما يوجبه والملمة من قولهم ألم أي قصد والمراد النازلة التي تقصد الإنسان.

«يُفْثأُ» يكسر ويسكن ويغل من الغلال بمعنى النقض.

«حَدُّ الشَّدَائِدْ» حدتها وصولتها.

«رَوْحُ الفَرَجْ» أي الرائحة والنسيم والإضافة لامية أو بيانية.

«وَتَسَبَّبَتْ» أي صارت الأسباب أسباباً بلطفك أو صار لطفك سبباً للأسباب.

«القَضَاءْ» المقضي من الأمور.

«دُونَ قَوْلِكْ»

أي بلا قول وحينئذٍ فقوله كن فيكون كناية عن سرعة الإيجاد، أو عند قولك، ويؤيده قول علي عليه السلام لما أراد كونه كن فيكون لا بصوت يقرع ولا نداء يسمع، وإنما كلامه سبحانه فعل إنشاؤه منه ومثله، لم يكن من قبل ذلك كائناً ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً يقول ولا يلفظ، وقال الرضا عليه السلام في حديث طويل ثم جعل الحروف بعد

إحصائها وإحكام عدتها فعلاً منه كقوله عز وجل: ﴿**كن فيكون**﴾ وكن منه صنع، وما يكون به المصنوع.

«**فِي المُلِمَّاتْ**»

إما من لمّ إذا نزل، والملمة النازلة من نوازل الدنيا، وإما من اللمم كما في قوله تعالى: ﴿**الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم**﴾ وهو كما ترى، قال الصادق عليه السلام العبد يلم بالذنب بعد الذنب ليس من سليقته، أي طبعه.

«**يا رَبِّ**»

بكسر الباء وضمها للدلالة على الياء المحذوفة أو لأنه منادى مفرد معرفة وهما وجهان من خمسة أوجه في المنادى المضاف إلى ياء المتكلم، وما بقي هو يا ربي بإسكان ياء المتكلم ويا رباه بالهاء الساكنة للسكتة وقفاً ووصلاً، ويا ربي بفتح ياء المتكلم.

تَكَأَّدَنِي»

من باب التفعل أو التفاعل من الكؤدة بمعنى المشقة، وقد نسب إلى نسخة الشهيد (قده) تكادّني بتشديد الدال بعد الألف على إدغام الهمزة في الدال على التفعل أو التفاعل من الكد بمعنى التعب وهو تصحيف ونسخته (قده) صفر منه.

«**بَهَظَنِي**» بالضاد والظاء وكلاهما بمعنى شق عليّ.

«**فَلا مُصْدِرَ**» أي مخرج.

«**بِطَولِكْ**» بإحسانك أو بقدرتك.

«**وأَنِلْنِي حُسْنَ النَّظَرِ فِيمَا شَكَوتْ**»

أي أعطني النظر الحسن فيما شكوته إليك من توارد الهموم بأن تكشفها عني حتى أنظر إليها نظراً حسناً، وقيل المراد وفقني للنظر فيما شكوته إليك والتأمل فيه لأن المصلحة ربما كانت في خلافه وكانت في الصبر عليه، وقيل المراد أنلني حسن نظرك لي فيما شكوته إليك وهو كناية عن قضاء المقصود بسهولة.

«**الصُّنْع**» الإحسان فيما سألتك من رفع البلاء.

«مِنْ لَدُنْكَ»

أي من خاص رحمتك للفرق الذي ذكره أهل العربية بين عند ولدى من أنه يصح أن تقول المال عند زيد بمجرد كونه ملكاً له وإن لم يكن حاضراً عنده ولا يصح في لدى إلا حال حضوره.

«مَخْرَجاً» مصدر ميمي أو اسم مكان.

«وَحْياً» قريباً سريعاً.

«بالإهْتِمَامْ» افتعال من الهم والغم لا من همّ بالأمر إذا قصده وجدّ فيه.

«تَعاهُدِ فُرُوضِكْ» رعايتها والمداومة عليها.

«واسْتِعْمَالِ سُنَّتِكْ»

المداومة عليها وينبغي ترك النوافل عند الأعذار، ومنها الهم والغم لرواية علي بن أسباط عن عدة من أصحابنا أن الكاظم عليه السلام إذا اهتمّ ترك النافلة، وعن الرضا عليه السلام مثله، وقال أمير المؤمنين عليه السلام إن للقلوب إقبالاً وإدباراً فإذا أقبلت فاقبلوا على النوافل وإذا أدبرت فدعوها، وصاحب المدارك لم يعمل بهذه الأخبار وهو غير جيد.

«فَقَدْ ضِقْتُ لِما نَزَلَ بِي يا رَبِّ ذَرْعَاً»

أي ضعفت طاقتي ولم أجد منه مخرجاً، وأصل الذرع بسط اليد كأنه قال مددت إليه يدي فلم تنله، وضيق الذرع والذراع قصرها كما أن سعتها طولها ووجه التمثيل أن قصير الذراع لا ينال ما يصل إليه طويله، ولام لما بمعنى الباء لأنه لم يتعد في اللغة إلاّ بها، ويجوز كونها للتعليل.

«مُنِيتُ» أي ابتليت به.

«العَظِيمْ»

وفي رواية ابن طاوس بعده وأنت قادر يا أرحم الراحمين آمين رب العالمين.

دعاؤه عليه السلام في الاستعاذة

«هَيَجانُ الحِرْصْ»

كثرته واستعماله وإلا فالحرص أصله من الطبائع الغريزية التي لا يمكن الاستعاذة منها بل قدر منه ضروري لا يمكن التعيش في الدنيا ولا كسب بعض الكمالات الأخروية إلاّ به.

«وسَوْرَةُ الغَضَبْ»

شدته والتقريب ما مر، وسبب الحدة الموجودة في المؤمن أمران:

أحدهما: ما رواه الصدوق عن ابن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام، قال كنا جلوساً عنده فذكرنا رجلاً من أصحابنا فقلنا فيه حدة، فقال من علامة المؤمن أن يكون فيه حدّة، قال فقلنا له إن عامة أصحابنا فيهم حدّة، فقال إن الله تبارك وتعالى في وقت ما ذرأهم أمر أصحاب اليمين وأنتم هم أن يدخلوا النار فدخلوها فأصابهم وهج فالحدة من ذلك الوهج، وأمر أصحاب الشمال وهم مخالفوكم أن يدخلوا النار فلم يفعلوا فمن ثم لهم سمت ووقار.

وثانيهما: ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل يقول فيه: وما رأيت من نزق أصحابك وخرقهم فهو مما أصابهم من لطخ أصحاب الشمال، وما رأيت من حسن شيم من خالفهم ووقارهم فهو من لطخ أصحاب اليمين، وقد تقدم تفصيل هذا الحديث في حديث الطينة.

«وغَلَبَةُ الحَسَدْ»

أي استعماله والتنطق فيه وإلاّ فهو لا يخلو منه أحد لما روي عن الصادق عليه السلام أن ثلاثة لم يعرفها نبي فمن دونه الطيرة والحسد والتفكر في الوسوسة في الخلق، ألا إن المؤمن لا يستعمل حسده أي لم ينطق بشفة، وقال عليه السلام وقد سئل عن الحسد، فقال لحم ودم يدور في الناس إذا انتهى إلينا يئس وهو الشيطان،

وقال عليه السلام لا ينفك المؤمن من خصال أربعة من جار يؤذيه وشيطان يغويه ومنافق يقفو أثره ومؤمن يحسده، أما إنه أشدهم عليه لأنه يقول فيه القول فيصدق عليه.

«وشَكاسَةُ الخُلُقْ» صعوبته.

«ومَلَكةُ الحَمِيَّة»

أي كون الحمية ملكة راسخة من الملكات النفسانية، أو أن تكون مالكة لي أو مالكاً لها.

«وسِنَةُ الغَفْلَة»

أوائلها ومنه إشعار بأن قليل الغفلة إيضاً مذموم ككثيره أو من حيث أنها أول فإذا لم تقع لم يقع ما هي أول له أو لأن التعوذ منها تعوذ مما فوقها بالطريق الأولى كذا قيل وهو حسن.

«وتَعَاطِي الكُلْفَة»

الخوض فيما تكلفته من نائبة أو حق، والمتكلف المتعرض لما لا يعنيه.

«والإِصْرَارُ عَلَى المَأْثَمْ»

ومعنى الإصرار ما قال الصادق عليه السلام هو أن لا يستغفر ولا يحدث نفسه بتوبة، وذلك أن الواجب على كل من أذنب ذنباً أن يبادر إلى التوبة، وليتقيأ ذلك السم، وأن يشتغل بحسنات تضاد تلك السيئات، فإن لم تساعده النفس على العزم على الترك لغلبة الشهوة فقد عجز عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الآخر وهو أن يدفع السيئة بالحسنة ليمحوها، حتى يكون قد خلط العملين، والحسنات المكفرة للسيئات إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح، فأما القلب فهو التضرع إلى الله بسؤال المغفرة، ويتذلل تذلل العبد الآبق ويظهره للعباد، وذلك بنقصان كبره فيما بينهم فما للعبد الآبق وجه للتكبر، وأما في اللسان فبالاعتراف بالظلم والاستغفار. روي أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إني عالجت امرأة فأصبت منها إلا المسيس فاقض عليّ بحكم الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم أوما صليت معنا صلاة الغداة فقال نعم، قال إن الحسنات يذهبن السيئات، وهو إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم الصلوات الخمس كفارة لما بينهن إلا الكبائر، فإن قلت كيف يكون الاستغفار نافعاً مع الإصرار على الذنب. وفي الخبر المستغفر من

الذنب وهو مصر عليه كالمستهزىء بآيات الله، وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولي، وقيل الاستغفار باللسان توبة للكذابين، وقالت رابعة العدوية استغفارنا يحتاج إلى استغفار، قلنا إن الاستغفار مما حث عليه في الكتاب والسنة حتى قرنه سبحانه ببقاء رسوله ﷺ فقال: ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون**﴾، وكان بعض الصحابة يقول: لنا أمانان ذهب أحدهما وبقي الآخر فإن ذهب هلكنا، إذا عرفت هذا قلنا: إن الاستغفار الذي هو توبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان كما يقول الإنسان بحكم العادة استغفر الله وليس له فائدة إلا إذا أضيف إليه تضرع القلب، فيحمل عليه الأخبار الواردة في فضل الاستغفار، بل الاستغفار بمجرد اللسان حسنة أيضاً، إذ هو خير من السكوت والتكلم بغيبة ونحوها، نعم هو بالنسبة إلى عقد القلب بالاستغفار ناقص، وأما بالنسبة إلى ما قلناه فهو درجة خير، وأقله تعود اللسان بالخير حتى يجري على لسانه في المحاورات والمخاطبات وعند التعجبات فإن اللسان على ما عُوِّد. بقي الكلام في موجبات الإصرار ومزيلاته، إعلم أن موجباته أربعة:

الأول: إن العقاب الموعود غائب ليس بحاضر، والنفس جبلت على عدم التأثر بالآجل وهذا لا يكون إلاّ من ضعف الإيمان.

الثاني: إن اللذات الباغتة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة بالمخنق، وقد قوي واستولى بسبب الاعتياد، والعادة طبيعة خامسة والنزوع عن العاجل إلى الآجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى: ﴿**بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة**﴾. وروي أن الله تعالى خلق النار فقال لجبرئيل إذهب فأنظر إليها، فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال إذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها فقال وعزتك خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها، وخلق الجنة فقال لجبرئيل اذهب فانظر إليها فنظر إليها فقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ثم حفّها بالمكاره فقال لجبرئيل اذهب فانظر إليها فنظر إليها فقال وعزّتك خشيت أن لا يدخلها أحد، فإذاً كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخراً سببان في الاسترسال.

الثالث: إنه ما من مؤمن مذنب إلا والغالب على عزمه التوبة وتكفير السيئات بالحسنات وطول الأمل غالب على الطباع، فلا يزال يسوف التوبة والتكفير، فمن حيث رجائه توفيق التوبة وبما يقدم عليه بعد الإيمان.

الرابع: إن المؤمن يعتقد أن عفو الله تعالى مباح للمذنبين فيذنب اعتماداً عليه، وأما علاج هذه الأربعة ومزيلها فهو الفكر.

أما الأول: فبأن يتفكر ويقول إن ما هو آتٍ آت وما أقرب غداً للناظرين والموت أقرب منه والمتأخر إذا وقع صار ناجزاً، ويفكر أنه في الدنيا يركب البحار ويقطع القفار لأجل الربح الذي يظن حصوله واحتياجه إليه، ولو أخبره طبيب نصراني بضرر الماء البارد لتركه خوفاً من الموت مع أن الموت لحظة واحدة، فكيف لا يقلع عن الذنب بأخبار الأنبياء عليهم السلام أن ألمه يبقى أبد الآباد وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا، بهذا التفكر يعالج اللذة الغالبة عليه، ويقول إذا لم أقدر على ترك هذه اللذات الفانية في هذه الأيام القلائل فكيف أقدر على ذلك أبد الآباد، وإذا كنت لا أقدر على مفارقة زخارف الدنيا مع كدورتها كيف أصبر على مفارقة النعيم.

وأما تسويف التوبة فعلاجه بالفكر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويف، لأن المسوف يبني الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء فلعله لا يبقى، وإن بقي فلا يقدر عليه كما لا يقدر عليه هذا الحال، فليت شعري هل عجز في الحال لغلبة الشهوة والشهوة لا تفارقه بل يقوى كل يوم وهو يضعف، فإذا كان وقت قوته وضعفها لا يقدر عليها فكيف يقدر عليها إذا انعكس عليه الأمر، فيكون مثاله مثل من احتاج إلى قلع شجرة صغيرة لا ينقلع إلا بمشقة شديدة، فقال اؤخرها ثم أعود إليها وهو يعلم أنه كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كلما زاد عمره ضعفت قوته، فلا حماقة أعظم من حماقته.

وأما انتظار عفو الله فعلاجه الفكر في أن العفو ليس بواجب على الله، فهو كمن أنفق جميع ماله وترك نفسه وعياله فقراء فينتظر أن الله سبحانه يطلعه على كنز من الكنوز في أرض خربة، وهذا أيضاً حماقة مثل سابقه، فإن قيل هذا موقوف على الفكر فما بال القلوب هجرت الفكر وما علاج القلوب لردها إليه؟

قلنا المانع لها أمران: أحدهما: إن الفكر في الأمور الآخرة لذاع مؤلم للقلب فينفر القلب عنه، ويتلذذ بالعكس في أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة.

وثانيهما: إن الفكر مشغول بلذات الدنيا في كل ساعة وفي كل حين فصار عقله مسخراً لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته.

وأما علاجهما فبأن يقول لقلبه إذا تألمت من الفكر في أمور الآخرة فكيف لا

تخاف من الألم على ورودها عليك ومواقعتها لك ونظائر هذه التفكرات، إذا عرفت هذا فاعلم أن الإصرار إما فعلي وهو المداومة على نوع واحد من الصغائر بلا توبة أو الإكثار من جنس الصغائر بلا توبة، وإما حكمي وهو العزم على فعل الصغيرة بعد الفراغ منها، أما من فعل الصغيرة ولم يخطر بباله بعدها توبة ولا عزم على فعلها فالظاهر أنه غير مصر، ولعله مما تكفره الأعمال الصالحة من الوضوء والصلاة والصيام كما في الأخبار.

«واسْتِكبارُ الطَّاعَة»

عدها كبيرة عظيمة، وقد ورد الأمر بتعظيمها ولا يتنافيان لوجهين، أحدهما: أن الطاعة نسبة رابطة بين العبد ومولاه تستحق التعظيم من هذه الجهة وإن كانت حقيرة وقليلة بالنسبة إلى ما يستحقه ذلك المولى.

وثانيهما: أن المراد باستكبار الطاعة استكبار جزائها والمبادرة إليها والإقبال عليها على وجه الرغبة والتسليم.

«واستِصْغارُ المَعْصِيَة»

قال الصادق عليه السلام اتقوا المحقرات من الذنوب فإنها لا تغفر، قلت وما المحقرات؟ قال الرجل يذنب الذنب فيقول طوبى لي لو لم يكن لي غير ذلك، وقال عليه السلام إن الله خبأ ثلاثاً في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منه شيئاً فلعل رضاه فيه، وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منها شيئاً فلعل غضبه فيها، وخبأ أولياءه في عباده فلا تحقروا أحداً منهم فلعل ولي الله (فيهم)[1]، وقال عليه السلام لا تنظر إلى أصغر معصيتك ولكن انظر إلى من عصيت. واعلم أن الصغيرة تعظم بأمور.

الأول: الإصرار وبذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار فكبيرة واحدة أرجى للعفو من صغيرة تداوم عليها، ومثال قطرات الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر فيه، وذلك القدر لوصب عليه دفعة واحدة لم يؤثر، لأن الصغيرة كلما دامت عظمت في إظلام القلب، والكبيرة قلما يتصور الإتيان بها من دون صغائر تكتنفها فإن الزاني قلما يزني بغتة بل يحتاج إلى المراودة وباقي المقدمات.

---

(١) غير موجودة في الأصل، ولكن يقتضيها سياق الكلام.

الثاني: استصغار الذنب فإنه إذا استعظم صغر عند الله وإذا استصغر عظم عند الله، لأن استعظامه يدل على كراهية القلب له، واستصغاره يدل على شدة الألفة به وهو يوجب تأثر القلب به.

الثالث: السرور بالصغيرة فإنها تكبر عند ذلك، كما يقول القائل رأيتني كيف خجّلت فلاناً وكيف مزقت عرضه وكيف خدعته وكيف نفقت عليه الكاسد، لأنه ينبغي أن يكون في حزن ومصيبة من جهة غلبة الشيطان عليه.

الرابع: أن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإمهاله له، ولا يدري أنه إنما أمهل مقتاً ليزداد إثماً، فيظن أن تمكينه من المعاصي عناية من الله عز وجل، فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور.

الخامس: إظهار الذنب فإن هذا منه خيانة على ستر الله الذي أسدله عليه، وتحريك لرغبة السامعين لذلك الذنب، فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته، فإن أُضيف إليه حمل الغير على ذلك الفعل كان أربع جنايات، وفي الحديث كل الناس معافى إلاّ المجاهرين، يبيت أحدكم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح ويكشف ستر الله ويتحدث به، وذلك لأن من صفاته ستر القبيح.

السادس: أن يكون المذنب عالماً يقتدى به فإنه قد يموت العالم ويبقى شره، وقال ابن عباس ويل للعالم من الأتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق، وله أسباب أخر لا نطول الكتاب بذكرها.

«ومُباهَاةُ المُكْثِرِينْ»

أي مفاخرتي لهم أو مفاخرتهم[١] لي أو المباهاة المتعارفة بينهم، وقيل المراد المفاخرة مع الناس بسبب الأصدقاء المكثرين كأن أقول إن أقاربي وأصدقائي المكثرين أحسن أو أكثر من أصدقائك المكثرين.

«والإِزْرَاءُ بِالمُقِلِّينْ» احتقارهم، وفي القاموس أزرى بأخيه إذا أدخل عليه عيباً أو أمراً يريد أن يلبس عليه.

---

(١) في الأصل: مفاخرتي لهم.

«**وسُوءُ الوِلاَية**» أي الحكومة.

«أَصْطَنِعُ العارِفَة»

صنع المعروف كما قال عليه السلام لعن الله قاطعي المعروف وهو الرجل يترك شكره فيترك البار ذلك البر، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر به إلى النار، فيقول أي رب أمرت بي إلى النار وقد قرأت القرآن، فيقول الله أي عبدي إني أنعمت عليك فلم تشكر نعمتي، فيقول أي رب أنعمت عليّ بكذا فشكرتك بكذا وشكرتك بكذا فلا يزال يحصي النعم ويعدد الشكر، فيقول الله صدقت عبدي إلا أنك لم تشكر من أجريت لك نعمتي على يديه، وإني قد آليت على نفسي إني لا أقبل شكر عبد لنعمة أنعمتها عليه حتى يشكر سائقها من خلقي إليه.

«أَوْ نُعْضِدَ ظَالِماً»

أي نشد عضده ونقويه على ظلمه كما ذهب إليه جمهور أصحابنا من أن معونة الظالمين إنما تحرم فيما له دخل في الظلم لا ما لا دخل له فيه كالخياطة لهم ونحوها، وكأنهم فهموه من تعليق الحكم على الوصف فإنه مشعر بالعلية، والذي يختلج في خاطري تحريمه مطلقاً لوجهين:

أحدهما: دلالة الآيات والأخبار عليه كقوله تعالى: ﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار**﴾، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم وقد سأله خياط لبعض عمال الجور أما أنت فمنهم، وأما من يبيعك الخيوط فمن معينيهم، بل ورد في الحديث النهي عن معاونتهم حتى على بناء المساجد، ولو أن الجُعَلَ بنى بيتاً في منازل الظالمين لعذبه الله تعالى، ونهيه عليه السلام لصفوان الجمال عن حملان الظلمة إلى مكة، وقال له إذا تمنيت بقاءهم إلى مكة ليوفوك كراك فيها حشرك الله معهم، فباع جماله وترك السفر، والأخبار في ذلك مستفيضة.

وثانيهما: أن كل معونة من المعونات لها دخل في الظلم، مثلاً الخياطة التي مثلوا بها تشتمل على نوع تقوية الظالمين فإن الناس لو تركوا الخياطة للحكام والسلاطين حتى يحتاجوا إلى الثياب ولا يحصلوها لتركوا حكومتهم وأعطوا الحق أهله، كما روي أن رجلاً كان كاتباً في ديوان بني أمية وعنفه الصادق عليه السلام وقال لو

تركتم كلكم الكتابة في ديوانهم لأدّوا إلينا حقنا، والمراد بالظالم من ارتكب المحاكمة بين الناس وأخذ أموالهم بغير حجة شرعية، كالحكام والقضاة من الشيعة أو من غيرهم، ويدخل فيه المصر على الذنب فإنه ظالم لنفسه بحكم الآيات والأخبار.

«أو نَخْذُلَ مَلهُوفاً» وهو ترك نصرة المظلوم.

«أَوْ نقُولَ فِي العِلْمِ بغَيرِ عِلْمْ»

يدل على عدم جواز التعويل على الظن في الأحكام الشرعية، لأن الظن المستند إلى إمارة شرعية يرجع إلى العلم، لأن الشارع أوجب علينا العمل عند حصول هذه الإمارة فهو حكم الله في حقنا، وعن أبي جعفر عليه السلام قال لما دعا نوح عليه السلام ربه على قومه أتاه إبليس فقال له يا نوح إن لك عندي يداً أريد أن أُكافيك عليها، فقال نوح والله إني لبغيض إليّ أن يكون لي عندك يداً فما هي؟ قال بلى، دعوت الله على قومك فأغرقتهم فلم يبق لي أحد أغويه فأنا مستريح حتى ينشأ قرن آخر فأغويهم، قال له فما الذي تريد أن تكافيني به، قال له اذكرني في ثلاث مواطن فإني أقرب ما أكون من العبد إذا كان في إحداهن، اذكرني عند غضبك، واذكرني إذا حكمت بين اثنين، واذكرني إذا كنت مع امرأة جالساً ليس معكما أحد.

«أن نَنطَوِيَ عَلَى غُشٍّ أَحَدْ»

الغش ضد النصيحة والانطواء عليه قد يدعو إلى إظهاره فالاستعاذة منه لذلك لأن الأعمال القبيحة لا تكتب على العبد إلا بالفعل لا بالإضمار، بخلاف الأعمال الحسنة فإنها تكتب بمجرد النية، وهو أحد معاني قوله عليه السلام نية المؤمن خيرمن عمله، وظني أن الأعمال على قسمين أعمال بدنية وأعمال قلبية، فالأولى كالزنا ونحوه لا تكتب على العبد إلا بفعلها بخلاف الثانية كالنفاق والحقد والغش ونحوه، فإنها من أفعال القلب ويعبر عنها باللسان فهذه وأمثالها يعاقب عليها فاعلها عند عقد القلب عليها فإنها من أفعاله، ويؤيده ما روي في تفسير قوله تعالى: **﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾**، أن المراد به الإقرار والمعرفة التي هي من أعمال القلب، ولا ينافيه ما روي في تفسيرها عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: **﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾** أنه كان فيما أوحى الله إليه هذه الآية وهي قوله تعالى: **﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾**، انتهى. وكانت قد عرضت على

الأنبياء والأمم فأبوا أن يقبلوها من ثقلها، وقبلها رسول الله ﷺ وأمته فلما رأى الله تعالى منهم القبول على أنهم لا يطيقونها، فلما أن سار إلى ساق العرش كرر عليه الكلام ليفهمه فقال: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه**﴾، فأجاب رسول الله ﷺ عن أمته فقال: ﴿**والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**﴾، فقال عز وجل أما إذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الأمم فأبوا أن يقبلوها وقبلتها أمتك فحق عليّ أن أرفعها عن أمتك وقال: ﴿**لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها لها ما كسبت** [من خير] **وعليها ما اكتسبت** [من شر]﴾، فإن الذي رفعه الله تعالى عنهم الذي لا يطيقونه وهو أعمال الجوارح بمجرد الخطور لعدم الطاقة عليه، أما الأعمال القلبية فلا ريب في أنها داخلة تحت الطاقة إذ مصدرها هو القلب لا غير.

«وأَنْ نُعْجَبَ بأَعْمَالِنا»

بضم النون مجهول باب الأفعال والباء للسببية أي تحملنا أعمالنا على العجب، وكسر الجيم كما في الأصل من أعجب، وعن الصادق عليه السلام قال أوحى الله إلى داود عليه السلام يا داود بشر المذنبين وانذر الصديقين، قال كيف أُبشر المذنبين وأُنذر الصديقين قال يا داود بشر المذنبين بأني أقبل التوبة وأعفو عن الذنب، وأَنذر الصديقين أن يعجبوا بأعمالهم فإنه ليس عبد يعجب بالحسنات إلا هلك، وعن أحدهما عليهما السلام قال دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والآخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق، وذلك أنه يدخل العابد مدلاً بعبادته فتكون فكرته في ذلك، وتكون فكرة الفاسق الندم على فسقه ويستغفر الله تعالى مما صنع من الذنوب، أما من صادف من نفسه السرور بالطاعة والابتهاج بها لكنه لا يستعظمها بل يفرح بفعلها ويحب الزيادة منها فهو حسن جداً وهو لازم للطبيعة البشرية، قال الصادق عليه السلام عليك بالجد ولا تخرجن نفسك من حد التقصير في عبادة الله وطاعته، فإن الله تعالى لا يعبد حق عبادته، وأما السرور والشكر على التوفيق فحسن محمود، وقال أمير المؤمنين عليه السلام من سرته حسنة وساءته سيئة فهو مؤمن، والفرق بين الرياء والعجب أن الرياء مقارن للعبادة والعجب متأخر عنها، فتفسد بالرياء لا بالعجب.

«وأَنْ يَسْتَحوِذَ عَلَيْنا الشَّيْطَانْ»

يستولي علينا قال رسول الله ﷺ بينما موسى عليه السلام جالساً إذ أقبل عليه

إبليس وعليه برنس وألوان فقال له ما هذا البرنس قال اختطف به قلوب بني آدم، قال فأخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه، قال إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه، وقال أمير المؤمنين عليه السلام لو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه، ونجا الذين سبقت لهم منا الحسنى. وروي أنه كان في بني إسرائيل رجل عابد وقد سمع بجماعة يعبدون شجرة فمضى لقلعها فاعترضه الشيطان فقال يا عبد الله مالك والناس عليك بنفسك، فلم يقبل العابد مقالته فتقابضا فصرع العابد الشيطان وضرب الشيطان على الأرض، فقام الشيطان فقال له يا عبد الله اجعل لك كل يوم دنانير تتصدق بها وارجع عن قلع هذه الشجرة فرجع العابد، وأتى إليه بالدنانير في ذلك اليوم وقطعها عنه في اليوم الآخر، ثم إن العابد مضى لقلع الشجرة فاعترضه الشيطان في الطريق وزجره بصوت هائل وقال له ارجع، فلما لم يرجع أخذه الشيطان وضرب به الأرض فقام العابد وهو يقول غلبتك بالأمس وغلبتني هذا اليوم فما السبب والقصة، فقال له الشيطان صرعتني حيث لم تطعني والآن استحوذت عليك فغلبتك حيث أطعتني.

«يُنكِبُنا الزَّمانْ» يصيبنا بمصائبه.

«يَتَهَضَّمُنا» يظلمنا.

«مِنْ تَناوَلَ الإِسْرَافْ»

من إضافة المصدر إلى المفعول وقيل إلى الفاعل، وفي الحديث أن الإسراف فيما أتلف المال وأضر بالبدن، ويفهم من ممارسة الأخبار أنه على قسمين حرام ومكروه، فالأول مثل إتلاف مال أو نحوه فيما هو فوق المتعارف، والثاني إتلاف شيء نافع بلا غرض، ومنه إهراق ما بقي من شرب ماء الفرات ونحوها خارج الماء، وقد روي عن علي عليه السلام.

«الكَفَافْ»

وهو الذي لا يفضل عن الشيء ويكون بقدر الحاجة سمي به لأنه يكف صاحبه عن الطلب، وفي الدعاء اللهم ارزقني الكَفافَ لا كَثيراً فأَطغَى ولا قليلاً فأَشْقَى.

«إلاّ كفَاءً»

الأمثال، وبكسر الكاف وتشديد الفاء كما في بعض النسخ إما جمع كفيف بمعنى بخيل، وإما جمع كافّ وهو من يمنع فضله عن الناس.

«ومِيتَة»

مصدر ميمي للنوع وهو الموت الذي على غير عدة، واقتناء ذخيرة لما بعد الموت وبفتحها كما في س مصدر للتأكيد.

«الحَسْرَةُ العُظمَى»

وهي المشار إليها بقوله تعالى: **﴿يقول يا ليتني قدمت لحياتي﴾** أو المشار إليها بقوله: **﴿يا ليتنا نُردّ فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾**، ولها في الأخبار تفاسير.

أحدها: ما روي أنه يؤتى بعنق من الناس في القيامة فينظرون إلى أعمالهم كالقباطي أو كالجبال فيفرحون بها فإذا قربت منهم أمر الله بريح عاصفة ففرقتها في الهواء، وذلك قوله تعالى: **﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾** وذلك أنهم كانوا يرون أنهم يعملون لله وقد أشركوا به في بواطنهم فعاملهم الله مثل ما عاملوه فهذه هي الحسرة العظمى.

وثانيها: ما روي أن من أشد الناس حسرة من يرى أعماله في ميزان غيره لأنه يتعب بدنه في تحصيل الأموال ويدعها لورثته ينفقونها في سبيل الله، فقد حرم ثواب ما جمع وفاز به غيره فتلك هي الحسرة العظمى، وقال أمير المؤمنين عليه السلام إن أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالاً في غير طاعة الله فورّثه رجلاً فأنفقه في طاعة الله فدخل به الجنة ودخل الأول به النار.

وثالثها: ما روي في تفسير قوله تعالى: **﴿يرون أعمالهم عليهم حسرات﴾**، من أن المخالفين للشيعة يرون ثواب أعمالهم في ديوان الشيعة قد قيد لهم، وذنوب الشيعة في ديوان المخالفين قد قيدت لهم، وذلك قوله تعالى: **﴿أولئك الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾** أي الشيعة، وقوله تعالى: **﴿يحملون أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾** أي مخالفيهم، وهذه هي المصيبة الكبرى والحسرة العظمى.

«وَأَشْقَى الشَّقَاءْ» أي أشقى كل شقاوة.

«الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتْ»

بالهمز والسكون لأن الواو الساكنة المضموم ما قبلها يجوز قلبها همزة للتخفيف ويجوز إبقاؤها لعدم شدة الثقل.

دعاؤه عليه السلام في الاشتياق إلى طلب المغفرة والتوبة

من هنا للبيان أو للتبعيض فإن لها أبعاضاً ومراتب ستقف عليها إن شاء الله تعالى.

«أَوْ دُنياً»

لا ينصرف لمكان الألف المقصورة، والعامة تصرفه وتنونه وقد وجد في بعض النسخ وهو غلط، ومذكرها أدنى أفعل التفضيل من الدناءة الخساسة والحقارة، أو من الدنو وهو القرب لقربها بالنسبة إلى الأخرى.

«بأَسْرَعِهِمَا فَناءً» وهي الدنيا ليكون التقصير فيها.

«واجْعَلِ التَّوْبَةَ»

إن جعل الوقوف كناية عن الفعل فالتوبة هنا بمعناها المشهور، أي إذا قصرنا في أمر ديني وأمر دنيوي فوفقنا للتوبة عن الأول وحده، وإن جعل بمعنى الإشراف على الشيء فالتوبة هنا بمعناها اللغوي وهو مطلق الرجوع يعني ارجعنا عنه حتى لا نفعله، وقيل المراد بالتوبة هنا لازمها وهو الرحمة والمغفرة، وقيل فيه معنى آخر وهو أن يكون المراد وقوع النقص في التقصير في الدين لا في التقصير في الدنيا، والمراد بالنقص رفعه بالكلية فإن الناقص يأتي بمعنى الساقط والزائل، وفي إتيانه عليه السلام بأو إشارة إلى عدم إمكان الجمع بين الدنيا والآخرة، كما ضرب أمير المؤمنين عليه السلام مثلهما بالضرتين وأنه لا يمكن أن يرضي إحداهما إلا بإسخاط الأخرى، وبكفتي الميزان فإن أحدهما لا يرتفع إلا بوضع الأخرى، وبالمشرق والمغرب فإنه كلما ازداد

قرباً من أحدهما ازداد بعداً من الآخر، وفي رواية ابن أشناس المزيد بدل التوبة وهو ظاهر.

«ولاَ تُخَلِّ»

بضم التاء وفتح الخاء وتشديد اللام المكسورة من باب التفعيل، وفي ش فتح التاء والخاء من التفعل بإسقاط إحدى التائين بمعنى الأول تقول خليت زيداً وتخليته، وفي أصل نسخة ش كما قيل بفتح التاء واللام المشددة وكسر الخاء ولا معنى له إلا أن يقال بأخذه من الخلال أي لا تخرج نفسك عن أن تكون خلالاً بين أنفسنا ومراداتها، ويؤيده نسخة وحل بدل قول ولا تخل وهو من البعد بمكان والحيلولة عبارة عن منح الألطاف الإلهية وإلاّ لزم ما قاله المجبرة.

«أَمّارَةً بالسُّوءِ إلاَّ مَا رَحِمْتْ»

اقتباس مما حكاه سبحانه عن يوسف عليه السلام أو عن زليخا والأول هو المشهور، وما إما بمعنى من، أي إلا الشخص الذي عصمته ورحمته بأسباب التوفيق، وإما بمعنى المصدر، أي إلا مدة رحمتك هذا. واعلم أن للنفس في سيرها إلى الله تعالى مراتب.

الأول: أن تكون في مقام الغفلة والانكباب على الشهوات ومقارفة السيئات فتسمى فيها الأمّارة لأنها كثيرة الأمر بالسوء والشهوة.

الثانية: إذا تيقظت من سنة الغفلة بما أفيض عليها تفكرت وتندمت ولامت نفسها على ما صدر منها في المرتبة الأولى فهي في هذه المرتبة تسمى اللوامة، وقد أقسم بها في قوله سبحانه: ﴿**لا أقسم بالنفس اللوّامة**﴾ لزيادة لا في المشهور.

الثالثة: أن تترقى بسبب اللوم والندم إلى إلهام ما يقربها ويبعدها من جناب الحق وتسمى الملهمة، كما قال تعالى: ﴿**فألهمها فجورها وتقواها**﴾، فهي في هذه المرتبة عالمة عاملة.

الرابعة: أنها إذا توغلت في الأعمال الصالحة وقطعت الشهوات ورفعت الموانع أفيض عليها اليقين والصبر على نوائب الزمان، فتتعاورها النوائب وهي مطمئنة عالمة بأن ما وقع فهو في كتاب من قبل أن يبرأها، وتسمى في هذه المرتبة المطمئنة والراضية المرضية، وإليها توجه الخطاب بقوله تعالى: ﴿**يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية**﴾، وههنا تفصيل آخر لمراتب النفس.

المرتبة الأولى: أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلاّ الزلات التي لا ينفك عنها البشر في العادات لمن لم يكن في مرتبة العصمة واسم هذه المرتبة التوبة النصوح، واسم هذه النفس المطمئنة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية، وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله ﷺ: سبق المقربون المستهترون بذكر الله عز وجل، وضع الذكر أوزارهم فوردوا القيامة خفافاً، وأصل هذه الطبقة على ريب من حيث النزوع إلى الشهوات فمن تاب سكنت شهوته تحت قهر المعرفة وإلى ما لا ينفك عن منازعة النفس، لكنه بلي بمجاهدتها ثم تتفاوت درجات النزاع أيضاً بالكثرة والقلة باختلاف المدة واختلاف الأنواع.

المرتبة الثانية: تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وكبائر الفواحش إلا أنه لا ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وقصد ولكن يبتلي به في مجاري العادات وكلما فعل ذنباً لام نفسه وندم على فعله وجدد عزمه على أن لا يفعل، وهذه النفس هي اللوامة إذ تلوم صاحبها على تلك الأفعال الذميمة، وهذه رتبة عالية وإن كانت أدون من الأولى، لأن الشر معجون في طينة ابن آدم فإنه سبحانه قد أثنى عليهم حيث يقول: **﴿والذين إذا فعلوا فاحشة ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾**، وقوله ﷺ خيركم كل مفتتن تواب.

المرتبة الثالثة: أن يتوب ويستمر عليها مدة ثم تغلبه الشهوة في بعض الذنوب فيقدم عليها (عن)[1] قصد وصدق شهوة إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة، وإنما قهره هذه الشهوة الواحدة أو الشهوات وهو يحب أن يوافقه الله للارتداع عنها، وكلما واقع ذلك الفعل أراد من الله التوبة ويسوف التوبة والنفس في هذه المرتبة تسمى المسولة وصاحبها مندرج تحت قوله تعالى: **﴿وآخرون اعترفوا بذنبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾**، فعسى الله أن يتوب عليه بتلك الطاعات وللندم على المعاصي، وهو في خطر من تسويفه التوبة، ولعل المنية تفجأه، قال ﷺ إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس إنه من أهلها ولا يبقى بينه وبينها إلاّ شهر ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، فإذن الخوف من الخاتمة قبل التوبة.

---

(١) في الأصل: من.

المرتبة الرابعة: أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة، ومن غير أن يتأسف على فعله، بل ينهمك في اتباع شهوته فهذا من جملة المصرين، والنفس في هذه الدرجة تسمى الأمّارة بالسوء الفرارة من الخير، وهذا يخاف عليه من سوء الخاتمة وقد يغره جهله بأن يقول: الله كريم وجنته لا تضيق عني ومعصيتي ليس تضره، فيقال له إنك تركب البحار والقفار لتحصيل الرزق فكيف لا تقول إنه كريم مع أنه ضمن الرزق بقوله سبحانه: ﴿**وما من دابة في الأرض إلا وعلى الله رزقها ويعلم مستقرها**﴾، ولم يضمن العفو عن الذنب، فما بالك اعتمدت عليه هناك وتركت الاعتماد عليه هنا نعوذ بالله من عمى أنفسنا وسوء أفعالنا.

«مِنَ الضَّعْفِ»

أي الضعيف للمبالغة وهو إما عبارة عن المني ورطوبات الأخلاط، أو عبارة عن العدم ولا شيء أضعف منه، أو هو إشارة إلى أن الإنسان حال طفوليته ضعيف القوتين البدنية والروحانية فيتدرج بهما إلى ما يليق به كماً وكيفاً، أو هو إشارة إلى ضعفه في كل أوقات حياته فإن البعوضة تؤذيه والبرودة توهيه.

«مَهِينْ» حقير.

«فلاَ حَولَ لَنَا إلاّ بِقُوَّتِكَ وَلاَ قُوَّةَ لَنَا إلاّ بِعَونِكْ»

أي لا حائل لنا عن المعاصي ولا قوة لنا على الطاعات إلا بعونك، وهو المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام، أو لا تحويل ولا قدرة على الانتقال من المعاصي إلى الطاعات إلا بمعاونتك وهو المروي عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، وقال ابن الأثير الحول ههنا بمعنى الحركة يقال حال الشخص إذا تحرك، والمعنى لا حركة ولا قوة لنا إلا بإمدادك لنا، وقيل الحول هنا بمعنى الحيلة.

«وَسَدِّدْنا» أي وفقنا للسداد أي الصواب من القول والعمل.

«ولاَ تَجْعَلْ لِشَيءٍ مِنْ جَوارِحِنَا نُفُوذاً فِي مَعْصِيَتِكْ»

قال الفاضل الداماد هو من باب القلب لا من باب الإلباس، أي لا تجعل لمعصيتك نفوذاً في شيء من جوارحنا انتهى، وهو كما ترى فإن العين هي التي تنفذ

في النظر إلى المحرمات وتنهمك فيها، واللسان هو الذي ينهمك في الكذب والغيبة وينفذ فيهما وكذا سائر الأعضاء.

«هَمَساتُ قُلُوبِنا»

الهمس في اللغة الصوت الخفي، ومنه سمي الأسد هموساً لأنه لا يسمع صوت مشيه، والمراد هنا دقائق أفكار النفس الناطقة ولحظات أنظارها وانبعاث ميولها.

«ولَهَجَاتُ» لغات.

دعاؤه عليه السلام في اللجإ إلى الله تعالى

«فَبِفَضْلِكْ»

جزاء الشرط، وقيل جزاؤه تَعْفُ، وهذا جواب لشرط محذوف أو خبره مبتدأ محذوف أي فذلك بفضلك.

«تُعَذِّبْنا» بالسكون وفي ش مرفوع ومحلها النصب على المفعولية.

«يا غَنِيَّ الأَغْنِياءِ هَا نَحْنُ عِبادُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ وأَنا أَفقَرُ الفُقَرَاءِ إِلَيْكْ»

الغني هنا هو المستغني عن الخلق بذاته، وقيل بمعنى المغني وفي بعض النسخ أغنى، وقد أدرج عليه السلام لطائف في هذه الفقرة.

أحدها: جعل أداة النداء يا الموضوعة للبعيد مع أنه تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد، وذلك أن جرائمنا أبعدتنا عن ساحة جلاله بمراحل ولذا احتاج إلى النداء.

وثانيها: نداؤه تعالى بهذا الاسم لا بغيره رعاية لبراعة الاستهلال التي هي من آداب الدعاء، كما ستقف عليه من أن المطلوب من الدعاء إن كان رفع الفقر والفاقة فينبغي أن يذكر في ذلك المقام الغني والمنعم ونحوه، وإن كان المقصود غفران الذنب فينبغي أن يذكر فيه العفو والغفور وأشباههما وكذا سائر المناسبات.

وثالثها: ذكر المضاف إليه لئلا يتوهم أن غناه تعالى إضافي كغيره فهو غني من جهة ومحتاج من أخرى فلا يقدر على إجابة الطلبات إذ لعلها تأتي من جهة الاحتياج.

ورابعها: تصدير الجملة بحرف التنبيه الموضوع لتنبيه المخاطب في أمر قد غفل

عنه. فهو يوقظه ويقول أيها الغافل عنا تيقظ إلينا لأننا عبيدك، ويليق بالسيد العفو عن عبيده، وفائدتها أيضاً استعظام ما بعدها حتى كأنه يحتاج إلى تنبيه المخاطب واستقباله له.

وخامسها: الإتيان بضمير الفعل للدلالة على أنه عليه السلام طالب للشفاعة والرحمة في هذا المقام لا شفيعاً لغيره.

وسادسها: جمع العبيد وهو من استنهاض المولى على الشفقة بمكان فكأنه قال إن جميع عبادك واقفون ببابك، والجماعة لا تخلو من قابل المرحمة وإن لم أكن أنا قابلاً لها إلا أنها إذا نزلت عمت، وفي التعبير بلفظ العباد أيضاً لا بلفظ الناس والخلائق استعطاف واستشفاق لأن العبد لا ملجأ له إلا إلى مولاه.

وسابعها: قوله بين يديك، لأنه وإن كان بعيداً بما عرفت إلا أنه ناداه وأيقظه من الغفلة التي كنا نحن السبب فيها واستعطفه، فكأنه تعالى قرب إلينا بسبب هذه التضرعات فنحن واقفون بين يديه وطارحون أنفسنا لديه، وصاحب الحاجة السمج الذي يقول لا أمضي حتى يقضي لي مولاي حاجتي أحرى بقضاء الحاجة من العبد الغائب المتماهل في طلب الحاجة.

وثامنها: تخصيص نفسه الشريفة بعد التعميم للدلالة على كمال الانقطاع بأن هؤلاء وإن كانوا عبيدك وهم فقراء إلا أني أفقر من كل فقير، فأنا أحق بمبادرتك لي بالإحسان من سائر عبادك، وهذا طرز حسن ينبغي المداومة عليه في مقامات الطلب حتى من الملوك والسلاطين، ويمكن استخراج زهاء مائة لطيفة من هذه الفقرة الشريفة.

«**أَسْتَرفِدْ**» طلب الرفد وهو العطاء.

«**سُبحَانَكْ**» ننزهك عن قطع الرجاء وما بعده.

«**الَّذِينَ أَوْجَبْتَ إِجابَتَهُمْ**»

هذا وما بعده ناظر إلى قوله تعالى: ﴿**ادعوني أستجب لكم**﴾، وقوله تعالى: ﴿**امن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء**﴾.

دعاؤه عليه السلام بخواتم الخير

«**شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينْ**» دفع ما يتوهم أن في ذكرنا له تعالى منة منا عليه.

«**واشْغَلْ قُلُوبَنا**»

لما كان ملاك البدن هو القلب، وأظهر افراد الشكر من اللسان، أضاف كل واحد إلى مناسبه.

«**من شُغْلْ**» أي من أشغال العبادات.

«**لا تُدْرِكْنا فِيهِ تَبِعَةٌ ولاَ تَلْحَقُنَا فِيهِ سَآمَةٌ**»

التبعة ما تتبع الإنسان من النوائب دنيوية كانت أو أخروية، والسآمة الملال، وحاصل المعنى أن ذلك الفراغ من العبادة لا يكون فراغاً يلحقنا فيه تبعات وملال حتى لا نقدر معه على العود إلى تلك العبادة فإن الذنوب والآلام تحبس عن الطاعات، وكذا الملال، ويجوز أن يكون المعنى أن ذلك الفراغ لا يكون مسبباً عن التبعة والملال، بل يكون فراغ سلامة منهما كأن يكون سببها اكتساب معيشة أو نحوها من المباحات.

«**كُتَّابْ**»

بوزن رمان وفي بعض النسخ بوزن قتال، ونسبة الانصراف إليه على طريق المجاز، قيل ولعله من باب التجريد نحو لقيت زيداً أسداً.

«**وتَصَرَّمَتْ**» انقضت.

«**وَلاَ تُوقِفْنَا**»

من الإيقاف أي لا تطلعنا بعد هذه التوبة على أعمالنا القبيحة، بل اجعل هذه التوبة ساترة لها، أو لا توقفنا بين يديك للحساب على هذه الأعمال، أو لا ترجعنا إلى ذلك الذنب الذي تبنا منه فتوقفنا عليه مرة أخرى، وفي س ولا تقفنا من الوقوف.

«اجْتَرَحْناهُ» الاجتراح والاقتراف الاكتساب.

«ولاَ تَكْشِفْ عَنَّاً سِتْراً سَتَرْتَهُ عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهادْ يوم َتَبلُو»

الظرف أعني قوله يوم إما أن يكون ظرفاً للستر، وحينئذٍ فالمراد بالأشهاد الملائكة المقربون والأنبياء المرسلون، يعني أن ذلك الستر الذي غطيت به رؤوسهم ومنعتهم به من النظر إلى مساوئنا في يوم اختبار عبادك لا تكشفه عنا ذلك اليوم، وإما أن يتعلق بقوله تكشف والمعنى تارة على الأول وأخرى على أن المراد من الأشهاد الجماعة الحاضرون معنا في الدنيا، أي ذلك الستر الذي سترته علينا في الدنيا وجعلته على رؤوس حاضرينا يمنعهم عن الاطلاع علينا لا تكشفه عنا يوم القيامة، روي أن الله تعالى قد جعل على كل إنسان أربعين جنة تستره وتغطي مساوئه، فإذا فعل كبيرة هتك منها كل جنة، وكل كبيرة يفعلها يرتفع بها جنة حتى ترتفع الجنن كلها فيبقى مهتوك الحجاب، فيأمر الله تعالى الملائكة الحافظين لأعماله بأن يضعوا أجنحتهم عليه ستراً له، فإذا أخذ في بغض أهل البيت عليهم السلام أمر الله تعالى الملائكة بأن يرفعوا أجنحتهم عنه فيبقى بلا ستر ولا حجاب، ويقول تعالى للملائكة لو كان فيه خير لما تركته من يدي، ويجوز أن يتعلق الجار والمجرور بقوله تكشف إما بناء على أن على بمعنى مع، وإما بتضمين لا تكشف معنى لا تشهر أي لا تشهرنا على رؤوسهم حتى ينظروا إلينا، فإن المشهور ربما أركبوه حماراً أو ثوراً أو جملاً فيكون مشرفاً على رؤوس الخلائق.

إذا تحققت هذا، فاعلم أنه قد كتبت ألف بعد واو تبلو وكأنه تبع لرسم خط القرآن، وفرق بعض محققي العربية بين المفرد الذي هو بمعنى الجمع من حيث اشتماله على أفراد متعددة كما في تبلو وأشباهه، لتعدد أفراد الابتلاء بالنسبة إلى كل خبر من أخبار العباد وبين المفرد الذي لم يكن كذلك، فجوز كتابة الألف بعد الواو الأولى لمشابهته لواو الجمع دون الثانية، وفي نسخة الشيخ الكفعمي بعد هذا الدعاء دعاؤه لآدم عليه السلام ونسخ الصحيفة صفر منه لكنه مذكور في ملحقاتها وسنشرحه هناك إن شاء الله تعالى.

«خِلاَلْ» جمع خلة بمعنى الخصلة.

«وَتَحْدُونِي» تبعثني.

«وَوَفَد» قدم وأقبل.

«إِذْ جَمِيعُ إِحْسَانِكَ تَفَضُّلٌ وَإِذْ كُلُّ نِعَمِكَ ابْتِدَاءٌ»

قال الفاضل الداماد إذ قاطبة ما سواك مستند إليك بالذات أبد الآباد مرة واحدة دهرية خارجة عن إدراك الأوهام لا على مشاركة المرات الزمانية المألوفة للقرائح الوهمانية فطباع الإمكان الذاتي ملاكه الافتقار إلى جدتك، ومناطه الاستناد إلى هبتك، فكما أن النعم والمواهب فيض جودك ورحمتك فكذلك الاستحقاقات والاستعدادات المرتبة في سلسلة الأسباب والمسببات مستندة جميعاً إليك وفائضة بأسرها من تلقاء فياضتك، انتهى، وهو كلام حسن رشيق، وقال بعض المعاصرين الحكم بأن الإحسان والنعم كلها تفضل إما بناء على أن المراد منهما الأكثر، وإما على أن المراد منهما ما يكون في الدنيا لأن بعض النعم الأخروية بالاستحقاق، وإما بناء على أن استحقاق بعض النعم لما كان متوقفاً على الأعمال الحسنة وهي متوقفة على الوجود والقدرة وسائر الآلات وهي منه تعالى فكأن النعم والإحسان كلها تفضل، والظاهر من ممارسة الأخبار والأدعية المأثورة عنهم عليهم السلام أن الإحسان الدنيوي والأخروي وسائر المثوبات كلها تفضل منه تعالى، نعم قد تفضل سبحانه بأن جعل شيئاً من الثواب في مقابلة الأعمال، ولو كافانا حقيقة لذهبت أعمالنا كلها بالصغرى من أياديه، وروي أن عابداً من بني إسرائيل عبد الله خمسمائة عام صائماً قائماً وقد أنبت الله له شجرة رمان على باب الغار يأكل كل يوم منها رمانة واحدة، فإذا كان يوم القيامة وضعت تلك العبادات كلها في كفة من الميزان ووضعت في الكفة الأخرى رمانة واحدة فترجح تلك الرمانة على سائر الأعمال، ولو لم يكن في استظهار هذا الكلام إلا مكافاته الحسنة بعشر أمثالها لكفى في صحة ما ادعيناه.

«**فَها أَناذَا**» قد خففت في رسم الكتابة.

«**البائِسْ**» الشديد الحاجة.

«**المُعِيلْ**»

الكثير العيال، وفي الحديث أن قلة العيال أحد اليسارين كما أن كثرة العيال أحد الفقرين.

«مُقِرٌ لَكَ بِأَنّي لَمْ أَسْتَسْلِمْ وَقْتَ إِحْسَانِكَ إلاّ بالإقْلاعِ عَنْ عِصْيَانِكْ»

عدت هذه الفقرة من مشكلات الفقرات الشريفة لأن دأبه عليه السلام الاعتراف بالمعصية والجرائم، وأيدوه بما وجد في نسخة ابن أشناس والكفعمي وغيرهما من قوله مقر لك بأني لم أخل في الحالات كلها من إحسانك ولم أسلم مع وفور إحسانك من عصيانك، فصرفوا ما هنا عن ظاهره باحتمالات.

الأول: كون معناه إني مقر بأن الاستسلام وقت الإحسان لا يكون مني إلا بالإقلاع عن المعاصي والكف عنها، ولما لم يحصل مني لم يحصل الانقياد أيضاً مني لك.

الثاني: إن الإقلاع كما يكون لازماً يكون متعدياً والمعنى عليه إني لم أستسلم لك إلا بإقلاعك بي عن المعاصي وكفي عنها منك.

الثالث: إن المستثنى منه محذوف والمعنى إني مقر لك بأني لم أستسلم لك في شكر نعمة من نعمك لا في شكر إقلاعك لي عن المعاصي.

الرابع: إن المراد بالعصيان بعض أفراده التي احترز منها وقت الإحسان.

الخامس: أن إلا عاطفة مثلها في قوله تعالى: ﴿**لكيلا يكون للناس حجة إلا الذين آمنوا**﴾، وهذه الوجوه كلها من التكلف بمكان، بل الظاهر إرادة الظاهر فإنه غير بعيد منه عليه السلام أن يقول يا رب أقر لك بأني لم أستسلم لك وقت الإحسان إلا بكفي عن معاصيك، مع أنه ينبغي استغراق ذلك الوقت بالشكر والحمد، وهكذا فهمه شيخنا البهائي (قده).

«**سُخْطِكْ**» بضم السين وسكون الخاء وبفتحهما بمعنى الغضب.

«**سُبحَانَكْ**» يجوز تعلقه بما قبله وبما بعده.

«**لاَ أَيأَسْ**» وفي ش لا أيأس على أنه اسم لا النافية للجنس.

«**بِحُرْمَةِ رَبِّهْ**»

ينبغي الوقف عليه حتى يكون ما بعده كلاماً مستأنفاً ولذا يرقم عليه ط أو م أي أنه وقف مطلق أو لازم.

«**قَدِ انْقَضَتْ**» لأن ما بقي من العمر ظرف لما بقي من العمل.

«**فَقَامَ إلَيْكَ بِقَلْبٍ طَاهِرٍ نَقِيّ**»

هذه الفقرة وسابقها ولاحقها مما ظاهره الاختصاص به عَلَيْهِ السَّلَامْ لأن القلب الطاهر من الرذائل أعز من الكبريت الأحمر، وأما فإذا وصلت إلى هذه الفقرة فتارة أتخطاها وتارة أقرأها قاصداً منها الطهارة من الشرك بالله ومن محبة فلان وفلان وفلان.

وغَرَّقَتْ دُمُوعُهُ خَدَّيهْ»

لا يجوز تلاوة مثل هذه الفقار إلا إذا حصل الإقبال وسالت الدموع على الخدين وأحاطت الرعشة بالجانبين.

«**حَائِلْ**» ضعيف وفي س خامل من الخمول وهو الخفاء.

«**تَطَأْطَأَ**» خفض رأسه وتواضع.

«**انْتَابَهَ**»

أي قصدوه على التناوب، قال الفاضل الداماد ومن أعاجيب الأغلاط ما وقع هاهنا لغير واحد من القاصرين وهو حسبان ذلك انفعال من التوبة أي الرجوع من الذنب والندم عليه، انتهى.

«**تَحَمَّدَ**» حمد نفسه وأظهر حمده.

«**ويَا مَنْ ضَمِنَ لَهمْ إجَابَةَ الدُعَاءْ**»

في هذا المقام أمور لا بد من التنبيه عليها:

الأول: في بيان آداب الدعاء وشرائطه وبه ترتفع شبهة من قال إنا ندعو فلا

يستجاب لنا فنقول من الشروط رعاية جهة الدعاء، كما روى عثمان بن عيسى عمن حدثه عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت آيتان في كتاب الله تعالى أطلبهما ولا أجدهما، قال ما هما؟ قلت قول الله: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ فندعوه فلا نرى إجابة، قال أفترى الله أخل وعده؟ قلت لا، قال فمم ذلك؟ قلت لا أدري، فقال لكني أخبرك من أطاع الله فيما أمره ثم دعاه من جهة الدعاء أجابه، قلت وما جهة الدعاء، قال تبدأ فتحمد الله وتذكر نعمه عليك ثم تشكره ثم تصلي على النبي صلى الله عليه وآله ثم تذكر ذنوبك فتقربها ثم تستغفر الله منها فهذه جهة الدعاء.

ومنها الاجتماع في الدعاء قال أبو عبدالله عليه السلام ما اجتمع أربعة رهط قط على أمر واحد فدعوا الله إلاّ تفرقوا عن إجابة، وقال عليه السلام كان أبي إذا حزنه أمر جمع النساء والصبيان ثم دعا وأمّنوا، وقال عليه السلام الداعي والمؤمن في الأجر شريكان.

ومنها العموم في الدعاء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دعا أحدكم فليعمم فإنه أوجب للدعاء.

ومنها أن يدعو الله تعالى بأسمائه المناسبة لمقصوده وقد تقدمت الإشارة إليه.

ومنها الدعاء للاخوان، روى ابن أبي عمير عن زيد النرسي قال كنت مع معاوية بن وهب في الموقف وهو يدعو، فتفقدت دعاءه فما رأيته يدعو لنفسه بحرف ورأيته يدعو لرجل رجل من الآفاق ويسميهم ويسمي آباءهم حتى أفاض الناس، فقلت له يا عم لقد رأيت عجباً منك، فقال وما الذي أعجبك مما رأيت، قلت إيثارك اخوانك على نفسك في هذا الموضع وتفقدك رجلاً رجلاً، فقال لي لا يكون تعجبك من هذا يا بن أخي فإني سمعت مولاي ومولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة موسى بن جعفر وكان والله سيد من مضى وسيد من بقي بعد آبائه عليهم السلام وإلا صُمّتا أذنا معاوية وعميت عيناه ولا نالته شفاعة محمد صلى الله عليه وآله إن لم أكن سمعت منه وهو يقول من دعا لأخيه في ظهر الغيب ناداه ملك من سماء الدنيا يا عبد الله لك مائة ألف ضعف مما دعوت وناداه ملك من السماء الثانية لك مائتا الف ضعف وهكذا إلى السماء السابعة فيقول له ملكها ولك سبعمائة الف ضعف ثم يناديه الله عز وجل أنا الغني لا أفتقر لك الف الف ضعف مما دعوت، فأي الخطرين أكبر يا ابن أخي ما اخترته أنا لنفسي أو ما تأمرني به.

ومنها الرقة قال الإمام الصادق(ع) إذا رق أحدكم فليدع فإن القلب لا يرق حتى يخلص.

ومنها البكاء وهو سيد الآداب لدلالته على الإخلاص الذي تحصل عنده الإجابة، قال الصادق عليه السلام إذا اقشعر جلدك ودمعت عيناك ووجل قلبك فدونك دونك فقد قصد قصدك.

ومنها الإلحاح في الدعاء قال عليه السلام والله لا يلح عبد مؤمن على الله في حاجة إلاّ قضاها له، وقد كره إلحاح الناس بعضهم على بعض في المسألة وأحب ذلك لنفسه.

ومنها تسمية الحاجة قال الصادق عليه السلام إن الله يعلم ما يريد العبد ولكنه يحب أن تبث إليه الحوائج.

ومنها الإسرار في الدعاء قال الرضا عليه السلام دعوة العبد سراً دعوة واحدة تعدل سبعين دعوة علانية.

ومنها رفع اليدين بالدعاء وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرفع يديه إذا ابتهل ودعا كما يستطعم المسكين، وسأل أبو بصير الصادق عليه السلام عن الدعاء ورفع اليدين، فقال على أربعة أوجه، أما التعوذ فتستقبل القبلة بباطن كفيك، وأما الدعاء في الرزق فتبسط كفيك وتفضي بباطنهما إلى السماء، وأما التبتل فبإيمانك بإصبعك السبابة، وأمّا الابتهال فترفع يديك تجاوز بهما رأسك، وأما التضرع فإن تحريك أصبعك السبابة مما يلي وجهك وهو دعاء الخفية، وقال عليه السلام الرغبة أن تبسط يديك وتظهر باطنهما، والرهبة تبسط يديك وتظهر ظهرهما، والتضرع تحرك السبابة اليسرى، والابتهال تبسط يديك وذراعك إلى السماء، والابتهال حين ترى أسباب البكاء، وقال عليه السلام هكذا الرغبة وأبرز باطن راحتيه إلى السماء، وهكذا الرهبة وجعل ظهر كفيه إلى السماء، وهكذا التضرع وحرك أصابعه يميناً وشمالاً، وهكذا التبتل يرفع أصبعه مرة ويضعها أخرى، وهكذا الابتهال ومد يديه تلقاء وجهه، وقال لا تبتهل حتى تجري الدمعة، وفي حديث آخر الاستكانة في الدعاء أن يضع يديه على منكبيه، وأراد بعض المحققين بيان مناسبات لهذه الأمور فقال لعل المراد ببسط كفيه في الرغبة كونه أقرب إلى حال الراغب في بسط آماله وحسن ظنه بأفضاله ورجائه لنواله، فالراغب يسأل بالأمان فيبسط كفيه لما يقع فيهما من الإحسان، والمراد بالرهبة بجعل ظهر الكفين إلى السماء كون العبد يقول بلسان الذلة والاحتقار لعالم الخفيات والأسرار أنا ما أقدم على بسط كفي

إليك وقد جعلت وجههما إلى الأرض ذلاً وخجلاً بين يديك، والمراد بالتضرع بتحريك الأصابع يميناً وشمالاً لا أنه تأسياً بالثاكل عند المصاب الهائل فإنها تقلب يديها وتنوح بهما إدباراً وإقبالاً ويميناً وشمالاً، والمراد بالتبتل برفع الأصابع مرة ووضعهما أخرى بأن التبتل الانقطاع كأنه يقول بلسان حاله لتحقيق رجائه وآماله: انقطعت إليك وحدك لما أنت أهله من الإلهية فيشير بأصبعه وحدها من دون الأصابع على سبيل الوحدانية، والمراد بالابتهال بمد يديه تلقاء وجهه إلى القبلة ومد يديه وذراعيه إلى السماء ورفع يديه وتجاوزهما رأسه، بحسب الروايات أنه نوع من أنواع العبودية والاحتقار والذلة والصغار، أو الغريق الرافع يديه الحاسر عن ذراعيه المتشبث بأذيال رحمته والمتعلق بذوائب رأفته التي أنجت الهالكين، وهذا مقام جليل فلا يدعيه إلا عند العبرة وتزاحم الأنين والزفرة، والمراد بالاستكانة برفع يديه على منكبيه أنه كالعبد الجاني إذا حمل إلى مولاه وقد أوثقه قيد هواه، وقد يصفد بالأثقال ويناجي بلسان الحال هذه يداي قد غللتهما بين يديك بظلمي وجرأتي عليك.

ومنها رعاية الأوقات والحالات قال أبو عبد الله عليه السلام اطلبوا الدعاء في أربع ساعات عند هبوب الرياح وزوال الأفياء يعني زوال الشمس ونزول المطر وأول قطرة تقطر على الأرض من دم القتيل المؤمن فإن أبواب السماء تفتح عند هذه الأشياء، وقال عليه السلام: يستجاب الدعاء في أربعة: في الوتر، وبعد الفجر، وبعد الظهر، وبعد المغرب، وقال أمير المؤمنين عليه السلام اغتنموا الدعاء عند قراءة القرآن وعند الأذان وعند التقاء الصفين للشهادة، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله خير وقت دعوتم الله عز وجل فيه الأسحار، ولذا كان علي عليه السلام يداوم عليه، روي أنه دخل ضرار بن حمزة الليثي على معاوية فقال له صف لي علياً فقال أوَلا تعفيني من ذلك، فقال لا أعفيك فقال كان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً ويحكم عدلاً، ينفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته، كان والله غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلّب كفه ويخاطب نفسه، ويناجي ربه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، كان والله فينا كأحدنا يدنينا إذا أتينا، ويجيبنا إذا سألناه، وكنا مع دنوه منا وقربنا منه لا نكلمه لهيبته، ولا نرفع أعيننا إليه لعظمته، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد بالله لقد رأيته في بعض

مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين، فكأني الآن أسمعه يقول يا دنيا إليّ تعرضت، أم إليّ تشوقت هيهات هيهات غري غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير، آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق وعظم المورد، فوكفت دموع معاوية على لحيته فنشفها بكمه واختنق القوم بالبكاء ثم قال كان والله أبو الحسن كذلك، فكيف كان حبك إياه، قال كحب أم موسى لموسى وأعتذر إلى الله من التقصير، فقال كيف صبرك عنه يا ضرار، قال صبر من ذبح ولدها على صدرها فهي لا ترقأ عبرتها ولا تسكن حرارتها، ثم خرج وهو باكٍ فقال معاوية أما أنكم لو فقدتموني لما كان فيكم من يثني عليّ مثل هذا الثناء فقال له بعض من كان حاضراً الصاحب على قدر صاحبه. وعن ابن أذينة قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إن في الليل لساعة ما يوافقها عبد مسلم ثم يصلي ويدعو الله عز وجل إلا استجاب له في كل ليلة، قلت أصلحك الله وأي ساعة هي من الليل؟ قال إذا مضى نصف الليل وهي السدس الأول من أول النصف، وكذا ساعة في يوم الجمعة وهي وقت فراغ الإمام من الخطبة إلى أن يقوموا للصلاة، وعند استتار نصف القرص في يوم الجمعة.

ومنها التصدق على الفقراء فإنهم أهل باب الله كبواب السلاطين وهو مروي عن الصادق عليه السلام.

الأمر الثاني: في من لا يستجاب دعاؤه، ويتسبب عن أمور:

الأول: أن يكون سأل ما لا صلاح فيه ويكون مفسدة له أو لغيره، إذ ليس أحد يدعو الله سبحانه على ما يوجب الحكمة مما فيه صلاح إلاّ أجابه، وعلى الداعي أن يشترط ذلك بلسانه أو يكون منوياً في قلبه.

الثاني: ما روي أن الذنوب التي ترد الدعاء سوء النية وخبث السريرة والنفاق مع الاخوان وترك التصديق بالإجابة وتأخير الصلوات المفروضة حتى تذهب أوقاتها.

الثالث: ترك الإقبال بالقلب لأن من لا يقبل عليك لا يستحق إقبالك عليه كما لو حادثك من تعلم منه الغفلة عن محادثتك فإنه يستحق الإعراض منك وقال علي عليه السلام لا يقبل الله دعاء قلب لاهٍ.

الرابع: حب الدنيا روي أن موسى عليه السلام مر برجل وهو يبكي ثم رجع وهو يبكي فقال إلهي عبدك يبكي من مخافتك، فقال يا موسى لو نزل دماغه مع دموع عينيه لم أغفر له وهو يحب الدنيا.

الخامس: الإسراف في الدعاء قال الله تعالى: ﴿**ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين**﴾ أي لا يتجاوز الحد في دعائه.

السادس: ما روي عن الصادق عليه السلام أنه قال لا يزال الدعاء محجوباً حتى يصلي على محمد وآل محمد، وقال عليه السلام من دعا ولم يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفرف الدعاء على رأسه فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفع الدعاء.

السابع: ترك التقدم في الدعاء روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال من تقدم في الدعاء استجيب له إذا نزل به البلاء وقيل صوت معروف ولم يحجب عن السماء، ومن لم يتقدم في الدعاء لم يستجب له إذا نزل البلاء، وقالت الملائكة إن هذا الصوت لا نعرفه أين كنت قبل اليوم.

الثامن: الشك في أهل البيت عليهم السلام، قال عليه السلام نحن أهل البيت لا يقبل الله عمل عبد وهو يشك فينا، وأما ما يقع من استجابة دعاء المخالفين فهو من باب الاستدراج لا غير.

التاسع: ما روي من أنه لا يستجاب دعاؤك على غيرك لأن غيرك دعا عليك فإما أن ترضى بقبولهما أو ترضى بردهما.

العاشر: ما روي في الحديث القدسي لا تحجب عني دعوة إلا دعوة آكل الحرام.

الأمر الثالث: فيمن يؤخر دعاؤه وله أسباب، منها ما رواه إسحق بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال إن العبد ليدعو الله عز وجل في حاجاته فيقول الله عز وجل أخروا إجابته شوقاً إلى صوته ودعائي، فإذا كان يوم القيامة قال الله عز وجل عبدي دعوتني فأخّرت إجابتك وثوابك كذا وكذا، ودعوتني في كذا فأخّرت إجابتك وثوابك كذا وكذا، قال فيتمنى المؤمن أنه لم يستجب له دعوة في الدنيا مما يرى من حسن الثواب.

ومنها ما رواه جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن العبد يدعو الله وهو يحبه فيقول لجبرئيل اقض لعبدي هذا حاجته وأخّرها فإني أحب ألا أزال أسمع صوته، وفي دعاء موسى وهرون على فرعون فقال تعالى قد استجيبت دعوتكما وما ظهرت الإجابة إلا بعد أربعين سنة.

ومنها ارتكابه للذنوب فإنه من أسباب تأخير الإجابة، وقد بقي في هذا المقام تحقيقات غريبة ذكرناها في شرحنا الكبير.

«فَعُدَّتَ عَلَيْهْ» من العائدة بمعنى الفضل والإحسان لا من العود.

«فَرَطَ» سبق وتقدم.

«مُشْفِقٌ»

خائف، واعلم أن التفكر في الذنب والخوف من درجات المقربين، نعم قد وقع الخلاف بين المحققين في أن أي الرجلين أفضل أمن نسي الذنب ولم يشتغل بالتفكر فيه أم من جعله نصب عينيه ولا يزال يتفكر فيه ويحترق عليه، وقد حقَّق بعض أهل العرفان وفصَّل بأن الحزن والخوف من الذنب كمال في حق المبتدي من المريد لأنه إذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا يقوي إرادته لسلوك الطريق، ولأنه يستخرج منه الخوف والحزن، فهو بالإضافة إلى الغافل كمال وبالإضافة إلى سالك الطريق نقصان لأنه يشغله عن سلوك الطريق، وأما بكاء داود ونياحته وكذلك بكاء السجاد عليه السلام وإظهاره الخوف من الذنب، فسببه أنهم عليهم السلام ينزلون أنفسهم في أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات اللائقة بأمتهم فإنهم بعثوا لإرشادهم، فعليهم التلبس بما تنتفع أمتهم بمشاهدته، وإن كان نازلاً عن ذروة مقامهم لأن الأنبياء والأئمة عليهم السلام في الشفقة على الأمة كالآباء بالنسبة إلى الأطفال ألا ترى أن الأب إذا أراد أن يستنطق الصبي كيف ينزل إلى درجة نطق الصبي، كما قال النبي صلى الله عليه وآله كخ كخ للحسين عليه السلام لما أخذ تمرة من الصدقة ووضعها في فيه، وكذلك الحيوانات يصوت لها بأصوات تليق بها وتفهمها، انتهى ملخصاً. والحق عندي غير هذا وذلك أن من تتبع أحوال آدم ومدة أيام بكائه وكذا أحوال داود وعلي بن الحسين عليهما السلام يعلم علماً جازماً بأنه ما كان المطلب تعليم الأمة بل إنما صدر من نار خوف كامنة في الصدور فغلت وظهرت كغليان القدور، وتمام تحقيق هذا المقام مذكور في هذا الكتاب.

«الإِسْتِكْبَارْ»

روي في تفسير عبد الأعلى قال قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ما الكبر، فقال أعظم الكبر أن تسفّه الحق وتغمص الناس، قلت وما تسفه الحق، قال تجهل الحق وتطعن على أهله، وأما أكل الطعام الطيب وركوب الدابة الفارهة ومشي الغلام خلف فليس منه، وقال أبو عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ إن في جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له سقر شكا إلى الله شدة حره وسأله أن يتنفس فتنفس فأحرق جهنم، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ إن المتكبرين يجعلون في صور الذر يتوطّأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب.

«وَلَزِمَ» بوزن علم وأما فتح العين كما وجد في النسخ فلم يرد في اللغة.

«مَلِيءْ»

بهمزة بعد الياء وفي نسخة الكفعمي بتشديد الياء بالقلب والإدغام على فعيل من ملأ الإناء والملي المقتدر.

«حَاشَاكْ»

أُنزهك أن يكون للذنوب غافر غيرك، ويجوز كونه بمعنى سواك وحينئذٍ فينبغي الوقف عليه ولذا يرقم عليه ط كما عرفت، وأما تعلقه بما بعده والوقف على غيرك فغير جيد كما لا يخفى.

«ولاَ أَخَافُ عَلَى نَفْسِي إلاّ إِيَّاكْ»

قيل في بيانه أما إنه كيف يتصحح أن لا يخشى العارف إلاّ ربه فمن سبل ثلاثة:

الأول: إنه جل سلطانه إنما انتقامه من تمام الحكمة وعقابه من سعة الرحمة، كما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ في دعائه إذا استقال من ذنوبه، أنت الذي تسعى رحمته أمام غضبه، فالعقوبات الإلهية كتأديبات يتولاها المؤدب الرؤوف الرحيم، وإيلامات يأمر بها المعالج العطوف الحكيم، وإنما الأسماء القهرية للرحمن سبحانه وتعالى كالقابض والخافض والمذل والضار من حيث أسمائه الحسنى اللطيفة كالباسط والرافع والمعز والنافع، وإلى هذا الطريق قال عدد من أهل التحصيل والتحقيق إنه لا يسوغ للذاكرين الله سبحانه أن لا يفردوا شيئاً من أسماء القهر عن مقابله من أسماء الرحمة دون العكس.

الثاني: إنه لما كانت شدة الكمال مستوجبة تعانق الأسماء الكمالية المتقابلة على الوجه الأتم الأكمل كان كل من الأسماء الحسنى المتقابلة الإلهية مقتضاه في شدة الكمالية أن يكون بحيث كأنه لا يصح إنطاق مقابله أصلاً فملاحظة الغفور الرحيم في مقام طلب المغفرة والرحمة كأنها تصد العبد بحسب ما تستوجبه شدة كمالية الاسم من استشعار ما يقابله من الأسماء المقدسة وهو شديد العقاب، وقد لاحظ ذلك من ذهب من الأصحاب إلى أنه لا يسوغ للذاكرين إفراد شيء من الاسمين المتقابلين عن مقابله، بل الحقيق بحسن الأدب القران بين كل متقابلين من الأسماء المقدسة.

الثالث: إن درجة العارف في مقام الرجاء يجب أن تصده عن استشعار الخوف رأساً كما يجب أن تصده درجته في مقام الخوف عن احتمال الرجاء أصلاً، ولذلك وجب أن تكون درجات الرجاء والخوف على التكافؤ أبداً إلى حين الموت، روي عن حارث بن المغيرة أو أبيه قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما كان في وصية لقمان لابنه؟ قال كان فيها الأعاجيب، وكان أعجب ما فيها أن قال لابنه خف الله عز وجل خيفة لو جئته ببر الثقلين لعذبك، وارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك، ثم قال أبو عبدالله عليه السلام كان أبي يقول ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا، والذي يستبين لي أنه لعل في تأخيره عليه السلام الرجاء عن الخوف إيماء لطيف إلى أنه ينبغي أن تكون خاتمة الحياة على مقام الرجاء ورجحان درجته والله أعلم انتهى كلامه (قده).

«وأَنْجِحْ طَلِبَتِي» اجعلني مصيباً لها.

«آمِينْ»

بالمد والقصر اسم فعل بمعنى استجب، وفي الخبر أنه قال صلى الله عليه وآله وسلم علمني جبرئيل آمين وقال إنه كالختم على الكتاب، وفي خبر إنه خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده أي به يصونه عن الآفات، وفي رواية أخرى إنه درجة في الجنة أي لقائلها.

دعاؤه عليه السلام في طلب الحوائج

«يا مُنْتَهَى مَطْلَبِ الحَاجَاتْ»

يعني أن العباد إذا قنطوا في قضاء حوائجهم من غيرك فزعوا إليك لأن الأسباب والدواعي والآلات من رشحات جودك، أو يكون المعنى أن أطماع الأنظار تختلف في المقاصد والإرادات، فمنهم من يطلب زخارف العاجلة ومنهم من يطلب الآجلة وهؤلاء أيضاً أقسام، فطالب للحور الحسان وطالب للغلمان والصبيان وطالب للشراب الطهور وطالب للمنازل والقصور، وأما السالكون إليك والدالون عليك فقد قصروا شراشر أنظارهم وجوانب أعمالهم عليك لا يطلبون سواك وأنت فوق كل مطلوب، وإلى هذه الاختلافات أشار تعالى بقوله: ﴿**وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر**﴾، وأشار سيد الموحدين وإمام المتقين بقوله: ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك، وقيل المراد أن كل من تطلب منه الحوائج فهو يطلب حوائجه أيضاً من الغير حتى تنتهي سلسلة الاحتياج إليك. لأنك لا تطلب حاجة من غيرك، ومطلب إما مصدر ميمي أو اسم مكان.

«ويَا مَنْ لاَ تُبَدِّلُ حِكْمَتَهُ الوَسَائِلْ»

وقد أورد إشكال في هذا المقام، وحاصله على هذا التقدير يكون قد انتفت فائدة الدعاء لأنه من جملة الوسائل.

والجواب أن الحكمة هنا أيضاً قد اقتضت تعليق الإجابة على الدعاء فهو لا يتغير بوسيلة أخرى، وإليه أشار الصادق عليه السلام في قوله لميسر، يا ميسر ادع الله ولا تقل إن الأمر قد فرغ منه إن عند الله منزلة لا تنال إلاّ بمسألته، ولو أن عبداً سد فاهُ ولم يسأل لم يعط شيئاً فسل تعط يا ميسر إنه ليس من باب يقرع إلا يوشك أن يفتح لصاحبه، ومن هنا يظهر الجواب عن شبهة من قال إنا ندعو فلا يستجاب لنا، لأن بعض الأدعية لم تقع على وجه الحكمة، وقد خفي هذا المعنى على بعض الأصحاب، فأجاب بأن

الدعاء عبادة في نفسه تعبد الله عباده به لما فيه من إظهار العجز والاحتياج إليه، وهو أمر مطلوب أومى إليه في قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، والعبادة في اللغة التذلل ولا مدخل له في قضاء الحوائج، وهو كما ترى لما قال ﷺ ما من مسلم دعا الله سبحانه دعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا وأعطاه الله تعالى بها إحدى خصائل ثلاثة إما أن يعجل دعوته وإما أن يدخر له وإما أن يدفع عنه من السوء مثلها.

«ويَا مَنْ لاَ تَنْقَطِعُ عَنْهُ حَوائِجُ المُحْتاجِينْ»

وحوايِج بالياء والهمزة وهو الأولى لوجود شرط القلب وهو وقوعها بعد ألف فاعل الواقعة بعد الواو، والمعنى أن المحتاجين دائماً في طلب الحاجات منه، أو أنه تعالى لا يقطع حوائجهم ولا يخيبهم في قبولها، وقيل المعنى أن الخلائق دائماً في باب الاحتياج إليه طلبوا منه أو لم يطلبوا.

«لا يُعَنِّيهْ»

من باب التفعيل بمعنى التعقيب والتنصيب وفي بعضها بوزن يضرب بمعنى الهم والشغل وفي بعضها بوزن يكرم أي لا يوقف في تعب ونصب وفي بعضها يعييه من الإعياء بمعنى الإعجاز.

«تَمَدَّحْتَ بالغَنَاءْ»

هذا وما بعده ناظر إلى قوله تعالى: ﴿والله الغني وأنتم الفقراء﴾.

«وأَنْتَ أَهلُ الغِنَى»

دفع لما يتوهم من أن تمدحه مثل تمدح الخلائق في اشتماله على الكذب وكونه مجرد دعوى بلا برهان.

«خَلَّتَه» أي حاجته مأخوذ من التخلل بين الشيئين وهي الفرجة والثلمة.

«ورَامَ» طلب.

«نُجْحَهَا» النجح الظفر بالمطلوب.

«فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلحِرْمَانْ»

هذا إنما يكون إذا كان معتقداً قضاءها منه وحده أو على طريق الاشتراك وربما أيده قوله عليه السلام أو جعله سبب نجحها.

«وهِي زَلَّةٌ» الضمير راجع إلى تسويل النفس.

«قَصُرَ» بمعنى المخفف.

«جُهْدِي» بضم الجيم وفتحها الطاقة والمشقة.

«ورَجَعْتُ وَنَكَصْتُ»

النكوص هو الرجوع ولذا لم يوجد قوله ورجعت إلا في نسخة شيخنا البهائي (قده).

«كَيفَ يَسْأَلُ مُحتاجٌ مُحْتَاجاً»

لأنه كما قيل استعانة المخلوق بالمخلوق من باب استعانة المسجون بالمسجون.

«مُعْدِمٌ» من العدم بالضم والتسكين بمعنى الفقر لا من العدم بفتحتين نقيض الوجود.

«وأَوْفَدْتُ» أوردت.

وُجْدِكَ» سعتك وغناك.

«خَطِيرْ» وهو ما له قدر ومنزلة.

«أَعْلَى مِنْ كُلِّ يَدْ»

يعني أن عطيتك أعظم من كل عطية فيدك فوق كل يد معطية، أو أن يدك دائماً في الإعطاء ويد غيرك تارة معطية وتارة معطاة، وفي الحديث اليد العليا خير من اليد السفلى، وقيل معناه أن كل من يعطي فإعطاؤه حقيقة راجع إليك وهو بمنزلة الوكيل في إيصال عطاياك إلى العباد ويدك المالك الحقيقي أعلى من يد الوكيل وهو كما ترى.

«عَلَى التَفَضُّلْ»

رد لما زعمه المعتزلة من عدم جواز العفو عليه تعالى لأنه يجب عليه الوفاء

بالوعد والوعيد، كما أن قوله «ولا تحملني» الفقرة رد عليهم أيضاً حيث قالوا للاستحقاق فقط لقوله تعالى: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾، وقد نسبنا صاحب الكشاف إلى الطمع حيث إنا نرجو التفضل منه سبحانه مع جزاء أعمالنا، والعجب من هؤلاء الفرقة كيف شاركونا في الحسن والقبح العقليين وخالفونا في هذه المسألة مع أنها من فروعها في التحقيق، وقد بسطنا الكلام معهم في شرحنا الكبير.

«**ولاَ تَبُتَّ**» لا تقطع.

دعاؤه عليه السلام إذا اعتُدي عليه أو رأى من الظالمين ما لا يحب

الظاهر أن المعتدين والظالمين في زمانه عليه السلام إنما كانوا من مخالفينا في المذهب، وحينئذٍ فيدل على جواز الدعاء عليهم بل على استحبابه اقتداءً به عليه السلام، أما المعتدي والظالم من الشيعة ففي جواز الدعاء عليه بهذا وأمثاله إشكال، لقوله عليه السلام أحسِن إلى من أساء إليك، بل ينبغي الدعاء لهم بالهداية والإرشاد ودفع شرورهم عن المسلمين، وسيأتي في بعض فقرات هذا الدعاء الشريف ما يؤيد ما قلناه.

«**أَنْباءُ المُتَظَلِّمِينْ**»

أخبارهم، والتظلم شكوى المظلوم عند من ينتصف له من ظالمه، وهذه الفقرة وما بعدها من رعاية الأدب بمكان، فإن فيه دفع ما يتوهم من أنه سبحانه كالخلائق لا يطلع على أخبار المظلومين وقصصهم إلا إذا عرضت عليه، وأنه يحتاج في إثباتها عنده إلى الإشهاد عليها كاحتياج الخلائق.

«**قَصَصِهِمْ**» بالفتح الاسم وبالكسر جمع قصة.

«**حَظَرْتَ**» منعت.

«**إنتَهَكَهُ مِنِّي**» بالغ فيه مني مما قد حرمته عليه.

«**بَطَراً**» طغياناً.

«**واغْتِرَاراً بِنكِيرِكْ**»

إما من الغرة بالكسر بمعنى الغفلة والباء بمعنى على وقد فسر بهما قوله تعالى: ﴿**ما غرك بربك الكريم**﴾، والأظهر في نظري إبقاء الباء على حالها من السببية، وحاصل المعنى أن غفلته أو جرأته مسببان عن إنكارك عليه أي عن تأخيره كما في بعض النسخ من قوله بتأخير إنكارك، وفي البعض الآخر بتأخيرك أي بتأخير إنكارك.

«**وافْلُلْ حَدَّهْ**» اكسر شوكته وحدته.

«**فِيمَا يَلِيْهِ**» أي يقرب إليه من أهل نحلته أو في مهماته وأشغاله القريبة.

«**يُناوِيهْ**»

من النوا مهموزاً بمعنى النهوض أي عن الشرور التي ينهض لإمضائها عليّ، والتعبير بصيغة المفاعلة إشعار بأن كلاً من المتعاديين قد نهض إلى صاحبه، وفي بعض النسخ ينويه، ويجوز أن يكون ما في الأصل بمعناه.

«**ولاَ تُسَوِّغْ لَهُ ظُلْمِي**»

أي امنعه عن الظلم عليّ أو عرّفه بأنه ظلم حتى لا يتجرأ عليه، لأن كثيراً من الظالمين قد أضلهم الشيطان حتى أنه يريهم الظلم على بعض الناس من أعظم العبادات، كيف لا وقد ذهب الخوارج ومن حذا حذوهم إلى أن سب علي بن أبي طالب عليه السلام من أعظم العبادات، وقتله من أعظم المثوبات لأنه كان كافراً في زعمهم الفاسد، حتى خاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿**قُتل الإنسان ما أكفره**﴾ والمراد به علي عليه السلام أي ما صيره كافراً في نظر من جوّز قتله حتى قتل، فالإنسان هنا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، وما للاستفهام الإنكاري وهو من غرائب التفسير.

«**وأَحْسِنْ**»

من أحسن وفي نسخة شيخنا البهائي (قده) من حسن ولعله من سهو القلم ولا يصحح إلا بتضمين قواعده ونحوه.

«عَذْوَى»

وهي طلبك إلى والٍ ليعديك على من ظلمك أي يتقاضى لك، أو أنه مأخوذ من قولك استعديت على فلان الأمير فأعداني أي استعنت به فأعانني، والعدوى هنا اسم من الإعداء بمعنى المعونة وقد تؤخذ من الاستعداء بمعنى طلبها.

«بِهِ» بسببه.

«وحَنَقِي» محركة الغيظ أو شدته.

«وأَبْدِلْه»

وفي ش وأبدلني وهو الأظهر على ما تحققت من أن أعداءه عليه السلام كلهم مخالفون بل من أشد النواصب، وبناء على ما في الأصل يراد بالرحمة هنا الهداية للمذهب الحق.

«جَلَلٌ» حقير وهو من الألفاظ الموضوعة للأضداد كالجون.

«مَرزِئَة»

بفتح الميم وكسر الزاء بمعنى المصيبة، وبكسر الميم وكسر الزاء والهمزة من باب الأفعال من الرزء بالضم بمعنى النقض كما في بعض النسخ.

«سَوَاءْ»

عدل ووسط وحسن وفي بعضها شوى بالشين المعجمة بمعنى الهين واليسير.

«مَوْجِدَتِكْ» بالفتح والكسر بمعنى غضبك وسخطك.

«سِوَاكْ»

فيها أربع لغات فتح السين مع المد وكسرها مع القصر وهما مشهورتان وضم السين مع القصر وكسرها مع المد.

«حَاشَاكْ» أي أنزهك عن أن أستعين بغيرك أو يكون بمعنى إلاّ أنت.

«شِكَايَتي» أنيني.

«**بالتغيير**» أي تغير حال الظالم حتى يرجع عن ظلمي فيتغير حالي أيضاً إلى الفرح.

«**بالأَمْنْ**» الباء إما للصلة أو للسببية.

«**عن إنكَارِكْ**»

وفي خ لإنكارك أي لتأخيره والدعاء له بعدم الفتنة دعاء عليه حقيقة، فكأنه قال اللهم لا تدعه من الإنكار، وما قيل من أنه ترحم على الظالم ودعا له لعدم الفتنة حتى لا يعود ثانياً يأباه سياق الكلام.

«**ويُحَاضِرَنِي**»

بالحاء المهملة والضاد المعجمة من قولهم حاضرته محاضرة أي جلست معه عند السلطان لآخذ الحق منه، وبالمعجمة والمهملة أي يأخذ بخاصرتي وهو العضو المعروف كناية عن تضييق الأمر عليه، وبالمهملتين من المحاصرة بمعنى الضائقة، وبالمعجمتين من المخاضرة وهو بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها، والمراد هنا أن يذهب بحقي مجاناً ولا يدعه يبلغ نصاب الكمال.

«**عمَّا قَلِيلْ**»

أي عن قليل زيدت لتحسين اللفظ وقيل إنها بعد حروف الجر نكرة مجرورة والمجرور بعدها بدل منها.

«**وَاهدِنِي للَّتي هِيَ أَقْوَمْ**»

أي إلى الطريقة التي هي أشد استقامة والكلمة التي هي أعدل الكلمات وأصولها وهي كلمة التوحيد، والهداية تقال على معان خمسة:

أولها: الهداية إلى جلب المنافع ودفع المضار بإفاضته المشاعر، وهو المراد بقوله: ﴿**أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**﴾.

وثانيها: نصب الدلائل العقلية الفارقة بين الحق والباطل وإليه الإشارة بقوله: ﴿**وهديناه النجدين**﴾ أي طريق الخير والشر.

وثالثها: الهداية بإرسال الرسل وإنزال الكتب وهو المراد بقوله: ﴿**وأما ثمود فهديناهم**﴾.

ورابعها: أن يكشف على قلوبهم والسرائر ويريهم الأشياء كما هي إما بالأحلام الصادقة أو بالإلهامات الفائقة.

وخامسها: الهداية إلى طريق السلوك إلى حظائر القدس بانطماس آثار التعلقات البدنية والاستغراق في مطالعة أنوار الجمال، وهذه المرتبة يختص بها الأولياء، ومن كان في مرتبته طلب ما هو فوقها.

«يَومُ الفَصْلْ»

يوم القضاء الذي يفصل الله فيه الحكم بين الخلائق.

«وهَلَعِ أَهلِ الحِرْص» جزعهم وضجرهم.

دعاؤه عليه السلام إذا مرض أو نزل به كرب أو بلية

المراد بالكرب هنا الحزن وبالبلية ما عداه وما عدا سابقه.

«الحَمْدُ للهِ عَلَى مَا لَمْ أَزَلْ أَتصَرَّفُ فيهِ مِنْ سَلامَةِ بَدَني»

ما موصولة أو موصوفة وضمير فيه راجع إليها وصلة أتصرف محذوفة ومن بيان لضمير فيه أي على حال لم أزل أتصرف في ذلك الحال في أموري وأشغالي وذلك الحال هو سلامة بدني.

«مَحَّصْتَنِي»

خلصتني ويأتي بمعنى الابتلاء والاختبار أيضاً والمقام لا يأباه.

«لا ثَقُلَ بهِ عَلَيَّ ظَهْرِي»

على مشدد وظهري فاعل ثقل وبه الموجود في أكثر النسخ هو العابد على تقدير عدمه لفظاً يكون مقدراً وفي بعض النسخ لما ثقل به على ظهري بتخفيف على أي تخفيفاً لما ثقل بسبب وجوده على ظهري إذ المعدوم لا ثقل له.

«الحَوْبَة» الإثم.

«بِقَدِيمِ النِّعْمَة»

إما متعلق بالحوبة أي الإثم الحاصل بسبب كفران النعمة القديمة وإما متعلق بتذكير ويجوز تعلقه بأتحفتني.

«مَا لاَ قَلْبٌ فَكَّرَ فِيْه»

يعني ما لم يصدر لا نية ولا قولاً ولا عملاً، وفي الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله عز وجل للملك الموكل بالمؤمن إذا مرض اكتب له ما كنت تكتب له في صحته فأنا الذي صيرته في حبالي، وإذا مرض الصبي كان مرضه كفارة لوالديه، وإن حُمّى يوم كفارة سنة، لأن ألمها يبقى في الجسد سنة، وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن لأهل البلايا في الدنيا درجات في الآخرة ما تنال بالأعمال حتى أن الرجل ليتمنى أن جسده في الدنيا كان يقرض بالمقاريض مما يرى من حسن ثواب الله لأهل البلايا من الموحدين، فإن الله لا يقبل العمل في غير الإسلام، وصداع ليلة يحط كل خطيئة إلا الكبائر، والأخبار فيه متضافرة.

«وأَوْجِدْنِي حَلاَوَةَ العَافِيَة» أظفرني بها.

«بَرْدَ السَّلاَمَة»

سهولتها ومنه الحديث الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة أي لا مشقة فيه ولا تعب.

«صَرْعَتي»

بكسر الصاد للنوع وبالفتح للمرة والصرع الطرح على الأرض.

«ذُو الجَلالِ والإِكْرَامِ»

صاحب الاستغناء المطلق والفضل العام، وقيل الجلال إشارة إلى الصفات السلبية التي جل وتنزّه عن الاتصاف بها، والإكرام الصفات الثبوتية فإنها موجبة للإكرام والرفعة، وقيل الجلال صفات القهر والإكرام صفات اللطف.

دعاؤه عليه السلام في الاستقالة من الذنوب

لا بد من ذكر وجوه في سبب إضافة الذنوب إليهم عليهم السلام بعضها من سوانح البال وبعضها من فحول الرجال.

الأول: ما قيل إنه تعليم لشيعتهم كيف يتضرعون إليه سبحانه، ومن البعيد أن يصرف سيد الساجدين عمره الشريف مثله لمثله مع إمكانه بالقول.

الثاني: أنه قد صدرت منهم الأفعال المكروهة كالصلاة في الثياب السود ونحوه وهو كالأول، لأن ارتكابهم عليهم السلام للمكروهات إنما هو لأجل التعليم والتفهيم حتى لا يظن به الحرمة بسبب النهي فيه فصدوره منهم إما على طريق الوجوب عليهم أو الاستحباب.

الثالث: ما قيل من أنه يجوز أن يوسوس لهم الشيطان في فعل من الأفعال فيرجعوا إليه تعالى وتكون تلك الوسوسة وسيلة إلى أعالي الدرجات التي لا تحصل إلا بالتضرع والندم، وليس هو من قبيل تسلط الشياطين الباعث على حط رتبة الأولياء، وهذا وأمثاله وإن وقع من آدم وأمثاله إلا أنه لم ينقل وقوعه من أحد من الأئمة عليهم السلام.

الرابع: إن ما صدر منهم عليهم السلام إنما هو من باب إنشاء التواضع كقوله عليه السلام أنا مثل الذرة أو دونها وليس هو من باب الإخبار.

الخامس: ما أفاده الفاضل علي بن عيسى الأربلي من أنهم عليهم السلام أوقاتهم المستغرقة بذكره تعالى وخواطرهم متعلقة بالملأ الأعلى وهم أبداً بالمراقبة، كما قال عليه السلام اعبد الله كأنك تراه فإن لم تره فإنه يراك، فهم أبداً يتوجهون إليه ومنقلبون بكليتهم عليه فمتى انحطوا عن تلك المرتبة العالية والمنزلة الرفيعة إلى الاشتغال بالمأكل والمشرب والتفرغ للنكاح وغيره من المباحات عدوّه ذنباً واستغفروا منه، ألا ترى بعض عبيد أبناء الدنيا لو قعد يأكل ويشرب وينكح وهو يعلم أنه بمرأى من سيده ومسمع لكان ملوماً عند الناس ومقصراً فيما يجب عليه من خدمة سيده ومالكه، فما

ظنك بسيد السادات ومالك الأملاك، وإلى هذا أشار عليه السلام بقوله إنه ليران على قلبي وإني لاستغفر الله بالنهار سبعين مرة، وقوله حسنات الأبرار سيئات المقربين، فإن قلوبهم عليهم السلام أتم القلوب صفاء وأكثرها ضياء وأعرفها عرفاً، وكانوا مع ذلك قد عينوا لتشريع الملة فلم يكن لهم بد من النزول إلى الرخص والالتفات إلى حظوظ النفس مع ما كانوا ممتحنين به من الأحكام البشرية، فكانوا إذا تعاطوا شيئاً من ذلك أسرعت كدورة ما إلى قلوبهم لكمال رقتها وفرط نورانيتها، فإن الشيء كلما كان أرقّ وأصفى كانت كدورات المكدرات عليه أبين وأهدى، وكانوا عليهم السلام إذا أحسوا بشيء من ذلك عدوه على النفس ذنباً واستغفروا منه.

السادس: إن مراتبهم عليهم السلام في معرفة الله تعالى والاطلاع إلى علم الملكوت متجددة بتجدد الأيام والليالي متزايدة آناً فآناً فكلما ترقوا من مرتبة إلى أخرى عدّوا تلك السابقة ذنباً بالنسبة إلى ما هم فيه.

السابع: إن العبد الممكن المتلوث بشوائب النقص والعجز قابل التلبس بجميع المعاصي لولا الألطاف الإلهية فاعترافهم عليهم السلام بالذنوب إنما هو بالنسبة إلى المادة البشرية لا باعتبار العصمة الإلهية، وقد أشير إلى هذا في قول يوسف عليه السلام: **﴿إن النفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾**، وقوله تعالى: **﴿لولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾**، وقوله عليه السلام اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، ولقد عد هذا الوجه أستاذنا العلامة سلمه الله تعالى من الإلهامات الإلهية.

الثامن: إن التكاليف إنما هي بإزاء النعم فكلما كانت النعمة على العبد أتمّ كان تكليفه أشد من غيره، ولذا كلفوا عليهم السلام بتكاليف شاقة، ولا ريب في أنه تعالى قد منحهم من النعم ما لم يمنحه غيرهم، فهم يهمون بالشكر الذي هو ثمن النعمة ولم يطيقوه فيعدون أنفسهم في مرتبة التقصير والذنب فيستغفرون منه.

روي عن عطاء أنه قال دخلت على إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقلت أخبريني بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكت وقالت وأي شأنه لم يكن عجباً إنه أتاني في ليلتي فدخل معي في فراشي أو قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قال ذريني أتعبد لربي فقلت إني أحب قربك فأذنت له فقام إلى قربة ماء فتوضأ فلم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذنه بالصلاة فقلت يا رسول

الله وما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال أفلا أكون عبداً شكوراً ولِمَ لا أفعل وقد أنزل الله عليّ: ﴿**إن في خلق السموات والأرض**﴾ الآية، وهذا يدل على أن البكاء لا ينقطع أبداً، روي أنه مر بعض الأنبياء بحجر صغير يخرج منه ماء كثير فتعجب فأنطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى: ﴿**وقودها الناس والحجارة**﴾ وأنا أبكي من خوفه فسأله أن يجيره من النار فأجاره ثم رآه بعد مدة مثل ذلك فقال لِمَ تبكي الآن؟ فقال ذاك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور، وروي أن داود عليه السلام بكى أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه حتى غطى رأسه، فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عارٍ فتكسى فنحب نحبة هاج لها العود فاحترق من حر جوفه، ثم أنزل الله التوبة والمغفرة، فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي، فصارت خطيئته في يده مكتوبة، وكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيرهما إلا رآها فأبكته. قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه ماء فإذا تناوله أبصر خطيئته فما يضعه على شفته حتى يفيض من دموعه، وروي أنه ما رفع رأسه إلى السماء حتى مات حياء من الله تعالى، وكان يقول في مناجاته إذا ذكرت خطيئتي ضاقت عليّ الأرض بما رحبت وإذا تذكرت رحمتك ارتدت إليّ روحي سبحانك إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووا خطيئتي فكلهم يدلوني عليك فبؤساً للقانطين من رحمتك، وكان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعاً لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فإذا كان قبل ذلك أخرج له منبر إلى البر فيأمر سليمان عليه السلام ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع فينادي فيها ألا من أراد أن يسمع نوح داود فليأت قال فتأتي الوحوش من البراري والآكام وتأتي السباع من الغياض وتأتي الهوام من الجبال وتأتي الطير من الأوكار وتأتي العذارى من خدورهن وتجتمع الناس لذلك اليوم ويأتي داود عليه السلام حتى يرقى المنبر ويحيط به بنو إسرائيل وكل صنف على حدته يحيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الثناء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فيموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أهوال القيامة وفي النياحة على نفسه فيموت من كل نوع طائفة، فإذا رأى سليمان كثرة الموتى قال يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق وماتت طوائف من بني إسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء فبينا هو كذلك إذ ناداه بعض عباد بني إسرائيل يا داود عجلت بطلب الجزاء على ربك قال فخر

داود مغشياً عليه فلما نظر سليمان إلى صاحبه وما أصابه أتى بسرير فحمله عليه ثم أمر منادٍ ينادي ألا من كان له مع داود حميم فليأت بسريره يحمله عليه فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار، ثم إذا أفاق داود دخل بيت عبادته، وكان الخليل عليه السلام إذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلاً في ميل فيأتيه جبرئيل عليه السلام فيقول له الجبار يقرؤك السلام ويقول هل رأيت خليلاً يخاف خليله فيقول يا جبرئيل إني إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي، ومثل هذا كثير.

التاسع: إنه تعالى معشوقهم الحقيقي ومقصودهم التحقيقي فهم يحبون أن لا يعصى فإذا رأوا من غيرهم معصية انكمدت خواطرهم الشريفة حيث أنه وقع بحضرتهم فهم يعدونه ذنباً كما لو جلس أحدنا في مجلس سمع فيه غيبة أخيه.

العاشر: إنهم عليهم السلام الملوك والقادة فهم يعاتبون على ذنوب رعيتهم، بل قد نسبها تعالى إليهم في قوله: ﴿**ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾، أي من ذنب أمتك كما في الرواية، ولولا مخافة التطويل لذكرنا وجوهاً كثيرة في هذا الباب.

«**بِرَحْمَتِهِ**» الباء إما للسببية أو للصلة.

«**يَفْزَعُ**» يستغيث.

«**يَنْتَحِبُ**» الانتحاب البكاء بصوت طويل.

«تَسْعَى رَحْمتُه أَمامَ غَضَبِهِ»

قيل إما لوقوع الغضب بين رحمتين بحكم قوله تعالى: ﴿**فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً**﴾، روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه خرج مسروراً فرحاً وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين، قال الفراء إن العرب تقول إذا ذكرت نكرة وأعادتها نكرة صارتا اثنتين كقولك كسبت درهماً كسبت درهماً فالثاني غير الأول وإذا أعادتها معرفة فهي هي، وإما لأن الرحمة مقصودة بالذات والغضب مقصود بالعرض وما بالذات مقدم على ما بالعرض، وإما لأن غضبه تعالى كما عرفت من حيث الرحمة الواسعة، وقد روي عن الصادق عليه السلام أن الله تعالى لما نفخ في آدم الروح ثم عطس ألهمه الله تعالى قول الحمد لله رب العالمين فقال الله تعالى رحمك الله يا آدم فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا من سبقت رحمته غضبه.

«لاَ يَرغَبُ فِي جَزاءِ مَنْ أَعْطاهُ»

أي لفنائه المطلق لا يحرص على الجزاء حتى يجازي على قدر الأفعال أو حتى يمنع جزاءه.

«لاَ يُفْرِطُ»

لا يتجاوز الحد فإن عذابه تعالى وإن كان هو العذاب الأليم إلا أنه أقل بالنسبة إلى ما يستحقه أهل العذاب والإفراط منه تعالى تفريط.

«لَبَّيْكَ» أجيبك إجابة بعد إجابة.

«وسَعْدَيكْ» أسعدك إسعاداً بعد إسعاد وأقيم على خدمتك.

«أَوْقَرَتْ» أثقلت.

«أَفْنَتْ»

بالمثلثة يقال فنى القدر إذا سكن غليانه والمراد هنا الكسر، وفي أكثر النسخ المصححة بالنون أي استغرق عمره في الذنوب وأن الذنوب عجلت أجله وقصرت عمره، فإن الذنوب تهدم الأعمار وتقرب الآجال، وقد روي في كثير من الأخبار.

«بِجَهْلِهِ عَصَاكْ»

فيجب عليك قبول توبته وغفران ذنبه، وهو ناظر إلى قوله تعالى: ﴿**إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة**﴾، واختلف في معنى قوله بجهالة على وجوه:

أحدها: إن كل معصية يفعلها العبد جهالة وإن كانت على سبيل العمد لأنه يدعو إليها الجهل ويزينها للعبد، وهو مروي عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وثانيها: إن معنى قوله بجهالة أنهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة كما يعلم الشيء ضرورة.

وثالثها: إن معناه أنهم يجهلون أنها ذنوب ومعاصي فيفعلونها إما بتأويل يخطئون فيه وإما بأن يفرطوا في الاستدلال على قبحها، وضعَّفه الرُّماني بأنه خلاف إجماع المسلمين.

«بكَاكْ» أي لأجل خيفتك.

«عَفَّرَ»

وضع جبهته على العفر بفتحتين وهو التراب، وقد حذف الجواب وهو قوله فاعفر وجهي بقرينة ما تقدم.

«ولا تَجْبَهْنِي»

يقال جبهته بالمكروه إذا استقبلته به، ويجوز أن يكون معناه لا تضرب جبهتي بالمكروه والرد.

«سَمَّيْتَ نَفْسَكَ بِالعَفْوْ»

أي صاحب العفو أو بتضمين سميت معنى وصفت ويجوز أن تكون التسمية هنا بمعناها اللغوي أي رفعت نفسك على كل أحد بسبب عفوك عن المذنبين.

«فَيْضَ دَمْعِي»

لا يجوز الدعاء بهذه الفقرات إلا حال رقة القلب وجريان الدموع.

«وَوَجِيبَ» اضطراب.

«وانتِقَاضَ»

بالفاء بمعنى تحركها وارتعادها وبالقاف بمعنى ضعفها وعدم إحكامها أو صونها.

«حَياءَاً» بالرفع على الخبرية وبالنصب إما على التعليل أو على الحالية.

«الجَأْر»

بالفتح وسكون الهمزة وبالضم وبالهمزة رفع الصوت والاستغاثة والتضرع بالدعاء.

فَكَمْ مِن عَائِبَة»

كم هي الخبرية ومن زائدة للاستغراق أو للتكثير أو لئلا يتوهم أن ما بعده نصب على شريطة التفسير لوجود المفسر كما ذكره أرباب العربية في قوله تعالى:

﴿كم من قرية أهلكناها﴾، والعائبة بالهمز ما يوجب العيب.

«شَائِبَـةَ»

بالهمزة واحد الشوائب وهي الأقذار والأدناس، وفي بعض النسخ بالنون بعد الهمزة من الشين خلاف الزين.

«أَلمَمْتُ بِهَا» قصدتها ونزلت بها.

«شَنارِهَا» عارها وشدة شناعتها.

«أَبعَدُ غَوْراً» ذهاباً إلى غور الباطل أي قعره.

«مِنْ حِفْظِي لَه» أي لإضلاله وغوايته.

«دَعْوتكَ إِلَى الجَنَّة» كقوله والله يدعو إلى دار السلام.

«أَناتُكَ» حلمك عني وتأخير عقوبتي.

«المُخْلِقَة» التي صيرتني كالثوب الخلق بفتحتين أي البالي.

«تَهَوُّرَاً» وهو الوقوع في الأمر بقلة مبالاة.

«أَرَقَّتْهَا الذُّنُوبْ»

صيرتها رقاً وعبداً وأضعفتها حتى صارت رقيقة بعدما كانت غليظة.

«تَنْتَشِرَ» بتائين بعدهما نون أو بينهما نون بمعنى تنتفخ أعصابهما من التعب.

«ماءُ الرَّمَادْ» أي الممزوج به أو الذي على لونه.

«اسْتِحْيَاءً»

لكثرة المعصية وقلة الطاعة بالنسبة إلى ما تستحقه، وفي هذه الفقرات تأييد لما ذهب إليه شيخنا الطوسي في الاقتصاد والفاضل من أن قبول التوبة بالتفضل لا بالوجوب.

«وإِنْ كُنْتَ تَغفِرُ لِي»

إن للشرط أي إن غفرت لي في الوقت الذي تفضلت به وجعلته وقتاً للاستحقاق

فهو غير واجب لي بالاستحقاق حيث وعدت الاستجابة بقولك ادعوني أستجب لكم، ويجوز أن يكون معناه أنك إن علقت مغفرتك لي على الاستحقاق فأنا محروم منها لعدم استحقاقي لها، وقيل الغرض المبالغة في نفي استحقاق المغفرة يعني وإن استحقيتها بالعارض في بعض الأوقات فذلك الاستحقاق كالاستحقاق لفقد الذاتي منه، ويجوز أن تكون إن وصلية.

«وحَلُمْتَ» وفي ش[1] وحملت وكأنه تصحيف.

«الإنابَةَ» الرجوع عن المعصية والإقبال على الطاعة.

وطَلِيقَ» من الإطلاق بمعنى الإرسال.

«وبَشِّرْنِي بِذَلِكَ فِي العَاجِلْ»

إشارة إلى قوله تعالى: **﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾**، وقد جاءت الروايات فيها مختلفة على وجوه وكلها على منهج الصواب.

الأول: إن المراد بها الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو تُرى له وفي الآخرة بالجنة وهي ما تبشرهم الملائكة عند خروجهم من القبور وفي القيامة إلى أن يدخلوا الجنة يبشرون بها حالاً بعد حال وهو المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن أبي جعفر عليه السلام، وعن الرضا عليه السلام قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أصبح قال لأصحابه هل من مبشرات يعني به الرؤيا، وكان عليه السلام يقول الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وأن الرؤيا الصالحة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث بها إلا من يحب، وإذا رأى رؤيا مكروهة فليتفل عن يساره ثلاثاً وليتعوذ من شر الشيطان وشرها ولا يحدث بها أحداً فإنها لن تضره.

الثاني: ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في قوله تعالى: **﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾** الإمام يبشرهم بقيام القائم وظهوره وبقتل أعدائهم وبالنجاة في الآخرة.

---

(١) نسخة «ابن أشناس».

الثالث: ما روي عنه عليه السلام من أن رسول الله وعلي عليهما السلام يدخلان على المؤمن وقت الاحتضار فيجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عند رأسه وعلي عليه السلام عند رجليه فينكب عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول يا ولي الله أبشر أنا رسول الله إني خير لك مما تركت من الدنيا ثم ينهض رسول الله صلى الله عليه وآله فيقوم علي عليه السلام حتى ينكب عليه فيقول يا ولي الله أبشر أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحب أما إني أنفعك فقال وذلك قوله تعالى: ﴿**لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾، وقال بعض المفسرين المراد بالبشرى في الحياة هي ما بشرهم الله تعالى في القرآن على الأعمال الصالحة، وقيل المراد بها بشارة الملائكة للمؤمنين أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة.

«**ولا يَتَصعَّدُكْ**» كما في بعض النسخ لا يشق عليك.

دعاؤه عليه السلام إذا ذكر الشيطان فاستعاذ منه

ونون الشيطان أصلية إن كان من الشطن أي البعد لبعده عن الخير، أو من الحبل الطويل كأنه طال في الشر، وإن كانت زائدة فهو من شاط يشيط إذا هلك أو استشاط غضباً إذا التهب في غضبه.

«**نَزَغاتِ الشَّيطانْ**» مفاسده.

«**الرَّجِيمْ**»

المرجوم بالحربات النارية وقت إخراجه من الجنة أو بلعن الله والعباد، وأما في زمان المهدي عليه السلام فإنه يقتله ويرجمه في ذلك اليوم، وقد فسر به يوم الوقت المعلوم، وكلها مروية في الأخبار.

«**بِأَمانِيّه**»

أكاذيبه المختلقة وأحاديثه الكاذبة من قولهم تمناه اختلقه، ومنه شيء رأيته أم تمنيته.

«**ومَصَائِده**»

جمع مصيدة وهو ما يصاد به الشيء، روي عن الأئمة عليهم السلام أن إبليس كان يأتي الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم إلى أن بعث الله المسيح يتحدث عندهم ويسائلهم ولم

يكن بأحدٍ منهم أشد أُنساً منه بيحيى بن زكريا عليه السلام فقال له يحيى يا أبا مرة أحبُ أن تعرض عليّ مصائدك وفخوخك التي تصطاد بها بني آدم فقال له إبليس حباً وكرامة وواعده فلما أصبح يحيى عليه السلام قعد في بيته ينتظر الوعد وأغلق عليه أغلاقاً فما شعر حتى أتى إليه من خوخة كانت في بيته فإذا وجهه صورة وجه القرد وجسده على صورة الخنزير وإذا عيناه مشقوقتان طولاً وفمه مشقوق طولاً وإذا أسنانه عظم واحد بلا ذقن ولا لحية وله أربعة أيدٍ يدان في صدره ويدان في منكبه وإذا عراقيبه قوادمه وأصابعه خلفه وعليه قباء قد شد وسطه بمنطقة فيها خيوط معلقة بين أحمر وأصفر وأخضر وجميع الألوان وإذا بيده جرس عظيم وعلى رأسه بيضة وإذا في البيضة حديدة معلقة شبيهة بالكلاب فلما تأمله يحيى عليه السلام قال له ما هذه المنطقة التي في وسطك؟ فقال هذه المجوسية التي سننتها وزينتها لهم فقال له ما هذه الخيوط الألوان؟ قال هذه جميع أصباغ النساء لا تزال المرأة تصبغ الصبغ حتى تقع مع لونها فيفتتن الناس بها، فقال له فما هذا الجرس الذي بيدك؟ قال لجمع كل لذة من طنبور وبربط ومعزفة وطبل وناي وحرناي وإن القوم ليجلسون على شرابهم فلا يستلذونه فأحرك الجرس فإذا سمعوه استخفهم الطرب فمن بين من يرقص ويفرقع أصابعه ومن بين من يشق ثيابه، فقال له وأي شيء أقر لعينك؟ قال النساء هن فخوخي ومصائدي فإني إذا اجتمعت على دعوات الصالحين ولعناتهم صرت إلى النساء فطابت نفسي بهن فقال له يحيى عليه السلام فما هذه البيضة التي على رأسك؟ قال بها أتوقى دعوة المؤمنين، قال فما هذه الحديدة التي أرى فيها؟ قال بهذه أقلّب قلوب الصالحين، قال يحيى عليه السلام فهل ظفرت بي ساعة، قال لا ولكن فيك خصلة تعجبني قال يحيى فما هي؟ قال أنت رجل أكول فإذا أفطرت أكلت وشبعت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل، قال يحيى فإني أعطي الله عهداً إني لا أشبع من الطعام حتى ألقاه، قال له إبليس وأنا أعطي الله عهداً إني لا أنصح مسلماً حتى ألقاه ثم خرج فما عاد إليه بعد ذلك، وقد انطوى هذا الحديث على مصائده الحسية والمعنوية.

«وَامْتِهَانِنَا» استخدامه إيانا بمعصيتك.

«اخْسَأْهُ»

اطرده وأبعده، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ألا أخبركم بشيء إن فعلتموه تباعد الشيطان

عنكم كما تباعد المشرق من المغرب قالوا بلى يا رسول الله قال الصوم يسوّد وجهه والصدقة تكسر ظهره والحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح تقطع دابره والاستغفار يقطع وتينه.

«واكْبِتْهُ بِدُؤُوبِنا فِي مَحَبَّتِكْ»

اصرفه عنا وذلله بسبب تعبنا وجدنا في محبتك.

«وَرَدْمَاً» الردم السد الشديد.

«مُصْمِتاً» لا جوف له.

«رِعايَتِكْ» حفظك.

«خَتْرَهْ» غدره.

«واقْطَعْ عَنَّا إِثْرَه»

بأن يتولى غيرنا فيكون أثره وراءه ويكون مقطوع الأثر عنا، أو يكون من ذوي الزمانة بالنسبة إلينا لا يقدر على اتباعنا فيكون مزمناً لا يمكنه الحركة، وقيل هو كناية عن موته فإن من مات لم يبق له أثر على وجه الأرض.

«بمِثْلِ ضَلاَلَتِهْ» التي هيأها لنا أو التي اتصف بها.

«مَدْخَلاً»

أي دخولاً أو مكانة وبضم الميم مصدر بمعنى الإدخال ومع كسر الخاء اسم فاعل من باب الأفعال.

«مَنْزِلاً»

بفتح الميم وكسر الزاء على اسم المكان بمعنى النزول وبفتح الميم والزاء على المصدر الميمي المجرد بمعنى النزول وبضم الميم وفتح الزاء على المصدر المزيد بمعنى الإنزال كذا ضبطه المحقق الداماد (ره)، وعلى صيغة اسم الفاعل كما في بعضها أي لا توطن له في قلوبنا شيئاً ينزل الشيطان ويوطنه في قلوبنا.

«سَوَّلَ» زيّن.

«**نُعِدُّهُ**» من الإعداد التهيئة بالركون بسببه.

«**وأَشْرِبْ قُلُوبَنَا**»

أي اجعل إنكار عمله يتداخل قلوبنا ويسري فيها مثل تداخل الشراب أعماق البدن أو الصبغ شراشر الثوب.

«**وَالْطُفْ لَنا**»

أوصل إلينا مرادنا في إبطال حيله أو هيء لنا الأسباب الدقيقة الصنع في نقض حيله أو انقض أنت حيله نقضاً بلطف واستدراج لا يفهم ولا يعلم أنك أنت الناقض حتى ينتهي نقضها.

«**الوُلُوعْ**» الاستخفاف.

«**وَأُمَّهَاتِنا**» في خ بكسر الميم وهي لغة في الضم.

«**مَاضِيَةٌ**» قاطعة، وفي الحديث الدعاء سلاح المؤمن وهو سهم صائب.

«**بالوَحْدَانِيَّةِ**» الباء إما للصلة أو للسببية.

«**بِحَقِيقَةِ العُبُودِيَّةِ**» أي بالعبودية الحقة أو بمخ العبودية وخالصها.

«**وَاسْتَظْهَرَ**» استعان.

«**فِي مَعْرِفَةِ العُلُومْ**»

في تحصيلها حتى يحصلها أو بسبب تحصيله لها فهو يطلب الاستعانة منك عليه بسببها.

«**رَتَقَ**» أحكم واتقن.

«**وَثَبِّطْهُ**» عوّقه.

«**وأَرْغِمْ أَنفَه**» ألصقه بالرغام وهو التراب كناية عن إذلاله.

«**اسْتهوَانَا**»

استمالنا واختدعنا بما يهواه أو طمع فينا أن يذهب بحبائله التي هي مهواة الغواية

وهاوية الضلالة، وفي التنزيل كالذي استهوته الشياطين.

«بِمُنَاوَأَتِهِ»

بالهمز وعدمه وبواو وألف بعدها همزة المعاداة من النوء بمعنى النهوض لأن كلا من المتعاديين ينوء إلى صاحبه أي ينهض إليه.

«خَاتَمْ»

بكسر التاء وفتحها وهو الأشهر ما يختم به الشيء كالطابع لما يطبع به الشيء أو بمعنى الزينة كما أن الخاتم زينة اليد.

«من خَوفِه» أي الشيطان أو ذلك الشيء الذي استفدنا منه.

«وَاسْمَعْ لَنَا»

أجب دعوتنا وفي ش بقطع الهمزة أي اجعل ما دعوناك به مستحقاً للإجابة مسموعاً.

دعاؤه عليه السلام إذا دفع عنه ما يحذر

«حُسْنُ قَضائِكْ» أي القضاء الحسن.

«وبما صَرَفْتْ» أي بسببه أو عليه.

«بِما كَرِهْتْ» من البلاء للصبر عليها.

«ظَلِلْتُ» صرفت نهاري.

«بِتُّ» صرفت ليلي.

«بينَ يَدَيْ بلاءْ»

سابق عليه والمراد به البلاء الأخروي أعاذنا الله وإياكم منه.

دعاؤه عليه السلام عند الاستسقاء بعد الجدب

هو حبس الأمطار وغور الأنهار، والعلة فيه ما قاله الصادق عليه السلام إذا فشا الزنى ظهرت الزلازل وإذا أمسكت الزكاة هلكت الماشية وإذا جار الحكام في القضاء أمسك القطر من السماء وإذا خفرت الذمة نصر المشركون، وقد كان الاستسقاء مشروعاً في جميع الأديان والملل بحكم قوله تعالى: ﴿**وإذ استسقى موسى لقومه**﴾، وأنكره أبو حنيفة وهو منكر، والظاهر أنه عليه السلام كان يدعو بهذا الدعاء عند الجدب مع صلاة الاستسقاء وسائر آدابه وبدونه وهو أحد أفراد الاستسقاء.

«**اللَّهُمَّ اسْقِنا الغَيْثْ**»

لم يصدره عليه السلام بالثناء عليه تعالى والصلاة على محمد وآله عليهم السلام والاعتراف بالذنوب كما هو دأبه عليه السلام في طلب الحوائج، وكأن النكتة فيه ضيق المقام وأنه لا يسع إلا طلب الحاجة سيما والغرض يعود إلى سائر الناس.

«**المُغْدِقْ**» الكثير القطر أو كبيره.

«**المُونِقْ**»

إما من الأنق بالتحريك بمعنى الكلاء فالمونق بمعنى المنبت والمخرج له، أو بمعنى الفرح والسرور، وإما من الأنيق من قولهم أنقني أي أعجبني.

«**بِإينَاعِ الثَّمَرَة**» بتمام نضجها وبلوغها الاقتطاف.

«**الزَّهْرَة**» بالفتح والسكون النبات ونوره.

«**وأَشْهِدْ**» احضر.

«**السَّفَرَة**»

أهل السفارة بيننا وبينك في إيصال المياه إلينا، وقيل السَّفرة الكَتَبة وهو بعيد.

«**غُزُرُهْ**» بضم العين جمع غزير وبفتح العين كما في ش بمعنى الكثرة.

«دِرَرُه» سيلانه وكثرته.

«وَابِلْ» عظيم القطر.

«هَنِيئَاً مَرِيئاً»

الهنيء لذيذ الطعم والمَرِيء محمود العاقبة، وقيل الهنيء ما لا تعب فيه ولا إثم والمريء ما لا داء فيه.

«طَبَقَاً» عاماً للأراضي.

«مُجَلْجَلاً» ذا رعد والجلجلة صوت الرعد.

«غَيرَ مُلِثٍّ وَدْقُهْ» غير عقيم مطره فإنه ربما أفسد الديار.

«ولاَ خُلَّبٍ» وهو الطمع الخلف.

«مُغِيثاً»

منبتاً للغيث وهو النبات، أو مغيثاً من الإغاثة أو تأكيداً كليل الليل أي مطراً شديداً.

«مَرِيعَاً» خصيباً سميناً.

«مُمْرِعاً» مخصباً.

«عَرِيضَاً»

كثيراً كقوله تعالى: ﴿**ذو دعاء عريض**﴾، وفي ش الغين المعجمة أي طرياً جديداً.

«النَّهِيضْ» النبات لأنه نهض من الأرض على ساقه.

«المَهِيضْ» النبات المكسور.

«سَقْياً» بفتح السين مع التنوين مصدر وبضمها بلا تنوين اسمه كما في س.

«الظِّرَابْ» الجبال الصغار والمنبسطة.

«الجِبَابْ» بالكسر جمع جب وبالضم البئر.

«**وتَنْعَشُ**» ترفع.

«**وَتُدِّرُ بِهِ الضَّرْعَ**» تكثر به اللبن في ضروع الحيوانات.

«**سَمُومَاً**» ريحاً حارة.

«**حُسُومَاً**» نحوساً أو متتابعة.

«**صَوْبَه**» انصبابه.

«**رُجُومَاً**» وهو ما يرجم به من الحجارة.

«**أُجَاجَاً**»

مالحاً، وقد يستفاد من هذا الدعاء وسائر الأدعية الواردة عنهم عليهم السلام في هذا الباب أنه ينبغي أن يكون للاستسقاء متشابه المعاني والألفاظ.

دعاؤه عليه السلام في مكارم الأخلاق

«**وبَلِّغْ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الإِيمَانْ**»

الباء إما زائدة أو للسببية والمفعول محذوف أي بلغني بسبب إيماني بك إلى أعلى درجاته، وقيل إنها للمصاحبة، وفي نسخة ابن أشناس وابلغ بإيماني والباء حينئذ للتعدية، والإيمان قد اختلف فيه على مذاهب:

الأول: إنه التصديق القلبي بما علم ثبوته من الدين ضرورة كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء وعليه جمهور الأشاعرة.

الثاني: ما عليه أكثر الحنفية من ضم التصديق اللساني إليه وإليه ذهب جمهور أصحابنا.

الثالث: إنه التصديق اللساني فقط وعليه الكرامية.

الرابع: إضافة الأعمال إلى ما تقدم وعليه المعتزلة والخوارج وأهل الحديث.

الخامس: إنه المعرفة بالله تعالى وإليه ذهب جهم بن صفوان.

السادس: إنه معرفة الله وما جاء به الرسول ﷺ إجمالاً وعليه بعض فقهاء الجمهور.

السابع: إنه الطاعات المفترضة من الأفعال والتروك دون النوافل وعليه الجبائيان وبعض المعتزلة.

الثامن: إنه الطاعات كلها فرائضها ونوافلها وعليه بعضهم، وهذه المذاهب هي التي ذهب إليها أهل الملل، وظني أن النزاع بين أكثرهم بل بينهم لفظي فإن المفهوم من الأخبار إطلاقه على معانٍ متعددة لا تخرج عن هذه المذاهب:

أولها: إطلاقه على مرادف الإسلام بمعناه المشهور وفائدته في الدنيا حقن الدماء ونحوه، وأما في الآخرة فصاحبه مخلد في النار وفاقاً منا.

وثانيها: الإقرار اللساني والاعتقاد القلبي بلا عمل كما يكون لفساق المؤمنين، وفائدته في الأخرى عدم الخلود في النار، وأما أصل الدخول وعدمه فقد اختلفت فيه الأخبار والأقوال والمشهور هو الأول.

وثالثها: إنه ما ذكر مع ترك الكبائر وفعل الفرائض التي تركها كبيرة كالصلاة والزكاة والحج وعليه أكثر الأخبار، وفائدته دخول الجنة، وما ورد من أن تارك الصلاة أو الزكاة أو الحج كافر وليس بمؤمن فالمراد خروجه عن هذه المرتبة لا عن كل درجات الإيمان كما توهمه جم غفير من الأصحاب.

ورابعها: إنه عبارة عن جميع الاعتقادات مع الإتيان بجميع الواجبات وترك جميع المحرمات وفائدته مع ما سبق رفع الدرجات والإقبال عليه بالكرامات، وما ورد أن كل من فعل محرماً فليس بمؤمن فالمراد به أنه يخرج عن هذه المرتبة.

وخامسها: إطلاقه على ما ذكر مع الإتيان بالمستحبات وترك سائر المكروهات وفائدته تضاعف الدرجات، وما روي من أن من كان يؤمن بالله فلا ينامن وحده أو فلا يأكلن وحده أو فلا يبعث بحليلته إلى الحمام فمحمول على هذه المرتبة.

وسادسها: إطلاقه على ما ذكر مع التوجه بشراشره إلى عالم الملكوت والانقطاع عن هذا العالم وهو إيمان الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام الذي وصفه أمير المؤمنين عليه السلام لهمام العابد، وهذه المرتبة تنافيها الأفعال المباحة ولذا تابوا إلى الله

تعالى منها كما عرفت سابقاً، والشاهد لما ذكرنا قول أبي عبدالله عليه السلام: يا عبد العزيز الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحدة لست على شيء حتى تنتهي إلى العاشرة فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره، ومن كسر مؤمناً فعليه جبره، وعبارة الصحيفة أيضاً مشعرة بما قلناه فقد وضح الحق وارتفع النزاع، نعم تبقى فائدة الخلاف في ما ورد في الأخبار من استحباب قضاء حاجة المؤمن ومواساته ونحو ذلك والظاهر أن المراد به ذو المرتبة الثالثة فصاعداً كذا يفهم من بعض الأخبار، وإن شئت زيادة توضح فاستمع لما يتلى عليك.

فنقول قد شبهوا عليهم السلام الإيمان بالشخص المشتمل على أجزاء عديدة منها ما يكون بها قوامه ووجوده كالرأس والقلب وبإزائهما الاعتقاد والإقرار، ومنها ما يكون به جلب منافعه ودفع مضاره لا أصل وجوده كاليدين والرجلين والعينين وبإزائهما فعل الواجبات وترك المحرمات، ومنها ما يكون له مدخل في حسن الصورة لا غير كالحاجبين وأهداب العينين ونحوها وبإزائها فعل المستحبات وترك المكروهات، وهو المراد من قوله عليه السلام وحلّني بحلية المتقين، وتزايد الإيمان إنما هو باعتبار تزايد الأعمال كما يفهم من تمثيلهم عليهم السلام له بالعين النابعة فإن زيادة مائها والانتفاع به إنما يكون بتشريع الأنهار وشقها حتى تجري على وجه الأرض وإلا لربما درسته الرياح، وكذلك الإيمان يحتاج إلى إجرائه على مجاري الجوارح فإن كل عضو منها كنهر جارٍ، ولذا ورد في الروايات انبثاث الإيمان على سائر الجوارح، والعين تحتاج في كل زمان إلى تنقيها من الحمأة المفسدة، وكذا القلب الذي هو محل الإيمان وعينه يحتاج إلى التنقية من حمأة الكبر والحسد والعجب وسائر الرذائل حتى تبلغ تلك العين الإيمانية في صفائها إلى قوله لو كشف الغطاء لما ازددت يقيناً، وتحقيق هذا المقام يحتاج إلى بسط بسيط وقد حررناه في شرحنا الكبير.

«وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ اليَقِينْ»

يدل على ما هو الحق من قول اليقين للشدة والضعف خلافاً لبعض المتكلمين، وهو فوق الإيمان لقول أبي الحسن عليه السلام الإيمان فوق الإسلام

بدرجة والتقوى فوق الإيمان بدرجة واليقين فوق التقوى بدرجة وما قسم في الناس شيء أقل من اليقين، وأما حده فقال الصادق عليه السلام هو أن لا تخاف مع الله شيئاً.

«وانْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَى أَحْسَنِ النِيَّاتْ»

الباء للمصاحبة ولا خلاف في أن مدار قبول الأعمال إنما هو عليها، بل عليها بني الخلود في الجنة والنار، قال الصادق عليه السلام إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً وإنما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعالى: ﴿**قل كل يعمل على شاكلته**﴾ أي على نيته، وإنما الخلاف في معناها فذهب بعض المتفقهين إلى أن هذه الألفاظ هي المشهورة ولذا أوصى في المحافظة على إخراج حروفها من المخارج وعلى مقارنتها لتكبيرة الإحرام، وأوقع الناس في الوسواس الشيطاني، وصلاة هذا باطلة قطعاً لأن هذا ليس بنية إجماعاً، وإن زعم أنها دلائل النية يعبر بها عنها فقد وقع في أمرين باطلين:

أحدهما: قوله عليه السلام إذا أقيمت الصلاة فقد حرم الكلام أي منع منه أو كره على اختلاف القولين، ولا ريب في أن الألفاظ كلام أجنبي من الصلاة لأنه ليس بقرآن ولا دعاء.

وثانيهما: ما قيل من أنه إن أسقط همزة جلالة التكبير فقد أسقط ما لا يجوز إسقاطه رعاية للتفخيم وإن أتى بها بعد فقد وقع فيما فر عنه لوجود الفاصلة وعدم حصول المقارنة، وعندي في هذا القيل شيء فإن مثله لا يعد فاصلة عرفاً ولا شرعاً، وبعضهم على أنها عبارة عن معاني تلك الألفاظ وهو إن كان أقل فساداً من سابقه إلا أنه فاسد أيضاً لاجتماعه مع الرياء مع بطلان الصلاة معه، إذا تحققت بطلانهما، فاعلم أن المفهوم من الأخبار إطلاقها على معنيين:

أحدهما: القصد المقارن للفعل الذي لا ينفك عنه الفاعل إلا إذا كان عديم الشعور، ومن هنا قال الفاضل ابن طاوس لو كلفنا بترك النية حال الفعل لكان تكليفاً بما لا يطاق.

وثانيهما: أنه الحامل والباعث على فعل العبادة ويختلف باختلاف الأشخاص ومع تشعبه يمكن حصره في ثمان: أولها الرياء والسمعة، وثانيها قصد الثواب أو

الخلاص من العقاب أو هما معاً، وثالثها فعلها شكراً للنعم واستجلاباً للمزيد، ورابعها فعلها حياء منه تعالى، وخامسها فعلها تعظيماً له ومهابة وانقياداً وإجابة، وسابعها فعلها موافقة لإرادته وطاعة لأمره، وثامنها فعلها لكونه تعالى أهلاً لها كما ورد به الحديث المشهور وهو قوله ما عبدتك خوفاً من نارك الحديث، ولا خلاف في بطلان العبادة بالغاية الأولى كما لا خلاف في صحتها لهذه الغاية، وقد اختلف في صحة العبادة وبطلانها عند قصد غيرهما من الغايات فجمهور أصحابنا على بطلان العبادة سيما عند قصد الغاية الثانية لأن قاصدها بزعمهم إنما قصد جلب النفع إلى نفسه ودفع الضرر عنها، وقد بالغ الزاهد ابن طاوس في بطلان العبادة عند هذا القصد، والذي أذهب إليه وأتكل عليه هو صحة العبادة بكل هذه الغايات ما عدا الأولى وإن ذهب علم الهدى إلى صحة العبادة أيضاً عندها وإجزائها لكنها غير مقبولة ولا يترتب على فعلها ثواب وإنما فائدتها إسقاط القضاء، وللبحث معه محل آخر وقد أقمنا على ما ذهبنا إليه دلائل كثيرة حررناها في شرحنا على تهذيب الحديث ونكتفي هنا بذكر بعضٍ:

منها أنهم زعموا أن النية عبارة عن ذلك القصد وقد عرفت أنه في غاية السهولة وليس الأمر كذلك فإن مدار الثواب والعقاب إنما هو عليها بالمعنى الثاني.

ومنها أن الكتاب والسنة قد اشتملا على الرغبات المختلفة على فعل العبادات وعلى المرهبات على تركها، وذلك لأنه تعالى قد علم اختلاف طباعنا وميولنا فتارة يرغبنا بالحور الحسان وأخرى بالغلمان والصبيان وتارة بالشراب الطهور وأخرى بالمنازل والقصور، ويخوفنا تارة بالعقارب والحيات وأخرى بالزفير والندامات، لأن كلاً منا يرغب في شيء ويهرب عن آخر كالطفل الصغير، فلو لم تكن لمثل هذه المرغبات والمرهبات دواعي صحيحة وبواعث صريحة لما أحسن ذكرها في مقام طلب الطاعات.

ومنها أن إرادة الثواب والخلاص من العقاب لا تنافي قصد كونه أهلاً عند التحقيق بل هو من أفراده لأنهما مسببان عن رضاه وسخطه فطالبهما طالب له تعالى فإن من سمع بإحسان من محسن فعمل له حصل له القرب إليه لامتثاله أمره وحينئذٍ فتصح بعض العبادات المأمور به لقصد الأغراض الدنيوية كتحصيل الأموال والأولاد لأن الشارع جعلها غاية وهو لا ينافي الإخلاص كما عرفت.

ومنها ما روي في الحسن عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال العباد ثلاثة قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً من العقاب فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى طلباً للثواب فتلك عبادة الأُجَراء وقوم عبدوا الله تبارك وتعالى حباً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة، فإن أفعل التفضيل يقتضي المشاركة في الفعل.

ومنها الحديث المشهور وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم من بلغه شيء من الثواب على عمل فعمل ذلك العمل التماس ذلك الثواب أوتيه وإن لم يكن الحديث كما بلغه، فإنه يعطى أن ذلك العمل المثاب عليه إنما يفعل بقصد الثواب، وأقسم لو أن الصادق عليه السلام أخبر هؤلاء الأفاضل بأن كل عباداتكم وطاعاتكم لا تنفعكم في تحصيل ثواب ولا تخليص من عقاب لما فعلوا شيئاً من الفرائض فضلاً عن قيامهم بالليل عن مضاجعهم للنوافل والبكاء والتضرع، ولأن ما ذهبوا إليه هو درجة أمير المؤمنين وسيد الموحدين الذي ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير ولذا قال عليه السلام لولانا ما عبد الله، وللناس صورة العبادة، وفي الزيارات أشهد أنك يا أمير المؤمنين قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة فلو كان داعينا وداعيه عليه السلام على الصلاة واحداً لما استحق هذا الثناء الجزيل والمدح الجميل، فزن الكلام بميزان العقل واختر أيهما شئت.

«وَفِّرْ»

بالتخفيف والتشديد بمعنى كثر قال في النهاية وفره كوعده يعده كثرة.

«وصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي»

يجوز تعلق الجار والمجرور بما يليه أي صحح يقيني بما عندك من درجات الثواب ودركات العقاب أو صحح بسبب الذي عندك من الألطاف والهدايات يقيني في كل الأمور فتأمل.

«بِمَا تَسْأَلُنِي غَدَاً عَنْه»

لأنا لا نعلم عن أي الأعمال نسأل وعلى أيها نجازى، ولقد كان قريباً من عصرنا العابد الزاهد العالم الورع الذي لا تحصي الأقلام بعض مدائحه مولانا أحمد الأردبيلي مبالغاً في الإقبال على العلوم والعبادة وقد فاق في ورعه سائر علماء الأمة بل قد حكى لي أستاذي العلامة وهو قريب منه في العلم والعمل صاحب بحار الأنوار وعين الحياة

والفوائد الطريفة ومرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول وغيرها من المصنفات أن مولانا أحمد الأردبيلي كان إذا اشتبهت عليه المسائل يراجع فيها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الليل لأنه كان من سكان الحضرة العالية وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يتكلم معه في الجواب ولقد شاهده تلميذه الفاضل الورع مير علام في بعض الليالي مقبلاً على الحضرة المقدسة فأقبل خلفه حيث لا يرى فانفتحت له الأقفال ولما وصل إلى قبر الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ سمعه يتكلم معه بمسألة من المشكلات ولما خرج (قده) تبعه تلميذه حتى وصل في تلك الليلة إلى مسجد الكوفة فسمعه أيضاً يتكلم مع شخص في تلك المسألة في محراب الكوفة فلما رجع إلى النجف ورجع خلفه انكشف عليه في بعض الطريق وأقسم عليه أن يخبره أنه مع من كان يتكلم فأخبره أن المتكلم الأول هو أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد أحاله في تحقيق هذه المسألة على مولانا صاحب الزمان وهو المتكلم الثاني وقد أخذ على تلميذه أن لا يخبر أحداً مدة حياة ذلك الاستاذ، ولما مضى إلى رحمة الله نقله لخواصه ونقله بعض خواصه لاستاذنا سلمه الله تعالى وكان من جملة احتياطاته أنه إذا مضى إلى بغداد لزيارة الكاظم عَلَيْهِ السَّلَامُ ربما أودع كتابة من بغداد فيجعلها في جيبه ولا يركب ويسوق الدابة أمامه من بغداد إلى النجف الأشرف خوفاً من أن يركب وهي معه بدون رخصة من صاحبها، ومع هذه الخواص والمزايا رآه بعض المجتهدين في المنام وهو خارج من زيارة قبر الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في هيئة حسنة فسأله أي الأعمال بلغ بك إلى ما أرى فأخبرني حتى أداوم عليه فقال له يا شيخ إن تلك الأعمال التي قد رأيتها منا قد وجدناها كاسدة السوق عديمة المشترى وإن ما نفعنا وبلغ منا ما ترى صاحب هذا القبر يعني قبر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان مولانا الفاضل مولانا عبد الله الشوشتري مشاركاً له في العلم والعمل، بعد موته رآه بعض المجتهدين بهيئة حسنة ومكان رفيع فسأله عن السبب فقال له إن السبب فيه أنه كان في يدي تفاحة وأنا خارج عن مسجد الجامع باصفهان فلقيني طفل في الطريق فوضعتها في يده ففرح بها فأعطيت ما ترى، وظني أنه قال طفل يتيم، ولا تستعظم مثل هذا فإنك قد عرفت أن مناط قبول الأعمال على تفاوت الإخلاص، وفي الرواية أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿**من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له**﴾ أتى المهاجرون والأنصار بما كان عندهم من الأموال والثمار إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وكان في المسجد فكان يقبضه منهم نيابة عن الله تعالى ويعدهم بالجنة ومنازلها فسمع ذلك المقال رجل فقير الحال عديم المال فأتى باكياً إلى زوجته

فأخبرها الخبر فقالت له انظر إلى كل ما في بيتك فلم ير إلا حشفة عتيقة تحت التراب فأخذها ونقاها ووضعها تحت ثيابه حياء من الناس وأتى المسجد ووضعها بين التمر الذي أتى به أهل المدينة ولم يشعر به أحد فأنزل الله سبحانه في الثناء عليه آية من القرآن فقال له النبي ﷺ ما الذي أتيت به من المال فلقد أنزل الله فيك آية ثناء عليك ولم يثن على غيرك فأخبره الخبر فقال إن الصدقة على وجه الإخلاص هكذا تفعل بصاحبها.

«فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ»

في هنا بمعنى اللام التعليلية أو يضمن الاستفراغ معنى الصرف ونحوه أي اصرف أيامي فيما خلقتني له من العبادة كما قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾.

«وأَوسِعْ عَلَيّ» تأكيد لما قبله ويجوز أن يراد به غنى المال وبسابقه غنى النفس كما هو الشائع في الأخبار.

«ولا تَفْتِنِّي بِالنَّظَرْ»

أي ما في أيدي أرباب النعم فإنه غالباً يكون باعثاً على الالهام له تعالى فيما قضاه، أو المراد النظر إلى المحرمات فإنها سهام الشيطان، وقد روي أن كل عين باكية يوم القيامة إلا عين غضت عن محارم الله وعين بكت من خشية الله وعين باتت ساهرة في طاعة الله، وقيل المراد بالنظر هنا انتظار الرزق فإن بطء الأرزاق يحدو على الافتتان، والبطر بالباء والطاء كما في بعض النسخ النشاط والطغيان وقلة احتمال النعمة، ولما كان من لوازم الغنى والسعة غالباً سأل الله تعالى أن يمنحه الغنى ويسلب لازمه الذي هو البطر وكذا فيما سيأتي في الفقار.

«ولا تَبْتَلِيَنِي» الواو للعطف وقيل للحال ولا نافية وهو كما ترى.

«وعَبِّدْنِي» ذللني واستعملني في العبادة لك.

«مَعالِيَ الأَخْلاقْ»

الأخلاق العالية، ومن الأخلاق العالية معاشرة الاخوان والتواضع لهم وودهم،

واعلم أنه يجوز تعظيم المؤمن بما جرت به عادة الزمان وإن لم يكن من السلف لدلالة العمومات عليه، قال الله تعالى: **﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾**، وقال ﷺ لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخواناً، فعلى هذا يجوز القيام والتعظيم بالانحناء وشبهه، وربما وجب إذا أدى تركه إلى التباغض والتقاطع أو إهانة المؤمن، وقد صح أن النبي ﷺ قام لفاطمة عليها السلام وقام إلى جعفر لما قدم من الحبشة وقال للأنصار قوموا إلى سيدكم، ونقل أنه ﷺ قام لعكرمة بن أبي جهل لما قدم من اليمن فرحاً بقدومه، فإن قلت قد قال رسول الله ﷺ من أحب أن يتمثل له الرجال والنساء قياماً فليتبوأ مقعده من النار، ونقل أن النبي ﷺ كان يكره أن يقام له فكان إذا قدم لا يقومون لعلمهم كراهته ذلك فإذا فارقهم قاموا حتى يدخل منزله لما يلزمهم من تعظيمه، قلت تمثل الرجال قياماً المراد به ما تعارف بين الجبابرة من إلزامهم الناس بالقيام حال قعودهم إلى أن ينقضي مجلسهم لا هذا القيام المخصوص القصير زمانه، سلمنا لكن قال شيخنا الشهيد (ره) بحمل من أراد تجبراً وعلواً على الناس فيؤاخذ من لا يقوم له بالعناد، أما من يريده لدفع الإهانة عنه والنقيصة به فلا حرج عليه لأن دفع الضرر عن النفس واجب، وأما كراهته ﷺ فتواضع لله وتخفيف على أصحابه، وكذا ينبغي للمؤمن أن لا يحب ذلك وأن يؤاخذ نفسه بمحبته له إذا مالت إليه لأن الصحابة كانوا يقومون كما جاء في الحديث، وينبغي عدم علمه بهم مع أن فعلهم يدل على تسويغ ذلك، وأما المصافحة فهي من السنة وكذا المعانقة، وأما التقبيل في موضع السجود فكذلك أيضاً، قال الصادق عليه السلام إن لكم لنوراً تعرفون به في الدنيا حتى أن أحدكم إذا لقي أخاه قبّله في موضع النور من جبهته، وأما تقبيل اليد فإنه وإن تعارف في كل الأعصار إلا أنه روي عن الصادق عليه السلام أنه قال لا يقبل (يد)[1] أحد إلا رسول الله أو من أريد به رسول الله، والكلام فيمن اريد به رسول الله الظاهر أن المراد الأئمة المعصومون عليهم السلام فإنهم نوابه وقوامه ويدل عليه رواية السابري قال دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فتناولت يده فقبلتها فقال أما أنها لا تصلح إلا لنبي أو وصي نبي، وقيل المراد به من انتسب إليه انتساباً صورياً وهم مطلق أولاد فاطمة عليها السلام الصلحاء الأخيار، وقيل المراد به مطلق

---

(١) في الأصل رأس، وما ذكرناه ربما كان الأصح.

الانتساب فيندرج تحته الانتساب المعنوي كانتساب العلماء والمجتهدين إليه فإنهم قد ورثوا ميراثه الذي هو العلم ومعرفة أحكام شريعته وقاموا بالأمر بعده ولكل من هذه الأقوال وجه وجيه، وأما تقبيل الرجل فقد ورد النهي عنه عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وأما القبلة للفم فقد روي عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه ليس القبلة على الفم إلا للزوجة والولد الصغير، وأما القبلة على الخد فجائزة كما في الخبر.

«لا أَستَبدِلُ بِهْ» لا أنتقل عنه ولا يكون هدى في أول الوهلة ويظهر بعد التأمل أنه ضلال فاحتاج إلى استبداله.

«بِذْلَةً» وهو ما يلبس من الثياب وقت الخدمة، أي ما كان عمري كلباس الخدمة مستعملاً في طاعتك وما أحسن هذه الاستعارة وما بعدها وما ألطفهما.

«مَرْتَعاً»

هو مرعى الدواب وفي هذا دلالة على نقصان العمر وزيادته بالدعاء كغيره من الطاعات ويرشد إليه ما رواه الشيخ في الأمالي عن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال إن الله تعالى لم يجعل للمؤمن أجلاً في الموت يبقيه ما أحب البقاء فإذا علم منه أنه سيأتي بما فيه هلاك دينه قبضه إليه مكرماً، وقد قدمنا في أوائل الكتاب ما يوضح هذا فراجعه.

«يَسْتَحْكِمَ»

يقوى ويثبت يقال أحكمته فاستحكم أي صار محكماً فهو مستحكم بالكسر لا غير قاله المطرزي في المغرب والمعرب وحينئذٍ فالفتح كما هو المشهور في المحاورات من الأغاليط العامية.

«تُعابُ مِنِّي»

الموافق للغة والاستعمال تعدية هذا الفعل بالباء وعلى، تقول عابني بها وعليها وحينئذٍ فالظرف إما أن يتعلق بقوله لا تدع أو بخصلة أو بتعاب بتضمينه معنى الاستقباح ونحوه.

«وَلاَ عَائِبَةً»

سيئة عائبة لي تعيب عليَّ الناس بسببها، وقيل بجواز كونه مصدراً كالعافية والباقية.

«أُوَنِّبُ» أعنّف وأوبخ وفي النهاية التأنيب المبالغة في التعنيف والتوبيخ.

«حَسَّنْتَهَا» بإقلاعي عنها أو بتعريف العائبين أنها ليست بعائبة أو أصلحتها.

«ولا أُكْرُومَةً فِيَّ نَاقِصَة»

أكرومة من الكرم كأعجوبة من العجب والمراد به كرائم الأخلاق وفي بالإضافة إلى ياء المتكلم، وفي بعض النسخ بالتخفيف أي في درجة ناقصة، أو في التلبس بشائبة من شوائب الرذائل تنقصها، أو يكون مصدراً بمعنى النقصان، قال الفاضل الداماد ومن القاصرين في عصرنا من لم يكن ليستطيع إلى إدراك الغامضات فحرفها إلى فيّ ناقصة بإضافة في إلى ياء المتكلم فغشنا ذلك التحريف ولم يفطن لما فيه من الفساد من وجهين:

الأول: قضية العطف على خصلة في الجملة الأولى مقتضاها أن يقدر الكلام ولا تدع مني أكرومة في ناقصة فيجتمع مني وفي فيرجع إلى هجنة.

الثاني: إن الفصل بين الصفة والموصوف بالجار ومجرورها هجين، انتهى. والعجب من هذا التحريف كيف طعن على بعض القاصرين في عدم إدراك الغامضات مع أنه هو الأولى، ويكشف عنه أمور:

الأول: ما عرفت من جواز تعلق قوله مني بتعاب بل هو الأنسب لقربه.

الثاني: لو سلمنا تعلقه بخصلة منعنا الاحتياج إلى تقدير مني في المعطوف عليه لأن في فيه معنى مضى عبر به عنه إشعاراً بالاتحاد.

الثالث: لا يتعين نصب ناقصة على الوصفية بل يجوز نصبه على الحالية مع أن الفصل بالظرف بين الصفة والموصوف شائع ذائع.

«مِنْ بِغْضَةِ أَهلِ الشَّنَآنْ»

مسكن ومحرك وقرىء بهما شنآن قوم والإضافة إما إلى الفاعل أي أبدلني بدل بغض أهل البغض لي المحبة مني لهم أو منهم لي أو منك لي أو البغض الذي منهم، وإما إلى المفعول وهذه الاحتمالات جارية في سائر الفقرات.

«ظِنَّةَ أَهْلِ الصَّلاَحْ»

من باب الإضافة إلى المفعول أي تهمتهم وسوء الظن بهم ويجوز أن يكون من باب الإضافة إلى الفاعل أيضاً أي تهمتهم لي فإن أرباب الصلاح لما ترقوا في درجات الإيمان إلى أعاليها ربما اتهموا من هو أنقص منهم درجة بالتقصير.

«الثِّقَة بِهِمْ»[1] وبصلاحهم أو بأن يثقوا بي ولا يتهموني.

«الأَدْنَيْنْ» جمع أدنى من الدون وقيل جمع دني من الدناءة.

«الوِلاَيَة» بفتح الواو بمعنى المحبة وبكسرها بمعنى الحكومة وتولي الأمور.

«حُبِّ المُدَارِينْ»

على صيغة اسم الفاعل أو المفعول والإضافة عليهما إما إلى الفاعل أو إلى المفعول والمعنى على ما سبق، وفي بعض النسخ بالخاء المعجمة بمعنى الخدع.

«المِقَة» المحبة.

«المُلاَبِسِينْ» المخالطين فإن المخالطة كاشفة عن العيوب كما قال عليه السلام اخوان هذا الزمان جواسيس العيوب.

«كَرَمَ العِشْرَة» حسن المعاشرة.

«الأَمَنَة» بالفتح والسكون مصدر بمعنى الأمن.

«يَدَاً» قوة أو نعمة.

«كَايَدَنِي» من الكيد بمعنى المكر والخدعة.

«اضْطَهَدَنِي» قهرني وجار عليّ.

«قَصَبَنِي» عابني من القصب بمعنى القطع لأن من عاب أحداً فقد قطعه أو قطعه عن كماله أو قطع كمالاً من كمالاته والتكذيب إما بلسان المقال أو بلسان الحال بأن أكون على خلاف ما عابني حتى يظهر كذبه.

---

(١) الثقة فقط من دون إضافة (بهم) كما في العديد من متون الصحيفة.

«مَنْ هَجَرَني بِالبِرّ»

قال الصادق عليه السلام لا يفترق الرجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة وربما استحق ذلك كلاهما فقال له معتب جعلني الله فداك هذا الظالم فما بال المظلوم قال لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته ولا يتغامس[1] له عن كلامه سمعت أبي يقول إذا تنازع اثنان فقال أحدهما الآخر فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتى يقول لصاحبه أي أخي أنا الظالم حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه فإن الله تعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلا كانا خارجين عن الإسلام ولم يكن بينهما ولاية فأيهما سبق إلى كلام أخيه كان السابق إلى الجنة يوم القيامة، وقد عرفت أن المراد بالخروج عن الإسلام الخروج عن أحد مراتبه.

«مَنِ اغْتَابَنِي»

والكلام في تحقيق الغيبة يستدعي بيان أمور:

الأول: في تحريمها وهو مجمع عليه بين علماء الإسلام بل قيل إنها من الكبائر وإنها تُنقِض الوضوء كما في بعض الروايات.

الثاني: في تعريفها والمشهور أنها التعرض لإنسان معين أو في حكمه بما يكون فيه بحيث لو سمعه غضب، ويعد في العرف نقصاً سواء كان ذلك التعرض بالقول أو الإشارة أو الكناية أو الكتابة والتقييد بالمعين ليخرج مثل قولك إنسان في هذا البلد فاسق فإنه لا يعد غيبة إلا إذا علم بالقرينة عند السامع وفي حكم المعين يدخل فيه قول القائل إما زيد فاسق وإما عمرو فاسق فإنه غيبة لأحدهما وظني أنه غيبة لهما معاً لتأثرهما لو سمعا مثله، والتقييد بكونه فيه لاخراج البهتان فإنه لا يسمى غيبة عرفاً وإن تضاعف عذابه، والتقييد بكونه نقصاً لإخراج مثل نسبة عبادة أو نحوها إلى عابد بحيث لو سمعها لغضب فإنه لا يعد غيبة بل هو من الأمور الحسان والكناية كأن تقول الحمد لله الذي لم يجعل لي باعثاً على هذا الأمر القبيح عند ذكر من اتصف به فظن أنه دعاء مستحب فظهر أنه محرم.

---

(١) لم أجد لهذه اللفظة معنى في كتب اللغة والحديث، ولعلها تصحيف من الناسخ.

الثالث: في الأفراد المجوزة منها شرعاً وهي عشرة:

أولها: شكاية المتظلم عند من يجوز رفع الظلم عنه فإنها جائزة قولاً وسماعاً، وثانيها: ما يكون وسيلة إلى إقلاعه عن تلك المعصية المجمع على أنها معصية أما لو كانت منوطة على مسألة خلافية لما جازت غيبته فيها لجواز أن يكون مقلداً أو مجتهداً فيها، وثالثها: نصح المستشير كأن يستشيرك أحد بإيداع ماله عند من تعرف منه الخيانة فينبغي أن تقول له أولاً لا تودعه فإن لم يكتف به فينبغي أن تذكر عيبه الذي له دخل في تلك المعاملة لا غير، ورابعها: غيبة أهل البدع لتكف الناس عن متابعتهم بل وردت الرواية بجواز الكذب عليهم، وخامسها: الاستفتاء كأن يقول إنسان للمفتي إن فلاناً تصرف بمالي على هذا الوجه فهل يجوز لي الدعوى عليه أم لا، وسادسها: تغليط المجتهدين بعضهم بعضاً، وسابعها: جرح رواة الأخبار وتعديلها كما تضمنته كتب الرجال، وثامنها: ذكر المشتهر بوصف مميز له كالأعور والأعرج ومع عدم قصد الاحتقار، وتاسعها: غيبة المتجاهر بالفسوق فيما تجاهر منه ولو لم يتجاهر في بعضها فهل يجوز غيبته فيه أم يقتصر على المتجاهر فيه لا يخلو من إشكال وإن كان ظاهر بعض الأخبار هو الأول، وعاشرها: إقامة الشهادة فيما يثبت به الحد والتعزير.

الرابع: في كفارتها ففي بعض الأخبار أنه تحليل المغتاب لكونه حق آدمي، وفي بعضها أن تستغفر له كلما ذكرته أي كلما نلت منه أو كلما خطر ببالك ولا منافاة بينهما لجواز إرادة اجتماعهما معاً أو يحمل الأول على من يمكن التوصل إليه، والثاني على من لا يمكن إما لموت أو لبعد أو لإثارة الفتنة إن استحله.

«المُتَّقِينْ»

والتقوى على ما قال الصادق عليه السلام أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك، وقد منح الله المتقين أموراً، أولها: الحفظ والتحصين من الأعداء قال تعالى: ﴿**وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً**﴾. وثانيها: إصلاح العمل قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم**﴾، وثالثها: غفران الذنوب ويغفر لكم ذنوبكم، ورابعها: المحبة لهم لقوله تعالى: ﴿**إن الله يحب المتقين**﴾، وخامسها: القبول بحكم قوله ﴿**إنما يتقبل الله من المتقين**﴾، وسادسها: الإكرام ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾، وسابعها: البشارة عند الموت ﴿**الذين آمنوا**

وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾، وثامنها: النجاة من النار **﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾**، وتاسعها: الخلود في الجنة **﴿أعدت للمتقين﴾**، وعاشرها: تيسير الحساب **﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء﴾**، وحادي عشرها: النجاة من الشدائد، وثاني عشرها: إعطاء الرزق الحلال **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾**.

«**وإِطْفاءِ النائِرَة**» العداوة الواقعة بين المؤمنين أو الحاصلة مني لهم.

«**وضَمِّ أَهْلِ الفُرْقَة**»

ما بعدها كالتأكيد لها وهو من عظائم الطاعات حتى أنه قال الصادق عليه السلام المصلح ليس بكاذب، وفي الرواية جواز الكذب في ثلاثة في الحرب وعدة الزوجة والإصلاح بين الناس.

«**العارِفَة**» المعروف.

«**لِينُ العَرِيكَة**» سلامة الخلق والطبيعة ويقال لانت عريكته إذا انكسرت نخوته.

«**وخَفْضُ الجَناحْ**» كناية عن الشفقة.

«**وَسُكُونُ الرِّيحْ**»

وهي الغلبة والقوة والبطش وسكونها هو الحلم والوقار، والعامة تجعلها من باب الدعاء عليه وهو غلط.

«**وَطِيبُ المُخَالَقَة**»

بالقاف حسن التخلق في المعاشرة، وبالفاء حسن المؤاخاة، وفي الحديث خالف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار أي آخا بينهم.

«**وإيثارُ التَفَضُّل**»

يحتمل معان، أحدها أن التفضل بمعنى الفضل والفضيلة فيكون كالتأكيد لسابقه، وثانيها أن يكون بمعنى ما تفضل الله به من الرزق الحلال المقسوم يعني آثر طلبه على طلب الحرام، وثالثها أن المراد به التفضل على الناس، بما أساؤوا إليّ وترك مقاصتهم ومؤاخذتهم، ورابعها أن المراد به ما فضل عن القوت.

«وتَرْكُ التَّعْيِيْرِ»

التوبيخ إذ فيه ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال من عيَّر مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه، وقال الصادق عليه السلام من أنب مؤمناً أنبه الله في الدنيا والآخرة.

«ولُزُومُ الجَماعَةِ» وفي الحديث تفسيرهم بأهل الخير وإن قلوا.

«نَصِبْتُ» تعبت.

«اجْتَمَعَ إِلَيْكَ» ضُمّن معنى الانضمام معدّى بإلى.

«واجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيطانُ فِي رَوعِي مِنَ التَّمَنِي والتَّظَنِّي والحَسَدِ ذِكْراً»

الروع بالضم القلب والذهن والعقل، والتظني مأخوذ من الظن بقلب الأخيرة ياء ومعناه اجعل بدل هذا كله ذكراً وتفكراً، وفي الحديث إذا ركب الرجل الدابة فسمّى رَدِفَهُ ملك يحفظه حتى ينزل فإذا ركب ولم يسم ردفه شيطان فيقول له تفن فإن قال له لا أحسن قال له تمنى فلا يزال يتمنى حتى ينزل، وعن الصادق عليه السلام أنه لما نزلت هذه الآية: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ صعد إبليس جبلاً بمكة يقال له ثور فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقالوا يا سيدنا لِمَ دعوتنا فقال نزلت هذه الآية فمن لها فقام عفريت من الشياطين فقال أنا لها بكذا وكذا قال لست لها فقام آخر فقال مثل ذلك فقال لست لها فقال الوسواس الخناس أنا لها فقال بماذا قال أعدهم وأمنّيهم حتى يواقعوا الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار فقال أنت لها فوكله إلى يوم القيامة.

«وَتَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكْ»

أي في مقدوراتك وإلا فالقدرة عين الذات، وسأل الصيقل أبا عبد الله عليه السلام عما يروي الناس إن تفكر ساعة خير من قيام ليلة أو عبادة سنة قلت كيف يتفكر؟ قال يمر بالخربة أو بالدار فيقول أين ساكنوك أين بانوك ما لك لا تتكلمين.

«هَجْرَاً» بالضم الفحش وبالفتح الهذيان.

«نُطْقَاً» مفعول ثان لإجعل المقدرة.

«عَلَى القَبْضِ مِنِّي»

أي قبض الظلم الصادر مني وكفّي عنه، وقيل بتضمينه معنى القصاص، وقيل إن من بمعنى على، مثلها في ونصرناه من القوم، وحقيقته المنع.

«ولاَ أَطْغَيَّنَ ومِنْ عِنْدِكَ وُجْدِي»

الوجد بالضم الفنى، وفي بعض النسخ الصحيحة ولا أضيقن وهو الظاهر وتوجيه ما هنا بوجوه: الأول: الغنى والسعة لما كان سبباً للطغيان (والأثرة)[1] فكأنه قال لا تدعني أطغين والحال أن أسبابه منك بل امنعني الوجد وامنحني الكفاف حتى لا أتجرأ على الطغيان.

الثاني: أن معناه لا تدعني أطغين فتمنعني بسببه من الإفضالات عقوبة لطغياني.

الثالث: أن الطغيان والتكبر لا يحسن إلا إذا كان من سعة الإنسان وغناه لنفسه وأما نحن فلا يحسن منا لأن وسعنا منه تعالى لا غير.

«وَفَدْتْ» قدمت ووردت.

«حَكَمْتُ عَلَى نَفْسِي»

بقولي وليس عندي ما يوجب لي مغفرتك ونحوه، ويجوز أن يكون مأخوذاً من حكم القاضي أي بعد أن صرت قاضياً على نفسي وحكمت عليها ثبت عندي أني لا أستحق شيئاً إلا من فضلك، وقيل إن (حكمت) هنا بمعنى خلوت يعني لما خلوت بنفسي وشاهدت خصالها الذميمة علمت أنه ليس لي إلا فضلك وهو كما ترى، وفي ش حكمت مشدداً وهو بالمعنى الثاني أليق.

«المُثْلَى» تأنيث الأمثل أي الطريق الأقوم.

«بِالإِقْتِصادْ» وهو التوسط بين طرفي الإفراط والتفريط وهذه الطريقة محمودة في كل الفعال حتى في العبادات.

«وسَلامَةِ المِرْصَادْ»

ناظر إلى قوله تعالى: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ وفيه تفاسير، أحدها: أنه على

---

(١) في الأصل: والأثر، وما ذكرناه ربما كان أصح.

طريق التمثيل أي أنه تعالى لا يفوته شيء من أعمالهم كما لا يفوت من هو بالمرصاد.

وثانيها: ما روي عن علي عليه السلام أنه قال المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوز عبد بمظلمة حتى ينتصف من الظالم للمظلوم، وروي أن العبد ليوقف بين يدي الله سبحانه وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة فيقوم أصحاب المظالم فيكون قد سب هذا وأخذ مال هذا فينقص من حسناته حتى لا يبقى له حسنة فيقول الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته وطالبون كثير فيقال أضيفوا من سيئاتهم على سيئاته وصكوا له صكاً. إنه من أهل النار، ولذا قال بعض الحكماء دنَّوتُ اخواني من حسناتي أريد أن أزين بها صحيفتي، وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال أخبرني الروح الأمين: إن الله لا إله غيره إذا أوقف الخلائق وجمع الأولين والآخرين، أُتي بجهنم تقاد بألف زمام آخذ بكل زمام ألف ملك من الغلاظ الشداد ولها هدة وتخطم وزفير وشهيق وإنها لتزفر الزفرة فلولا أن الله أخر الحساب لأهلكت الجميع ثم يخرج منها عنق يحيط بالخلائق البر منهم والفاجر فما خلق الله عبداً من عباده ملك ولا نبي إلا وينادي يارب نفسي نفسي وأنت تقول يا رب أمتي أمتي ثم وضع عليها صراط أدق من الشعر وأحدّ من السيف عليه ثلاث قناطر: الأولى عليها الرحم والأمانة، والثانية عليها الصلاة، والثالثة عليها رب العالمين فيكلفون الممر عليها فتحبسهم الرحم والأمانة فإن نجوا منها حبستهم الصلاة فإن نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين جل ذكره، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾، والناس على الصراط فمتعلق يزل قدمه ويثبت قدمه والملائكة حولها ينادون يا حكيم يا كريم اعف واصفح وعد بفضلك وسلم والناس يتهافتون فيها كالفراش فإذا نجا ناج برحمة الله تبارك وتعالى نظر إليها فقال الحمد لله الذي نجاني منك بعد يأس بفضله، وقال عليه السلام الناس يمرون على الصراط طبقات والصراط أدق من الشعر فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل عدو الفرس ومنهم من يمر حبواً ومنهم من يمر مشياً ومنهم من يمر متعلقاً تأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً، وثالثها أن المراد به الصراط.

«وخُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخَلِّصُهَا»

من البلايا والمحن والآلام فإنها كفارة الذنوب، وفي الحديث أنها تنقي الإنسان من الذنوب كما ينقي الكير خبث الحديد، وحاصل المعنى أن الخلاص من العذاب

الأخروي إذا كان موقوفاً على مثل هذا القصاص الدنيوي فخذه مني في الدنيا حتى لا تقاصني يوم القيامة بجناياتي، وقال الفاضل المترجم المراد بالمأخوذ هنا الصفات الذميمة والأفعال القبيحة فإن أخذها ورفعها سبب للقرب والخلاص من العذاب، فالأخذ هنا بمعنى الرفع والسلب وهو بعيد، وأبعد منه ما قيل إن المراد بالمأخوذ هنا الأعمال الحسنة المخلصة من العقاب، وحينئذٍ فالأخذ هنا بمعنى القبول، ووجه الأبعدية أنه مندرج في المعطوف بل هو عينه، ويقرب منه ما قيل إن معناه اجعل حصته من نفسي متعلقة بجنابك المقدس ليكون ذلك سبباً لخلاص نفسي.

«وأَبقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي ما يُصْلِحُها»

من العافية والأسباب التي فيها صلاحها.

«أو تَعْصِمَها»

أو هنا مثلها في قولك لألزمنك أو تعطيني حقي أي إلى أن أو إلاّ أن.

«عُدَّتي إنْ حَزِنْتْ»

العدة ما أعددته لحوادث الدهر من المال والسلاح، وحزنت بوزن علمت من الحزن خلاف السرور، وبوزن فتحت من الحزونة ضد السهولة يعني أنت الذخر الذي أعددته لأيام الحزن أو الحزونة والشدائد، وفي بعض النسخ بالراء المهملة والباء الموحدة على صيغة المجهول من حربه إذا أخذ ماله وتركه بلا شيء.

«مُنْتَجَعِي»

أي من أؤمل فضله وأرجو عطاياه، وفي خ وإليك منتجعي أي محل انتجاعي وموضع طلبتي.

«كَرِثْتْ»

بالثاء المثلثة أي اشتدت بي الهموم وثقلت عليّ المكاره، وفي خ بالباء الموحدة من الكرب بمعنى الشدة.

«مِمَّا فاتْ»

من هنا للبدل مثلها في قوله تعالى: **﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة﴾**.

«وفِيمَا أَنْكَرْتَ تَغْيِيرْ»

يعني أنك قادر على تغيير القبائح المستنكرة مني بتبديلها بالحسنات في الآخرة وبإقلاعي عنها وارتكابي لنقيضها في الدنيا كما قال تعالى: **﴿أولئك الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾**.

«بِالجِدَةَ» الغنى وإدراك المأمول.

«واكْفِنِي مُؤْنَةَ مَعَرَّةِ العِبادْ»

المعرة ورد تارة بمعنى الأمر القبيح المكروه وأخرى بمعنى الإثم، والمعنى على الأول اكفني المشقة الحاصلة من مكروهات العباد بكفهم ومنعهم عن الاجتراء على إيصالها إليّ، وأما على الثاني فمعناه اكفني مشقة الإثم الحاصل لي من العباد بغيبة ونحوها بإقلاعي عنه.

«وَادْرَأْ» ادفع وحذف المفعول للتعميم.

«وأَظِلَّنِي فِي ذَرَاكْ»

اجعل على رأسي ظلاً في كنفك ورحمتك يظلني يوم القيامة من شمس عقابك فإن الشمس تنزل في ذلك اليوم إلى قرب رؤوس الخلائق فيكون حرها أشد عليهم من حرارة النار فيظل الله شيعة علي عليه السلام بسحابة من الغمام، ويجوز أن يراد به معناه المجازي يقال فلان في ظل فلان أي في جنب شفقته وعطوفته.

«وجَلِّلْنِي رِضَاكْ» اجعله جلالاً لي كجلال الفرس الساتر لبدنها.

«تَشَابهَتِ الأَعْمالْ»

حتى لا أعرف الحسن والأحسن أو حتى لا أعرف الحسن من القبيح.

«وتَوِّجْنِي بِالكِفَايَة»

اكفني مهماتي حتى يعرفني كل أحد به حتى يكون كالتاج الذي يعرف صاحبه به، وقيل المراد وفقني لكفاية مهمات الخلائق وقضاء حوائجهم على يدي حتى أعرف به كالتاج.

«وسُمْنِي حُسْنَ الوِلاَية»

بضم السين وفتح الواو أي اجعل محبتي لك ومتابعتي إياك سِيماً في وعلامة عليّ إن كان من السمة، أو أورده علي وألزمني به إن كان من السوم، وبالواو المكسورة معناه اجعل توليك أموري علامة عليّ أو واردة عليّ كسرت السين أم فتحتها.

«ولاَ تَفْتنِّي بِالسَّعَة» يرجع إلى القيد أو المقيد.

«الدَّعَة» الخفض والسعة في العيش.

«كَدّاً» الكد الشديد.

«نِدّاً» مثلاً وشبيهاً.

«مَلَكَتِي» ما أملكه.

«الإكْتِسابْ» المبالغة في الكسب.

«وَارْزُقْنِي مِنْ غَيرِ احْتِسَابْ»

لا تحاسبني عليه لما ورد أن الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب، أو رزقاً كثيراً لا يحسب ولا يعد لكثرته، أو من حيث لا أدري كقوله عليه السلام أبى الله إلا أن يجعل رزق المؤمن من حيث لا يحتسب لئلا يثق ويعتمد على ذلك الوجه الذي قد علمه.

«إِصْرَ تَبِعاتْ»

الإصر الإثم والثقل والتبعات جمع تبعة وهو ما يتبع المال من نوائب الحقوق ومن تبعت الرجل بحقي.

«فَاطْلُبْنِي»

اسعفني بما أطلب والطلب الحاجة والإطلاب إنجازها وقضاؤها، وقد يجيء بمعنى الإحواج إلى الطلب أيضاً فهو من الأضداد.

«ولاَ تَبْتَذِلْ جَاهِي بِالإِقْتَارْ»

أي لا تجعل جاهي بسبب الفقر كالثوب الممتهن الخلق فأسأل ولا أجاب.

«زَهَادَة»

أي زهد وقيل لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ما الزاهد؟ قال الزاهد الذي يحب من يحب خالقه ويبغض من يبغض خالقه ويتحرَّج من حلال الدنيا ولا يلتفت إلى حرامها فإن حلالها حساب وحرامها عقاب ويرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه ويتحرج من الكلام فيما لا يعنيه كما يتحرج من الحرام ويتحرج من كثرة الكلام كما يتحرج من الميتة التي قد اشتد نتنها ويتحرج من حطام الدنيا وزينتها كما يتجنب النار أن يغشاها وأن يقصر أمله فكأن بين عينيه أجله.

«وَوَرَعاً فِي إجْمَالْ»

أي كفاً عن المحرمات حال كوني متلبساً في طلب الرزق طلب إجمال وتأن، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ ما أجمل في الطلب من ركب البحر للتجارة أو وقت هيجانه، وقد حصر المحققون مراتب الورع في أربعة:

الأولى: ورع التائبين وهو ما يخرج الإنسان عن الفسق وهو المصحح لقبول الشهادة.

الثانية: ورع الصالحين وهو التوقي من الشبهات فإن من رتع حول الحمى أوشك أن يدخله، وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

الثالثة: ورع المتقين وهو ترك الحلال الذي يتخوف أن ينجر إلى الحرام كما قال عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس، وذلك مثل الورع عن التحدث بأحوال الناس مخافة أن ينجر إلى الغيبة.

الرابعة: ورع الصديقين وهو الإعراض عما سوى الله تعالى خوفاً من صرف ساعة من العمر فيما لا يفيد زيادة القرب عند الله تعالى وإن كان معلوماً أنه لا ينجر إلى حرام البتة، وانطباق هذه الفقرة الشريفة على المرتبة الثانية أشد منه على غيرها.

«وَآتِنَا فِي الدُّنيا حَسَنَةً وفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنا بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ النَّارْ»

قيل فيه ضروب: أحدها أن المراد بالحسنة في الدنيا الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الآخرة الثواب، وثانيها أن المراد بالحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء، وعذاب النار امرأة السوء، وهو المروي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ،

وثالثها أنها السعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا ورضوان الله والجنة في الآخرة، وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام، وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال من أوتي قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تعينه على أمر دنياه وآخرته فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقي عذاب النار، وفي نسخة الشيخ الكفعمي وأبي الصلاح الحلبي زيادة في الدعاء وهي آمين إنك على كل شيء قدير وهو عليك يسير يا أوسع الواهبين وأكرم الأجودين فصل على محمد وآله الطاهرين وعلى جميع المرسلين وعبادك المؤمنين إنك ذو رحمة قريبة من المحسنين.

دعاؤه عليه السلام إذا أحزنه أمر وأهمته الخطايا

وفي ش حزبه بالباء الموحدة يقال حزبه الأمر أصابه وألمّ به.

«وَوَاقِيْ الأَمْرَ المَخُوفْ»

الإضافة إما معنوية بمعنى من وإما لفظية من باب إضافة الصفة إلى المفعول الثاني من قولهم وقيته الشر أي كفيته إياه.

«فَلاَ صَاحِبَ مَعِي»

من المؤمنين وقيل من الملائكة الكاتبين وقيل من التوفيقات والألطاف، وقيل معناه إني صرت بسبب الخطايا منفراً غير مصاحب لأحد مشتغلاً بالتفكر في أمرها ولا صاحب معي مثلي في الخطايا من قبيل قوله عليه السلام أنا الذي أوقرت الخطايا ظهره.

«وَضَعُفْتُ عَنْ غَضَبِكْ»

أي عن تحمله فلا تورده علي أو أني ضعفت عن استمرار ما حملتنيه منه فارفعه عني، وقيل المراد ضعف عن خوف غضبك وهو قريب من الأول بل هو عينه.

«وأَشْرَفْتُ عَلَى خَوْفِ لِقَائِكْ»

قال المحقق الداماد وتبعه الفاضل الكاشي معناه أشرفت على أن أخاف لقاءك مع أن لقاءك أعظم لذة مبتغاة أبتغيها وأنهج سعادة متوخاة أتوخاها والأظهر في نظري أنه من باب إضافة الصفة إلى موصوفها أي قربت وصرت مشرفاً على لقائك المخوف الذي أوله الموت.

«لِرَوْعَتِي» أي خوفي.

«لاَ يجِيرُ يا إِلَهي إلاّ رَبٌّ على مَرْبُوبْ»

أي لا يعطي الأمان النافذ أحد إلا رب على مربوب فإذا أجار الرب أحداً فلا يكون لمربوب من مربوبيه أن ينقض عليه خفارته أو ينقض ذمامه كذا قال الفاضلان المتقدمان والأظهر أنه من قولك أجارني الله من العذاب بتضمين معنى التشفق والعطوفة.

«ولا يُؤْمِنُ إلاَّ غَالِبٌ عَلَى مَغْلُوبْ»

بناء على قولهما معناه أنه لا يمضي إلا أمان الغالب على المغلوب فإذا أمن غالب أحداً فلا يقدر أحد من مغلوبيه أن ينقض ويرد عليه أمانه وبناء على ما قلنا يكون مأخوذاً من قولك أمنك الله من الخوف بتضمين ما سبق.

«ولا يُعِينُ إلاّ طَالِبٌ عَلَى مَطْلُوبْ»

لأن الطلب سبب الإعانة والمطلوب هنا هو العبادات والتكاليف، ولموافقة ما سبق يجوز أن يكون مأخوذاً من قولهم أعانه على كذا أي سلطه عليه يعني لا يسلط على المغلوب المطلوب إلا طالبه وغالبه فكأنه قال يا رب أنت طالبنا وغالبنا فلا تسلط الناس علينا.

«ذَلِكَ السَّبَبْ» أي أسباب الجِوار والأمان والإعانة.

«وَجْهُكَ الكَرِيمْ»

ذاتك الشريفة أو جهتك وبابك الذي تؤتى منه وهو الطاعات، وعنه عليه السلام أنه قال نحن وجه الله، أو المراد به جهة الكرم والشفقة فإن له تعالى جهتين جهة شفقة وكرم وجهة قهر وجبروت فإذا صرف جهة الكرم أَوْرَدَ جهة القهر والغضب.

«أو حَظَرْتَ»

بالمهملة والمعجمة منعت أو حرمت، وفي بعض النسخ بل قيل إنه المحفوظ المضبوط بالمعجمة والمهملة بمعنى رفعت.

«غَيرَكْ»

مغايرك فيكون مفعولاً ثانياً لأجد ويجوز أن يكون بمعنى إلا وحينئذٍ فالمفعول الثاني محذوف ويجوز أن يكون لم أجد مأخوذاً من قولك وجدت الضالة إذا أصبتها ونصب غير حينئذ على الاستثناء وأما جعلها صفة السبيل مثلها في غير المغضوب عليهم كما قاله بعض المعاصرين فغير جيد لأن الذي حسنه هناك أمران جنسية ما قبلها حتى كأنه نكرة، واشتهار ما بعدها بضديته كقولك الحركة غير السكون والثاني غير موجود هنا.

«سِوَاكَ» بالأوجه الثلاثة.

«ناصِيَتِي بِيَدِكْ»

الناصية قصاص الشعر وأخذ الناصية باليد كناية عن نهاية الاقتدار.

«لا أَمْرَ لِي مَعَ أَمْرِكْ»

أي لا أمر لي يخالف إرادتك وأمرك، أو يوافقه إذا كنت أنت الآمر ولا أمر لي بحيث أكون مستقلاً بأسبابه، فلا يدل على نفي فعل العبد كذا قيل والأول هو الأظهر.

«ولا أَسْتَمِيلُ هَوَاكْ»

أي لا أقدر على تحصيل هواك وحبك لي إلا بالطاعة، ويجوز أن يكون هواك بمعنى مهويك ومحبوبك من المثوبات الأخروية والإفضالات الدنيوية، وقال الفاضل الخوانساري معناه لا أقدر أن أصرف نفسي ما تهواه وتريد مني من البلايا والموت، أو لا أقدر على أن أميل وأعرف حقيقة ما تحبه إلا بتوفيقك وإطاعتي لك، وهذان المعنيان بمكان من البعد.

«دَاخِرَاً» ذليلاً حقيراً.

«المُسْتَكِينْ» المتضرع.

«الضَّرِيرْ» المصاب بالضراء.

«فِيمَا أَوْلَيْتَنِي»

أعطيتني وجعلت ولايته إلي والظرف متعلق بالذكر ويحتمل تعلقه بالنسيان وفي للسببية فإن تزايد النعم من أسباب الغفلة والنسيان لموليها عند أرباب الجهالة.

«أَبْلَيْتَنِي»

أنعمت علي وفي ش ابتليتني واختبرتني والاحتمالان السابقان في الظرف المتقدم جاريان في هذا أيضاً.

«سَرَّاءْ» سعة وغنى.

«أَوْ ضَرَّاء»

أي ضيق وأكثر ما يستعمل في العاهات البدنية كالعمى والزمانة والبأساء في العاهات النفسانية كالفقر والذل، والسراء والضراء والبأساء صيغ تأنيث لا مذكر لها.

«أو جِدَة» غنى.

«لأْواءْ» ضيق معيشة.

«حتَّى لا أَفرَحْ»

إما أن يكون غاية لإجعل وما بعده فإن من رضي بقضاء الله وتقديره وشكره في كل حالاته لا يفرح ولا يحزن على متاع الدنيا لعلمه أنه مقسوم قسمة عادل إلى حين وأن ما بعده دار نعمة وخلود، وإما أن يكون غاية له ولما قبله وهو الأظهر لما فيه من التلميح إلى قوله تعالى: **﴿ما أصابكم من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم﴾**، وقال علي بن الحسين عليه السلام الزهد عشرة أجزاء أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع وأدنى درجة الورع أعلى درجة اليقين وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا وإن الزهد كله في آية من كتاب الله: **﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم﴾**.

«وأَشْعِرْ قَلْبِي تَقْوَاكْ»

من الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد كما أن الدثار هو الذي يكون فوقه، وفي الحديث أنتم يا أهل الكوفة الشعار وغيركم الدثار، ومعناه اجعل تقواك ملاصقاً لقلبي ملاصقة الثوب للبدن، ويجوز أن يكون من شعر بمعنى عرف فتعدى بالهمزة إلى اثنين أي اجعل قلبي عارفاً وعالماً بتقواك.

«مِنْ سُخْطِكَ» أي من أسبابه وكذا قوله من رضاك.

«وفَرِّغْ قَلْبِي لِمَحَبَّتِكْ»

مصدر بمعنى الحب مشتق من حباب الماء بفتح الحاء معظمه لأن المحبة معظم مهمات القلب وقيل مشتق من اللزوم لأنه قاهر للقلب ولازم له، وتحقيق هذا المقام يتم ببيان أمور:

الأول: في تعريف الحب فقيل هو إيثار المحبوب على سائر المصحوب، وقيل هو ميلك إليه بكليتك وإيثارك له على نفسك وموافقتك له سراً وجهراً، وقيل المحبة محو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته، وقيل هي هتك الأستار وكشف الأسرار، وقيل محو الأشباح وذوب الأرواح، وظني أن هذه التعاريف كلها حقة إلا أن كلاً منها منزل على مرتبة من مراتب كما ستعرف إن شاء الله تعالى.

الثاني: في بيان مراتبه وهي خمسة: أولها الاستحسان تتولد من النظر والسماع ولا تزال تقوى بطول التفكر في محاسن المحبوب وصفاته الجميلة، وثانيها المودة وهي الميل إليه والألفة بشخصه والائتلاف الروحاني معه، وثالثها الخلة وهي تمكن محبة المحبوب من قلب المحب واستكشاف سرائره، ورابعها العشق وهو الإفراط في المحبة حتى لا يخلو العاشق من تخيل المعشوق وذكره لا يغيب عن خاطره وذهنه فعند ذلك تشتغل النفس عن استخدام القوة الشهوانية والنفسانية فتمتنع من الطعام لعدم الشهوة ومن النوم لاستضرار الدماغ، وخامسها الوله وهو أن لا يوجد في قلب العاشق غيرصورة المعشوق ولا ترضى نفسه إلا به، وهكذا تتفاوت درجات المحبين ألا ترى قول سيدهم ورئيسهم عليه وآله السلام اللهم زدني فيك تحيراً اللهم زدني فيك ولهاً.

الثالث: في علاماته وهي مع تشعبها ترجع إلى ثلاث:

الأولى: النحول والذبول واصفرار اللون وتغير المزاج خوفاً من المحبوب لعله غير راض عنـه، وهذه العلامة لمن لم يحصل له الاطلاع على حالته ودرجته عند محبوبه، وشاهد هذا ما روي أنه قد سأل أمير المؤمنين عليه السلام رجل فقال له ما بال المحبين والعابدين وجوههم مصفرة وأبدانهم ناحلة ووجهك يعلوه البياض وبدنك أقوى من كل قوي وقد بلغت من الحب مرتبة لا تدانى فيها، فقال عليه السلام إن المحبين قد حبوا وعبدوا من لا يعرفون حالهم عنده ومنزلتهم لديه فهم على خطر من محبتهم،

وأما أنا فقد رفعت عني الحجب الظلمانية والقوى الشهوانية والموانع الحسية والقوى الوهمانية فنظرت إليه بعين قلب المحبة فوجدته راضياً غير غاضب ومحباً غير كاره كما قال تعالى: ﴿**يحبهم ويحبونه**﴾ فارتفع عني الوجل وعلاني التبلج الشعشعاني.

الثانية: السهر والقلق وكيف ينام من خلا بمعشوقه في غسق الظلام وهدأت عنه أعين الرقباء واللوام كما قال يا موسى كذب من زعم أنه يحبني وهو ينام طوال ليله، أليس كل محب يحب الخلوة مع حبيبه، يا بن عمران لو رأيت الذين يصلون لي في الدجى وقد مثلت نفسي بين أعينهم يخاطبوني وقد جللت عن المشاهدة ويكلموني وقد عززت عن الحضور، يا بن عمران هب لي من عينيك الدموع ومن قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ثم ادعني في ظلم الليالي تجدني قريباً مجيباً.

العلامة الثالثة: البكاء والحنين لالتهاب نار الشوق والفراق ولذا كانوا يأنسون بالموت لأنه المانع من الاتصال كما قال عليه السلام والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، وكان يقول لابنه الحسن يا بني لا يبالي أبوك أوقع على الموت أم وقع الموت عليه، ولما ادعى اليهود أنهم أحباء الله خاطبهم بقوله: ﴿**فتمنوا الموت إن كنتم صادقين**﴾.

الرابعة: ما يظهر على الجوارح والأعضاء من الأعمال المرضية المنبئة عن المحبة المخبية فإن المحبة نار كامنة إن وقعت في جسم طيب الرائحة كالعود والبخور فاحت منه الرائحة الطيبة وإن وقعت في غيره من الأجسام [كالخزف][1] ونحوه فاحت منه الرائحة المنتنة، وقد تشم تلك الروائح مع خفاء النار بل لايستدل على وجود النار غالباً إلا بتلك الرائحة، فمن ادعى حباً وقد ظهر على ظواهره غيره فهو كاذب على لسان الصادقين عليهم السلام، إذا تحققت هذا كله فلنعد إلى ما نحن بصدده فنقول، قوله عليه السلام وفرغ قلبي لمحبتك يجوز أن يكون المراد به الفراغ من الهموم والأحزان والتشاغل، ويجوز أن يراد به محبة غيره تعالى مما يضاد محبته فإن المتضادين لا يجتمعان في محل واحد وذلك لأن هذا البدن الحقير بمنزلة بلد عظيم وحصنه القلب وسائر الأعضاء والجوارح كالعساكر والجنود تابعة لسلطان ذلك الحصن فكل من دخله كانت تلك الجنود جارية على أوامره ونواهيه، ويؤيده ما روي عن الصادق عليه السلام

---

(١) في الأصل: كالحزن، وربما ما ذكرناه الأصح.

وقـد سئل عن العشق فقـال تلك قلوب خلت عـن ذكر الله فأذاقها الله حب غيره، وقوله صلى الله عليه وآله لا يجتمع حبان في قلب واحد حتى قال له الحسن عليه السلام ألست تحبني وتحب أخي وأبي وأمي، فقال نعم يا بني فقال كيف يجتمع هذا مع حب الله تعالى، فقال لأني أحبكم لمنزلتكم عنده حيث أنه أمرني بمحبتكم، ومحبة الله تعالى في وسط قلبي كقطب الرحى ومحبتكم كالخطوط المستديرة حول ذلك القطب وكلها ترجع إليه، وقول علي عليه السلام وقد قال له رجل إني أحبك وأحب عثمان: إنك أعور إما أن تعمى وإما أن تستبصر، وما روي لي من جملة العلل التي فرق الله لإجلها بين يعقوب ويوسف أنه أراد أن يجمع بين محبة الله تعالى ومحبة يوسف ففرق الله بينهما حتى لا يشارك في قلب واحد لأنه منزله وبيته، كما سبق في الحديث القدسي من قوله تعالى لا تسعني سمائي ولا أرضي ولا عرشي ولا كرسي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن، وهذا كله أمر وجداني لا يمكن إنكاره لعاقل فضلاً عن فاضل.

«**وانْعَشْهْ**» ارفع قدره ودرجته.

«**زَادِي**» في سفري إلى تلك الدار أخذاً من قوله تعالى: ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾.

«**مَثْوَايْ**» محل إقامتي.

«**يَدَاً**» نعمة.

دعاؤه عليه السلام عند الشدة

«**وخُذْ لِنَفْسِكَ**» أي احملني على الأعمال الحسنة حتى تأخذها مني للقرب منك.

«**فِي عَافِيَة**»

يتعلق بقوله خذ أي يكون الأخذ في عافية وصحة بدن مني فإن الآلام والأمراض وإن أحبطت الذنوب إلا أنها قد لا تطاق وقد يجزع الإنسان فيها ويقول ما يسخط الله فتحبط حسناته مع ما وصل إليه من الأوجاع.

«**بِالْجَهْدْ**» المشقة وأما الذي بمعنى الوسع والطاقة فبالضم لا غير.

«تَكِلْنِي» تتركني.

«وَكَلْتَنِي» وفي ش بالتشديد للمبالغة في أصل الفعل لا للتعدية.

«تَجَهَّمُونِي»

استقبلوني بوجه كريه عبوس وبه سمي جهم بن صفوان المنسوب إليه الجهمية، وكان يقول بأن الجنة والنار يفنيان وأن الإيمان هو المعرفة فقط دون الإقرار ودون سائر الطاعات كما تقدم وأنه لا فعل لأحد على الحقيقة إلا لله وأن العباد فيما ينسب إليهم من الأفعال كالشجرة تحركها الريح والإنسان عنده لا يقدر على شيء إنما هو مجبور يخلق الله الأفعال فيه على حسب ما يخلق في الجمادات وتنسب إليه مجازاً كما تنسب إليها.

«نَكِدَاً» عطاء قليلاً مشتملاً على عسر وشدة.

«وَوَزِّعْنِي» كفني.

«خَوَّلْتَنِي»

التخويل ورد بمعنى التمليك وبمعنى الرعاية وبمعنى حسنها وبمعنى التعبد وكلها جائزة الإرادة هنا.

«مَحْفُوظَاً» عما أكره وما لا ينبغي وكذا ما بعده.

«مَكْلُوءَاً» محروساً.

«مُعَاذاً» من أعاذه أعطاه الأمان.

«وِجْهٍ» بكسر الواو: الجانب والناحية.

«وإِنْ ضَعُفَ» وفي نسخة ابن أشناس وما ضعف.

«مَقْدُرَتِي»

بفتح الميم مثلثة الدال مصدر ميمي بمعنى القدرة ويوجد في بعضها بضم الميم والظاهر أنه تصحيف.

«ذَاتُ يَدِي» ما يحل منها من المال وكأنه صاحبها ومالكها.

«تُقَاصِّنِي بِهْ» وهو صريح في الإحباط بالمعنى الذي ذهبنا إليه.

«فَرَقاً»

خوفاً وفزعاً ولا يكون لملاحظة الخلق أو لدفع المضار البدنية فإنه لا ثواب فيه أو فيه ثواب ولكنه قليل بالنسبة إلى الترك لأجل الخوف منه تعالى، وقد روي أن تارك شرب الخمر لا لوجه الله تعالى يثاب على ذلك الترك.

«وهَبْ لِي نُوراً أَمْشِي بِهِ فِي النَّاسْ»

والمراد به النور العلمي الذي يستضيء به الناس في هذه النشأة من ظلمات الجهالات ويتجسم في الآخرة ويشاهد محسوساً فيضيء في ظلمات القيامة لمن هداهم في هذه الظلمات، وقوله في الناس أي في سيرهم إلى ربهم أو في جملتهم هادياً لهم، وقال تعالى: ﴿**يوم ترى المؤمنين والمؤمنات نورهم يسعى بين أيديهم وأيمانهم**﴾، وفي كثير من الأخبار أن المراد بالنور هو الإمام عليه السلام ولا منافاة.

«حتَّى أَجِدَ» لف ونشر مشوش.

«وَكَآبَةَ»

بالفتحات سوء الحال وانكسار النفس وتغيرها، وفي ش بالمد وهو بمعناه.

«حَوَائِجِي» بالهمز ويوجد بالياء على غير القياس أو مولداً أو جمع حايجة كما قيل.

«حَفِيّاً»

مستقصياً مبالغاً في قضاء حوائجي من قولهم أحفى في سؤاله إذا استقصى فيه أو باراً لطيفاً من أحفى فلان بصاحبه إذا أشفق عليه وعليه فالظرف إما أن يتعلق بحفياً على طريق المجاز العقلي وإما أن يكون مدخول الباء حقيقة هو المضاف إليه وفائدة توسيط المضاف تعيين ما فيه الحفاوة أي كن حفياً بي من قبل حوائجي، واحتمال أن الباء للظرفية لا للتعليق والتعدية والمعنى كن في حوائجي حفياً بي بعيد جداً وفي بعض النسخ حفياً أي باراً.

«وَارْزُقْنِي الحَقّ»

أي الشكر فإن الحق هو الثابت والشكر من جملة ما لزم لنا وثبت علينا وحاصله

حينئذٍ لا تقاصنا عند تقصيرنا في الشكر فتخرجنا من الدين بمنع الألطاف والأسباب.

«فِيمَا يَحْدُثُ»

قيل هو ظرف للطمأنينة والباء حينئذ في قوله بما يجب للسببية أي ارزقني الطمأنينة فيما يحدث علي في هذه الأحوال بسبب أنها من الأمور اللازمة الواجبة علي، والظاهر أن الباء ظرف للطمأنينة وفيما يحدث ظرف للوجوب، ويؤيده ما في نسخة الشيخ الكفعمي من قوله وطمأنينة اليقين فيما يجب لك مما يحدث في حالة كذا.

«مِنهُما»

أي من أمور الدنيا والآخرة أو من أمور الرضا والسخط والمراد ما يوحيهما.

«مُؤْثِراً لِرِضَاكَ عَلَى مَا سِوَاهُما»

أي مرجحاً لرضاك الكائن على غير رضاي وغضبي، وحاصله أنه إذا وقع رضاك على غير ما وقع عليه رضاي وغضبي أكون أرجح رضاك عليهما.

«فِي الأَوْلِياءْ»

متعلق بمؤثراً أو خبر رابع لأكون بعد قوله عليه السلام بمنزلة وعاملاً ومؤثراً.

«وَيَيْأَسَ»

من آيس مقلوب بأيس ودليله عدم الإعلال مع وجود شرطه، وفي بعض النسخ ييأس على الأصل.

«وانْحِطَاطِ هَوَايْ»

عن خصمه بل يكون وَلِيِّي عالماً بأنه مع خصمه عندي في مرتبة سواء، فالانحطاط هنا بمعنى الوضع من قولهم قد انحطت دَرجة فلان، ويجوز أن يكون مأخوذاً من قولك انحط الطائر عن طيرانه إذا وقع على مكان من الأرض، ومعناه حينئذ وقوع هواي وميلي في الأمر الباطل الذي قد ارتكبته.

«وَلِيٌّ حَمِيدْ»

وهو المحمود الذي استحق الحمد بفعاله، وقاله شيخنا الشهيد (قده) هو المثني على عباده بطاعتهم.

«مَجِيدٌ»

وهو الواسع الكريم وقيل معناه الكريم العزيز ومنه قوله عز وجل: ﴿قرآن مجيد﴾ أي كريم عزيز والمجد في اللغة نيل الشرف وقد يكون بمعنى ممجد أي مجّده خلقه وعظّموه، وقال الشهيد(قده) المجيد الشريف ذاته الجميل أفعاله.

دعاؤه عليه السلام بالعافية

«وَجَلِّلْنِي» غطني به كما يتجلل الرجل بالثوب.

«وَحَصِّنِّي بِعافِيَتِكَ»

اجعلها لي حصناً وكهفاً وفي خ وخصني من التخصيص والظاهر أنه إضافي بالنسبة إلى إعلاء الدين.

«وأَفْرِشْنِي»

بوصل الهمزة وقطعها ابسطها لي أو أوسعها إياي على التقديرين.

«وأصلحْ لِي عَافِيَتَكَ» اجعلها خالصة لي من شوائب الفساد الدينية والدنيوية.

«لِمَا نَهَيْتَنِي»

اللام إما لتقوية العامل فإنه لما دخله الألف واللام فكأنه صار اسماً محضاً لم يشبه الفعل فاحتاج في العمل إلى اللام المقوية، ويجوز أن يضمن معنى ما يتعدى بها، وقيل هنا بمعنى عن أو من.

«صَلَواتُكَ عَلَيْه» ليس في ش سوى عليه الأخيرة وهو أظهر.

«واشْرَحْ لِمَرَاشِدِ دِينِكَ»

أي مقاصد طرقه حتى استقبل مقاصدك وأحكامك بالرضا والقبول، وقيل معناه اشرح صدري بسبب قبوله لمراشد دينك.

«وأَعِذْنِي وَذُرِّيَتِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمْ»

الذرية مأخوذة من قولهم ذرأ الله الخلق يطلق على الآباء لأن الأولاد خلقوا منهم

ويسمى الأولاد ذرية لأنهم خلقوا من الآباء وقيل الذرية هم النساء والصبيان، والرجيم فعيل بمعنى مفعول لأنه مرجوم بالكواكب بدليل قوله تعالى: ﴿**وجعلناها رجوماً للشياطين**﴾ وهي الشهب التي تنقض بالليل وترجم بها الشياطين منفصلة من نار الكواكب ونورها أو مسببة عنها لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها، روي عنه ﷺ في تفسيره قوله تعالى: ﴿**إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم**﴾ أنه ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها، روي أن عيسى عليه السلام سأل الشيطان ألك طمع فيّ فقال إن جدتك ما أبقت لي فيك مطمعاً لقولها عند ولادة أمك إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، وهو أحد الأسباب الواردة في بكاء الأطفال حين الولادة، وقيل السبب فيه أنه يلهم الموت والمفارقة لما يجمع، وقيل إنما هو لأجل خروج الرطوبات البدنية التي كانت معه من الرحم الضارة القاتلة لو لم تخرج، ولذا ورد النهي عن ضرب الأطفال حال البكاء، وفي بعض الأخبار أن السبب فيه كون إمام العصر يتجلى فيراه ويعلمه ما يفعله العقلاء ولذا يصدر من الأطفال من الأفعال الغريبة والتلفظات العجيبة ما لا يصدر من أكثر العقلاء فإذا مضى عنه الإمام وفارقه بكى عليه الطفل شوقاً إليه، وفي بعض الروايات أن السبب فيه أن ملكاً اسمه زاجر يدخل من فم المرأة حين الولادة فيزجر الولد حتى ينكسه على أم رأسه فيخرج وهو باك من تلك الزجرة، وفي بعض الروايات أن بكاء الأطفال في الأربعة الأشهر الأولى الشهادتان والأربعة الثانية الصلاة على محمد وآله والثالثة الدعاء لوالديه، وهذه الأسباب كلها حق لا تنافي بينها لأن علل الشرائع معرفات لا مؤثرات، وأما التقييد بالرجيم فيجوز أن يكون إشارة إلى ما عرفت من أنه من أخبث الشياطين لأنه رئيسهم، ويجوز أن يكون إشارة إلى أن بعض الشياطين مسلمين لا ينبغي الاستعاذة منهم، روى الصفار وغيره قال قال أبو عبد الله عليه السلام بينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالس إذ أتاه رجل طويل كأنه نخلة فسلّم عليه فقال من أنت يا عبدالله فقال الهام بن الهيم بن لاقيس بن إبليس فقال له رسول الله ﷺ كم أتى لك قال أنا أيام قتل قابيل هابيل غلام أفهم الكلام وأنهي عن الاعتصام وآمر بقطيعة الأرحام وأفسد الطعام ولكني تبت على يدي نوح وكنت معه في سفينته وعاتبته على دعائه على قومه حتى بكى وأبكاني وقال لا جرم إني على ذلك من النادمين، وكنت مع ابراهيم حين ألقي في النار وعلمني موسى سفراً من التوراة وعيسى سفراً من الإنجيل وقال إن

أدركت محمداً فاقرأه مني السلام فدفعه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام وعلمه سوراً من القرآن وقد استجاب الله دعاءه مع دعاء آبائه الطاهرين وأعاذه وشيعته من الشياطين، روى الصدوق بإسناده قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما أسري بي إلى السماء حملني جبرئيل عليه السلام على كتفه الأيمن فنظرت إلى بقعة بأرض الجبل حمراء أحسن لوناً من الزعفران وأطيب ريحاً من المسك فإذا شيخ على رأسه برنس فقلت لجبرئيل ما هذه البقعة الحمراء؟ قال بقعة شيعتك وشيعة وصيك علي فقلت من الشيخ صاحب البرنس؟ قال إبليس قلت فما يريد منهم؟ قال يريد أن يصدهم عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ويدعوهم إلى الفسق والفجور، فقلت يا جبرئيل إهوِ بنا إليهم فأهوى بنا إليهم أسرع من البرق الخاطف فقلت قم يا ملعون فشارك أعداءهم في أموالهم وأولادهم ونسائهم فإن شيعتي وشيعة علي ليس لك عليهم سلطان فسميت تلك البلاد قم لذلك، وهكذا كان حال علي عليه السلام معه. روى الصدوق أيضاً بإسناده إلى علي عليه السلام قال كنت جالساً عند الكعبة فإذا شيخ محدودب فقال يا رسول الله ادع لي بالمغفرة فقال النبي صلى الله عليه وآله خاب سعيك يا شيخ وضل عملك فلما ولى الشيخ قال: ذلك اللعين إبليس. قال علي عليه السلام فعدوت خلفه حتى لحقته وصرعته إلى الأرض وجلست على صدره ووضعت يدي على حلقه لأخنقه فقال لي لا تفعل يا أبا الحسن فإني من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم والله يا علي إني لأحبك جداً وما أبغضك أحد إلا شركت أباه وأمه فصار ولد زنا فضحكت وخليت سبيله، فإذا كان هذا حال علي عليه السلام معه فأنّى له التسلط على شيعته بأن يخرجهم ويصدهم عن ولايته، وهذا التسلط المنفي في قوله تعالى: ﴿**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان**﴾ كما في الأخبار.

«السَّامَّة والهَامَّة»

قال ابن الأثير الهامة كل ذات سم تقتل والجمع الهوام فأما ما يسم ولا يقتل فهو السامة كالعقرب والزنبور، وقد يطلق الهوام على ما يدب من الحيوان وإن لم يقتل ومنه حديث كعب بن عجرة أتؤذيك هوام رأسك أراد القمل قاله المطرزي، وقال المحقق الداماد السامة بمعنى الخاصة من سمت النعمة إذا خصت، وقيل معناه الذين يتبعون العورات ويتجسسون المعائب من قولهم فلان يسم ذلك الأمر أي يسره وينظر ما في غوره، والأولى بالإرادة هنا ما في كتب اللغة.

«واللاَّمَّة»

وهي كل نازلة شديدة من اللمة بمعنى الشدة أو كل عين تصيب الإنسان بسوء، وفي الحديث أعوذ بكلمات الله التامات من شر كل سامة ومن شر كل عين لامّة أي ذات لمم وقيل هي الجنة التي تصيب الإنسان بسوء يقال أصاب فلاناً من الجن لمة أي مس وشيء قليل.

«مَرِيدْ»

متمردات وهو نوع من الشيطان، روى الفضل بن شاذان في تفسير الحسن العسكري عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا فاذكروا يا أمة محمد محمداً وآله عند نوائبكم وشدائدكم لينصر الله به ملائكتكم على الشياطين الذين يقصدونكم فإن كل واحد منكم معه ملك عن يمينه يكتب حسناته وملك عن يساره يكتب سيئاته ومعه شيطانان من عند إبليس يغويانه فمن لم يجد منكم وسواساً في قلبه وذَكَر وقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله الطيبين خنس الشيطانان إلى إبليس فشكوه وقالا له قد أعيانا أمره فامددنا بالمردة فلا يزال يمدهما حتى يمدهما بألف مارد فيأتونه فكلما رامُوه ذَكَر الله وصلى على محمد وآله الطيبين لم يجدوا عليه طريقاً ولا منفذاً قالوا لإبليس ليس له غير أنك تباشره بجنودك فتغله وتغويه فيقصده إبليس بجنوده فيقول الله تعالى للملائكة هذا إبليس قصد عبدي فلاناً أو أمتي فلانة بجنوده ألا فقابلوه فيقابلهم بإزاء كل شيطان رجيم منهم مائة ألف ملك وهم على أفراس من نار بأيديهم سيوف ورماح من نار وقسي ونشاشيب وسكاكين وأسلحتهم من نار فلا يزالون يخرجونهم ويقتلونهم بها ويأمرون إبليس فيضعون عليه الأسلحة فيقول يا رب وعدك قد أجلتني إلى يوم الوقت المعلوم فيقول الله عز وجل للملائكة وعدته لا أميته ولم أعده ألا أسلط عليه السلاح والعذاب والآلام اشتفوا منه ضرباً بأسلحتكم فإني لا أميته فيثخنونه بالجراحات ثم يدعونه فلا يزال سخين العين على نفسه وأولاده المقتلين ولا يندمل شيء من جراحاته إلا بسماعه أصوات المشركين بكفرهم، وإن بقي على طاعة الله وذكره والصلاة على محمد وآله بقي على إبليس تلك الجراحات وإن زال العبد عن ذلك وانهمك في مخالفة الله عز وجل ومعاصيه اندملت جراحات إبليس ثم قوي على ذلك العبد حتى يلجمه، ويسرجه على ظهره ويركبه ثم ينزل عنه ويقول ظهره لنا الآن متى أردنا نركبه.

«مُتْرَفْ»

متنعم ذي مال منهمك في ملاذ الدنيا وشهواتها أو من قولهم أترفته النعمة وسعة العيش أي أطغته وأبطرته فالمترف حينئذ بمعنى الطاغي البطر.

«حَفِيدْ»

فعيل إما بمعنى مفعول أي محفود وهو الذي يخدمه أصحابه ويسارعون في حوائجه أو الذي هو ذو حفدة وأعوان، وإما بمعنى فاعل والمراد به من يسارع إلى الشر لأن أصل الحفد السرعة وفي ش حقيد بالقاف بمعنى ذي حقد أو حقود على المبالغة كما في رواية الشيخ الكفعمي.

«مِنَ الجِنّ»

وهم أشكال نارية قد أقدرهم الله تعالى على التشكل بالأشكال المختلفة في كون عنصرها هو النار وحده بحكم قوله تعالى: ﴿**والجان خلقناه من قبل من نار السموم**﴾، أو أنه الغالب عليها ولذا أضيفت إليه خلافاً والظاهر هو الأول ولا خلاف في وجودها واستمرارها باستمرار الدهور والأيام، وذهب شرذمة من المعاصرين إلى إنكار وجودها وظنوا أنها خيالات من تراكم الأبخرة ونحوها، ولعمري إنه إنكار لأضر الضروريات وأبده البديهيات فلا يحتاج إلى إقامة البرهان عليه ولقد شاهدت امرأة منهم اسمها حسناء ورجلاً اسمه عبد العلي من طائفة عبد الرحمن وجرى لي معهم حكايات غريبة وقصص عجيبة وكانت المرأة متلبسة برجل والرجل متلبساً بامرأة.

«وتُقْفِلْ دُونَ إِخْطَارِي قَلْبَهْ»

أي تجعل على قلبه قفل الغفلة عند إشرافه على ذكري وإرادته له حتى لا يذكرني، أو عندما ذكرني حتى ينساني ولا يسول لي مكروهاً، وقيل إن دون هنا بمعنى أدون وهو كما ترى.

«وَتَقْمَعْ»

القمع الضرب بالمقمعة وهي عمود من حديد أو شيء كالمحجن يضرب بها الإنسان على رأسه وجمعها مقامع.

«وهَمْزِهِ وَلَمْزِهْ»

الهمز الطعن الكثير على الغير بغير حق واللمز بمعناه، وقيل الهمز العيب بظهر الغيب واللمز العيب في الوجه، وقيل الهمز أذى الجليس بسوء اللفظ واللمز كسر العين والإشارة بالرأس على الجليس، وعن ابن عباس الهمز الطعن واللمز الغيبة، وقيل بالعكس وهو المروي عن سعيد وقتادة، وقيل الهمز ضرب الناس باليد واللمز ضربهم باللسان والعين.

«وحَبَائِلِهْ» جمع حبالة وهو الفخ والمراد هنا ما عرفت.

«وَمَصَائِدِهْ» جمع مصيدة بكسر الميم وفتحها آلة الصيد أو مكانه.

«ورَجْلِهِ وخَيْلِهْ» مشاته وفرسانه.

دعاؤه لأبويه عليهم السلام

الظاهر أن المراد بهما الشخصان واحتمال النوعين ليشمل الآباء والأمهات بعيد جداً.

«واخْصُصِ اللَّهُمَّ وَالدَيَّ بِالكَرَامَةِ لَدَيْكَ والصَّلاةِ مِنْكْ»

قد توهم بعض الأفاضل من الاختصاص اختصاص هذه الفقرة بهم عليهم السلام فإنهم هم المخصوصون بالكرامات والدرجات فقد طلبوا درجاتهم المعدة لهم فلا يجوز لأحد منا الدعاء بها إلا عند تغيرها بقولنا أقصد ونحوه، وأيده بلفظ الصلاة فإنها كما قال بعض أصحابنا مخصوصة بالآل عليهم السلام لا يجوز إطلاقها على آحاد المؤمنين لأنها قد اشتهرت فيهم شرعاً، والجواب عنه من وجوه:

الأول: إن المراد به الاختصاص الإضافي لا الحقيقي لدخول النبي وباقي الأئمة عليهم السلام فيمن عداهم وهو فاسد وحينئذ فلا فرق بيننا وبينهم في جواز قصد حصر الإضافي إذ هو منا بالنسبة إلى سائر المخالفين وأشباههم.

الثاني: إن للكرامات التي لديه تعالى أفراداً لا تتناهى ودرجات لا تحصى فكل منا يطلب لوالديه النوع اللائق بهم من الكرامات وتخصيصهم به حتى لا يشاركهم أحد

في ذلك النوع أو يسلب عنهم لغيرهم كما مر في تفسير قوله تعالى: ﴿**الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**﴾.

الثالث: إن الاختصاص حقيقة يرجع إلى الامتياز لأن من خص أحداً بكرامة فقد ميّزه بها عن غيره، فكأنه قال اللهم ميزهم عن غيرهم بالكرامات منك، وكل منا يصح منه هذا القول لأبويه كما يصح منه لنفسه.

الرابع: أن يضمن التخصيص معنى القصد من غير تغير للفظه عليه السلام، بل ورد التخصيص بمعنى القصد كثيراً، وأما ما أيده به فمردود بقوله تعالى: ﴿**وصل عليهم**﴾، وقوله عليه السلام اللهم صل على أبي أوفا[1].

«**عن الحُفُوفْ**» أي عن الإحاطة والاعتناء.

«**بِما أَلْهَمْتِنيهْ**»

من قولهم فلان محفوف بالخدم وحاصله الخدمة والإعانة، أي لا تكون أركاني ثقيلة عن خدمتهم، وقيل بأخذه من قولهم حفت الأرض إذا يبس نباتها، أي لا تثقل أركاني من حمل الوزر المسبب عن التقصير فيما ألهمتنيه وهو كما ترى، والخفوف كما في بعض النسخ من الخفة بمعنى الذهاب بخفة وسرعة، وفي نسخة الكفعمي الحقوق جمع حق وفي بعضها الخوف.

«**كَمَا أَوْجَبْتَ لَنا الحَقَّ عَلى الخَلْقِ بِسَبَبِهْ**»

ظاهرها الاختصاص كما مرَّ والذي ينبغي لنا أن نقصده من هذه الفقرة أحد شيئين: الأول: أن نقصد من الخلق سائر الأمم السابقة فإنه تعالى قد أوجب على أهل الملل والأديان الإطاعة والانقياد لهذه الأمة بسبب النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الثاني: أن نقصد من الخلق خلائق هذه الأمة ومن الحق الحقوق التي أوجبها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعضنا على بعض من مواساة الاخوان ووجوب رعايتهم وإن كان الداعي بها من أهل العلم والمعرفة فلا يحتاج إلى قصد ما ذكرناه لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد أوجب على الجهال إطاعة العلماء وقبول أقوالهم والاهتداء بهداهم.

---

(١) بعض أصحابه.

«**أَهَابُها**» وما في بعض النسخ من فتح الباء فغلط.

«**العَسُوفْ**» الظلوم الجبار.

«**وأبِرُّهُمَا**» أطيعهما وأنقاد لهما.

«**أقرَّ لِعَينِي**»

أسرَّ لها وأحب إليها من القر بمعنى البرد لما تحققت من أن دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة، وقد يؤخذ من القرار أي أسكن لها وأبلغ لأمنيتها بحيث لا تشتاق لغيره.

«**الوَسْنَانْ**» الناعس أو شديد النعاس.

«**وأثْلَجَ**» قال الجوهري ثلجت نفسي بضم اللام اطمأنت ومعناه أسر وأبرد.

«**الظَّمْآن**» شديد العطش.

«**خَفِّضْ لَهُمَا صَوْتِي**»

روي عن الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما**﴾ قال إن أضجراك فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما إن ضرباك، قال وقل لهما قولاً كريماً. قال إن ضرباك فقل لهما غفر الله لكما فذلك منك قول كريم، ثم قال واخفض لهما جناح الذل من الرحمة قال لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلا برحمة ورقة ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما ولا يدك فوق أيديهما ولا تقدم قدامهما.

«**بِرِّي**» فتح الباء فيه وفيما قبله ش وهو لغة في الكسر.

«**عَرِيكَتِي**» خلقي.

«**أَشْكُرْ لَهُمَا تَرْبِيَتِي**» أجزهما أحسن الجزاء عليها.

«**تكْرِمَتِي**» مصدر بمعنى الإكرام لهما بإكرامهما لي.

«**صِغَرِي**»

بكسر الصاد نقيض الكبر وبفتحها بمعنى الهوان والصغار وزمان الطفولية يقتضيه

«**أو خَلَصَ**» ضمن معنى بلغ فعدّي بإلى.

«**أو إِسْرافاً**» ضمن معنى الميل والحيف فعدّي بعلى.

«**تَبِعَتِهْ**» ما يتبع الذنوب من الوبال والنكال.

«**أُقاصَّهُمَا**» بأن أحسب إساءتهما لي في مقابلة إحسانهما لدي.

«**إِقتَارُهُمَا**»

مصدر بمعنى التقتير في المعاش وهو ضيقه وفي ش اقتسارهما وهو مصدر بمعنى القهر.

«**هَيْهَاتْ**»

كلمة تبعيد يعني بعد استيفائهما حقهما مني وكسر التاء لغة بني تميم كما أن الفتح لغة الحجازيين وحكي فيهما الضم لكنه قليل.

«**فِي أَهْلِ العُقُوقْ**»

روى محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام إن العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهما ثم يموتان فلا يقضي عنهما دينهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عز وجل عاقاً وإنه ليكون عاقاً لهما في حياتهما غير بار بهما فإذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فكتبه الله عز وجل باراً، وقال عليه السلام ثلاث لم يجعل الله عز وجل للعبد فيهن رخصة أداء الأمانة إلى البر والفاجر، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين، وعن الزهري قال كان علي بن الحسين عليه السلام لا يأكل مع أمه، وكان أبر الناس بأمه فقيل له في ذلك فقال أخاف أن آكل معها فتسبق عينها إلى شيء من الطعام وأنا لا أعلم فآكله فأكون قد عققتها، المراد بأمه عليها السلام هنا مربيته وكانت أمة للحسين عليه السلام ، وأما أمه الحقيقية فروى الصدوق (ره) عن الرضا عليه السلام أنها ماتت في أيام نفاسها به فسلمه الحسين عليه السلام إلى أم ولد له وكان يدعوها عليه السلام بالأم، وقيل إنها ألقت نفسها في الفرات في واقعة الطفوف لانقطاع صبرها أو خوفاً من الأسر فإنها كانت من بنات سلاطين العجم فتوهمت من يزيد لما بين سلاطين العرب والعجم من الشحناء، وقيل إن سيد الساجدين عليه السلام لما شاهد ما حل بهم في تلك العرصات خاف عليها ما خافته على نفسها فأركبها جملاً أو فرساً وسار بها حتى لا يعلم أين

ذهبت، وقيل إنه ذهب بها إلى جبل في خراسان وماتت هناك وهو الآن معروف بين أهل طهران يزورونه ويتبركون به، ولهذه الأقوال شواهد من الأخبار وكيف كان فأمه الحقيقية لم تُر بعد وقعة الطفوف، وما روي من أنه عليه السلام لما رجع من الشام زوج أمه لمولى له، المراد بها تلك الأم المربية له لا أمه الحقيقية كما توهمه كثير من الأفاضل فإن النفس تستنكف عن قبوله، وكيف لا يستنكف منه والحال أنها كانت بنت يزدجرد سلطان العجم، ولما أتي بها لم ترض إلا بالحسين عليه السلام فكيف ترضى بعده بأحد الموالي، وأشد منه استنكافاً حملهم المولى على العبد وهو أيضاً غلط فإنه هنا بمعنى الموالي والمحب وهو أحد الشيعة كما نقله أرباب السير، إذا تحققت هذا فاعلم أنه قد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال له رجل يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي قال أمك قال ثم من؟ قال أمك قال ثم من؟ قال أبوك، ذكر الأم مرتين، وفي رواية أخرى ثلاثاً فقال بعض العلماء هذا يدل على أن للأم ثلثي الابن على الرواية الأولى أو ثلاثة أرباعه على الرواية الثانية وللأب إما الثلث أو الربع، والآيات والأخبار الواردة بزيادة حق الأم على الأب متضافرة واختصاص الأب بالولاية ونحوها لا ينافيه لأن القيام بها مما يناسب الرجل فتأمل.

«آنَاً مِنْ آنَاءِ لَيْلِي» ساعة من ساعاته.

«عَزْماً» مجزوماً به.

«بِالكَرَامَة» أي بسبب إكرامك لهم أو إكرامهم لي أو بكرامتهم عليك.

دعاؤه لوُلده عليهم السلام

بضم الواو وفتحها قال الجوهري الوَلد يكون واحداً وجمعاً وكذلك الولد بالضم وقد يكون الولد جمع الولد لغة في الولد.

«وزِدْ في آجَالِهِم»

الظاهر أنه تأكيد ما قبله، وقيل المراد بالأول رفاهية العيش وحسن الحال فإنه قد شاع بين العرب تسمية من عاش في رفاهية طويل العمر وإن قصر عمره.

«وبإمْتَاعِي بِهِمْ»

مأخوذ إما من أمتعت بالشيء بمعنى تمتعت به وانتفعت به فالباء حينئذ للتعدية، وإما من الإمتاع المتعدي بمعنى التعمير كما في قوله: ﴿**ويمتعكم متاعاً حسناً**﴾ أي يعمركم والباء حينئذ للمصاحبة أي بتعميري معهم.

«عُنِيتْ» اهتممت.

«وادْرُرُ»

بقطع الهمزة ووصلها وأخذه على الأول من الدرر من باب الافعال وعلى الثاني من قولهم الريح تدر السحاب وتستدره بمعنى تستجلبه.

«بِهِمْ»

أي بالأولاد وبه وفي ح أي بالشد ويحتمل الرجوع إلى العضد كما قيل لكنه حينئذ من باب الاستخدام.

«أَوَدِي» بالتحريك الاعوجاج.

«حَدِبِينْ» يقال تحدب عليه أي تعطف وتشفق.

«عَوْناً عَلَى ما سَأَلْتُكْ»

لفظ العون لم يكن في أكثر النسخ، نعم قد وجد في هامش نسخة شيخنا

البهائي (قده) فشاع في أكثر النسخ فعلى تقدير عدمه المعنى ظاهر لأن حاصله اجعلهم لي على الطريقة التي طلبتها منك في باب الأولاد المتقدمين من شد العضد وما بعده وعليه يكون حاصله أيضاً هنا، وقيل المراد اجعل هؤلاء الأولاد عوناً على ما سألتك في باب تلك الأولاد يعني يحملون اخوانهم على البر والشفقة علي، وقيل معناه اجعلهم لي عوناً على ما سألتك من المسائل الأُخر بأن يعينوني في الدعاء ويشاركوني فيه، وقيل الضمير في اجعلهم راجع إلى الأولاد المتقدمين أي اجعل اولئك الأولاد الموجودين عوناً لي على ما سألتك من أن تهب لي أولاداً ذكوراً.

«عِقَابَه» عقاب ما أمرتنا بمعنى تركه أو عقاب ما نهيتنا.

«أَسْكَنْتَهُ صُدُورَنا»

بيان لتسلطه قيل إنه تمثيل لإيصال وساوسه إلى القلوب برفق لا أنه يخلص إلى الصدر بنفسه، واختاره أمين الإسلام الطبرسي، والظاهر أنه على ظاهره لما روي عن الصادق عليه السلام في حديث طويل يذكر فيه ما طلب الشيطان من الله تعالى واستجاب منه،وفيه قال يا رب زدني قال قد جعلت لك ولذريتك صدورهم أوطاناً قال حسبي، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس وإن من التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس ويجوز أن يكون هذا أعني قوله أسكنته منفصلاً عما قبله، ويؤيده تصديره بالواو وفي نسخة الشيخ الكفعمي وبعض نسخ الصحيفة وحينئذٍ فالتسليط إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم**﴾.

«بِفَاحِشَة» بذنب وقيل الفاحشة الذنب العظيم.

«ثَبَّطَنا» شغلنا.

«بِالشَّهَوَاتْ» الباء إما للسببية أو للصلة.

«بِالشُّبُهاتْ»

الباء إما زائدة أو للظرفية ومفعول ينصب محذوف أي ينصب لنا حبائله في ميادين الشبهات، ويجوز أن يضمن فيصيب معنى يتحرف ونحوه.

«مَنَّانَا» شهّانا وجعلنا نتمناه.

«يُضِلُّنا»

بنصبه مع نصب يستزلنا على الجزم لجواب الشرط والفتح لمكان الساكنين والرفع كما في بعض النسخ على أنه جواب بتقدير المبتدأ.

«خَبَالَه» فساده.

«يَسْتَزِلُّنا» يوقعنا في الزلة وهي العثرة.

«المُنْجِحِينَ» النجاح الظفر بالشيء وقد ضمن معنى الاشتياق فعدي بإلى.

«بالتَّوَكُّلِ عَلَيْكْ»

متعلق بغير لأنه بمعنى المغاير يعني أكون مغايراً للممنوعين من رحمتك بسبب توكلي عليك، وقيل الباء فيه بمعنى من.

«في التِّجَارَةِ عَلَيْكْ»

على بمعنى إلى ويجوز أن يكون الظرف حالاً أي حال كونهم واردين عليك، ويجوز أن يضمن التجارة معنى التذلل ونحوه.

«والمُجَارِينَ بعِزِّكْ»

على صيغة جمع المفعول بكسر الراء من جاره، فهذا مجير وذاك مجار إذا أدخله في جواره وأمانه، ويروى بفتحها من جاراه مجاراة فهذا مجار وذاك مجاري إذا جرى معه وماشاه مماشاة عناية به واهتماماً برفقه.

«والمُجَارِينَ مِنَ الظُّلْمْ»

أي الذين أمنتهم من ظلم الظالمين، وفي ش بالزاء المعجمة المفتوحة أي الذين جازيتهم بدل ظلم الظالمين لهم بعدالتك بالانتصاف لهم من ظالمهم، وفي بعض نسخ ش بها مكسورة أي الذين يجازون من ظلمهم بعدالتك ويكلون الانتقام من عدوهم إلى عدالتك.

«بِتَقْوَاكْ» من التقوى ومن الوقاية.

«قَرِيبٌ مُجِيبٌ»

للدعوات كما في الآية الكريمة[1]: «أو عالم بخطرات القلوب لا حجاب بينه وبينها».

«سَمِيعٌ»

مبالغة في السامع فإنه يسمع السر والنجوى، وقد يكون السماع بمعنى القبول والإجابة، وقيل السميع العالم بالمسموعات من الأصوات والحروف.

«عَلِيمٌ»

بالجزئيات والكليات على وجهيهما لا كما يقوله الفلاسفة من نفي علمه تعالى بالجزئيات على الوجه الجزئي فإنه كفر في الصفات وهو عين الكفر في الذات، وهذا منهم إنكار لكونه تعالى سميعاً وبصيراً لأنهما في اصطلاح الشرع إنما يطلقان على الجزئيات كما أن العلم إنما يطلق في ذلك الاصطلاح على الكليات.

«عَفُوٌّ»

من العفو وهو الصفح عن الذنب، وقيل هو مأخوذ من قولهم عفت الريح الأثر إذا درسته ومحته.

«غفُورٌ»

من الغفر وهو الستر ومنه المغفر لستره الرأس والمبالغة فيه أقل منها في سابقه لأن ستر الشيء إنما يكون مع بهائه بخلاف المحو والاندراس.

---

(١) كذا في الأصل، وهي ليست آية.

دعاؤه عليه السلام لجيرانه وأوليائه

«وَتَوَلَّنِي في جِيرَانِي»

أي تولى قضاء حوائجهم مكاني أو اجعلني متولياً لقضاء حوائجهم، وقيل المراد تولى مني وتقبل ما عملته مع جيراني، وقال ﷺ: ما زال أخي جبرئيل يوصيني الجار حتى ظننت أنه يورث.

«ومَوَالِيَّ العَارِفِينَ بِحَقنا»

محبِّيَ وناصِرِيَّ العارفين بإمامتنا القائلين بها فإن الله تعالى قد استجاب دعوة الخليل فيهم فقلوب الخلائق كلها تهوى إليهم لحسن خلقهم وخلقهم، بل وربما كانت الزنادقة ومن لا يعتقد الدين يقصدونهم من مشارق الأرض ومغاربها حباً لهم وشوقاً إليهم إلا أن القائل بإمامتهم قليل فالصفة هنا تفيد التقييد.

«المُنَابِذِينْ» من نابذه على الحرب إذا كاشفه.

«وَوَفِّقْهُم»

وفي نسخة الشيخ الكفعمي وبعض النسخ ووفقني وهو الظاهر لموافقته لما بعده.

«إرْفاقِ ضَعِيفِهِم»

بكسر الهمزة إيصال الرفق إليهم وبفتحها أفعال من الرفق وهو اللطف والأول هو الأصوب.

«وَسَدِّ خَلَّتِهِمْ» إصلاح حاجتهم.

«بِالمَاعُونْ»

فيه تلميح إلى الآية الكريمة وهو قوله تعالى: **﴿الذين يراؤون ويمنعون الماعون﴾**، الماعون روى تفسيره أبو بصير عن الصادق عليه السلام قال هو القرض تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعيره ومنه الزكاة، قال فقلت: إن لنا جيراناً إذا أعرناهم

متاعاً كسروه فعلينا جناح بمنعهم؟ قال لا ليس عليك جناح أن تمنعهم إذا كانوا كذلك، وقيل هو المعروف كله، وفي الصحاح ويسمى الماء أيضاً ماعوناً وكذا الطاعة والانقياد وأصله المعونة والألف عوض عن الهاء وجمعه مع الرياء والتهديد عليه يؤذن بتحريمه والقول به غير بعيد لولا انعقاد الاجماع على كراهته.

«والعَوْدِ عَلَيْهِمْ» من العائدة بمعنى إيصال المعروف إليهم.

«بالجِدَة» أي الغنى.

«وَأُسِرُّ لَهُمْ»

في الصحاح أسررت الشيء كتمته وأعلنته من الأضداد ولا يبعد إرادتهما هنا وإن كان الثاني هو الأظهر، بل قيل بتعيين إرادته.

«بالغَيْبْ» أي حال غيبتهم أو في القلب بناء على الأول.

«لِحَامَّتي» أقاربي.

«حَتَّى يَسْعَدُوا بِي وَأَسْعَدَ بِهِمْ»

فإنهم إذا عرفوا إمامته تحروا خدمته فسعد بهم في الدنيا ويشفع لهم في الآخرة فسعد بهم أيضاً لأن مرتبة الشفاعة فوق كل المراتب، وأما سعادتهم به فظاهرة.

دعاؤه عليه السلام لأهل الثغور

والثغر ما يلي دار الحرب وموضع المخافة من فروج البلدان، وما قيل من أن حماة الثغور إنما كانوا في زمانه عليه السلام من أهل الخلاف فكيف ساغ الدعاء لهم، فجوابه من وجهين:

الأول: إنه كان بينهم كثير من أهل الوفاق والشيعة كما هو مشهور وفي الأخبار مسطور وحينئذٍ فالدعاء حقيقة إنما هو لبعض أهل الثغور.

الثاني: إن الدعاء للمخالفين بالقوة والنصر لحماية بيضة الإسلام والذب عنه جائز قطعاً، وقد راعى عليه السلام هذه الجهة فلم يذكر إلا طلب التقوية والهداية لهم.

«**واشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ**» حددها.

«**واحْرُسْ حَوْزَتَهُمْ**»

احفظ حدودهم ونواحيهم واحم جمعهم وبيضة ملكهم التي هي بيضة الإسلام.

«**وَامْنَعْ حَوْمَتَهُمْ**» أي حوزتهم التي يحام حولها ويطاف دورها وهي البيضة أيضاً.

«**وَوَاتِرْ بينَ مِيرَهِمْ**»

جمع ميرة وهي ما يمتاره الإنسان من الطعام ومنه سمي أمير المؤمنين عليه السلام لأنه يميرهم العلم ويكيله لهم، وفي نسخة الكفعمي وواثر بالثاء المثلثة من قولهم استوثرت من الشيء إذا استكثرت منه.

«**وتَوَحَّدْ بِكِفَايَةِ مُؤَنِهِمْ**» تولاها وحدك.

«**وَالطُفْ لَهُمْ فِي المَكْرْ**»

تلطف لأجلهم واصنع الحيل في مكرك لأعدائهم، أو هيىء لهم الحيل واجعلهم دقيقي الفكر في المكر مع أعدائهم كما روي أن الحرب خدعة.

«**الغَرُورْ**» بالفتح مبالغة في الضم.

«**الفَتُونْ**» مبالغة في الفاتن.

«**والحُورْ**» جمع حوراء البينة الحور وهو شدة بياض العين في شدة سوادها.

«**المُطّرِدَة**»

على صيغة اسم الفاعل بمعنى الجارية التي يتبع بعضها بعضاً وعلى صيغة المفعول بمعنى المحراة.

«**المُتَدَلِّيَة**» المعلقة.

«**افْلُلْ**» بالوصل أي اكسر وبالقطع من أفل بمعناه.

«**وأقْلِمْ عَنهُم أَظْفَارَهُمْ**»

قصر منهم سيوف قدرة أعدائهم وهو من الكنايات الحسنة.

«وَثَائِقَ أَفْئِدَتِهِم»

الأمور التي أحكمت أفئدتهم ككثرة العدد والعدة.

«وَامْلأْ أَفْئِدَتَهُمُ الرُّعْبْ»

وقد كان من خواص هذه الأمة المرحومة النصر بالرعب كما قال عليه السلام نصرت بالرعب مسيرة شهر.

«واقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ البَسْطْ»

ذللهم وجبنهم واجعلهم بمثابة من قبضت يديه عن التحرك والبسط، أو اجعل أيديهم مكفوفة لا يقدرون على إيصالها إلى المسلمين بضرر.

«واخْزِمْ أَلْسِنَتَهُمْ»

مأخوذ من الخزامة وهي ما يجعل في جانب منخر البعير تثقب به، أي أخرس ألسنتهم واجعلها كأنها مخزومة.

«وشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلفَهُمْ»

فرق بسبب هؤلاء الجماعة الذين يلونهم من معاونيهم.

«ونَكِّلْ» النكال أشد من العذاب.

«مِحَالْ»

بالفتح والتشديد جمع محل وبالكسر والتخفيف القوة والشدة والمكر أو الأخذ بالعقوبة.

«مُنَابَذَتِهِمْ» مضادتهم.

«اغْزُ بِكُلِّ نَاحِيَةْ»

بالمعجمتين من الغزو أي اغز أنت بسبب أهل كل بلاد من بلاد الإسلام ومعونتهم من يليهم من الكفار، وعداه بعلى لتضمنه معنى الغلبة والتسلط، وفي ش اعز من العزة، بمعنى الغلبة والباء زائدة أو المفعول محذوف أي دين الإسلام، وفي نسخة الشهيد(قده) اغز من الغزو بوزن اكرم أي صير جماعات المسلمين غازين غالبين.

«**مُرْدِفِينْ**» بكسر الدال وفتحها بكون بعضهم إثر بعض.

«**مُنْقَطَعِ التُّرابْ**» يعني يفرقوهم في أقصى نواحي الأرض وأطرافها.

«**أو يُقِرُّوا**» بمعنى إلى أن.

«**والخَزَرْ**»

بالتحريك ضيق العين وهم جيل من الترك سموا به لضيق أعينهم وصغرها، وفي ش بوزن حمر والمعنى واحد.

«**والنُّوبَةَ**» جيل من السودان.

«**والزَّنْجْ**» مثلهم وقيل النوبة بلدة بشرق نيل مصر أهلها نصارى والزنج بلدة بشرقي الحبش شمالها اليمن وشرقها النوبة.

«**والسَّقَالِبَةَ**»

بالسين والصاد جيل من الكفار حمر الألوان قيل إنهم يلاصقون بلداً في المغرب، وقيل إن بلادهم تتاخم بلاد الخزر بين بلفر وقسطنطينية.

«**والدَّيَالِمَةَ**» جيل من الكفار بلادهم تقرب من قزوين وري.

«**وَسَائِرِ**» بالجر للعطف على مدخول من وبالنصب للعطف على أعدائك.

«**وَأَشْرَفْتَ**» اطلعت عليهم أو غلبتهم بقدرتك.

«**وخُذْهُمْ بِالنَّقْصِ عَنْ تَنَقُّصِهِم**»

النقص بمعنى [الأخذ][(١)] وحاصله خذهم بالنقص في أموالهم وأبدانهم واشغلهم عن أن ينقصوا أولياءك، ويجوز أخذه من النقيصة بمعنى العيب أي خذهم بالنقيصة حتى لا ينقصوا أحباءك ويعيبوهم.

«**عَنِ الإحْتِشَادْ**» أي الاجتماع على أوليائك.

---

(١) غير موجودة في الأصل، ولكن يقتضيها سياق الكلام.

«مُنَازَلَةُ الرِّجَالْ» مقاومتهم.

«وجَبَّنْهُم عَنْ مُقَارَعَةِ الأَبْطَالْ»

تقول جبنت زيداً إذا نسبته إلى الجبن يعني اجعلهم معروفين عند الخلائق ومنسوبين إلى الجبن عن مقارعة الأبطال، والأظهر أن معناه صيّرهم جبناء.

«كَفِعْلِكَ يَومَ بَدرْ»

فإنه تعالى قد أمد المسلمين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين عند يأس المسلمين من النصر.

«تَقْطَعُ بِهِ» أي بالعذاب والملائكة.

«دَابِرَهُم» عقبهم ومن بقي منهم.

«وَتَحْصُدُ بِهِ شَوْكَتَهُم» تستأصل به قوتهم.

«بِالخُسُوفْ» أي الذهاب في الأرض أو النقيصة.

«وَأَلِـحَّ عَلَيْها» ضيق عليها.

«بِالقُذُوفْ» أي الرمي: البلايا والخراب.

«وافْرَعْهَا»

بالعين المهملة بمعنى التفريق، وفي ش بالمعجمة من باب الأفعال بمعنى اخلها من نعمك، وفي نسخة الكفعمي بالقاف والعين المهملة من القرع وهو الطرق بالقوارع أي الشدائد.

«بالمُحُولْ» جمع محل وهو الجدب والقحط.

«في أَحَصِّ أَرْضِكْ»

أخلاها من العشب والنبات كما يقال رجل أحص إذا كان قليل شعر الرأس أو اللحية.

«وامْنَعْ حُصُونَهَا»

على صيغة الأمر أي امنعهم عن التحصن بحصن، أو اجعل الحصون منيعة محكمة لا يصلون إلى أخذها.

«وَأَطْفِ»

مخفف ما فيه ياء مهموز من أطفأ النار، ويجوز أخذه من قولهم طفا السمك فوق الماء إذا لم يرسب أي اجعله ممن لم ترسب حرارة الشوق في فؤاده.

«وَأْثُرْ لَهُ حُسْنَ النِيّة» من الإيثار بمعنى الاختيار.

«وَاعْفِهِ مِنَ الجُبْنْ» بعده عنه.

«السِّيَرْ والسُّنَنْ» طرق الحرب ومذاهبه أو طرق الشريعة وآدابها.

«وظَعْنَه» يعني سفره يقال رجل ظاعن إذا كان مسافراً.

«وأَدِلْ لَهُ مِنْهُمْ وَلاَ تُدِلْ لَهُمْ مِنْه»

أي غلّبه عليهم ولا تغلبهم عليه.

«يَجْتاحَ عَدُوَّكْ»

يقتله ويستأصله من الجاحة وهي الآفة التي تهلك الثمار والأموال.

«يَجْهَدَ بِهِمْ»

يمتحنهم وفي س ويديخهم أي يذلهم ويدوخهم أي يقهرهم.

«خَلَفَ غَازِياً»

صار خليفة له على أهل وداده وفي الخبر أن من خلف غازياً على أهله كان له من مثل أجره ولا ينقص عليه شيء.

«خَالِفِيهْ» مَن خلفه على أهله ومَن خلَّف وراءه مِن أهله.

«بِعِتَادْ» العدة والأهبة والآلة.

«شَحَذَهْ» ساقه سوقاً شديداً.

«تَحَزُّبُ أَهْلِ الشِّرْكْ» صيرورتهم أحزاباً وقبائل على حرب المسلمين.

«واجْعَلْهُ فِي نِظَامِ الشُّهَدَاء»

لعقد قلبه ونيته عليها ولذا قال الصادق عليه السلام إني لا أخرج نفسي من شهداء

الطفوف ولا أعد ثوابي أقل منهم لأن من نيتي النصرة لو شهدت ذلك اليوم وكذلك شيعتنا هم الشهداء وإن ماتوا على فرشهم، وكان عليه السلام ينهى الشيعة عن إلحاحهم بظهور صاحب الزمان واستكشاف أحواله، وكان يقول إن لكم ثواب من استشهد معه بنياتكم وإن متم على فرشكم.

«**المُبْدِي**» الموجد بلا سبق مادة.

دعاؤه عليه السلام متفزعاً إلى الله عز وجل

التفزع: الانقطاع وتمام التوكل.

«**وَصَرَفْتُ وَجْهِي**»

في هذه الفقرات لطيفة وهي دعوى الشيء مع إقامة برهان عليه.

«**ضَلَّةٌ**» ضلال.

«**طَلَبُوا العِزَّ بِغَيْرِكَ فَذَلُّوا**»

إشارة إلى ما روي في الحديث القدسي إني وضعت العزة في خدمتي والناس يطلبونها في خدمة السلطان فلم يجدوها ووضعت الغنى بالقناعة والناس يطلبونه بجمع المال فلم يجدوه.

«**وَرَامُوا الثَّروَةَ**» قصدوا الغنى.

«**فَصَحَّ بِمُعَايَنَةِ أَمْثَالِهِمْ حَازِمْ**»

أي فاستقام على الطريقة المثلى رجل حازم ضابط للأمور عارف بعواقبها يعني نفسه الشريفة ويحتمل العموم أيضاً.

«**دُونَ كُلِّ مَسْؤُولْ**»

أي قبل سؤالي من كل مسؤول منه وحاصله إني لا أسأل أحداً سواك، وقيل إن دون هنا وفيما بعده بمعنى عند والمعنى إذا سألت أحداً فأنت عند ذلك المسؤول موضع حاجتي، يعني أن قضاءها حقيقة إنما هو من جنابك لأنك مسبب الأسباب.

«قَبْلَ كُلِّ مَدْعُوٍّ» أي أني أدعوك قبل كل أحد.

«ولاَ يَتَّفِقَ»

من الاتفاق وفي ش يفق من الوفق بمعنى الموافقة بين الشيئين وفي خ ينفق من قولهم نفقت السوق إذا قامت على ساقها وحصل لها رواج ويتفق بوزن يضرب مخفف ما في الأصل.

«لَكَ يَا إِلَهِي وَحْدانِيةُ العَدَدْ»

وهذه الفقرة من مشكلات الصحيفة حيث أنه ورد العقل والنقل بنفي الوحدة العددية عنه تعالى لأن حقيقتها العدد ومعروضها هويات عالم الإمكان، والذي يصح إطلاقه عليه تعالى هو الوحدة الحقيقية وأما الوحدة العددية فهي قصارى الممكن بالذات وتحقيقه والتقصي عنه يظهر مما روي عن أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: إن أعرابياً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: يا أمير المؤمنين أتقول إن الله واحد؟ قال فحمل الناس عليه وقالوا يا أعرابي أترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم القلب، فقال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ دعوه فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم، ثم قال: يا أعرابي إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوزان على الله عز وجل، ووجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الاعداد، ألا ترى أنه كفر من قال إنه ثالث ثلاثة، وقول القائل هو واحد من الناس يريد بن النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز عليه لأنه تشبيه وجلّ ربنا عن ذلك.

وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له في الأشياء شبيه كذلك ربنا، وقول القائل إنه ربنا عز وجل أحدي المعنى يعني أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا عز وجل. فهذا الحديث الشريف دل على أن الواحد بانفراده لا يدخل في باب العدد، ويكشف عنه حديث الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: التوحيد الإقرار بالوحدة والواحد المتباين الذي لا ينبعث من شيء ولا يتحد بشيء، ومن ثم قالوا: إن بناء العدد من الواحد، وليس الواحد من العدد؛ لأن العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الاثنين. الحديث، وحينئذٍ فالياء في وحدانيته ياء النسبة، وحاصل المعنى أن الوحدة التي نسبت إليها الأعداد وتركبت منها - **وهي لم تدخل تحت**

عدد مخصوصة بالإطلاق عليك ـ لا تطلق على غيرك لأن كل ما سواك فله ثان يندرج معه تحت كلي فهو واحد من الجنس، ويجوز أن تكون الياء للمبالغة مثل أحرى، والمعنى أن حقيقة الوحدة العددية الوحدة العددية التي ينبغي أن تسمى وحدة مخصوصة بك، وأما إطلاقها على غيرك فمجاز شائع، وتحقيقه ما رواه فتح الجرجاني عن أبي الحسن عليه السلام في حديث طويل يقول فيه: قلت يا بن رسول الله لا يشبهه شيء ولا يشبه هو شيئاً، والله واحد والإنسان واحد أليس قد تشابهت الوحدانية؟ قال: يا فتح أحلت ثبتك الله إنما التشبيه في المعاني، وأما في الأسماء فهي دليل على المسمى وذلك أن الإنسان وإن قيل واحد فإنه يخبر أنه جثة واحدة وليس باثنين والإنسان نفسه ليس بواحد لأن أعضاءه مختلفة وألوانه مختلفة، ومَن ألوانه مختلفة غير واحد، وهو أجزاء مجزأة ليست بسواء. دمه غير لحمه ولحمه غير دمه وعصبه غير عروقه وشعره غير بشره وسواده غير بياضه، وكذلك سائر الخلق فإن الاسم واحد في الاسم ولا واحد في المعنى والله جل جلاله هو واحد لا واحد غيره، لا اختلاف فيه ولا تفاوت، ولا زيادة ولا نقصان، فأما الإنسان المخلوق المؤلف من أجزاء مختلفة وجواهر شتى غير أنه بالاجماع شيء واحد، قلت: جعلت فداك فرجت عني فرج الله عنك، وقيل معناه أنه ليس لك من العدد إلا الوحدانية، والمراد أنه ليس بداخل في العدد بل له تعالى هذا الوصف بمعنى آخر، ولعل ذكر العدد لفائدة أنه إذا وصف تعالى بكونه أحداً ربما يتوهم منه أن أحديته عددية يلزمها ما يلزم الوحدة العددية، فقوله عليه السلام يدل على أنه ليس له إلا الوحدانية المغايرة لوحدة العدد والمشاركة لها في الاسم، ويحتمل أن يكون في التعبير بالوحدانية دون الواحدية إشارة إلى أن العدد هنا ليس العدد الذي له الواحدية بل الذي له الوحدانية فيكون مسمى بالعدد مجازاً والمعنى إذا عد الموجودات كنت أنت المتفرد من بينها انتهى. وقال بعض المحققين معنى هذه الفقرة أنه لا قيوم واجب بالذات إلا أنت أو يكون معناه أن الوحدة العددية ظل الوحدة الحقة الصرفة القيومية فسبيل اللام في قوله عليه السلام سبيلها في قوله تعالى: **﴿وله ما في السموات وما في الأرض﴾** ولا يخفى بعد هذا التحقيق.

«وَمَلَكَةُ القُدْرَة»

تملكها وضبطها وإعمالها وقيل من باب إضافة الصفة إلى موصوفها فإن الملكات هي الصفات أو بيانية.

«الصَّمَدْ»[1] الكاملة القوية إذ الصمد لا جوف له وهو صفة للقدرة إما من حيث أنه يجوز وصف المذكر والمؤنث به وإما من حيث أن قدرته عين ذاته والأول هو الأظهر.

«مَرْحُومٌ فِي عُمْرِه» أي في مدة عمره أو أنك رحمته ووهبت له عمره.

دعاؤه عليه السلام إذا قُتّر عليه الرزق

«بِسوءِ الظَّنْ»

الباء للسببية وقيل هي صلة للابتلاء يعني أنك رميتنا بسوء الظن في أرزاقنا لتختبرنا وكذا فيما بعده ولا يخفى بعده، وسوء الظن بالله يرجع إلى القنوط من رحمته بل هو عينه وقد عد من الكبائر كما عد نقيصة من أعظم الأعمال، روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن آخر عبد يؤمر به إلى النار فإذا أمر به التفت فيقول الجبار جل جلاله ردوه فيردونه، فيقول له لِمَ التفت إليّ؟ فيقول يا رب لم يكن بك ظني هذا فيقول ما كان ظنك بي فيقول يا رب كان ظني بك تغفر لي خطيئتي وتسكنني جنتك، قال فيقول الجبار يا ملائكتي لا وعزتي وجلالي وآلائي وعلوي وارتفاع مكاني ما ظن بي عبدي هذا ساعة من خير قط ولو ظن بي ساعة من خير ما روعته بالنار أجيزوا له كذبه وادخلوه الجنة، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس من عبد يظن بالله عز وجل خيراً إلا كان عند ظنه به وذلك قوله عز وجل: ﴿**وذلكم ظنكم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين**﴾.

«**وفي آجَالِنَا بِطُولِ الأَمَلْ**» أي بسبب تطويل الآمال ابتليتنا بالحرص على تأخير الأجل وزيادة العمر وكونها للصلة أظهر منه فيما تقدم.

«**حتَّى الْتَمَسْنا**» لف ونشر مرتب.

«وطَمِعْنا بِآمَالِنَا فِي أعمَارِ الْمُعَمِّرِينْ»

بأن نعيش مثل ما عاشوا أو بأن تنضم أعمارهم إلى أعمارنا وتكون لنا، وقيل إنا

---

(١) لا يمكن وصف «الصمد» بالكاملة القوية إلا إذا أضفنا إليها الجملة كلها وهي: لك يا إلهي وحدانية العدد، وملكة القدرة الصمد، وبذا يصح وصف القدرة الإلهية بالكاملة القوية.

طمعنا بأمور عظيمة يتوقف حصولها على أعمار المعمرين وهو كما ترى.

«تُعْفِينا» تمنعنا.

«عِدَتِكَ» مصدر بمعنى الوعد وهو أصله.

«الأبَرَّ» الأصدق ويقال أبر قسمه إذا أمضاه.

«وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُم وَمَا تُوعَدُونْ»

أي ينزل إليكم من السماء أسباب رزقكم بإرسال الغيث والمطر عليكم فيخرج به أنواع ما تقتاتونه وتلبسونه وتنتفعون به، أو ما توعدون من الثواب والعقاب، وقيل الجنة والنار، وقيل الجنة وحدها فإنها فوق السماء وسقفها العرش، وهو المروي عن الرضا عليه السلام وبه تندفع شبهة الأشاعرة التي حدتهم على إنكار وجود الجنة في الدنيا حتى ذهبوا إلى أن الله سيخلقها في القيامة، وحاصلها أنه تعالى قد وصفها بأن عرضها كعرض السموات والأرض فلو كانت مخلوقة الآن أين تكون؟ والجواب ظاهر كما عرفت، وأما النار ففي بعض الأخبار أن مكانها تحت طبقات الأرض السابعة وما يشاهد من المياه الحارة في رؤوس الجبال فهي من فيحها، وقد ورد النهي في الحديث عن الاستشفاء به كما تفعله العامة من الناس، وفي الأخبار المتضمنة لحكاية المعراج تصريح بأنها في السماء ولا منافاة بينهما لتعدد النيران كتعدد الجنان، وستسمعه إن شاء الله تعالىٰ في الدعاء الثاني والثلاثين.

«فَوَرَبِّ السَّماءَ إنَّه لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونْ»

اقسم سبحانه بنفسه أن ما ذكر من أمر الرزق والآيات وما قضى به في الكتاب حق مثل نطقكم الذي تنطقون به فكما لا تشكون في نطقكم فينبغي أيضاً أن لا تشكوا بحصول ما وعدتم، قيل لما نزلت هذه الآية قالت الملائكة هلكت بنو آدم أغضبوا الرب حتى أقسم لهم علىٰ أرزاقهم، وقريب منه ما روي عن الأصمعي أنه قال أقبلت من جامع البصرة فطلع إعرابي فقال مَن الرجل؟ فقلت من بني أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلىٰ فيه كلام الرحمٰن قال اتل علي فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله في السماء رزقكم قال حسبك فقام إلىٰ ناقته فنحرها ووزعها علىٰ من أقبل وأدبر وعمد إلىٰ سيفه وقوسه فكسرهما وولىٰ، فلما حججت مع الرشيد وطفقت أطوف فإذا أنا بمن

يهتف بصوت رقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفّر فسلم علي واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، ثم قال وهل غير هذا فقرأت، فورب السماء والأرض إنه لحق، فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتىٰ حلف، لم يصدقوه بقوله حتىٰ ألجأوه إلىٰ اليمين، قالها ثلاثاً وخرجت معها نفسه، وقيل التشبيه باعتبار عدم العلم يعني كما أنكم لا تعلمون مواضع خروج النطق وكيفية حصوله فكذلك الرزق، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم آلىٰ الله أن يجعل رزق المؤمن من حيث لا يحتسب، وقيل هو باعتبار الاحتياج وعدمه يعني كما أن النطق يخرجه من مخارجه علىٰ قدر الاحتياج والضرورة فكذا الرزق، وقيل هو باعتبار الزيادة والنقصان يعني كما أن النطق يزيد وينقص بمسبب بثه والحرص عليه فكذا الرزق ينقص ويزيد بالإنفاق منه وإمساكه، فالنطق هنا عبارة عن العلوم والمعارف والأظهر هو الأول، وأما إعراب مثل فهي مرفوعة في ش على أنها صفة لحق ولا يضره الإضافة إلىٰ المعرفة لتوغلها في الإبهام، ومنصوبة في الأصل إما علىٰ أنه أضيف إلىٰ مبني فبني كما بني حين في قوله:

علىٰ حين عاتبت المشيب علىٰ الصبا

أو علىٰ أنه جعل مع ما بمنزلة كلمة واحدة فبنيت علىٰ الفتح لذلك أو علىٰ حال من المستتر في الحق وهو العامل لأنه من المصادر التي وصف بها.

دعاؤه عليه السلام في المعونة علىٰ قضاء الدين

من دين متعلق بالعافية لأنه مصدر.

«تُخْلِقُ بِهِ وَجْهِي»

تصيره كالخلق البالي فإن الدين كما قاله عليه السلام مفكرة بالليل مذلة في النهار قضاء في الدنيا والآخرة، ولذا منع جماعة من الأصحاب منه لمن لم يكن له ما يقابله وقدموا عليه السؤال بالكف، واما الأنبياء والأئمة عليهم السلام فإنهم وإن ماتوا عن دين إلا أنهم كانوا قاطعين بأدائه عنهم ومع هذا كان لهم ما يقابله أضعافاً مضاعفة.

«كَفَافٌ»

وهو ما كف عن الناس وأغنىٰ ولم يكن فيه فضل توسعة، وفي الحديث اللهم ارزق آل محمد الكفاف.

«والإِزْدِيادُ» كالبيان لما قبله.

«والإِقْتِصَادُ» في البذل والإمساك.

«مَخْيَلَةً» تكبراً وعجباً وقيل ظناً وريبة أن لا يكون من حلال.

«أَتَعَقَّبُ مِنْهُ طُغْيَاناً»

يدعوني إلىٰ الطغيان كما قال تعالىٰ **﴿إن الإنسان ليطغى إن رآه استغنىٰ﴾**.

«خَوَّلْتَنِي» أعطيتني.

«مِنْ حُطَامِهَا»

من الحطم بمعنىٰ الكسر سمي ملاذ الدنيا لانكسارها ومسارعة الفناء إليها.

«بُلْغَةً»

وهو ما يتوصل به إلىٰ المقصود ويبلغ به إليه وكذا الوصلة والذريعة.

دعاؤه عليه السلام في ذكر التوبة وطلبها

وتحقيق الكلام في التوبة يتوقف علىٰ بيان أمور:

الأول: في تحقيق معناها قال الأكثر هي المرجع والندم علىٰ فعل الذنب لكونه ذنباً والعزم عدم العود إليه أبداً، والمفهوم من تصفح الأحاديث أن للتوبة درجات وثوابت وفوائد مختلفة كالخلاص من الخلود في النيران وكعدم دخولها راسا وكالوصول إلىٰ أدنىٰ مراتب الجنان إلىٰ أن يترقىٰ فيها أعاليها وعلىٰ الفرد الكامل يحمل ما رُوي في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام من أن قائلاً بحضرته استغفر الله فقال له عليه السلام ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار! إن الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع علىٰ ستة معان:

أولها الندم علىٰ ما مضى، الثاني العزم علىٰ ترك العود إليه أبداً، الثالث أن تؤدي إلىٰ المخلوقين حقوقهم حتىٰ تلقىٰ الله سبحانه أملس ليس لأحد عليك تبعة، الرابع أن تعمد إلىٰ كل فريضة ضيعتها فتؤدي حقها، الخامس تعمد إلىٰ اللحم الذي نبت علىٰ السحت فتذيبه بالأحزان حتىٰ يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد، السادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، وما أحسن قول فيض أهل العرفان إنه لا يكفي المرآة قطع الأنفاس والأبخرة المسودة لوجهها بل لا بد من تصقيلها وإزالة ما حصل في جرمها من السواد كذلك لا يكفي في جلاء القلب من ظلمات المعاصي وكدوراتها مجرد تركها وعدم العود إليها، بل يجب محو آثار تلك الظلمات بأنوار الطاعات فإنه كما يرتفع إلىٰ القلب كل معصية بنور طاعة يضادها بأن ينظر التائب إلىٰ سيئاته مفصلة ويطلب لكل سيئة حسنة تقابلها فيأتي بتلك الحسنة علىٰ قدر ما أتى بتلك السيئة فيكفر استماع الملاهي مثلاً باستماع القرآن والحديث والمسائل الدينية، ويكفر من خط المصحف محدثاً بإكرامه وتقبيله وتلاوته ويكفر المكث في المسجد جنباً بالاعتكاف فيه وكثرة التعبد في زواياه وأمثال ذلك، وأما حقوق الناس فيخرج من مظالمهم أولاً بردها عليهم والاستحلال منهم ثم يقابل ايذاءه لهم بالإحسان إليهم وغصب أموالهم بالتصدق بماله الحلال وغيبتهم بالثناء علىٰ أهل الدين وإشاعة أوصافهم الحميدة، وعلىٰ هذا القياس يمحو كل سيئة من حقوق الله أو من حقوق الناس بحسنة تقابلها من جنسها كما يعالج الطبيب الأمراض بأضدادها، وإلىٰ تعدد مراتبها واختلاف فوائدها يشير ما روي عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تاب قبل موته بسنة قبل الله توبته، ثم قال إن السنة لكثير من تاب قبل موته بجمعة قبل الله توبته، ثم قال إن الجمعة لكثير من تاب قبل موته بيوم قبل الله توبته، ثم قال إن يوماً لكثير من تاب قبل أن يعاين، قبل الله توبته، وفي الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ممن كان قبلكم رجل قتل تسعاً وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل علىٰ راهب فأتاه فقال له إنه قتل تسعاً وتسعين نفساً فهل له من توبة فقال لا، فقتله وكمل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل علىٰ رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل من توبة فقال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق إلىٰ أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلىٰ أرضك

فإنها أرض سوء فانطلق حتىٰ إذا [بلغ][1] نصف الطريق فأتاه ملك الموت فقبض روحه فاختص فيه ملائكة الرحمٰن وملائكة العذاب فقال ملائكة الرحمٰن جاء تائباً مقبلاً وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الأرض فإلىٰ أيتهما كان أدنىٰ فهو له فقاسوا فوجدوه أدنىٰ إلىٰ الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة، وفي رواية وكان إلىٰ القرية أقرب فجعل من أهلها، وفي رواية وأوصىٰ الله إلىٰ هذه أن تباعدي، وإلىٰ هذه أن تقربي وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلىٰ هذه أقرب فغفر له.

الأمر الثاني: في وجوبها علىٰ الفور قال شيخنا البهائي (قده) لا ريب في وجوبها علىٰ الفور فإن الذنوب بمنزلة السموم المضرة للبدن وكما يجب علىٰ شارب السم المبادرة إلىٰ الاستفراغ كذلك يجب علىٰ المذنب، ومن سوّفها فهو بين خطرين عظيمين:

أحدهما: يعاجله الأجل فيحضره وقت الموت وينسد عنه أبواب التلافي كما قال تعالىٰ: ﴿**وحيل بينهم وبين ما يشتهون**﴾، قال بعض المفسرين في قوله من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول لولا أخرتن، إن المحتضر يقول عند كشف الغطاء، يا ملك الموت أخرني يوماً أعتذر فيه إلىٰ ربي وأتوب إليه وأتزود صالحاً فيقول فنيت الأيام فيقول أخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فينغلق عنه باب التوبة ويغرغر بروحه إلىٰ النار ويتجرع غصة اليأس وربما اضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأهوال لما روي أن العديلة تعدله من خالص الإيمان إلىٰ محض الكفر.

وثانيهما: أن تتراكم ظلمة المعاصي علىٰ قلبه إلىٰ أن يصير ريناً وطبعاً فلا يقبل المحو فإن كل معصية يفعلها الإنسان يحصل منها ظلمة في قلبه كما يحصل من نَفَس الإنسان ظلمة في المرآة فإذا تراكمت ظلمة الذنوب صارت ريناً كما يصير بخار النفس عند تراكمه علىٰ المرآة صدأ، فإذا تراكم الرين صار طبعاً فلا يقبل الإصلاح حينئذ وقد يعبر عن هذا القلب بالقلب المنكوس والقلب الأسود، وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ كان أبي يقول ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، إن القلب ليواقع الخطيئة فلا يزال به حتىٰ يغلب عليه فيصير أعلاه أسفله، وعن أبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال ما من عبد إلا وفي قلبه نكتة بيضاء فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء فإن تاب ذهب ذلك السواد وإن تمادىٰ

---

(١) غير موجودة في الأصل، ولكن يقتضيها سياق الكلام.

في الذنوب زاد ذلك السواد حتىٰ يغطىٰ البياض فإذا غطىٰ البياض لم يرجع صاحبه إلىٰ خير أبداً وهو قول الله عز وجل ﴿**كلا بل ران علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾ انتهى، أقول وعمل عليه ما ورد في الرويات من أن اللّوّاط وشارب الخمر لا تقبل توبتهم، وحاصله أنهم لأنهماكهم في المعاصي وارتكابهم لعظيم الذنوب انقلبت قلوبهم من مكانها الطبيعي بسبب إحاطة السواد والجرايم بها فصاروا بحيث لا يقدرون علىٰ التوبة المنورة لقلوبهم بل لو قال أحدهم أتوب إلىٰ الله يكون مجرد تحريك لسان بلا موافقة من القلب فلا يؤثر كما لا يؤثر قول القائل كتب الكتاب في كونه مكتوباً وقول القصار غسلت الثوب في تصيره نقياً من الأوساخ بل ربما آل حال هذا إلىٰ التهاون والاستهزاء بأحكام الشريعة فيموت علىٰ غير الملة، وذهب بعضهم إلىٰ عدم وجوبها فوراً لما روىٰ عن زرارة أنه قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام أنه قال من عمل سيئة أجل فيها سبع ساعات فإن قال أستغفر الله الذي لا إلٰه إلا هو الحي القيوم ثلاث مرات لم يكتب عليه، وهذا الاستدلال كما ترىٰ لأن هذا التأخير منه تفضلي لا إستحقاقي بحكم قوله عليه السلام إذا كان جزائي في أول ما عصيتك النار، فالأصح هو وجوب الفورية ولو تركها المكلف في أول وقت الإمكان لكان ذلك الترك ذنباً يجب التوبة عنه، وتأخير التوبة عن هذا أيضاً ذنب يجب التوبة عنه وهكذا إلىٰ أن يحصل أعداد من الذنوب لا تتناهىٰ في زمان متناه.

الأمر الثالث: قد عرفت أن العزم علىٰ عدم العود من أعظم أجزائها فلو فعل ذلك الذنب ثانياً فهل تقبل توبته ثانياً أم لا، ذهب بعض إلىٰ الثاني لما روي من أن التائب عن الذنب وهو يفعله كالمستهزىء بربه والأصح هو الأول لرواية محمد بن مسلم في الصحيح عن أبي جعفر عليه السلام قال يا محمد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستأنف لما بعد المغفرة والتوبة، أما والله أنها ليست إلا لأهل الإيمان، قلت فإن عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب وعاد في التوبة، فقال يا محمد بن مسلم أترىٰ العبد المؤمن يندم علىٰ ذنبه ويستغفر منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته قلت فإنه فعل ذلك مراراً يذهب ثم يتوب ويستغفر، فقال كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وإن الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات فاياك أن تقنط المؤمنين من رحمة الله، وقال عليه السلام إن الله يحب المؤمن المفتن التواب ومن لا يكون ذلك منه كان أفضل، وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمن قتلت ولدها

وأتته مستغفرة وحق من روحي بيده لو قتلت كل يوم سبعين نبياً وتبت إلىٰ الله لتاب عليك، وأما ما استدل به علىٰ الأول فهو كما ترىٰ.

الأمر الرابع: في قبولها للتجزي وعدمه، ذهب بعض إلىٰ الثاني ويؤيده أن الندم إنما يعد توبة إذا كان لقبحه ـ والقبح علة مشتركة بين جميع الذنوب ـ فمن تاب عن ذنب وارتكب غيره كان كاشفاً عن كون تلك التوبة عنه لا لقبحه بل لعلة أخرىٰ لا يثاب عليها، وكذا الآيات الواردة في محبة الله تعالىٰ لهم وأن من أحبه الله لا يعذبه، والظاهر من كثير من الأخبار هو الأول لأن الداعي والعارف قد يدعو إلىٰ ترك ذنب ولا يدعو إلىٰ ترك غيره، وإن أردت تحقيق المقام فاستمع لما يتلىٰ عليك، فنقول من قال إن التوبة لا يصح تجزيها إن عنىٰ به أن ترك بعض الذنوب لا يفيد أصلاً بل وجوده كعدمه فهذا خطأ لأن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب كما أن قلتها سبب لقلته، ونقول لمن قال لا يصح إن أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى النجاة والفوز كان هذا أيضاً خطأً فإن الفوز كما عرفت إنما هو بترك الجميع، ويقال في دليل من قال لا يصح وهو أن التوبة عبارة عن الندم والمعاصي كلها أوجاع وآلام فلا معنىٰ لتوجعه من الم دون الم فإن العلة شاملة لهما ولو جاز هذا لجاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدنين[1] دون الآخر فإن استحال ذلك من حيث أن المعصية في الخمرين واحد وإنما الدنان ظروف فكذلك أعيان المعاصي آلات للمعصية، والمعصية من حيث مخالفة الأمر واحد، فيقال علىٰ هذا أن التوبة من بعض الذنوب إما أن تكون عن الكباير دون الصغاير أو عن الصغاير دون الكباير أو عن كبيرة دون كبيرة.

أما الأول فممكن من جهة علمه بأشدية عذابها كمن جنىٰ علىٰ ابن السلطان وعلىٰ دابته فإنه يعلم أن الأول أشد جرماً فيخاف منه أكثر وقد كثر التائبون في الأعصار وليس أحد معصوماً من الذنوب إلا أهل العصمة عليهم السلام.

وأما الثاني فهو ممكن أيضاً لأن لذة نفسه في الكبيرة أشد من خوفه منها وأما الصغاير فليس له لذة نفس فيها فيكون خوفه منها أكثر من لذته بها.

وأما الثالث فجائز أيضاً لاعتقاده أن بعض الكباير أشد من بعض وأغلظ عند الله تعالىٰ.

---

(١) الدن: الوعاء الذي يشرب فيه الخمر.

«**لاَ يَصِفهُ**» بالكُنه.

«**لا يُجاوِزُهُ رَجَاءُ الرّاجِينْ**»

يحتمل معان الأول: إن الخلايق إذا آيسوا في آمالهم ومطالبهم من الناس رفعوها إليه فلا يتعدونه ولا يتجاوزونه، الثاني: إن الناس مختلفة الرجاء والآمال فبعضهم يرجو الجنة ويطلبها وبعضهم يطلب الخلاص من النار، وأما المقربون فلا يرجون ولا يطلبون إلا رضاه كما أشار إليه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحديث المشهور. الثالث: إن الرجاء بالآخرة مُنتهٍ إليه فكل من يُرجىٰ إذا أعطىٰ فالمعطي الحقيقي هو الله سبحانه، وساير الناس آلات وأدوات لإيصال نعمه تعالىٰ إلىٰ الخلايق.

الرابع: إنه تعالىٰ لا يخيب الراجين بل يقضي جوائجهم ومآربهم حتىٰ لا يطلبوها من غيره.

«**مُنْتَهَىٰ خَوْفِ العَابدِينْ**»

أي أنهم يخافونه أشد من كل شيء، أو أنهم إذا خافوا من شيء فهو خوف منه تعالىٰ فإن الخوف من النار وما أعد الله فيها من العذاب الأليم إنما هو منه تعالىٰ، أو أنهم إذا خافوا من غيره وأتوا إلىٰ بابه ارتفع عنهم الخوف.

«**تَدَاوَلَتْهُ أَيدِي الذُّنُوبْ**» تناقلته وتناوبته ولا يخفىٰ ما فيه من حسن الإستعارة المكنية والتخيلية والترشحية.

«**إسْتَحْوَذَ**» غلب واستولىٰ.

«**تَفْرِيطاً**» حال أو تمييز أو مفعول مطلق من غير لفظ الفعل.

«**وَتَعَاطَىٰ مَا نَهَيْتَ عَنْهُ تَغْرِيراً**» تناول منهياتك من جهة المخاطرة والغفلة عن عاقبة الأمر وفي بعض النسخ الصحيحة وتعامى عما نهيت عنه.

«**بَصَرُ الهُدَىٰ**» الإضافة إما لاميه أو بيانية».

«**فَرَأى كَبيرَ عِصْيَانِهِ كَبيراً**»

يعني أنه رأىٰ العصيان الكبير في الواقع الذي كان مستوراً بالسحائب كبيراً في

نظره عند رفع تلك الحجب والموانع، ويجوز أن تكون الإضافة بيانية، وفي ش بالثاء المثلثة والمعنىٰ متقارب.

«**وقَصَدَكِ بِخَوْفِهِ**» أي معه أو بسببه أو أنزل خوفه بك.

«**قَدْ خَلا طَمَعُهُ مِنْ كُلِّ مَطْمُوعٍ فيهِ غَيْرِكْ**» أي أنه لايطمع إلا فيما لديك من المواهب أو أنه ليس له طمع إلا فيك وفي قربك.

«**وأَفْرَخَ رَوْعَهُ**» ذهب فزعه.

«**فَمَثَلَ**» بالتخفيف، أي قام وبالتشديد أي مثّل نفسه وصيرها شخصاً ممثلاً.

«**وأَبَثَّكَ**» كشفه لك.

«**مِنْ ذُنُوبِهْ**» ما ألطف من التبعيضية في هذا المقام فإن مفادها أنَّ عد جميع الذنوب متعذر لكثرتها.

«**مِنْ عَظِيمِ مَا وَقَعَ بِهِ فِي عِلْمِكْ**»

الظرف أعني في علمك متعلق بالوقوع والباء للسببية أي الذنوب التي أوقعته في علمك وصار محيطاً به ومن جملة المذنبين فيه، ويجوز أن يكون ظرفاً لعظيم، أي العظيم من الذنوب في علمك الأزلي أو جزاء تلك الذنوب الذي قررته في علمك وحينئذ فالعلم هنا بمعنىٰ المعلوم.

«**فِي حُكْمِكْ**»

متعلق بفضحه والحكم إما بمعنىٰ المحكوم فإن الدنيا والآخرة اللتين هما ظرف للفضيحة محكومتان له تعالىٰ وهو الحاكم فيهما وعليهما، وإما بمعناه المصدري وفي خ للسببية أي الفضيحة بسبب حكمك عليه بالإساءة والذنب ويجوز تعلق الظرف بقبيح ويزيد علىٰ تينك المعنيين كون الحكم هنا بمعنىٰ الأمر والنهي وفي خَ وهو أبلغ من الأصل فإن الحليم لا يفضح من أساء إليه إلا إذا عظمت الإساءة وقبح الحلم عنها فإن الحلم في بعض المواضع سفه.

«**تَبِعَاتُها**» عقوباتها التابعة لها.

«لِأَنَّكَ الرَّبُّ الكَرِيمْ»

السيد المالك والمربي لجميع الخلائق والمنعم عليهم في الأرزاق البدنية والنفسية ولا يدخل الألف واللام علىٰ غيره سبحانه لأنها للإستغراق، والكريم الجواد المفضال أو العزيز كقوله تعالىٰ ﴿**إنه لقرآن كريم**﴾ أي عزيز.

«مُتَنَجِّزاً» طالباً لسرعة قضائه.

«إذْ تَقولُ ادْعُوني»

يحسن الوقف هنا علىٰ تقول ولذا يكتب عليها (طَ) علامة الوقف المطلق فصلاً بين كلام الخالق والمخلوق وإن أبيت إلا الوصل فاقطع الهمزة وإن كانت للوصل لأن به يحصل الفصل.

«بِإقْرارِي»

أي بالذنوب، والكاف إما للتعليل أو للتشبيه، وقيل المراد الإقرار بالوحدانية، وهو كما ترىٰ.

«مِنْ صَغائِرِ ذُنُوبِي وَكَبائِرِها»

للعلماء في الكبائر عشرة أقوال: أولها أنها ما تُوُعِّد عليه العذاب في الكتاب، وثانيها أنه كل ذنب يُؤذِن بقلة مبالاة فاعلها بالشريعة، وثالثها أنه كل ذنب رتب عليه الشارع حداً أو صرّح عليه بالوعيد، ورابعها أنه كل ذنب علم حرمته بدليل قاطع من محكم الكتاب أو متواتر السنة، وخامسها أنه كل ما تُوُعِّد عليه توعداً شديداً في الكتاب أو السنة، وسادسها أنه سبع كبائر الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، والزنىٰ، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين. وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وسابعها أنها عشرون هذه السبعة مع ثلاثة عشر أخرىٰ اللواط والسحر والربا والغيبة واليمين الغموس وشهادة الزور وشرب الخمر وترك احترام الكعبة والسرقة ونكث الصفقة والتعرب بعد الهجرة واليأس من روح الله والأمن من مكر الله، وثامنها أنها أربعة وثلاثون ما سبق مع أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله بلا ضرورة والسحت والقمار والبخس في الكيل والوزن ومعاونة الظالمين وحبس الحقوق بلا عسر والإسراف والتبذير والخيانة والإشتغال بالملاهي والإصرار علىٰ

الذنوب، وقد رويت في عيون الأخبار، وتاسعها وهو مذهب ابن مسعود أنه كل ما نهىٰ الله تعالىٰ عنه في سورة النساء، وعاشرها أن الذنوب كلها كبائر وكون بعضها صغيره إنما بالإضافة إلىٰ ما هو أكبر منها، قال شيخنا الطبرسي (قدس سره) وهو الذي ذهب إليه أصحابنا الإمامية وهو مؤذِنٌ بالاتفاق إلا أن الشهيد الثاني طاب ثراه صرح باختلاف أصحابنا فيه وهو الحق لوقوعها علىٰ طريق التقابل في الآيات والأخبار والأدعية.

«وبَوَاطِنِ سَيِّئَاتِي وَظَوَاهِرِهَا»

أي خواطر القلب، وما ظهر علىٰ صفحات الجوارح، أو ما صدر مني خفية وما صدر مني علانية، وبهما فسر قوله تعالىٰ: **﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾**.

«في مُحْكَمِ كِتَابِكْ»

آياته الطاهرة المعنىٰ، أو الغير المنسوخة، أو الكتاب المحكم المتقن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

«وَأَوْجِبِ لِي مَحَبَّتَكَ كَمَا شَرَطْتَ»

أثبت وحقق محبتك لي لأنك شرطت محبة التوابين وأنا قد تبت إليك.

«مَكْرُوهِكْ»

أي ما نهيت عنه نهي كراهة لأن جنابه عليه السلام أجل من التلويث بالمحرمات وأما نحن فلا نقدر علىٰ أن يُقصد منه هذا المعنىٰ فأنه قد ذهب جل أصحابنا علىٰ أن ترك المستحب مكروه لصدق تعريف أرباب الأصول عليه وقد عارضناهم واستدللنا علىٰ بطلان هذا المذهب في كتابنا الموسوم بغاية المرام في شرح تهذيب الأحكام وذهبنا إلىٰ أن المكروه ما نهىٰ عنه الشارع نهي كراهة لا ما أثبِتَ علىٰ تركه، ولم تُعاقب علىٰ فعله، ومع هذا فلا ينبغي أن نقصد من المكروه إلا الحرام مع أنه في غاية الإشكال والصعوبة.

«وعِلْمِكَ الَّذِي لاَ يُنْسَىٰ»

كالبيان لما قبله وفي ش بضم الياء وكأنه من النَّسَاءْ بمعنىٰ التأخير، فيجوز أن يبقىٰ علىٰ ظاهره فيكون إما من باب المجاز العقلي أي لا يفسر ما يتعلق به وإما أن

يكون العلم لمعنىٰ المعلوم، واعلم أن أكثر فقرات هذا الدعاء دالة علىٰ أن من تاب عن ذنب الأولىٰ به أن يجعله نصب عينه ولا ينساه، وقد وقع الخلاف بين المحققين من أهل العرفان في أن الأفضل هل هو نسيان الذنب أو جعله نصب العين، وتحقيق المقام أن حضور الذنب وذكره والتحزن عليه كمال في حق المبتدي لأنه إذا نسيه لم يكثر احتراقه فلا يقوىٰ انبعاثه علىٰ سلوك الطريق ولأنه يستخرج منه الحزن والخوف الرادع علىٰ الرجوع إلىٰ مثله فهو بالإضافة إلىٰ الغافل كمال، وأما بالإضافة إلىٰ سالك الطريق فيمكن أن يقال إنه نقصان لِمانِعِيَّتِه عن سلوك الطريق لأنه إذا ظهرت أنواع المعرفة استغرقه ذلك ولم يبقَ فيه متسع الالتفات إلىٰ ما سبق من أحواله، هكذا حقق المقام بعض المحققين، والحق أن الظاهر من أطوار الأنبياء والأئمة عليهم السلام هو الأول لبكائهم علىٰ ما نفي عليهم من الزلات وعدم نسيانهم حتىٰ الممات.

«**أُقَارِفْ**» أكتسب.

«**بِعِصْمَةٍ مَانِعَةٍ**»

روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله عز وجل أوحىٰ إلىٰ دانيال عليه السلام إن رأيت عبدي هـذا دانيـال فقل له إنك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك فإن عصيتني الرابعة لم أغفر لك، فأتاه داود عليه السلام فقال يا دانيال إني رسول الله إليك وهو يقول لك إنك عصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك وعصيتني فغفرت لك فإن عصيتني الرابعة لم أغفر لك، فقال له دانيال قد بلغت يا نبي الله، فلما كان السحر قام دانيال فناجىٰ ربه فقال يا رب إن داود نبيك أخبرني عنك أنني عصيتك فغفرت لي وعصيتك فغفرت لي وعصيتك فغفرت لي وأخبرني عنك أنني إن عصيتك الرابعة لن تغفر لي فوعزتك وجلالك إن لم تعصمني لأعصينك ثم لأعصينك ثم لأعصينك ثم لأعصينك.

«**والسَّلامَةِ**» في ش بالنصب عطف علىٰ محل ما قبله.

«**فِيمَا بَقِيَ**» من العمر وقيل في القيامة.

«**فَمَا كُلُّ ما نَطَقْتُ**»

لما كان المناسب لعظيم الجرم هو السكوت تداركه عليه السلام بأن هذا النطق إنما

هو لتحصيل الشفعاء إلا أنه من باب الجهالة والتعاطي عما وقع من الذنب.

«ولَجَأْتُ إِلَيْكَ فِيهِ مِنَ التَّوبَةِ»

من للبيان كسابقه أي لجأت إليك بسببه وذلك الشيء هو التوبة، وقيل المعنىٰ لجأت إليك في أن تحفظ توبتي من النقض والهدم، ويجوز أن يكون المعنىٰ ولجأت إليك من التوبة من ذلك الذنب أي لطلب التوبة عنه.

«كَنَفُ رَحْمَتِكْ» ظلها أو ناحيتها.

«بِفِنَائِكْ» أي بساحة باب عزك الواسعة.

«وَعُدْ» أي تكرم وتعطف.

«لا خَفِيرَ» أي لا مجير.

«بِسُوءِ أَثَرِي» قبح ما صدر مني.

«فَوزَتِي» مصدر للمرة بمعنىٰ الفوز.

دعاؤه عليه السلام بعد الفراغ من صلاة الليل

صلاة الليل في الأخبار تطلق علىٰ ثلاثة معان، أحدها الركعات الثمان، وثانيها الإحدىٰ عشر بإضافة ركعتي الشفع والوتر، وثالثها الثلاثة عشر بإضافة نافلة الفجر، وجميع هذه الإحتمالات جارية هنا وإن جزم شيخنا البهائي بالأخير.

«المُتَأَبِّدِ بِالخُلُودْ»

بالنصب والجر علىٰ الوصفية للمضاف أو المضاف إليه.

«والسُّلْطانْ» صاحب التسلط أو الحجة علىٰ الخلائق.

«المُمتَنِع»

عن المغلوبية وقيل الممتنع من مغلوبية أوليائه بلا جنود بل هو الذاب المحامي عنهم كقوله عليه السلام وهزم الأحزاب وحده.

«وخَوَالِي الأَعْوَامْ» مواضيها من باب إضافة الصفة إلى الموصوف.

«**واسْتَعْلَى**» أي علا.

«**سَقَطَتِ الأَشْياءُ دُونَ بُلُوغِ أَمَدِهْ**»

المراد بالأشياء هنا العقول وآلات الإدراك والأمد جاء بمعنىٰ المسافة وبمعنىٰ نهايتها والأول أبلغ وإن كان الثاني هو الأظهر، وحاصله أن العقول والأوهام قد كلت وحسرت قبل البلوغ أو عند البلوغ إلىٰ مسافة عظمتك كقوله:

سافرت فيك العقول فما ربحت إلا أذىٰ السفر

«**اسْتَأْثَرْتَ بِهْ**» اخترته لنفسك.

«**ضَلَّتْ فِيكَ الصِّفاتْ**»

أي ضاعت وعدمت فيكون إشارة إلىٰ سلب الصفات الزائدة عن الذات كما قال عليه السلام وكمال توحيده نفي الصفات عنه، أو يكون معناه أن الواصفين وإن وصفوك بكل ما قدروا عليه فهم لا يبلغون فيك غاية إلا كان فوقها غاية، أو أن الصفات تحيرت فيك حتىٰ أنه لا يقدر أحد أن يصفك بصفة تناسب كمال جبروتك.

«**وتَفَسَّخَتْ دُونَكَ النُّعُوتْ**»

أي تقطعت وبطلت عند تصور عظمتك أو قبله النعوت والأوصاف، أو يكون بمعنىٰ أدون يعني أنه لا يطاق نعت من هو أدنىٰ منك فكيف يطاق نعتك كقول أبي عبد الله عليه السلام لعاصم بن حميد وقد سأله عن الرؤية إن الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر فإن كانوا صادقين فليملوا أعينهم من نور الشمس ليس دونها سحاب، وفي بعض النسخ اللغات موضع النعوت وهو محتمل ما فهمه الكليني (قدس سره) في قول أمير المؤمنين عليه السلام كل [ما][1] دون صفاته تحبير اللغات، حيث قال نفى عليه السلام بهذه الفقرة أقاويل المشبهة حيث شبهوه بالسبيكة والبلورة وغير ذلك من أقاويلهم من الطول والاستواء.

«**لَطائِفُ الأَوْهَامْ**» الأوهام اللطيفة الدقيقة والمراد بالأوهام ما يشمل العقول فإن الفرق

---

(١) غير موجودة في الأصل، ولكن يقتضيها سياق الكلام.

اصطلاح طارىء ويمكن إرادة المصطلح بخصوصه، وتكون الفائدة في التخصيص الإشارة إلىٰ العقول لشرافتها ومعرفتها بعدم الوصول لا تحوم حول السير إليه، وإنما يفعله الوهم الذي من شأنه اختراع ما لا حقيقة له ولا جود كإنسان ذي رأسين وجناحين ونحو ذلك.

«**أَنتَ الله**» مبتدأ وخبر وقيل الله منادى.

«**أَسْبابُ الوُصُلاَتْ**»

جمع وصلة وهو ما يتوصل به إلىٰ المطلوب وحاصله أنه قد فاتني الأسباب التي يتوصل بها إلىٰ السعادات إلا السبب الذي هو رحمتك فإنه لا يفوت لأنه منك لا منا.

«**عِصَمُ الآمَالْ**» جمع عصمة وهي الوقاية والحفظ.

«**أَبُوءُ**» أرجع وأقر.

«**دُونَ خُبْرِكْ**» أي عند علمك.

«**ولا تَنْطَوِي**» لا يخفىٰ.

«**غَيِّبَاتُ**» جمع غائبة.

«**واسْتَمْهَلَكَ إلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ**»

تلميح إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**إنك من المنظرين إلىٰ يوم الوقت المعلوم**﴾، جمهور المفسرين علىٰ أنه يوم القيمة، وروىٰ العياشي بإسناده إلىٰ أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول إبليس: ﴿**رب فانظرني إلىٰ يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلىٰ يوم الوقت المعلوم**﴾ قال له وهب: جعلت فداك أي يوم هو؟ قال: يا وهب أتحسب أنه يوم يبعث الله فيه الناس إن الله أنظره إلىٰ يوم يبعث فيه قائمنا، كان في مسجد الكوفة وجاء إبليس حتىٰ يجثو بين يديه علىٰ ركبته فيقول يا ويله من هذا اليوم فيأخذ ناصيته فيضرب عنقه فذلك يوم الوقت المعلوم، وقال عليه السلام إذا كان يوم الوقت المعلوم ظهر إبليس في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلىٰ يوم الوقت المعلوم وهو آخر كرة يكرها أمير المؤمنين عليه السلام قلت ولهذا كرات قال نعم إنها لكرات وكرات ما من إمام في قرن إلا ويكر معه البر والفاجر في دهره حتىٰ يديل الله المؤمن علىٰ الكافر فإذا كان يوم الوقت المعلوم كر أمير المؤمنين عليه السلام في أصحابه وجاء إبليس في أصحابه ويكون

ميقاتهم في أرض من أرض الفرات يقال له الروحا قريب من كوفتكم فيقتتلون قتالاً لم يقتتل مثله منذ خلق الله عز وجل العالمين وكأني أنظر إلىٰ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قد رجعوا إلىٰ خلفهم القهقرى منه وكأني أنظر إليهم وقد وقعت أرجلهم في الفرات فعند ذلك يهبط الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة وقُضي الأمر ورسول الله صلى الله عليه وآله أمامه بيده حربة من نور فإذا نظر إليه إبليس رجع القهقرى أركاضاً علىٰ عقبيه فيقول له أصحابه أين تريد وقد ظفرت فيقول إني أرىٰ ما لا ترون إني أخاف الله رب العالمين فيلحقه النبي صلى الله عليه وآله فيطعنه طعنة بين كتفيه فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه فعند ذلك يعبد الله ولا يشرك به شيء ويملك أمير المؤمنين عليه السلام أربعاً وأربعين ألف سنة حتىٰ يلد الرجل من شيعة علي عليه السلام ألف ولد من صلبه ذكراً، في كل سنة ذكراً، وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامّتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله، وأما سبب إمهاله فهو قول الصادق عليه السلام إنه عبد الله سبحانه في السماء ستة آلاف سنة وكان إنظار الله إياه إلىٰ يوم الوقت المعلوم بما سبق من العبادة.

«فأَوْقَعَنِي»

حذف المفعول للتعميم ولتذهب نفس السامع كل مذهب ممكن أو للعلم به.

«حتَّىٰ إِذَا قَارَفْتُ مَعْصِيَتَكْ»

ليس هو غاية لقوله قد هربت بل هو متعلق بما قبله وهو قوله فأوقعني فيكون بياناً وتفصيلاً لكيفية إيقاعه وما ترتب عليه وقوله وقد هربت إليك جملة حالية اعترضت بين الغاية والمُغَيا، فإن قلت ما فائدة الإعتراض بها قلت فيه فوائد، منها الإشارة إلىٰ أن صرعته لي ليس في حال انهماكي في المعاصي والغفلة عن جنابك حتىٰ أكون مطبوعاً علىٰ قلبي لا أستأهل منك أن ترفعني عن صرعته بل أوقعني في حال توجهي إلىٰ بابك، وثانيها أن يكون من باب استنهاض الجليل عز شأنه علىٰ تخليصه من الصرعة العظيمة فيكون معناه أنه قطع بي الطريق إلىٰ حماك وسلبني بضاعة الأعمال والغيور من الناس لا يرضىٰ لوافده الوارد عليه أن يقطع عليه الطريق قبل الوصول إليه، ومنها الإشارة إلىٰ شدة بطشه وأن هذا شأنه مع القاصدين إليك فكيف حاله مع غيرهم فيكون حاصله أن مقاومته والمعارضة معه لا تطاق إلا باستظهارك ومنحك الألطاف.

«فَتَلَ عَنِّي عِذَارَ غَدْرِهْ»

فتل بمعنىٰ صرف والعذار ما يقطع علىٰ خد الفرس من اللجام والرسن، والكلام استعارة مكنية مرشحة بترشحين، ويجوز أن يكون أحدهما استعارة تخييلية والمعنىٰ أن الشيطان بعد أن أوقعني في الذنوب صرف عني عنان فرسه وتولىٰ لإضلال غيري، وقيل فيه وجوه كلها ظاهرة البطلان.

«وتَلَقَّانِي بِكَلِمَةِ كُفْرِهِ وتَوَلَّىٰ البَرَاءَةَ مِنِّي»

إشارة إلىٰ ما حكاه سبحانه عنه بقوله تعالىٰ: كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك.

«فَأَصْحَرَنِي» أخرجني إلىٰ الصحراء وحقيقة معناه جعلني تائهاً في بيداء الضلال.

«ولا خَفِيرَ يُؤمِنُنِي عَلَيْكْ»

أي لا محام وممانع يعطي الأمان من العذاب علىٰ جنابك أو حال كونه مستعلياً عليك.

«ولاَ أَسْتَشْهِدُ علىٰ صِيَامي نَهَاراً»

نصب نهاراً إما علىٰ المفعولية لأستشهد أو للصيام ومفعول الفعل محذوف، أي لا أستشهد الملائكة أو الرسل علىٰ أني صمت نهاراً، وقد عرفت شهادة الأيام فيما تقدم، وحاصل معناه أنه لا صوم لي فاستشهد به ولا منجد لي فاستجير به وهذا مقام رعاية التأديب.

«ولا تُثْنِي عَلَيَّ بِإحْيَائِها سُنَّةٌ»

من الثناء وهو المدح أو من الثني وهو الميل كما قيل.

«حَاشَا فُرُوضِكَ»

استثناء منقطع وجر فروض ونصبه علىٰ حرفية حاشا وفعليتها.

«مِنْ وَظَائِفِ فُرُوضِكْ»

آدابها وشرائط قبولها، وإن جعلت الإضافة للبيان فاحمل قوله عليه السلام حاشا فروضك علىٰ عدم الترك رأساً وكلاً.

«مَقَاماتِ حُدُودِكْ» الإضافة إما لامية أو بيانية.

«إنْتَهَكْتُها» بالغت في كسبها.

«إجْتَرَحْتُها» إكتسبتها.

«كَانَتْ عَافِيَتُكَ لِي مِنْ فَضَائِحِها سِتْرا»

قيل الأنسب في بادي النظر كان سترك لي من فضائحها عافية، أقول بل الصواب هو ما عبر به عليه السلام وذلك أن مادة صروف العافية دالَّة علىٰ المحو والاندراس يقال عفت الريح الرسوم محتها، ويقال له عز شأنه العَفُوّ لمحوه الذنوب، والعافية لمحوها الأوجاع، وهي مصدر أو إسمه، كالكاذبة بمعنىٰ الكذوب. ومن ثم قال المحققون من شراح الأسماء الحسنىٰ أن اللطف في العَفُوّ أشد منه في الغفور، لأنه من الغفر بمعنىٰ الستر، فالغافر هو الساتر للذنوب والستر لا يستلزم العفو والمحو لأنه قد يستر ولا يمحي الذنوب بل يكشف عنها وقتاً آخر كما سيأتي في قوله عليه السلام ولا تكشف عن ستر أسترته علىٰ رؤوس الأشهاد، فالستر أعم من العفو وفي قانون الحمل لا يجوز أن يكون المحمول أخص من الموضوع. فكأنه قال كان محو ذلك الذنب ستراً لي وهو أقوىٰ الستور.

«وعُدْ عَلَيَّ بِعائِدَةِ رَحْمَتِكْ»

تكرم علي بمكرمتها ومنفعتها.

«بِحَضْرَةِ الأَكْفاءْ» بحضور الأمثال والأشباه.

«أُكاتِمُهُ» أكتمه.

«وأَحْتَشِمُ مِنْهُ في سَرِيرَاتِي»

أي استحي من اطلاعه علىٰ خفيات حالي.

«مَهِيناً» محقراً.

«حَرِجِ المَسالِكْ» ضيقها.

«نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَة»

نصب النطفة وما عطف عليها إما علىٰ حكاية ما وقع في القرآن أو علىٰ تقدير

فعل كخلقتني، والنطفة من النطف بمعنىٰ الصب لأنها تصب في الرحم والعلقة قطعة جامدة من الدم وهي أول ما تستحيل إليه النطفة.

«ثُمَّ مُضْغَةً»

أي قطعة من اللحم وهي في الأصل بقدر ما يمضغ.

«ثُمَّ عِظَاماً»

بتصلب بعض أجزاء المضغة والإتيان بصيغة الجمع لاختلاف العظام في الهيئة والصلابة.

«ثُمَّ كَسَوتَ العِظَامَ لَحْمَاً»

إما مما بقي من المضغة أو لحماً جديداً.

«ثُمَّ أَنْشَأْتَنِي خَلْقَاً آخَرْ»

وهو صورة البدن ونفخ الروح فيه، وهذا إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾**، وتفصيل ابتداء الخلق إلىٰ الكمال ما روي عنهم عليهم السلام من أن الله تعالىٰ إذا أراد أن يخلق النطفة التي أخذ عليها الميثاق في صلب آدم أوقعها في الرحم وبعث ملكاً فأخذ من التربة التي يدفن فيها فماثها في النطفة فلا يزال قلبه يحن إليها فيكون أربعين يوماً نطفة ثم تصير علقة أربعين يوماً ثم تصير مضغة أربعين يوماً فإذا كمل أربعة أشهر بعث الله ملكين خلاقين فيقتحمان في بطن المرأة من فم المرأة فيصلان إلىٰ الرحم وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال وأرحام النساء فينفخان فيها روح الحياة والبقاء ويشقان له السمع والبصر وسائر الجوارح ثم يوحي إلىٰ الملكين اكتبا عليه قضائي وقدري واشترطا لي البدا فيما تكتبان فيرفعان رؤوسهما فإذا اللوح يقرع جبهته وفيه صورته ورؤيته وأجله وميثاقه شقياً أو سعيداً وجميع شأنه فيملي أحدهما علىٰ صاحبه فيكتبان جميع ما في اللوح ويختمان الكتاب ويجعلانه بين عينيه ثم يقيمانه قائماً في بطن أمه وربما عتا فانقلب ولا يكون إلا في عات أو مارد فإذا بلغ أوان خروجه تاماً أو غير تام أوحىٰ الله إلىٰ ملك يقال له زاجر فيزجره زجرة يفزع

منها فينقلب فيخرج باكياً من الزجرة وينسىٰ الميثاق، وعن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ أن النطفة تتردد في بطن المرأة تسعة أيام في كل عرق ومفصل منها وللرحم ثلاثة أقفال قفل في أعلاها مما يلي أعلى السرة من الجانب الأيمن والقفل الآخر وسطها والقفل الآخر أسفل الرحم فيوضع بعد تسعة أيام في القفل الأعلىٰ فيمكث فيه ثلاثة أشهر فعند ذلك يصيب المرأة خبث النفاس والتهوع ثم ينزل إلىٰ القفل الأوسط فيمكث فيه ثلاثة أشهر وسرة الصبي فيها مجمع العروق عروق المرأة كلها منها طعامه وشرابه من تلك العروق ثم ينزل إلىٰ القفل الأسفل فيمكث فيه ثلاثة أشهر فذلك تسعة أشهر ثم تطلق المرأة فكلما طلقت انقطع عرق من سرة الصبي فأصابها ذلك الوجع ويده علىٰ سرته حتىٰ يقع علىٰ الأرض ويده مبسوطة، أقول في هذا الحديث دلالة علىٰ أنه يخرج مبسوط اليد وفي غيره من الأخبار أنها تخرج مقبوضة ومن ثم قال مولانا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ :

وفي قبض كف الطفل عند ولاده ... دليل على الحرص المركب في الحي

وفي بسطها عند الممات مواعظ ... ألا فانظروني قد خرجت بلا شي

ودفع التناقض بما هو المشاهد من القبض بعد البسط فيكون ذلك البسط خوفاً من زجرة الملك لأن الأعضاء تسترخي حال الخوف.

«مِنْ فَضْلِ طَعَامٍ»

الفضل بمعنىٰ الفضلة والمراد به هنا دم الحيض فإن بعضه يصير غذاء للحمل ما دام في الرحم وبعضه يصعد إلىٰ الثديين ويستحيل لبناً ليصير غذاء له إذا خرج.

«تَضْطَرُّنِي» تلجأني.

«البرّ اللَّطِيفْ» الإنسان صاحب الشفقة أو الغذاء الحسن النفيس.

«مَلَكَتِهِ» تملكه إياي واسترقاقه لي.

«تُقَنِّعني بِتَقْدِيرِكَ لِي»

أي تصيرني قانعاً بما قدرت لي وخلقته لأجلي.

«مَا ذَهَبَ مِنْ جِسْمِي وعُمْرِي فِي سَبِيلِ طَاعَتِكْ»

بأن تبدل الذنوب التي اكتسبتها في ذلك العمر بذلك الجسم بالحسنات كقوله

تعالىٰ: ﴿**أولئك الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات**﴾، ويجوز أن يكون الماضي بمعنىٰ المستقبل وتكون نكتة العدول التحقق والوقوع.

«تَغَلَّظْتَ» تشددت.

«صَدَفَ» أعرض.

«نُورُهَا ظُلْمَة»

روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال له رجل خوفني يابن رسول الله فإن قلبي قد قسا، فقال استعد للحياة الطويلة فإن جبرئيل عليه السلام جاء إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قاطب وقد كان يجيء وهو مبتسم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا جبرائيل جئتني اليوم قاطباً فقال يا محمد قد وضعت منافخ النار فقال وما منافخ النار يا جبرئيل فقال يا محمد إن الله عز وجل أمر بالنار فنفخ عليها ألف عام حتىٰ ابيضت ثم نفخ عليها ألف عام حتىٰ احمرت ثم نفخ عليها ألف عام حتىٰ اسودت فهي سوداء مظلمة لو أن قطرة من الضريع قطر في شراب أهل الدنيا لمات أهلها من نتنها.

«يأْكُلُ بَعْضَهَا بَعضٌ»

لما روي من أن واد في جهنم يسمى بالفلق يوقد عليه ألف سنة لم يتنفس فإذا تنفس أحرق جميع النيران.

«ويَصُولُ بَعضُها عَلىٰ بَعْضْ»

أي يحمل وفي خَ ويصول بعضها بعضاً وكأنه بتضمين معنىٰ يغلب ونحوه.

«تَذَرُ العِظَامَ رَمِيماً» تترك العظام بالية.

«حَمِيماً» ماء شديد الحرارة.

«النَّكَالْ» العقوبة، وقال الهروي النكال القيد الثقيل.

«الوَبَالْ» سوء العاقبة.

«الفاغِرَةِ أَفْواهِها»

الفاتحتها وجر الأفواه علىٰ إضافة الصفة إلىٰ مفعولها وبالرفع علىٰ الفاعلية،

روي أن فيها العقارب كالبغال المعلقة يلسعن أحدهم فيجد حموتها أربعين خريفاً.

«وحَيَّاتِها الصَّالِقَةِ بِأَنْيابِها»

صلق كضرب وزناً ومعنًى، روي أن لجهنم سبعة أبواب علىٰ كل باب سبعون ألف جبل في كل جبل سبعون شِعْباً في كل شِعْب سبعون واد في كل واد سبعون ألف شق في كل شق سبعون ألف بيت في كل بيت سبعون ألف حية طول كل حية مسيرة ثلاثة أيام أنيابها كالنخل الطوال تأتي ابن آدم فتأخذ بأشفار عينيه وشفتيه فيكشط كل لحم علىٰ عظمه وهو ينظر فهرب منها فيقع في نهر من أنهار جهنم يذهب بسبعين خريفاً.

«أمْعَاءْ»

جمع معا بالكسر والقصر وهو ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة، قيل ولعل المراد هنا ما يشمل المعدة، إذا تحققت هذا كله فاعلم أن الأوصاف السابقة كلها يجوز أن تكون من باب تعدد الأوصاف لموصوف واحد ويجوز أن تكون إشارة إلىٰ تعدد الموصوف، قال أبو جعفر عليه السلام إن الله جعل للنار سبع درجات، أعلاها الجحيم يقوم أهلها علىٰ الصفا منها تغلي أدمغتهم كغلي القدور بما فيها، والثانية لظى نزاعة للشوىٰ تدعو من أدبر وتولىٰ وجمع فأوعىٰ، والثالثة سقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر، الرابعة الحطمة ومنها يثور شرر كالقصر كأنه جمالات صفر تدق من صار إليها مثل الكحل فلا تموت الروح كلما صار مثل الكحل عاد، والخامسة الهاوية تدعو أهلها يا مالك أغثنا فإذا أغاثهم جعل لهم آنية من صفر من نار فيها صديد ماء يسيل من جلودهم كأنه مهل فإذا أخذوه ليشربوا منه تساقط لحم وجوههم من شدة حرها وهو قول الله عز وجل ﴿**وإن يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً**﴾، ومن هوىٰ فيها سبعين عاماً في النار كلما احترق جلده بدل جلداً غيره، والسادسة هي السعير فيها ثلاثمائة سرادق من نار في كل سرادق ثلاثمائة قصر من نار في كل قصر ثلثمائة بيت من نار في كل بيت ثلاثمائة لون من العذاب من غير عذاب النار فيها حيات من نار وعقارب من نار وجوامع من نار وسلاسل من نار وأغلال من نار وهو الذي يقوله الله: ﴿**إنا اعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً وسعيرا**﴾، والسابعة جهنم وفيها الفلق وهو جب في جهنم إذا فتح أسعر النار سعراً وهو أشد النار عذاباً، وأما سعود فجبل من صفرين نار وسط جهنم، وروي عن علي عليه السلام أن

النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم وفوقها لظىٰ وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم وفوقها السعير وفوقها الهاوية، وحينئذ فقوله أعلاها الجحيم يمكن أن يراد به العلو في الرتبة.

«تَشْحَنُ» تملأ من باب معاملة المعقول معاملة المحسوس.

«حتَّىٰ يَرْضَىٰ» إشارة[إلى][1] ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ﴾ وفي الحديث بشأنها أرجىٰ آية في القرآن لأنه لا يرضىٰ وواحد من أمته في النار.

دعاؤه عليه السلام في الإستخارة

الاستخارة طلب الخير من الله تعالىٰ في سائر الأمور ولها أفراد كثيرة، منها ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال إذا أراد أحدكم أمراً فلا يشاور فيه أحداً من الناس حتىٰ يبدأ فيشاور الله تبارك وتعالىٰ، قال قلت وما مشاورة الله تبارك وتعالىٰ جعلت فداك؟ قال تبدأ فتستخير الله فيه أولاً ثم تشاور فيه فإنه إذا بدأ بالله تبارك وتعالىٰ أجرىٰ له الخيرة علىٰ لسان من يشاء من الخلق، ومنها ما رواه القسري قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الاستخارة فقال استخر الله في آخر ركعة من صلاة الليل وأنت ساجد مائة مرة ومرة قال كيف أقول؟ قال تقول أستخير الله برحمته وهو مفسر للإستخارة في الحديث السابق، ومنها ما رواه حماد الناب عنه عليه السلام أنه قال في الإستخارة أن يستخير الله تعالىٰ الرجل في آخر ركعة من ركعتي الفجر مائة مرة ومرة ويحمد الله ويصلي علىٰ النبي وآله ثم يستخير الله خمسين مرة ثم يحمد الله ويصلي علىٰ النبي وآله وتتم المائة والواحدة، ومنها ما روي عنه عليه السلام إذا أراد شراء العبد أو الدابة أو الحاجة الخفيفة أو الشيء اليسير استخار الله عز وجل فيه سبع مرات فإذا كان أمراً جسيماً إستخار الله عز وجل فيه مائة مرة.

ومنها ما رواه ميسرة عنه عليه السلام أنه قال ما استخار الله عبد سبعين مرة بهذه الإستخارة إلا رماه الله بالخيرة يقول يا أبصر الناظرين ويا أسمع السامعين ويا أسرع الحاسبين ويا أرحم الراحمين ويا أحكم الحاكمين صلِ علىٰ محمد وآل محمد وخر لي

---

(١) غير موجودة في الأصل، ولكن يقتضيها سياق الكلام.

في كذا وكذا، ومنها ما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام إذا همّ بأمر حج أو عمرة وبيع أو شراء أو عتق تطهر ثم صلىٰ ركعتي الإستخارة يقرأ فيهما سورة الحشر وسورة الرحمٰن ثم يقرأ المعوذتين وقل هو الله أحد ثم يقول اللهم إن كان كذا وكذا خيراً لي في ديني ودنياي وآخرتي وعاجل أمري وآجله فيسره لي علىٰ أحسن الوجوه وأجملها، اللهم وإن كان كذا وكذا شراً لي في ديني ودنياي وآخرتي وعاجل أمري وآجله فاصرفه عني علىٰ أحسن الوجوه رب اعزم لي علىٰ رشدي وإن كرهت ذلك أو أبته نفسي، ومنها ما روي أنه سأل الحسن بن جهم أبا الحسن عليه السلام لابن اسباط فقال له ما ترىٰ وابن اسباط حاضر ونحن جميعاً نركب البر أو البحر إلىٰ مصر وأخبره بخبر طريق البر فقال فأت المسجد في غير صلاة فريضة فصل ركعتين واستخر الله مائة مرة ثم انظر أي شيء يقع في قلبك فاعمل به.

ومنها ما روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال إذا أردت أمراً فخذ ست رقاع فاكتب في ثلاث منها بسم الله الرحمٰن الرحيم خيرة من الله العزيز الكريم لفلان بن فلانة افعله، وفي ثلاث منها بسم الله الرحمٰن الرحيم خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة لا تفعله، ثم ضعها تحت مصلاك ثم صل ركعتين فإذا فرغت فاسجد سجدة وقل فيها مائة مرة استخير الله برحمته خيرة في عافية ثم استو جالساً وقل اللهم خر لي في جميع أموري في يسر منك وعافية ثم اضرب بيدك إلىٰ الرقاع وشوشها واخرج واحدة فإن خرج ثلاث متواليات إفعل فافعل الأمر الذي تريده وإن خرج ثلاث مرات لا تفعل فلا تفعل وإن خرجت واحدة إفعل والأخرىٰ لا تفعل فاخرج من الرقاع إلىٰ خمس ودع السادسة لا تحتاج إليها، ومنها ما روي عنه عليه السلام أنه قال لبعض أصحابه وقد سأله عن الأمر يمضي فيه ولا يجد أحداً يشاوره فكيف يصنع قال: شاور ربك قال فقال له كيف قال إنوِ الحاجة في نفسك واكتب رقعتين في واحدة لا، وفي واحدة نعم واجعلها في بندقتين من الطين ثم صل ركعتين واجعلهما تحت ذيلك وقل يا الله إني أشاورك في أمري هذا وأنت خير مستشار ومشير فأشر علي بما فيه صلاح وحسن عاقبة ثم أدخِل يدك فإن كان فيها نعم فافعل وإن كان فيها لا، لا تفعل. هكذا شاور ربك.

ومنها الاستخارة بالسبحة وهي مروية عن صاحب الأمر عليه السلام وهي أن تقرأ الفاتحة عشراً وأقله ثلاث ودونه مرة ثم تقرأ القدر عشراً ثم تقول هذا الدعاء ثلاثاً اللهم إني أستخيرك لعلمك بعاقبة الأمور واستشيرك لحسن ظني بك في المأمول والمحذور

اللهم إن كان الأمر الفلاني مما نيطت بالبركة أعجازه وهواديه وحفت بالكرامة أيامه ولياليه فخر لي اللهم فيه خيرة ترد صَعُوبَه ذلولا وتقضي أيامه سروراً اللهم إما أمر فأئتمر وإما نهي فأنتهي اللهم إني أستخيرك برحمتك في عافية ثم يقبض علىٰ قطعة من السبحة ويضمر حاجته فإن كان عدد تلك القطعة فرداً فليفعل وإن كان زوجاً فليترك وفي بعض الأخبار يأخذ كفاً من الحصا أو سبحة.

ومنها الإستخارة بالقرآن روىٰ اليسع القمي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام أريد الشيء فأستخير الله فيه فلا يوفق فيه الرأي أفعله أو أدعه فقال انظر إذا قمت إلىٰ الصلاة فإن الشيطان أبعد ما يكون من الإنسان إذا قام إلىٰ الصلاة وأي شيء وقع في قلبك فخذ به أو افتح المصحف فانظر إلىٰ أول ما ترىٰ فيه فخذ به إن شاء الله تعالىٰ، ومنها الاستخارة بهذه الكيفية إلا أنها ليست مقيدة بوقت الصلاة وهي المعروفة في هذا الزمان وقد نقلها الشيخ الكفعمي وغيره بلا مستند، ومنها أن تفتح القرآن وتعد الجلالات التي في الصفحة اليمنىٰ وتعد مثلها من الأوراق وتعد مثل الأوراق سطوراً من الصفحة اليسرىٰ وتنظر ما في أول السطر الأخير وتعمل به وإن لم يوجد جلالة فبعضهم علىٰ الإعادة وبعضهم علىٰ ترك ذلك الفعل، وهذه الاستخارة قد نقلها مشايخنا عن الشيخ البهائي (قدس سره) ولم نر لها في الأخبار عيناً ولا أثراً.

ومنها ما ذكره العابد ابن طاووس في كتاب الاستخارات من أن التفأل بالمصحف أن تقرأ الحمد وآية الكرسي وقوله ﴿**وعنده مفاتح الغيب**﴾ الآية، ثم تقول اللهم إن كان في قضائك وقدرك أن تمن علىٰ أمة نبيك بظهور وليك وابن بنت نبيك فعجل ذلك وسهله ويسره وأكمله وأخرج لي آية استدل بها علىٰ أمر فأئتمر أو نهي فأنتهي أو ما أريد كما يقال فيه عافية فيه ثم افتح المصحف وعد سبع قوائم وعد ما في صفحة اليمين من الورقة السابعة وما في اليسرىٰ من الورقة الثامنة من لفظ الجلالة ثم عد قوائم بعدد الجلالات ثم عد من الصفحة اليمنىٰ من القائمة التي ينتهي إليها العدد بعدد لفظ الجلالة ويُتفأل بآخر سطر من ذلك يتبين الفأل إن شاء الله تعالىٰ، وقد بقي لها أفراد كثيرة ذكرها الزاهد ابن طاووس في كتاب الاستخارات والظاهر أن هذا الدعاء منه عليه السلام هو عين الإستخارة وأكمل أفرادها.

«**أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكْ**» أي اطلب منك أن تجعل الخير في أمري بسبب علمك به.

«والتَّسْلِيمْ»

بالجر عطف علىٰ الرضا وفي نسخة الكفعمي بالنصب علىٰ أن واوه للمعية وأما عطفه علىٰ الذريعة كما قيل فلا يخفى ما فيه.

«رَيبَ الإرْتِيابْ»

الإضافة إما بيانية أو لامية أي غايته وما يترتب عليه من الفساد وحاصله ارفع عنا تهمة الشك حتىٰ لا نشك في قضائك.

«ولاَ تَسِمْنا»

أي لا تجعله سمة لنا أي علامة يعني لا تجعل عجز المعرفة وضعفها علامة لنا وبضم السين في بعض النسخ بمعنىٰ لا تورده علينا من قوله تعالىٰ: ﴿يسومونكم سوء العذاب﴾.

«عَجْزَ المَعْرِفَة» الإضافة بمعنىٰ في أو لامية.

«فَنغْمِطَ قَدْرَكْ»

نغمط من باب ضرب وسمع وقدر بالفتح والسكون والمعنىٰ علىٰ الأول لا نشكره ولا نرضاه وعلىٰ الثاني نستحقره ولا نوفيه حق إجلاله وتعظيمه.

دعاؤه عليه السلام إذا ابتلىٰ أو رأىٰ مبتلىً بفضيحة بذنب

«ومُعافَاتِكَ بَعدَ خُبْرِكْ»

المعافاة أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك والخبر بالضم: العلم.

«العَائِبَة» الخصلة التي توجب لصاحبها العيب.

«وتَستَّر بِالمَسَاوِي»

أي تستر حال كونه متلبساً بالقبائح والسيئات،عافيتك عدم مؤاخذتك.

«وَرَدْماً» أي سداً.

«الدَّخِيلَة» وهي ما داخلك من فساد في عقل أو جسم.

دعاؤه عليه السلام في الرضا إذا نظر إلىٰ أصحاب الدنيا

مأخوذة من الدنو وهو القرب لقربها وبعد الآخرة عنها وهو المروي عن علي عليه السلام، والدنيا عبارة عما يبعد عن الله تعالىٰ كصلاة الرياء ونحوها، لا أنها عبارة عن الأموال والأولاد والأعوان والملك والسلطنة فإنها قد تكون عين الآخرة، ومنها تحصيلها وإن بعدت عن الله تعالىٰ فهي دنيا. وقال أمير المؤمنين عليه السلام وقد سمع رجلاً يذم الدنيا فقال أيها الذام للدنيا المنخدع بأباطيلها المغتر بغرورها بم تذمها أنت المتجرم عليها أم هي المتجرمة عليك متىٰ استهوتك أم متى غرتك أبمصارع آباءك من البلىٰ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرىٰ كم عللت بكفيك ومرضت بيديك تبغي لهم الشفاء وتستوصف لهم الأطباء لم ينفع أحدهم إشفاقك ولم تسعف فيه بطلبتك ولم تدفع عنه بقوتك قد مثلت لك به الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك. إن الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنىٰ لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها. مسجد أحباء الله ومصلىٰ ملائكة الله ومهبط وحي الله ومتجر أولياء الله اكتسبوا فيها الرحمة وربحوا فيها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلائها البلاء وشوقتهم بسرورها إلىٰ السرور وراحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيباً وترهيباً وتخويفاً وتحذيراً فذمها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون يوم القيامة ذكرتهم الدنيا فذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا، وقد ذكرنا في هذا المقام تحقيقات شريفة في شرحنا الكبير علىٰ هذه الصحيفة.

«رِضَىً بِحُكْمِ الله»

أي لأجل الرضا أو لأجل تحصيله أو علىٰ الرضا أو أن رضاي بحكمه هو الذي حكم علي بالرضا في القضاء فلذلك رضيت.

«وأَخَذَ علىٰ جَمِيعِ خَلْقِهِ بِالفَضْلْ»

أي أخذ عليهم وكلفهم بأن يتفضل بعضهم علىٰ بعض أو أنه أخذ عليهم وجازاهم بالتفضل لا بالاستحقاق، وفي ش بالصاد المهملة وهو الحق من القول الفاصل بين الحق والباطل.

«ولا تَفْتِنْهُمْ»

حتىٰ يقولوا إنما منع الخير لحقارته علىٰ الله تعالىٰ أو أنهم يطفون بسبب ما أنعمت عليهم وحرمتني.

«وأَغْمِطَ حُكْمَكْ» لا أشكره.

«وَوَسِّعْ بِمَوَاقِعِ حُكمِكَ صَدْرِي»

مواقع الأحكام أفعال المكلفين لتعلق الأحكام الخمسة بها والباء للظرفية وحاصله وسع صدري لتحمل مشاق الأحكام حتىٰ أقبل عليها علىٰ وجه الرغبة والمحبة، ويجوز أن الباء للسببية.

«خَوَّلْتَنِي» أعطيتني.

«بِذِي عَدَم»

أي فقر واحتياج في الواقع بأن أظن أن عدم إنفاقه علىٰ نفسه إنما هو من جهة الخساسة.

«ثَرْوَة» غنىٰ ويسار.

«فَضْلاً»

وشرفاً وفضلاً علىٰ غيره بسبب غناه أو تفضلاً علي وإحساناً بأن أكون إذا وصل إلي منه شيء اعتقد أنه المتفضل الحقيقي مع أن الفضل كله بيدك ويؤيد الأول ما سيأتي.

«واسْرَحْنَا في مُلكِ الأَبَدْ»

أرسلنا في المواقع الدائمة التي هي الجنة فإن ما سواها فان، فيه استعارة مكنية وتخييلية مع إفادة أن القرار في دار الخلود إنما هو بالتفضل لا بالإستحقاق كالحيوانات.

«الوَاحِدُ الأَحَدْ»

اسمان يشملهما نفي الأبعاض ويفرق بينهما من وجوه، أحدها أن الواحد هو

المتفرد بالذات والأحد هو المتفرد بالمعنىٰ، وثانيها أن الواحد أعم مورداً لاطلاقه علىٰ من يعقل وغيره، وثالثها أن الواحد يدخل في الضرب والعدد بخلاف الأحد وقد تحققت هذا سابقاً.

«الصَّمَدْ»

وهو السيد الذي يصمد إليه في الأمور ويقصد إليه في الحوائج والنوازل، والصمد بمعنىٰ القصد وقيل الصمد الذي ليس بجسم ولا جوهر.

«كُفُوَاً»

مشاكلاً ونظيراً، قال الزمخشري ويجوز أن يكون من الكفاية في النكاح نفياً للصاحبة.

دعاؤه عليه السلام إذا نظر إلىٰ السحاب والبرق

«مِنْ آياتِكْ» أي آيات رحمتك أو غضبك.

«عَوْنانِ مِنْ أَعْوَانِكْ»

أي يعينانك علىٰ سوق السحاب مجازاً أو أنك جعلتهما من أعوان الناس علىٰ تحصيل الأرزاق لما روي في الحديث من أن الرعد صوت الملك والبرق سوطه.

«يَبْتَدِرانِ طَاعَتَكَ بِرَحْمَة»

أي يسارعان إلىٰ طاعتك حالة كونهما متلبسين بالرحمة منك وهي الأمطار.

«فَلاَ تُمْطِرْنا»

فرّق أرباب اللغة بين أمطر ومطر بأن الأول يقال لمطر السخط والعذاب بخلاف الثاني فإنه إنما يقال لمطر الفضل والرحمة وكثيراً ما يعدىٰ الأول بعلى بخلاف الثاني.

«مَحْلَ» وهو الجدب وانقطاع المطر.

«وَحَرُ صُدُورِنا» غشه ووساوسه وقيل الوحر أشد الغضب.

«يملأُ أَرْضَهُ»

فيه نوع التفات وهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ويجوز أن يكون كناية عن كثرته وكونه يملأ العالم.

«الشاكرُ قَليلَ الشُّكْرْ» المجازي بالكثير علىٰ الشكر القليل.

دعاؤه عليه السلام إذا اعترف بالتقصير عن تأدية الشكر

«ما يُلْزِمُهُ شُكْراً»

روي أنه تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ موسىٰ بن عمران يا موسىٰ اشكرني حق شكري قال كيف أشكرك يا رب حق شكرك والشكر نعمة تستحق مني الشكر عليها فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه الآن شكرتني حق شكري حيث اعترفت بعجزك، وفي بعض النسخ يلزم بوزن يعلم وحينئذٍ فنصب شكراً إما على التمييز أو على المفعول له.

«بِفَضْلِكْ»

يجوز تعلقه بقوله يبلغ وبقوله اجتهد لإفادة أن بلوغه المبلغ من طاعتك واجتهاده في تلك الطاعة إنما هو بسبب تفضلك عليه وتوفيقك له، ويجوز تعلقه بالاستحقاق يعني أن استحقاقك الشكر منه إنما هو بسبب تفضلك عليه، ويجوز أيضاً تعلقه بمقصر يعني أن تقصيره مع جده واجتهاده في الشكر إنما هو بسبب توفير نعمتك عليه إذ لو كانت قليلة لا يمكنه الشكر بإزائها.

«عاجِزٌ عَنْ شُكْرِكْ»

يعني أنه مع اجتهاده بالشكر معترف بالعجز وإلا فمجرد الإعتراف لا يوجب إلا شكرية وكذا الكلام فيما بعده.

«لا يَجِبُ لأَحَدْ»

صريح في أن قبول التوبة إنما هو من باب التفضل لا من باب الوجوب كما زعمه جماعة من المتكلمين.

«تَشْكُرُ يَسِيرَ ما شُكِرْتَه»

يحتمل معان: أحدها أن تكون ما مصدرية أي تجازيهم علىٰ قليل شكرهم إياك، وثانيها أن تكون موصولة وحينئذ فنسبة الشكر إليه باعتبار أن منه الأسباب والأدوات فكأن الشكر القليل الذي صدر من الناس وجازاهم عليه هو منه تعالىٰ لا منهم، وثالثها أن تكون موصولة أيضاً يعني تجازي قليل الذي جازيتهم عليه وحاصله أن ذلك الشكر مع قلته لم تغفل عنه ولم تنسه بل جازيتهم عليه.

«مَلَكُوا الإِسْتِطاعَةَ مِنْهُ دُونَكْ»(١)

أي كأنه لم يكن واجباً عليهم بل كانوا مخيرين فيه وفي تركه فلما فعلوه جازيتهم لأن من فعل شيئاً لم يكن واجباً عليه استحق المكافأة والجزاء بخلاف ما إذا صنع ما وجب عليه فإن السيد حينئذ مخير بين التفضل عليه وعدمه، ويجوز أن يكون معناه أنك قد هيأت لهم أسباب الشكر ومنحتهم الألطاف حتىٰ كأنهم بحيث صاروا يقدرون علىٰ الترك لأن المعلول يجب وجوده عند وجود علته.

«فَلَوْلا أَنَّ الشَّيْطانَ»

يعتذر عليه السلام عنا معاشر العصاة بإظهار الباعث لنا على المعصية.

«تَوَلَّيتَهُ» بإيجاد الأسباب.

«وتُمْلِي» أي تمهل.

«يَقْصُرُ عَمَلُه»

وفي ش بوزن يضرب ونصب عمله وهو كما ترىٰ فإن جميع تصاريف هذه الصيغة لازمها ومتعديها يكون المضارع فيها مضموم العين أياً ما كان ماضيها.

«ولَكِنَّكَ بِكَرمِكَ جَازَيْتَهُ عَلَىٰ المُدَّةِ القَصِيرَةِ»

في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام إنما خلد أهل النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً وإنما خلد أهل الجنة لأن نياتهم في الدنيا أن لو

---

(١) ورد في بعض النسخ هكذا: استطاعة الامتناع منه دونك.

بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء ثم تلا قوله تعالىٰ: **﴿قل كل يعمل علىٰ شاكلته﴾**، قال علىٰ نيته.

«ثُمَّ لَمْ تَسُمْهُ القِصَاصْ»

ثم هنا للتراخي في الرتبة وتسمه بمعنى تلزمه والقصاص هنا بمعنىٰ الحسبان والتعداد.

«والمُنَاقَشَاتْ» المبالغات في الحساب.

«كَدَحَ» تعب.

«لامَتَى»

أي لا يستحق شيئاً من ثوابك حتىٰ يستحق شيئاً بعد المناقشة، ويحسن الوقف علىٰ ثوابك ولا ومتىٰ يكتب عليه رقم طَ وقد عرفت أنه يسمىٰ صنعة الإكتفاء في علم البديع.

«بدُونِ وَاجِبِك» أي بغيره أو بالأقل والأدون منه.

«هَلَكَ عَلَيْكْ»

قال الفاضل الداماد يعتبر في هلك ما يوصل بعلى ومعنىٰ العبارة ومن أشقىٰ ممن هلك علىٰ بابك وهو دخيل عليك لا يذكر عليها،أو ممن هلك عند وفوده ووروده عليك بعد الموت، أو يكون علىٰ بمعنىٰ مع كما في قوله علا من قائل: **﴿ولقد اخترناهم علىٰ علم علىٰ العالمين﴾** أي ومن أشقىٰ ممن هلك معك وما أنت عليه من العناية البالغة والرأفة السابغة، ومن هذا السبيل ما في كلام أمير المؤمنين عليه السلام إياك وأن ترىٰ موضع جنة عرضها السموات والأرض وليس لك منها موضع قدم، ويحتمل أن يكون على بمعنىٰ في، أي ومن أشقىٰ ممن هلك في معرفتك وظن أنه يرد عن بابك سائل وأن في عظام السيئات ما لا يسعه عفوك، ومن المحتمل أيضاً أن يكون عليك بمعنىٰ منك كما في التنزيل الكريم: **﴿إذا اكتالوا علىٰ الناس يستوفون﴾** أي منهم فيكون هلك في معنىٰ خاب منك ورد عن بابك خائباً، انتهى. والأظهر أن تقديره هلك علىٰ يديك أو يكون الظرف في موضع الحال أي مجترياً أو خصماً عليك.

«لا مَنْ»

أي لا يكون أحد أشقىٰ ممن هلك عليك ومن ذا الذي يكون أشقىٰ منه.والوقف هنا مثله سابقاً، وقيل حاصله: لايهلك أحد عليك ومن ذا الذي يهلك عليك وهو كما ترىٰ.

«ثَوَابْ» مفعول إغفالك.

دعاؤه عليه السلام في الإعتذار من تبعات العباد

«أُسْدِي إِلَيَّ»

الإسداء الإحسان وفي بعض النسخ أزل وفي بعضها زلل والمعنىٰ كالأول، وفي الحديث من أزلت إليه نعمة فليشكرها أي أُسدِيَت إليه وأُعطيَها، ومنه الزلة وهي ما يؤخذ من مائدة ويحمل إلىٰ صديق، قال في النهاية هو انتقال الجسم من مكان إلىٰ مكان فاستعير لانتقال النعمة.

«ومن حَقٍّ ذِي حَقٍّ لَزِمَنِي لِمُؤْمِنٍ فَلَمْ أُوَفِّرْه»

الحق يطلق علىٰ الثابت في نفسه وعلىٰ ما يستحقه ذو الحق فالإضافة هنا إما للامتياز فكأنه قال ومن حق من حقوق الناس لزمني لمؤمن فلم أوفره عليه ولم أوفه إياه فلا يحتاج إلىٰ جعل قوله لمؤمن بدلاً من قوله ذي حق، وفي الكفعمي لزمني فلم أوفره وهو مبني علىٰ إرادة المعنىٰ الأول.

«لِما بيْنَ يَدَيّ»

أي ما سيأتي وقيل ما أنا متصف به بالفعل.

دعاؤه عليه السلام في طلب العفو والرحمة

«وَازْوِ» اصرف.

«مَأْثَمْ» مصدر ميمي بمعنىٰ الإثم.

«نَالَ ـِـيِّ مَا حَظَرْتَ» وصل من سبي وذمي إلىٰ ما حرمته عليه ومنعته منه.

«وانْتَهَكَ مِنِّي ما حَجَرتَ عَلَيْه»

أي بالغ مني فيما حرمته عليه من أنواع الإيذاء.

«بِظُلاَمَتِي» بمظلمتي.

«أَلَمَّ بِه»

نزل به وقصده مني وفي الصحاح ألم الرجل من اللمم وهي الذنوب الصغار.

«ولا تَقِفْهُ عَلَىٰ ما ارْتكَبَ فِيَّ»

أي لا تطلعه ولا تؤاخذه علىٰ ما أتىٰ به في حقي من المحرمات وما بعده كالتأكيد له، أو لا تقفه عن أن تغفر له وتعفو عنه بسبب ما ارتكب مني، فعلىٰ هنا للتعليل مثلها في قوله: ﴿ولتكبروا الله علىٰ ما هداكم﴾.

«عَنْ ما اكْتَسَبَ بِي»

عن هنا للتعليل أيضاً كما في قوله تعالى: ﴿إلا عن موعدة وما نحن بتاركي آلهتنا﴾ عن قولك.

«حتىٰ يَسْعَدَ كُلُّ واحِدٍ مِنَّا بِفَضْلِكْ»

أي حتىٰ أسعد أنا بفضلك الذي عوضتني إياه عن عفوي ويسعد هو بفضلك الذي لولا عفوي عنه لعاقبته وأسعد أنا بعفوي وبما عوضتني وذلك فضل منك فإنك أنت الذي وفقتني للعفو، وسعادته أيضاً كانت بفضلك فإنك كما تفضلت علي بالعفو عنه تفضلت علي بعفوي عنه ولعل أنسب بقوله عليه السلام وينجو كل منا فيك كذا قيل.

«أَدْرَكَهُ مِنِّي دَرَكٌ» لحقه مني لحاق وشين يوجب سخطك.

«أَوْ لَحِقَهُ بِي» أي مني أو بسببي فأو بمعنىٰ الواو حينئذٍ.

«فَفُتُّهُ بِحَقِّه»

أي ذهبت وتخلصت من يده حال كوني متلبساً بحقه، ويجوز أن يكون الباء للتعدية أي أذهبت عنه، ويجوز أن تكون بمعنىٰ مع وهذه الاحتمالات جارية فيما بعده.

«أَوْ سَبَقْتُهُ بِمَظْلَمَتِه»

الظاهر أنه كالتأكيد لما قبله وقيل المراد بالحق الدين وبالمظلمة العين.

«مِنْ وُجْدِكْ» من سعة عطيتك.

«ثُمَّ قِنِي ما يُوجِبُ لَهُ حُكْمَكْ»

ضمير له يحتمل الرجوع إلىٰ الشخص ويحتمل الرجوع إلىٰ الحق، وعلىٰ التقديرين والذي أوجب حكمك لذلك الشخص أو لذلك الحق هو القصاص والمكافأة فقني منه بأن تعوضه عن حقي حق يرضىٰ عني.

«وَإِلاَّ تغَمَّدْنِي» أي وإن لم تسترني وتجللني استعارة عن غمد السيف.

«تُوبِقْنِي» تهلكني.

«واحْتِجَاجاً بِها»

حتىٰ يستدل بها علىٰ أنك تقدر علىٰ أن تخلق مثلها، وقيل المراد الإحتجاج عليها بإن ركب فيها من الآلات والقوى وغيرهما مما لا يبقىٰ لها معه عذر في التقصير والمخالفة.

«وأَسْتَحْمِلُكَ ما لاَ يَبْهَظُكَ حَمْلُه»(١)

أطلب منك أن تحمل عني ما لا يثقلك ويشق عليك حمله وحاصله طلب الرفع والتخفيف.

---

(١) وأستحملك من ذنوبي ما قد بهظني حمله. كذا في إحدى النسخ المعتبرة.

«فَدَحَنِي» شق علي.

«وَهَبْ لِنَفْسِي عَلىٰ ظُلْمِهَا»

اغفر لها معاصيها حال كونها راكبة علىٰ ظلمها ومستقرة على متنه أو مع كونها ظالمة فعلى بمعنىٰ مع، وكيف لا تكون ظالمة وقد قال عَلَيْهِ السَّلَامُ أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك، فلا تغفل عنها وأوثقها بقيد التقوىٰ واكسرها بثلاثة أشياء، الأول منع الشهوات فإن الدابة الحرون تلين إذا أنقص من علفها، الثاني تحمل أثقال العبادات فإن الدابة الجموح إذا ثقل حملها انقادت، الثالث الاستعانة بالله والتضرع إليه بأن يعينك عليها، أولا ترىٰ إلىٰ قول الصِّديق عَلَيْهِ السَّلَامُ إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي فإذا وطنتها علىٰ هذه الأمور انقادت لك بإذن الله سبحانه، فحينئذٍ تقدر علىٰ أن تملكها أو تلجمها وتأمن شرها، وكيف تأمن وتسلم مع إهمالها وما يشاهد من سوء اختيارها ورداءة أحوالها ألست تراها وهي في حال الشهوة بهيمة وفي حال الغضب سبع وفي حال المعصية طفل وفي حال النعمة فرعون وفي حال الشبع تراها مختالة وفي حال الجوع تراها مجنونة، إن أشبعتها بطرت وأن جوعتها صاحت وجزعت، فهي كحمار السوء إن علفته رمح وإن جوعته نهق.

قال بعض العارفين ومن رداءة هذه النفس وجهلها إنها إذا لاحت لها معصية أو انبعثت لها شهوة أو تشفعت إليها بالله تعالىٰ ثم برسوله وبجميع أنبيائه وكتبه وبجميع الملائكة المقربين، وتعرض عليها الموت والقبر والقيامة والجنة والنار لا تعطي القياد ولا تسكن ولا تترك الشهوات، ثم استقبلها بمنع رغيف وإعطاء رغيف تسكن وتترك شهوتها لتعلم خستها وجهلها فإياك أن تغفل عنها طرفة عين، فألجمها بالتقوىٰ وقدها بزمام الرجاء وسقها بسوط الخوف، أما التقوىٰ فلتقيدها عن الجموح والنفار، وأما الخوف فلتنزجر به عن المعاصي فإنها أمارة بالسوء ميالة إلىٰ الشر ولا تنتهي عن ذلك إلا بتخويف وتهديد ولئلا تعجب بالطاعات، وأما الرجاء فلتبعث علىٰ الطاعات وليهون عليها احتمال المشقات.

«أُسْوَةَ مَنْ قَدْ أَنْهَضْتَهُ»

أي بحيث يتأسىٰ بي ويقتدي كل من أنهضته من صرعته لما شاهد من حسن انهاضي وتخليصي.

«إِسَارْ» جمع أسر بالفتح وهو القيد.

«من وَثَاقِ عَدْلِكْ»

لأنك لو عاملته بالعدل لكان مقيداً بذنوبه فنرجو من إحسانك أن تدخله في سعة الفضل وتخرجه من قيد العدل.

«لا أَنْ يَكُونَ يَأْسُهُ قُنُوطاً»

دفع لما يقال من أن المؤمن ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه علىٰ حدٍ سواء فكيف ساغ أن يكون خوفه أكثر من رجائه، وحاصل الدفع أن مساواتهما إنما هي بالنسبة إلى جنابه تعالىٰ وهذه الأكثرية إنما هي بالنسبة إلى قلة أعماله فلا حاجة إلىٰ ما قيل من أن مساواة الخوف والرجاء إنما هي بالنسبة إلىٰ غير الإمام أو أن الخوف يزيد بمخاطبة المخوف منه ومشاهدته.

«أَنْ لا يَغْتَرَّ بِكَ الصِدِّيقُونْ»

أي لا يستغفلوا ويأمنوا مكرك أو لا يتجرّون عليك.

«تَعالَىٰ ذِكْرُكَ عَنِ المَذْكُورِينْ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ عَنِ المَنْسُوبِينْ»

يعني أن ذكرك وأسماءك أجل من ذكر كل مذكور مشار إليه بالبيان ومن كل مسمى بإسم. لأن لك الأسماء الحسنى، أو أنه لا يليق إطلاق أسمائك وما ذكرت به من الصفات علىٰ أحد من المذكورين والذين نسبوا أو عرفوا بالأسماء لأن رعاية المناسبة معتبرة في الجملة، وقيل إن الذكر والاسم مقحمان وهو غير محتاج إليه.

«وَفَشَتْ» انتشرت.

«يا رَبَّ العَالَمِينْ»

جمع العالم اسم لما يعلم به كالخاتم لما يختم به غلب فيما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والأعراض فإنها لافتقارها إلىٰ موجد تدل علىٰ وجوده، وجمعه يشمل ما تحته من الأجناس المختلفة كعالم الجن والإنس والحيوانات وغلب العقلاء فجمعه جمعه، وقيل هو اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله للغير علىٰ سبيل الاستتباع، وقيل المراد به الناس فإن كل واحد منهم عالم أصغر من حيث

اشتماله علىٰ نظير ما في العالم الأكبر من الجواهر والأعراض التي يعلم بها الصانع كما يعلم بما أوجده في العالم الأكبر، وإليه الإشارة بقول أمير المؤمنين عليه السلام أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوىٰ العالم الأكبر وقد اختلف في عدد أجناس العالم، فقيل لله تعالىٰ الف عالم ستمائة في البحر وأربعمائة في البر، وقيل ثمانية عشر ألف عالم الدنيا من مشرقها إلىٰ مغربها عالم واحد، وقيل ثمانون ألف عالم أربعون الفاً في البر ومثلها في البحر، وقيل مائة ألف عالم، وروي أن الله تعالىٰ خلق مائة ألف قنديل وعلقها والعرش والسموات والأرض وما فيها حتىٰ الجنة والنار كلها في قنديل واحد ولا يعلم ما في القناديل إلا الله، وقد اختلفت الروايات في تعداد العوالم ولا منافاة بينها لأن مفهوم العدد ليس بحجة علىٰ ما حققناه في محله، وروىٰ الصدوق رحمه الله بإسناده إلىٰ الرضا عليه السلام أنه قال أترىٰ أن الله لم يخلق بشراً غيركم بلىٰ والله لقد خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم وأنت في أواخر تلك العوالم وأولئك الآدميين، وقال الصادق عليه السلام إن الشمس تقطع اثني عشر برجاً واثني عشر براً واثني عشر بحراً واثني عشر عالماً، وقال عليه السلام إن الله خلق اثني عشر ألف عالم كل عالم منهم أكبر من سبع سموات وسبع أرضين ما يرىٰ عالم منهم أن لله عز وجل عالماً غيرهم وأنىٰ الحجة عليهم، وعن أمير المؤمنين والحسن عليه السلام : إن الله تعالىٰ خلق خلقاً علىٰ خلاف خلق الملائكة وعلى خلاف خلق الجن والنسناس يدبون كما تدب الهوام في الأرض يأكلون ويشربون كما تأكل الأنعام كلهم ذكران ليس فيهم إناث لم يجعل الله لهم شهوة النساء ولا حب الأولاد ولا الحرص ولا طول الأمل ولا يليهم الليل ولا يغشاهم النهار ليسوا بهائم ولا هوام لباسهم ورق الشجر ثم أراد الله أن يفرقهم فرقتين فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر فكوّن لهم مدينة جابرسا طولها اثني عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ وكوّن عليها سوراً من حديد يقطع الأرض إلىٰ السماء ثم أسكنهم فيها، وأسكن الفرقة الأخرىٰ خلف مغرب الشمس من وراء البحر وكوّن لهم مدينة جابلقا طولها وسورها كالأولىٰ وعلىٰ كل مدينة منهما سبعون ألف ألف مصراع من ذهب ومنها سبعون ألف ألف لغة تكلم كل أمة بلغة خلاف لغة الأخرىٰ، وقال الحسن عليه السلام أنا أعرف تلك اللغات وما فيها وما عليهما حجة غيري وغير أخي ولا يعلم بها أحد من أهل أوساط الأرض ولا يعلمون بطلوع الشمس ولا غروبها لأنها تطلع من دونهم وتغرب من دونهم ولكنهم يستضيئون بنور الله ولا يرون أن الله تعالىٰ

خلق شيئاً من الكواكب فقيل يا أمير المؤمنين فأين إبليس عنهم؟ قال: لا يعرفونه ولا سمعوا بذكره لم يكتسب أحد منهم خطيئة لا يسقمون ولا يهرمون ولا يموتون إلىٰ يوم القيامة يعبدون الله تعالىٰ لا يفترون، الليل والنهار عندهم سواء، وإنهم يبرأون من فلان وفلان، قيل له كيف يتبرؤون من فلان وفلان وهم لا يدرون أخلق الله آدم أم لم يخلقه، فقال عليه السلام أتعرف إبليس إلا بالخبر وقد أمرت بلعنه والبراءة منه، وقد وكل الله تعالىٰ بهم ملائكة متىٰ ما لم يلعنوهما عُذبوا، وفيهم جماعة لم يضعوا السلاح مذ كانوا ينتظرون قائمنا يدعون أن يريهم الله إياه، ويعمر أحدهم ألف سنة يتلون كتاب الله كما علمناهم،وإن فيما نعلمهم ما لو تلي علىٰ الناس لكفروا به، ولهم خرجة مع الإمام إذا قاموا يسبقون فيها أصحاب السلاح فيهم كهول وشباب إذا رأىٰ شاب منهم الكهل جلس بين يديه جلسة العبد لا يقوم حتىٰ يأمره وإذا أمرهم الآمر بأمر قاموا عليه أبداً حتىٰ يكون هو الذي يأمرهم بغيره، لهم سيوف من حديد غير هذا الحديد لو ضرب أحدهم بسيفه جبلاً لقده يغزو بهم الإمام الهند والديلم والكرك والترك والروم والبربر.

ورویٰ عبد الله بن الدهقان عن أبي الحسن عليه السلام قال سمعته يقول إن لله خلف هذا النطاق زبرجدة خضراء فمن خضرتها السماء، قال قلت وما النطاق؟ قال الحجاب ولله وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الجن والإنس وكلهم يلعن فلاناً وفلاناً، وقال عليه السلام إن خلف مغربكم هذا تسعة وثلاثين مغرباً أرضاً بيضاء وخلقاً يستضيئون بنورها لم يعصوا الله طرفة عين، وقال عليه السلام إن لله مدينة خلف البحر سعتها مسيرة أربعين يوماً للشمس فيها قوم لم يعصوا الله قط ولا يعرفون إبليس نلقاهم في كل حين فيسألونا عما يحتاجون إليه ويسألونا الدعاء فنعلمهم ويسألونا عن قائمنا متىٰ يظهر، وروي أنه قال علي بن الحسين عليه السلام لرجل من أنت؟ قال منجم، قال أدلك علىٰ رجل قد مر مذ دخلت علينا في أربع عشر عالماً كل عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرات لم يتحرك من مكانه قال من هو؟ قال أنا، وروي أنه استقبل أمير المؤمنين عليه السلام دهقان من دهاقين الفرس فقال له بعد التهنئة يا أمير المؤمنين تناحست النجوم الطالعات وتناحست السعود بالنحوس وإذا كان مثل هذا اليوم وجب علىٰ الحكيم الاختفاء ويومك هذا صعب قد انقلب فيه كوكبان وانقدح من برجك النيران وليس لك الحرب بمكان، فقال أمير المؤمنين عليه السلام أتدري ما حدث البارحة وقع بيت في الصين وانفرج برج ماجين وهاج النمل بوادي النمل وسقط سور سرنديب وانهزم بطريق الروم

بأرمينية وفقد ديدبان اليهود بأيلة وهلك ملك أفريقية أكنت عالماً بهذا؟ قال لا يا أمير المؤمنين، فقال البارحة سعد سبعون ألف عالَم وولد في كل عالَم سبعون ألف عالم والليلة يموت مثلهم وهذا منهم وأومىء بيده إلىٰ سعد بن مسعدة الحارثي لعنه الله وكان جاسوساً للخوارج في عسكر أمير المؤمنين عليه السلام فظن الملعون أنه يقول خذوه فأخذ بنفسه ومات، وعن جابر قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿**أفعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد**﴾، فقال يا جابر تأويل ذلك أن الله عز وجل أفنىٰ هذا الخلق وهذا العالم،وسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار. جدد الله عالماً غير هذا العالم وجدد خلقاً من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلهم لعلك ترىٰ أن الله عز وجل إنما خلق هذا العالم الواحد وترىٰ أن الله عز وجل لم يخلق بشراً غيركم بلىٰ والله لقد خلق الله تبارك وتعالىٰ ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في أواخر العوالم وأولئك الآدميين، والغرض من نقل هذه الأخبار إعلامك بقدرة الله تعالىٰ وبعض أصناف مخلوقاته سبحانه وتعالىٰ.

دعاؤه عليه السلام إذا نعي إليه ميت أو ذكر الموت

نعي الميت ذكر خبر موته.

«**وَشْكْ**» الوشك: القرب والسرعة.

«**وحَامَّتِنا**» خاصتنا.

«**غَيْرَ مُسْتَكْرِهِينْ**»

فإن كراهة الموت وقت الاحتضار من علامات الكفر، روي عن الصادق عليه السلام عن جده عليه السلام أنه قال من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قيل يا رسول الله إنّا لنكره الموت، فقال ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وأن الكافر إذا حضره بشر بعذاب الله فليس شيء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه، ولذا قال سيد الساجدين عليه السلام الموت للمؤمن كنزع ثياب وسخة

قملة وفك قيود وأغلال ثقيلة والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح وأوطـأ المراكب وآنس المنازل، وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل عن منازل أنيسة والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها وأعظم العذاب.

دعاؤه عليه السلام في طلب الستر والوقاية

«مِهَادُ كَرَامتِكْ»

المهاد الفراش والإضافة إما بيانية وإما لامية.

«مَشَارِعْ» جمع مشرعة وهو مورد الشاربة.

«ولا تُقَاصِّنِي بِمَا اجْتَرَحْتْ»

أي لا تنقصني من رحمتك بسبب ما اكتسبته من الذنوب.

«ولا تُبْرِزْ مَكْتُومِي» لا تظهر سرائري القبيحة.

«مِيزَانُ الإِنْصَافْ»

أي ميزان العدالة بل احمل أعمالي بميزان الفضل والرحمة.

«شَنَاراً» وهو أقبح العيب والعار.

«فِي أَصْحَابِ اليَمِينْ»

وهم المؤمنون لا في أصحاب الشمال وهم الكافرون، واختلف في وجه التسمية فقيل هو باعتبار أن المؤمنين يؤتون صحائفهم في القيامة بأيمانهم والكفار يعطونها بشمائلهم، وقيل لأن المؤمنين بالمنزلة السنية والكفار بالمنزلة الوضيعة مأخوذ من قولك فلان مني باليمين وفلان مني باليسار إذا وصفتهما بالرفعة والضعة، وقيل إن المؤمنين أهل اليمن والبركة مشتقة من اليمين، والكفار من أهل الشؤم فسموا بأهل الشمال لأنها مأخوذة من الشوم علىٰ أحد ضروب الاشتقاقات الثلاث، وقيل لأنه يؤخذ بالمؤمنين ذات اليمين يوم القيامة لأن الجنة عن يمين العرش ويؤخذ بالكافرين ذات الشمال وهي جهنم لأنها شماله.

«مُهَيْمِناً» شاهداً ورقيباً علىٰ أن الكتب السماوية السابقة عليه حق.

«وفُرقَاناً فَرَقْتَ بِهِ»

أشار بهذا إلىٰ وجه تسمية القرآن بالفرقان وقيل فيه وجوه أخرىٰ، أولها أنه سمي به لنزوله متفرقاً مدة من الزمان، وثانيها أن التسمية باعتبار كونه مفروقاً بعضه عن بعض لأنه مفصل السور والآيات، وثالثها بافتراقه عن سائر المعجزات بالبقاء علىٰ مر الأيام، ورابعها بفرقه بين الحق والباطل، وفي بعض الأخبار الفرق بينهما رواه ابن سنان عمن ذكره قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن القرآن والفرقان أهما شيئان أم شيء واحد فقال عليه السلام القرآن جملة الكتاب والفرقان المحكم الواجب العمل به.

«أعْرَبْتَ» أي كشفت.

«جَوَاسِي أَلْسِنَتِنا»

صلابها وغلاظها وفي ش بالحاء المهملة والشين المعجمة أي أطرافها.

«فَاجْعَلْنا مِمَّنْ يَرْعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ»

وهي تكون بأمور، الأولى بكثرة تلاوته قال عليه السلام ثلاثة يشكون إلىٰ الله عز وجل العزيز الجبار مسجد خراب لا يصلي فيه أهله وعالم بين جهال ومصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه، الثاني أن لا يختمه في أقل من شهر أو ست ليال وينبغي أن يرتل ترتيلاً وإذا مررت بآية فيها ذكر النار وقفت عندها وتعوذت بالله من النار إلا في شهر رمضان فإن ختم القرآن فيه في ثلاث ليال هكذا جاء في الرواية، الثالث قراءته بلحن العرب والصوت الحزين، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقرأ القرآن بألحان العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر فإنه سيجيء من بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية ولا يجوز تراقيهم قلوبهم مغلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم، الرابع الأُنس، قال سيد الساجدين عليه السلام لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحش بعد أن يكون القرآن معي، الخامس تعلمه وتعليمه وحفظه علىٰ الخاطر وأن لا ينسىٰ ما حفظ منه، قال الصادق عليه السلام إن الذي يعالج القرآن ويحفظه

بمشقة منه وقلة حفظ له أجران، وقال عليه السلام القرآن القرآن إن الآية من القرآن والسورة لتجيء يوم القيامة حتىٰ تصعد ألف درجة يعني في الجنة فتقول لو حفظتني بلغت بك ههنا، وقال عليه السلام إن الرجل لينسىٰ السورة من القرآن فتأتيه يوم القيامة حتىٰ تشرف عليه من درجة من بعض الدرجات فتقول السلام عليك فيقول وعليك السلام من أنت؟ فتقول أنا سورة كذا وكذا ضيعتني وتركتني أما لو تمسكت بي بلغت بك هذه الدرجة ثم أشار بإصبعه، وقال موسىٰ الكاظم عليه السلام من مات من أوليائنا وشيعتنا ولم يحسن القرآن عُلِّم في قبره ليرفع الله به درجته فإن درجات الجنة علىٰ قدر آيات القرآن يقال له اقرأ وارقى ثم يقرأ ويرقى، السادس تقبيله والقيام له تعظيماً وترك ضرب بعضه ببعض، قال الباقر عليه السلام ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض إلا كفر، وهو شامل للضرب الحسي والمعنوي أعني تخليط معانيه والقول فيه بالرأي والتشهي، السابع قراءته من وجه المصحف وإن كان حافظاً له فإن النظر في القرآن عبادة ويمتع ويخفف علىٰ والديه وإن كانا كافرين هكذا في الرواية، الثامن من الاستشفاء به، قال شكا رجل الىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجعاً في صدره فقال صلى الله عليه وآله وسلم: استشف بالقرآن فإن الله عز وجل يقول ﴿**وشفاء لما في الصدور**﴾، التاسع تعظيم حامليه لأجله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن أهل القرآن في أعلىٰ درجة من الآدميين ما خلا النبيين فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم فإن لهم من الله العزيز الجبار لمكاناً، وقال الصادق عليه السلام الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة ومن ختم القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه ولكنه لا يوحى إليه ومن أوتي القرآن فظن أن أحداً من الناس أوتي أفضل مما أوتي فقد عظم ما حقر الله وحقر ما عظم الله، العاشر وهو أهمها وأعظمها العمل بما اشتمل عليه من الأحكام والحلال والحرام، وبقيت وجوه أخرىٰ تركناها خوف الاملال.

«وَيَفْزَعُ إِلَىٰ الإِقْرَارِ بِمُتَشَابِهِهِ»

يلجأ إلىٰ التسليم والانقياد بما تشابه منه علىٰ الناس وهو ما احتمل وجهين وأكثر.

«مُجْمَلاً»

قيل إنه نزل مرتين في المرة الأولىٰ مجملاً وفي الثانية مفسراً وقيل إنه نزل مجمل المعنىٰ حال نزوله ثم عرفه الله تعالىٰ أسرار علومه ودقائق أسراره وقيل المراد بقوله

مجملاً إنزال كله لا بعضه وخير الأمور أوسطها والعبارة ظاهرة فيه.

«وَوَرِّثْنا عِلْمَهُ مُفَسَّراً»

ظاهر هذه الفقرات مما يوهم الاختصاص بهم عليهم السلام فإنهم الذين ورثوا علومه وتفاصيله لا غيرهم، فينبغي لنا أن نقصد منه أحد شيئين، الأول إرجاع الضمير إلىٰ النوع ولكن باعتبار أشرف أفراده، الثاني أن نقصد القدر القليل الذي وصل إلينا من كلامهم عليهم السلام وفهمناه بعين البصيرة، وكان أستاذنا العلامة مد ظله العالي يميل إلىٰ تغيير هذه الفقرات حال الدعاء بها ويقول وورثت أهل بيت نبينا وكذا في غيرها، وظني أنه غير محتاج إليه فإن الأدعية المأثورة ينبغي المحافظة علىٰ نقل ألفاظها والعمل بها مهما أمكن.

«الخَطِيبْ»

فعيل إما بمعنىٰ فاعل أو بمعنىٰ مفعول، وقيل المراد أن القرآن صار له خطبة ووعظاً يخطب به الناس ويعظهم.

«ولا يَخْتَلِجَنا الزَّيْغُ عَنْ قَصْدِ طَرِيقِهِ»

أي لا يدخلنا الميل عن المستوىٰ المائل عن الافراط والتفريط.

«يَعْتَصِمُ بِحَبْلِهْ»

يتمسك بعهده وأمانه، وفي الأخبار الحبل علىٰ ثلاثة أشياء، أحدها الأئمة عليهم السلام فإن من تمسك بهم نجا من تأثير الهلكات كالتمسك بالحبل، وثانيها القرآن، وثالثها دين الحق وكلها متلازمة في الوجود والواقع.

«وَيَأْوِي مِنَ المُتَشَابِهَاتِ إلىٰ حِرْزِ مَعْقِلِه»

المعقل الحصن والملجأ وإضافة الحرز إليه إما بيانية أو لامية والمراد بكونها أُم الكتاب علىٰ ما قاله المفسرون رجوع المتشابهات إليه كرجوع الولد إلىٰ أمه وكونها أصله ومنشأه، ويجوز أن يراد بالمتشابهات الشبهات وظلمات الجهالات وحرز المعقل حيئنذ هو التحصن والأخذ به والاهتداء بنوره، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيها الناس إنكم في دار هدنة وأنتم علىٰ ظهر سفر والسير بكم سريع وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتيان بكل موعود فأعدوا الجهاز لبعد

المجاز، فقام مقداد بن الأسود فقال يا رسول الله وما دار الهدنة؟ قال دار بلاغ وانقطاع فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع وأجل مصدق من جعله أمامه قاده إلىٰ الجنة ومن جعله وراءه ساقه إلىٰ النار وهو الدليل علىٰ خير سبيل وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ظاهره أنيق وباطنه عميق له نجوم وعلىٰ نجومه نجوم لا تحصىٰ عجائبه ولا تبلىٰ غرائبه الخبر.

«بِتَبْلِيغِ إِسْفَارِهْ» إشراق الدخول في ضوء صباحه.

«ولا يَلْتَمِسُ الهُدَىٰ فِي غَيْرِهْ»

فإنه مائدة أنزله الله تعالىٰ علىٰ عباده ولذا ترىٰ جميع أرباب الملك يستندون إليه حتىٰ الملاحدة والدهرية ولكن لا يوافق واقعاً إلا مذهب الإمامية.

«وسُلَّمَاً نَعْرُجُ فِيهْ»

وفي هذه الفقرات إشارة إلىٰ ما رواه سعد الخفاف عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال يا سعد تعلموا القرآن فإن القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق والناس صفوف عشرون ومائة ألف صف، ثمانون ألف صف أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأربعون الف صف من سائر الأمم فيأتي علىٰ صف المسلمين في صورة برجل فيسلم فينظرون إليه ثم يقولون لا إله إلا الله الحكيم الكريم إن هذا الرجل من المسلمين نعرفه بصفته غير أنه كان أشد اجتهاداً منا في القرآن فمن هناك أعطي من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه، ثم يتجاوز حتىٰ يأتي علىٰ صف الشهداء فينظر إليه الشهداء ثم يقولون لا إله إلا الله الرحيم إن هذا الرجل من الشهداء نعرفه بسمته وصفته غير أنه من شهداء البحر فلذلك أعطي من البهاء والفضل ما لم نعطه، قال فيتجاوز حتىٰ يأتي علىٰ صف شهداء البحر في صورة شهيد فينظره شهداء البحر ويكثر تعجبهم ويقولون إن هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته وصفته غير أن الجزيرة التي أصيب فيها كانت أعظم هولاً من الجزيرة التي أصبنا فيها، فمن هناك ينظر النبيون والمرسلون إليه فيشتد لذلك تعجبهم ويقولون لا إله إلا الله الحليم الكريم إن هذا النبي مرسل نعرفه بسمته وصفته غير أنه أعطي فضلاً كثيراً، قال فيجتمعون فيأتون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيسألونه ويقولون يا محمد من هذا فيقول لهم أو ما تعرفونه فيقولون ما نعرفه، هذا ممن لا يغضب الله عز وجل عليه فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا حجة الله علىٰ خلقه، فيسلم ثم يجاوز حتىٰ

يأتي علىٰ صف الملائكة في صورة ملك مقرب فينظر إليه الملائكة فيشتد تعجبهم ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله ويقولون تعالىٰ ربنا وتقدس إن هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته وصفته غير أنه كان أقرب الملائكة إلىٰ الله عز وجل مقاماً فمن هناك ألبس من النور والجمال ما لم نلبس، ثم يجاوز حتىٰ ينتهي إلىٰ رب العزة تبارك وتعالىٰ فيخر تحت العرش فيناديه تبارك وتعالىٰ يا حجتي في الأرض وكلامي الصادق الناطق ارفع واسكن وسل تعط واشفع تشفع، فيرفع رأسه فيقول الله تبارك وتعالىٰ كيف رأيت عبادي فيقول يا رب منهم من صانني وحافظ علي ولم يضيع شيئاً ومنهم من ضيعني واستخف بحقي وأنا حجتك علىٰ جميع خلقك، فيقول الله تبارك وتعالىٰ وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأثيبن عليك حسن الثواب ولأعاقبن عليك اليوم أليم العقاب، قال فيرفع القرآن رأسه في صورة أخرىٰ، قال فقلت له يا أبا جعفر في أي صورة يرجع، قال في صورة رجل شاحب متغير يبصره أهل الجمع فيأتي الرجل من شيعتنا الذي كان يعرفه ويجادل به أهل الخلاف فيقوم بين يديه فيقول ما تعرفني؟ فينظر إليه الرجل فيقول لا أعرفك يا عبد الله قال فيرجع في صورته التي كان في الخلق الأول فيقول ما تعرفني؟ فيقول نعم فيقول القرآن أنا الذي أسهرت ليلك وأتعبت عينك وسمعك ألا إن كل تاجر قد استوفىٰ تجارته وأنا وراءك اليوم قال فينطلق به إلىٰ رب العزة تبارك وتعالىٰ فيقول يا رب عبدك وأنت أعلم به قد كان مواظباً عليّ يعادي بسببي ويحب فيّ ويبغض، فيقول الله عز وجل ادخلوا عبدي جنتي واكسوه حلة من حلل الجنة وتوجوه بتاج فإذا فعل به ذلك عرض علىٰ القرآن فيقال له هل رضيت بما صنع بوليك فيقول يا رب إني استقل هذا له فزده مزيد الخير كله، فيقول وعزتي وجلالي وعلوي وارتفاع مكاني لأنحلن له اليوم خمسة أشياء، مع المزيد له ولمن كان بمنزلته ألا أنهم شباب لا يهرمون وأصحاء لا يسقمون وأغنياء لا يفتقرون وفرحون لا يحزنون وأحياء لا يموتون، ثم تلا هذه الآية: **﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولىٰ﴾**، قال قلت جعلت فداك يا أبا جعفر وهل يتكلم القرآن، فتبسم ثم قال رحم الله الضعفاء من شيعتنا إنهم أهل تسليم، ثم قال نعم يا سعد والصلاة تتكلم ولها صورة وخلق تأمر وتنهى، قال سعد فتغير لذلك لوني وقلت هذا شيء لا أستطيع أن أتكلم به في الناس، فقال أبو جعفر وهل الناس إلا شيعتنا فمن لم يعرف الصلاة فقد أنكر حقنا ثم قال يا سعد أسمعك كلام القرآن، قال سعد فقلت بلىٰ فقال إن الصلاة تنهى عن الفحشاء

والمنكر ولذكر الله أكبر فالنهي كلام والفحشاء والمنكر رجال ونحن ذكر الله ونحن أكبر.

«الأَوْزَارْ»

جمع وزر وهي الأثقال ومنه سمي الوزير لتحمله أثقال الملك.

«شَمَائِلُ الأَبْرَارْ» أخلاقهم وطبائعهم.

«واقْفُ بِنَا» اجعلنا تابعين لآثارهم.

«قَامُوا لَكَ آنَاءَ اللَّيْلِ»

أي قاموا متلبسين بقرائته، خصَّ حالة القيام لأنها أشرف، قال أبو جعفر عليه السلام من قرأ القرآن قائماً في صلاته كتب الله له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ في صلاته جالساً كتب الله له بكل حرف خمسين حسنة ومن قرأ في غير صلاته كتب الله له بكل حرف عشر حسنات، ويجوز أن تكون الباء للسببية أي قاموا لك ولخدمتك بسبب معرفتهم بأحكام القرآن وبأمرك لهم به، وقيل المراد أنهم أقاموا القرآن علىٰ رجليه يعني أكثروا تلاوته.

«نَزَغَاتُ الشَّيْطَانْ» وساوسه المفسدة.

«مِنْ غَيْرِ ما آفَة»

ما زائده والظاهر أنه تصحيف مأفة بمعنىٰ آفة كما وجد في بعض النسخ المصححة، وحاصله أنه لما خص الخرس بالخوض في الباطل طلب أن يكون الإباء عنه صادراً عن القدرة والاختيار ولا يكون صادراً عن خرس وإلا لكان خالياً من الثواب أو كماله وهذا نظير قوله تعالىٰ: ﴿**تخرج بيضاء من غير سوء**﴾.

«مِنْ تَصَفُّحِ الإِعْتِبَارِ نَاشِرَاً»

التصفح النظر في الصفحات والتتبع لأوراق الكتاب والاعتبار العبرة وفي الكلام استعارة لا تخفىٰ.

«وزَوَاجِرَ أَمْثَالِهْ»[1] الإضافة إما لامية أو من باب إضافة الصفة إلىٰ الموصوف.

---

(١) وفي احدى النسخ المعتبرة: «وزاجر أمثاله».

«الَّتي ضَعُفَتِ الجِبالُ الرَّوَاسِي»

أي الثوابت إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**لو أنزلنا هذا القرآن علىٰ جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله**﴾، والغرض منها توبيخ الإنسان علىٰ قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره.

«دَرَنُ قُلُوبِنا» أوساخها.

«هَوَاجِرُنَا» جمع هاجرة وهي نصف النهار عند اشتداد الحر.

«يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرْ»

أي الذي خوفه أعظم وأشد من كل خوف، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أن الفزع الأكبر هو إطباق باب النار حين يغلق علىٰ أهلها والفزع الأصغر يكون في القيامة الصغرىٰ وهو خروج القائم عليه السلام.

«خَلَّتَنا مِنْ عَدَمِ الإِمْلاَقْ»

الخلة الحاجة والإملاق الفقر والإضافة للبيان أي خلتنا الناشئة من عدم هو الإملاق.

«رَغَدُ العَيْشْ» الطيب الواسع منه.

«الضَّرَائِبْ» الطبائع جمع ضريبة.

«ومَدَانِي الأَخْلاَقْ» الأخلاق الدنيئة.

«هُوَّةُ الكُفر»

الهوة الوهدة الغائرة في الأرض شبه الكفر بها بجامع الضيق والظلمة وعسر الخلاص منه.

«ذائِدَاً» مانعاً.

«وَلِمَا عِنْدَكَ بِتَحْلِيلِ حَلاَلِهْ وَتَحْرِيمِ حَرَامِهِ شَاهِدَاً»

أي يكون شاهداً لنا باستحقاق ما عندك من الثواب بسبب العمل به من تحليل حلاله وتحريم حرامه، وقيل المراد جعله شاهداً ومبيناً وكاشفاً لنا عن أحكام القرآن التي هي عندك من أحكام الحلال والحرام.

«كَرْبُ السِّياقْ»

شدة سوق النفس حالة الاحتضار، وقيل هو إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**يوم تأتي كل نفس معها سائق وشهيد**﴾ وهو كما ترىٰ.

«وجَهْدُ الأَنِينْ» مشقته.

«الحَشَارِجْ» جمع حشرجة وهي الغرغرة عند الموت وتردد النفس.

«التَّرَاقِي» جمع ترقوة وهو العظم الذي بين النحر والعاتق.

«وَقِيلَ مَنْ رَاقْ»

القائل هم حاضروا الميت أيكم يرقيه ويعوذه من الموت، وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقىٰ بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب، وعن أبي جعفر عليه السلام: إن ذلك ابن آدم إذا دخل به الموت قال هل من طبيب.

«مِنْ حُجُبِ الغُيُوبْ»

متعلق بتجلي أي انكشف وظهر للمحتضر من الحجب الغيبية عن الأبصار، ويجوز تعلقه بالقبض يعني أن القبض من حيث لا يراه أحد.

«بِأَسْهُمِ وَحْشَةِ الفِرَاقْ»

وفي الحديث أن المؤمن ليعالج كرب الموت وسكراته ومفاصله يسلم بعضها علىٰ بعض يقول عليك السلام تفارقني وأفارقك [إلى] يوم القيامة.

«ذُعَافْ» أي الخالص منه. وفي المنجد: الذعاف: السريع.

«قَلائِدُ فِي الأَعْنَاقْ»

إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه**﴾ وقد مر تفسيرها في أول الكتاب عند قوله عليه السلام ورومان فتان القبور.

«يَوْمَ التَّلاَقْ»

يوم القيامة سمي به لأن فيه يتلاقىٰ أهل السماء وأهل الأرض أو لأن فيه يتلاقىٰ الأولون والآخرون أو لأن فيه تتلاقىٰ الأرواح الظالم والمظلوم أو لأن فيه يتلاقىٰ

الخالق والمخلوق أو لأن فيه يتلاقىٰ المرء وعمله أو لأن فيه تتلاقىٰ الأرواح والأجساد.

«دَارُ الْبِلَىٰ» أي القبر لأنه يبلي البدن ويصيره رميماً.

«المُقَامَة» مصدر الإقامة.

«أَطْباقُ الثَّرَىٰ»

أي سطوحه فإن كل سطح طبقة وليس المراد طبقات الأرض المقابلة لطبقات السماء في قوله تعالىٰ: **﴿سبع سموٰات طباقاً ومن الأرض مثلهن﴾**، وقيل هو إشارة إلىٰ مراتب الإستحالات وهذان كما ترىٰ.

«ضِيقْ»

بالفتح والكسر بمعنىٰ واحد وقيل المفتوح ما يضيق عنه الصدر والمكسور ما يكون فيه متسع فيضيق.

«بِمُوبِقَاتِ آثامِنا» إما من باب إضافة الصفة إلىٰ موصوفها أو بمعنىٰ اللام أو من.

«جِسْرُ جَهَنَّمْ»

وهو الصراط المستقيم الذي روي في وصفه أنه أدق من الشعر وأحدّ من السيف، وروىٰ المفضل قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصراط فقال هو الطريق إلىٰ معرفة الله عز وجل وهما صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة فأما الصراط الذي في الدنيا هو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا واقتدى به مر علىٰ الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه علىٰ الصراط في الآخرة فتردىٰ في جهنم.

«يَوْمَ الطَّامَّة» أي الداهية العظمىٰ.

«يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ الظَّلَمَة» المراد به السواد الحقيقي وقيل هو كناية عن الخزي.

«وَاجْعَلْ لَنا فِي صُدُورِ المُؤْمِنين وُدًّا»

اقتدىٰ بجده إبراهيم الخليل عليه السلام حيث قال واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وقد استجاب الله تعالىٰ للدعوتين.

«نَكَداً» شديداً عسيراً.

«وَصَدَعَ بِأَمْرِكَ»

أي شق جماعات الكافرين، أو جهر بالقرآن وأظهره، أو فرق بين الحق والباطل بأمرك. مأخوذ من صدع الزجاجة، بمعنىٰ كسرها.

«وَأَمْكَنَهُمْ مِنكَ شَفَاعَةَ» مأخوذ إما من التمكن أو المكانة.

«وَقَرِّبْ وَسِيلَتَهُ»

أي منزلته عندك، وروىٰ أبو سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول أذا سألتم الله فاسألوه الوسيلة فسألنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الوسيلة فقال هي ألف مرقاة في الجنة ما بين المرقاة إلىٰ المرقاة حضر الفرس الجواد شهراً وهي ما بين مرقاة جوهر إلىٰ مرقاة ياقوت إلى مرقاة ذهب إلى مرقاة فضة فيؤتى بها يوم القيامة حتىٰ تنصب مع درجة النبيين كالقمر بين الكواكب فلا يبقىٰ يومئذٍ نبي ولا صديق ولا شهيد إلا قال طوبىٰ لمن كانت هذه الدرجة درجته.

«وَأَوْرِدْنا حَوْضَهُ»

وقال عليه السلام إن حوضي ما بين عدن وعمان تلقى ماءه أبيض من اللبن وأحلىٰ من العسل أكوابه عدد النجوم من شرب منه شربة لم يظمأ أبداً.

«بِمَا بَلَّغْ» الباء إما للسببية أو للبدلية.

دعاؤه عليه السلام إذا نظر إلىٰ الهلال

مأخوذ من الإهلال وهو رفع الصوت لجريان العادة برفع الأصوات عند رؤيته، وقد اختلف في تحديد الوقت الذي يسمىٰ به هلال، فقال الجوهري الهلال أول ليلة والثانية والثالثة ثم قمر مأخوذ من الأقمر وهو الأبيض أو لأنه يقمر الكواكب أي يغلبها بزيادة النور، وقال الفيروز أبادي الهلال غرة القمر أو إلىٰ ليلتين أو إلىٰ ثلاث أو إلىٰ سبع وليلتين من آخر الشهر ست وعشرين وسبع وعشرين وفي غير ذلك قمر، وقال شيخنا الطبرسي (قده) اختلفوا في كم يسمىٰ هلالاً ومتىٰ يسمىٰ قمراً فقال بعضهم

يسمىٰ هلالاً إلىٰ أن يعود في الشهر الثاني وقال آخرون يسمىٰ هلالاً ثلاث ليال ثم يسمىٰ قمراً، وقال آخرون يسمىٰ هلالاً حتىٰ يحجر وتحجيره أن يستدير بخط دقيق وهذا قول الأصمعي، وقال بعضهم يسمىٰ هلالاً حتىٰ يبهر ضوؤه سواد الليل ثم يقال قمراً وهذا يكون في الليلة السابعة، انتهىٰ، وفائدة نقل هذا الخلاف تعيين وقت قراءة هذا الدعاء وسائر أدعيته المأثورة، والإحتياط أن لا يؤخر عن الليلة الأولىٰ والثانية للعرف والاشتقاق إلا أن يكون قد نذر قراءته فإنه يقرأه ولو في السابعة، وأما تسميته بدراً في الليلة الرابعة عشر فلمبادرته الشمس في الطلوع كأنه يعجلها المغيب، وقيل سمي بدراً لكماله تشبيهاً له بالبدرة الكاملة وهي عشرة آلاف درهم، إذ عرفت هذا كله فاعلم أنه قد بقي هنا أمور لا بد من التنبيه عليها.

الأول: أنه قد وقع الإجماع علىٰ استحباب الدعاء عند رؤية الهلال للناس خلا ابن عقيل فإنه أوجب دعاء خاصاً وهو قوله عليه السلام الحمد لله الذي خلقني وخلقك وقدر منازلك وجعلك مواقيت للناس اللهم أهله علينا إهلالاً مباركاً اللهم ادخله علينا بالسلامة والإسلام واليقين والإيمان والبر والتقوىٰ والتوفيق لما تحب وترضىٰ، وكأن الذي هداه عليه الأمر به والأمر عنده للوجوب وهو قول نادر مخالف للجمهور، ولذا أوّل بعض أصحابنا كلامه بالاستحباب التأكيدي وهو كما ترىٰ، وأما دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو قوله عند رؤية الهلال الله أكبر الله أكبر الحمد لله لا حول ولا قوة إلا بالله اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وأعوذ بك من شر القدر وشر يوم المحشر الحمد لله الذي ذهب بشهر كذا وجاء بشهر نسألك فتحه ورزقه ونصره، وقد نقل من خط الشهيد (ره) نقلاً عن كتاب المكارم ما يفعل عند رؤية الهلال تكتب علىٰ يدك اليسرىٰ بسبابة يمينك محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلى ومحمد وجعفر وموسىٰ وعلي ومحمد وعلي والحسن والحجة عليهم السلام وتكتب قل هو الله أحد إلىٰ آخرها ثم تقول اللهم إن الناس إذا نظروا إلىٰ الهلال نظر بعضهم إلىٰ وجوه بعض وتبرك بعضهم ببعض وأني نظرت إلىٰ أسمائك واسم نبيك ووليك وأوليائك عليهم السلام وإلى كتابك فأعطني كل الذي أحب من الخير واصرف عني كل الذي أحب أن تصرفه عني من الشر وزدني من فضلك ما أنت أهله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وفي كتاب الهداية للصدوق (ره) إذا رأيت هلال شهر رمضان فلا تشر إليه بالأصابع ولكن استقبل القبلة وارفع يديك إلىٰ السماء وخاطب الهلال وقل ربي وربك الله رب العالمين اللهم أهله علينا بالأمن

والإيمان والسلامة والإسلام والمسارعة إلىٰ ما تحب وترضىٰ اللهم بارك لنا في شهرنا هذا وارزقنا عونه وخيره واصرف عنا ضره وفتنته.

الثاني: قد حكم الأصحاب باستحباب النظر إلىٰ الهلال ليلتي الثلاثين من شعبان ورمضان علىٰ العيان. والعلامة علىٰ الوجوب الكفائي فيهما استناداً إلىٰ أن الصوم والإفطار واجبان وهما لايتمان إلا بها، ورده شيخنا البهائي (قده) بأنه إنما يجب صوم ما يعلم أو يظن أنه من شهر رمضان لا ما يشك في كونه منه، وهكذا إنما يجب إفطار ما يعلم أو يظن أنه العيد لا ما يشك أنه هو والأغلب في الشهر أن يكون تاماً كما يشهد به التتبع انتهى، وهو كما ترىٰ فإن قوله إنما يجب صوم ما يعلم ويظن أنه من شهر رمضان مُسلم، ولكن النظر إليه إنما هو امارتهما وطريقهما والدال عليهما ويجب تحصيل دليل الحكم مهما أمكن، وأما قوله والأغلب، انتهى، فغير ضائر فيما ذكره الفاضل(ره) فإن الغالبية والأغلبية إنما يستندان أيضاً إلىٰ الرؤية مع أن غير الغالب كاف أيضاً فيما ادعاه العلامة لجواز أن يكون كل شهر من ذلك النادر الغير الغالب، ولا يعلم أنه ليس منه إلا بالرؤية، وفي قوله عليه السلام إنما الصوم للرؤية والإفطار للرؤية مؤيد قوي لما ذهب إليه العلامة.

الثالث: في بيان آداب قراءة هذا الدعاء وسائر الأدعية المأثورة في هذا الوقت، فمنها أن تكون قراءته قبل الانتقال من المكان الذي رأى فيه الهلال، ومنها استقبال القبلة حال الدعاء ورفع اليدين، ومنها أن لا يشير إلىٰ الهلال برأسه ولا بشيء من جوارحه لئلا يتشبه بالجماعة الذين يعبدونه ويعتقدون تأثيره، ومنها أن يخاطب الهلال بالدعاء، ولعل المراد به خطابه بما يتعلق به من الألفاظ كأكثر ألفاظ هذا الدعاء، وظن بعض الأفاضل المنافاة بين مخاطبة الهلال واستقبال القبلة في البلاد التي قبلتها علىٰ سمت المشرق وهو كما ترىٰ، لأن الخطاب ليس إلا توجيه الكلام نحو الغير للإفهام وهو لا يستلزم مواجهة المخاطب واستقباله إذ قد يخاطب الإنسان من هو وراءه، وقال بعضهم يمكن أن يقال باستقبال الداعي الهلال وقت قراءة ما يتعلق بمخاطبته من الفصول واستقبال القبلة في الباقي، وأما رفع اليدين فالظاهر أنه في جميع الفصول وإن كان تخصيصه بما عدا الفصول المخاطب بها الهلال غير بعيد، انتهىٰ. وهو بعيد.

«أَيُّها الخَلْقُ المُطِيعُ الدَّائِبُ السَّرِيعُ»

الخلق في الأصل مصدر بمعنىٰ الإبداع والتقديم ثم استعمل بمعنىٰ المخلوق

والدائب المجد التعبان أو المستمر في عمله علىٰ عادة مقررة، وبهما فسر قوله تعالىٰ: ﴿**وسخر لكم الشمس والقمر دائبين**﴾، وأما وصفه بالسرعة فقال شيخنا البهائي (ره) ربما يعطى بحسب الظاهر أن يكون المراد سرعته باعتبار حركته الذاتية التي يدور بها علىٰ نفسه، وتحرك جميع الكواكب بهذه الحركة مما قال به جم غفير من أساطين الحكماء، وهو يقتضي كون المحو المرئي في وجه القمر شيئاً غير ثابت في جرمه وإلا لتبدل وصفه كما قال سلطان المحققين، والأظهر أن ما وصفه عليه السلام من السرعة إنما هو باعتبار حركته العرضية التي يتوسط فلكه فإن تلك الحركة علىٰ تقدير وجودها غير محسوسة ولا معروفة والحمل علىٰ المحسوس المتعارف أولىٰ، وسرعة حركة القمر بالنظر إلى سائر الكواكب، أما الثوابت فظاهرة لكون حركتها من أبطأ الحركات حتىٰ أن القدماء لم يدركوها، وأما السيارات فلأن زحل يتم الدورة في ثلاثين سنة والمشتري في أثني عشر سنة والمريخ في سنة وعشرة أشهر ونصف وكلا من الشمس والزهرة وعطارد في قريب سنة وأما القمر فيتم الدورة في قريب من ثمانية وعشرين يوماً، هذا ولا يبعد أن يكون وصفه عليه السلام القمر بالسرعة باعتبار حركته المحسوسة علىٰ أنها ذاتية له بناء علىٰ تجويز بعض حركات السيارات في أفلاكها من قبيل حركة الحيتان في الماء كما ذهب إليه جماعة،ويؤيده ظاهر قوله تعالىٰ والشمس والقمر كل في فلك يسبحون، ودعوىٰ امتناع الخرق علىٰ الأفلاك لم يقترن بالثبوت، وما لفقه الفلاسفة لإثباتها أوهى من بيت العنكبوت لإثباته علىٰ عدم قبول الأفلاك بأجزائها الحركة المستقيمة، ودون ثبوته خرط القتاد، والتنزيل الإلٰهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ناطق بانشقاقها، وما ثبت من معراج نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بجسده المقدس إلىٰ السماء السابعة فصاعداً شاهد بانخراقها انتهىٰ، وهو كلام إسلامي يفوح منه رائحة العنبر.

«المُتَرَدِّدُ فِي مَنازِلِ التَّقْدِيرْ»

وهي الثمانية والعشرون التي يقطعها في كل شهر بحركته الخاصة فيرىٰ كل ليلة نازلاً بقرب واحد منها كما قال عز من قائل: ﴿**والقمر قدرناه منازل حتىٰ عاد كالعرجون القديم**﴾، وأسماؤها مشهورة بين العرب في أشعارهم ومحاوراتهم فيها يتعرفون فصول السنة وغيرها، والمراد بالتردد فيها عوده إليها في الشهر اللاحق بعد قطعه إياها في السابق، فتكون كلمة في بمعنىٰ إلىٰ، قال شيخنا البهائي (قده) ويمكن

أن تبقىٰ علىٰ معناها الأصلي بجعل المنازل ظرفاً للتردد فإن حركته التي تقطع تلك المنازل لما كانت مركبة من شرقية وغربية جعل كأنه لتحركه فيها بالحركتين المختلفتين مترددة يقدم رجلاً ويؤخر أخرىٰ، وأما علىٰ رأي من يمنع جواز قيام الحركتين المختلفتين بالجسم ويرىٰ أن للنملة المتحركة بخلاف حركة الرحى سكوناً حال حركتها فتشبيهه بالمتردد أظهر كما لا يخفىٰ، انتهى.

«المُتَصَرِّفُ فِي فَلَكِ التَّدْبيرْ»

قيل لا يبعد أن تكون الإضافة في فلك التدبير من قبيل إضافة الظرف إلىٰ المظروف كقولهم مجلس الحكم ودار القضاء أي الفلك الذي هو مكان التدبير ومحله نظراً إلىٰ أن ملائكة السماء يدبرون أمر العالم السفلي فيه أو إلىٰ أن كلاً من السيارات السبع يدبر في فلكها أمراً هي مسخرة له بأمر خالقها ومبدعها كما ذكره جماعة من المفسرين في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**فالمدبرات أمراً**﴾ ويمكن أن يراد بفلك التدبير مجموع الأفلاك الجزئية التي تتدبرها الأحوال المنسوبة إلىٰ القمر بأسرها وتنضبط بها الأمور المتعلقة بأجمعها، وقيل المراد بفلك التدبير الذي يدبره القمر نفسه نظراً إلىٰ ما ذهبت إليه طائفة من أن كل واحد من السيارات السبع مدبر لفلكه كالقلب في بدن الحيوان، قال سلطان المحققين ذهب فريق إلىٰ أن كوكباً منها ينزل مع أفلاكه بمنزلة حيوان واحد ذي نفس واحدة يتعلق بالكواكب أول تعلقها وبواسطة الكواكب يتعلق بالأفلاك كما يتعلق نفس الحيوان بقلبه وأعضائه الباقية بعد ذلك فالقوة المحركة منبعثة عن الكوكب الذي هو كالقلب في أفلاكه التي هي كالجوارح والأعضاء الباقية، انتهىٰ.
وأقول الظاهر أن المراد بالمتصرف معناه اللغوي وهو المتغير أي أنه متغير في ذلك المكان بالتشكلات الهلالية والقمرية والبدرية ويؤيده ما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ، واستدل بعض المحققين من هذه الفقرات علىٰ حياة القمر وإدراكه كما ذهب إليه الحكماء فإنهم ذهبوا إلىٰ أن الأفلاك بأجمعها حية ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها وأكثرهم علىٰ أن غرضها من حركاتها نيل التشبه بجنابه والتقرب إليه جل شأنه، وبعضهم علىٰ أن حركاتها لورود الشوارق القدسية عليها آناً فآن فهي من قبيل الطرب والرقص الحاصل من شدة السرور والفرح، وقال إن البعوضة والنملة فما دونها حية فما ظنك بأجرام شريفة تنزل من حركاتها البركات وهو استدلال باطل، أما هذه الفقرة ومعنىٰ التصرف فقد تحققته، وأما مخاطبته فلأنه قد شاع بين العرب خطاب

الأطلال والمنازل بتنزيلها منزلة من يعقل مع أن ما قاله يصادق الإجماع الذي نقله علم الهدىٰ (قده) علىٰ عدم شعور الأفلاك وحياتها، نعم يظهر من الآيات والأخبار أن لها شعور التسبيح والتقديس لخالقها وهو لا يستلزم أن يكون لها شعور التدبير والتصرف وأن تكون أشرف من الأنبياء لأنهم زعموا أن شرف العناصر بالتشبه بالأفلاك.

«آمَنْتُ بِمَن نَوَّرَ بِكَ الظُّلَمْ»

الباء في بك للسببية أو للصلة والإيمان وإن اختلف فيه كما عرفت إلا أنه إذا عدي بالباء كان معناه التصديق القلبي وفاقاً، والنور والضوء مترادفان وقيل بالفرق بأن تلك الكيفية إن كانت من ذات الشيء فهي ضوء وإن استفيدت من غيره فهي نور وعليه جرىٰ قوله تعالىٰ ﴿**جعل الشمس ضياء والقمر نوراً**﴾، قيل ولعله أراد بالظلم الأهوية المظلمة لا الظلمات أنفسها فإنها لا تتصف بالنور، وهو مبني علىٰ أن الهواء يتكيف بالضوء وهو محل خلاف فالذين جعلوا اللون شرطاً في التكيف بالضوء منعوا منه وحينئذ فالمراد بتنوير الظلم اعدامها بإحداث الضوء في محالها بناء علىٰ أن الظلمة كيفية وجودية كما حققناه في أول الكتاب.

«البُهَمْ»

جمع بهمة وهو ما يصعب علىٰ الحاسة إدراكه إن كان محسوساً وعلىٰ الفهم إن كان معقولاً.

«وَجَعَلَكَ آيَةً» التنوين إما للنوعية أو للتعظيم واحتمال التحقير كما قيل بعيد جداً.

«سُلْطانُهْ»

مصدر بمعنىٰ الغلبة والتسلط وقد يجيء بمعنىٰ الحجة والدليل لتسلطه علىٰ القلب وأخذه بعنانه.

«وَامْتَهَنَكَ بِالزِّيادَةِ والنُّقْصَانْ»

أي استعملك في المهنة بالفتح والكسر أي الخدمة والذل والمشقة وهو كالبيان لقوله آية وحصول الإمتهان له بالنقصان ظاهر، وأما توجيهه بالزيادة فقد ذكر له وجهان، أحدهما: أنه كان أحد وجهيه مستنيراً بالشمس دائماً وكانت زيادة إنما هي بحسب إحساساً فقط وقد سخره الأمر الإلهي لأن يتحرك في النصف الأول من الشهر

علىٰ نهج لا يزيد به المنير في كل ليلة إلا شيئاً يسيراً لا يستطيع أن يتخطاه ولا يقدر علىٰ أن يتعداه، أثبت عليه السلام له الإمتهان بسبب إذلاله وتسخيره للزيادة علىٰ هذا الوجه المقرر والنهج الخاص، وثانيهما أن يكون مراده عليه السلام الإمتهان بمجموع الزيادة والنقصان أعني التغير من حال إلىٰ حال وعدم البقاء علىٰ شكل واحد، وهذا الوجه جار فيما نسبه عليه السلام من الامتهان بالطلوع والأفول والإنارة والخسوف ووجه امتهانه بالإنارة بوجه آخر وهو أن يراد بها إعطاؤه النور للغير كوجه الأرض مثلاً لا اتصافه بالنور فإن الإنارة والإضاءة كما جاءا في اللغة لازمين فقد جاءا متعديين أيضاً فقال ينبغي أن يراد بالكسوف كسفه للشمس لتتم المقابلة ويصير المعنىٰ امتهنك بأن تفيض النور علىٰ الغير تارة وتسلبه عنه أخرىٰ ولو أريد المعنىٰ الشامل للخسوف أو نفس الخسوف لم يكن فيه بعد.

«سُبْحَانَهُ مَا أَعْجَبَ مَا دَبَّرَ فِي أَمْرِكَ وَأَلْطَفَ مَا صَنَعَ فِي شَأْنِكْ»

سبحان مصدر بمعنىٰ التنزيه عن النقايص ولا يستعمل إلا محذوفاً للفعل منصوباً علىٰ المصدرية، لكنه صار في الشرع علماً لا علىٰ مراتب التعظيم والتنزيه التي لا يستحقها إلا هو سبحانه ولذلك لا يجوز استعمالها في غيره تعالىٰ، وإليه ينظر ما قال بعض الأفاضل من أن التنزيه المستفاد من سبحان الله ثلاثة أنواع تنزيه الذات عن نقص الامكان الذي ينتج السوء، وتنزيه الصفات عن وصمة الحدوث بل عن كونها مغايرة للذات المقدسة وزائدة عليها، وتنزيه الأفعال عن القبح بل عن كونها جالبة إليه تعالىٰ نفعاً أو دافعة عنه سبحانه ضرراً كأفعال العباد، وما تحتمل الموصولية والموصوفية والاستفهامية علىٰ الخلاف في ما التي للتعجب، والأمر والشأن مترادفان.

«جَعَلَكَ مِفْتَاحَ شَهْرٍ حَادِثٍ لأَمْرٍ حَادِثْ»

الظرف إما أن يتعلق بحادث أي أن حدوث ذلك الشهر وتجدده إنما هو لأجل إمضاء أمر حادث مجرد وإما أن يتعلق بجعل والتنوين في أمر للإبهام وعدم التعيين أي أمر مبهم علينا حاله وفي تشبيه الهلال بالمفتاح لطافة حيث أن له ميلاً وانعطافاً واعوجاجاً كأكثر المفاتيح.

«فَأَسْأَلُ اللهَ رَبِّي وَرَبَّكْ»

الفاء إما أن تكون للسببية مثلها في قوله تعالىٰ: **﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء**

ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾ فإن ذلك الأمر لما ابهم كان إبهامه سبباً لأن يسأل الله سبحانه أن يكون بركة وأمناً، وإما أن تكون فصيحة إما بتقدير شرط كما زعمه الخوارزمي أو لا بتقديره كما نقل عن السكاكي أي وهو مبهم فأسأل الله، والظاهر أن تقدير الشرط عنده غير مناف لفصاحتها كما بينه الفاضل الشريف في بحث الإيجاز والإطناب من شرح المفتاح، والإتيان بلفظ الجلالة إما للتعظيم والتبرك والاستلذاذ، أو لإرادة الوصف لما بعده إذ المضمر لا يوصف، وقول الكسائي بجواز وصف ضمير الغائب لكثرة الإشتراك فيه ضعيف وإضافة الرب إلىٰ ضمير المتكلم من إضافة الصفة إلىٰ غير معمولها نحو كريم البلد إذ الصفة المشبهة لإشتقاقها من الفعل اللازم لا مفعول لها وإضافتها اللفظية منحصرة في إضافتها إلىٰ الفاعل فلذلك جاز وصف المعرفة بها.

«هِلاَلَ بَرَكَةٍ لا تَمْحَقُها الأَيَّامْ»

البركة في اللغة النماء والزيادة في الخير، ولعل المراد هنا الترقي في معارج القرب ومدارج الأنس يوماً فيوماً (من استوىٰ يوماه فهو مغبون)، والمحق الإبطال والمحو ومنه سمىٰ الليالي الثلاث الأخيرة من الشهر حاقاً لمحق نور القمر منها.

«وطَهارَةٍ لاَ تُدَنِّسُها الآثَامْ»

ويندرج في الطهارة هنا نزاهة الجوارح من الأفعال المستقبحة واللسان عن الأقوال المستهجنة والنفس عن الأخلاق الذميمة، بل النزاهة عن كل ما يشغل عن التوجه إلىٰ جنابه وذلك بخلع النعلين والتجرد عن الكونين فإنهما محرمان علىٰ أهل العرفان، وأما تدنيس الآثام للطهارة القلبية فباعتبار أن كل معصية يفعلها الإنسان يحصل منها ظلمة في القلب كما يحصل من النفس ظلمة في المرآة وإذا تراكمت ظلمات الذنوب علىٰ القلب صارت رينا وطبعاً وختماً كما تصير الأبخرة المتراكمة علىٰ وجه المرآة صدأ، وأما إسناد المحق إلىٰ الأيام والتدنيس إلىٰ الآثام فمجاز عقلي والعلاقة في الأول زمانية وفي الثاني سببية.

«هِلالَ أَمْنٍ مِنَ الآفاتِ وسَلامَةٍ مِنَ السَّيِّئاتْ»

ينبغي أن يقصد السلامة من الآفات الجسمانية والنفسانية كالكبر والحسد والغل

ومشتهيات البهيمية والسبعية، فإن طلب الأمن [من][1] هذه الآفات المهلكات أحق وأحرىٰ.

«هِلالَ أَمْنٍ وإيمانٍ وَنِعْمَةٍ وإحْسَانْ»

قال شيخنا البهائي (قده) يمكن أن يراد بالإحسان معناه الظاهر المتعارف، والأنسب أن يراد به المعنىٰ المتداول علىٰ لسان أصحاب القلوب وهو الذي فسره ﷺ بقوله الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وحينئذ ينبغي أن يراد بالإيمان والإسلام المرتبتان المعروفتان بعين اليقين وحق اليقين، انتهىٰ. وقد طلب عليه السلام الإيمان والإسلام مرتين إحداهما علىٰ طريق الإطلاق والأخرىٰ علىٰ طريق التقييد، فيحتمل أن يراد بالمطلقة سلامة القلب عن التعلق بغير الحق كما قيل في قوله تعالىٰ ﴿**يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم**﴾ وأما الأمن المطلق فيحتمل أن يراد به طمأنينة النفس بحصول راحة الأنس فإن السالك ما دام في سيره إلىٰ الحق سيكون مضطرباً غير مستقر الخاطر لخوف العاقبة وخوف عروض العوائق فإذا ارتفعت الحجب الظلمانية تنور القلب بنور العيان وحصلت الراحة والإطمئنان، إذا انتقش هذا كله علىٰ لوح بالك فاعلم أنه قد استدّل بعض أصحابنا من هذه الفقرات علىٰ حقية علم النجوم وعلىٰ كمال شرفه ومرتبته حيث أن معرفة الكسوف والخسوف والزيادة والنقصان إنما تعرف بالإطلاع علىٰ دقائق علمي النجوم والهيئة، وقد بالغ في إثبات حقية هذا العلم وجواز تعلمه وتعليمه الزاهد العابد ابن طاووس وصنف كتاباً في هذا الباب للرد علىٰ السيد المرتضىٰ حيث نفاه رأساً وهدم بنيانه أساساً وذهب إلىٰ أنه كالسحر لا حقيقة له في الخارج وما يوافق أقوال المنجمين وإخباراتهم فهو علىٰ طريق الاتفاق، والذي يفهم من تضاعيف الأخبار حقيته وثبوته وأنه من أشرف العلوم إلا أنا نهينا عن تعلمه وتعليمه ومذاكرته والنظر فيه وتصديق صاحبه فيه، أما الأول فلما رواه الكليني بإسناده إلىٰ المعلىٰ بن خنيس قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم أهي حق فقال نعم إن الله عز وجل بعث المشتري إلىٰ الأرض في صورة رجل فأخذ رجلاً من العجم فعلمه النجوم حتىٰ ظن أنه قد بلغ فقال انظر أين المشتري فقال ما أراه في الفلك وما أدري أين هو، قال فنحاه وأخذ بيد رجل من أهل الهند فعلمه حتىٰ ظن أنه قد بلغ فقال انظر المشتري أين هو فقال إن حسابي ليدل علىٰ أنك أنت المشتري فشهق

---

(١) غير موجودة في الأصل، ولكن يقتضيها سياق الكلام.

شهقة فمات وورث علمه أهله فالعلم هناك، وقال أبو عبد الله عليه السلام وقد سئل عن علم النجوم فقال ما يعلمها إلا أهل بيت من العرب وأهل بيت من الهند، وفي روضة الكافي في حديث طويل عنه عليه السلام يقول في آخره إن علم الحساب حق ولكن لا يعلم ذلك إلا من علم مواليد الخلق كلهم، وفي تفسير العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام إن الله تبارك وتعالىٰ خلق روح القدس فلم يخلق خلقاً أقرب إليه منها فإذا أراد أمراً ألقاه إليها فألقاه إلىٰ النجوم فجرت به، وفي روضة الكافي أيضاً عن عبد الرحمٰن بن سبابة قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك الناس يقولون إن النجوم لا يحل النظر إليها وهي تعجبني فإن كانت تضر بديني فلا حاجة لي في شيء يضر بديني وإن كانت لا تضر بديني فوالله لأشتهيها وأشتهي النظر فيها، فقال عليه السلام ليس كما يقولون لا تضر بدينك، ثم قال إنكم تنظرون في شيء منها كثيره لا يدرك وقليله لا ينتفع به تحسبون علىٰ طالع القمر الحديث، وأما الثاني وهو النهي عن الخوض فيه فلما صح عن علي عليه السلام أنه لما أراد المسير إلىٰ الخوارج قال له بعض أصحابه ان سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم، فقال عليه السلام أتزعم أنك تهدي إلىٰ الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء، وتخوف الساعة التي من سار بها حاق به الضر فمن صدقك بهذا فقد كذب القرآن واستغنىٰ عن الإستعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه وينبغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربه لأنك بزعمك هديته إلىٰ الساعة التي ينال فيها النفع وأمن الضر، أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما يهتدى به في بر أو بحر فإنها تدعو إلىٰ الكهانة. المنجم كالكاهن والكاهن كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار سيروا علىٰ اسم الله وعونه، وروىٰ الصدوق في الفقيه عن عبد الملك بن أعين قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إني قد ابتليت بهذا العلم فأريد الحاجة فإذا نظرت إلىٰ الطالع ورأيت طالع الشر جلست ولم أذهب فيها وإذا رأيت طالع الخير ذهبت في الحاجة فقال لي تقضي؟ قلت نعم قال أحرق كتبك، وفي كتاب جعفر بن محمد الدوريسني بإسناده إلىٰ ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إذا ذكر القدر فامسكوا وإذا ذكر أصحابي فامسكوا وإذا ذكر النجوم فامسكوا، وفي إرشاد المفيد عن أبي جعفر عليه السلام حديث طويل يقول فيه إذا قام القائم عليه السلام كسر كل جناح في الطريق وأبطل الكنف والميازيب إلىٰ الطرقات ويفتح قسطنطينية والعبر وجبال الديلم فيمكث علىٰ ذلك سبع سنين مقدار كل سنة عشر سنين

من سنينكم قال قلت جعلت فداك كيف تطول السنون قال يأمر الله تعالىٰ للفلك بالثبوت وقلة الحركة فتطول الأيام لذلك والسنون قال له إنهم يقولون إن الفلك إذا تغير فسد قال ذلك قول الزنادقة فأما المسلمون فلا سبيل لهم إلىٰ ذلك وقد شق الله القمر لنبيه ﷺ ورد الشمس من قبله ليوشع بن نون وأخبر بطول يوم القيامة وأنه كألف سنة مما تعدون، والأخبار الدالة علىٰ هذين الأمرين متكثرة جداً، ولعل علة النهي عن تعلمه وتعليمه مع ثبوت صحته واقعاً عدم طاقة الناس بتحمله وعدم سعة صدورهم لنقله، بل ربما أنجر حال صاحبه إلىٰ الاعتقاد بتأثير النجوم وشراكتها له تعالىٰ في التدبير كما شاهدنا من منجمي أعصارنا بل يجوز أن يكون هذا هو وجه الجمع للأخبار الواردة في هذا الباب بأن يقال إن النهي إنما توجه إلىٰ من اعتقد تأثيرها في الحوادث بالاستقلال أو بالمشاركة وصحتها وما ورد فيه من الأخبار علىٰ أنها علامات علىٰ بعض حوادث هذا العالم كما أن حركات النبض واختلاف أوضاعه علامات يستدل بها الطبيب علىٰ ما يعرض البدن من الصحة والمرض، مع أن الإحتياط في الدين تركها رأساً إذ يجوز أن تكون العلة في النهي عنها هو أن لا يستخف الناس بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء ويقولون إن ما أخبر به النبي ﷺ من المغيبات فقد أخبر به هذا المنجم، فيدخل علىٰ الناس فيه الشبهات ويحقروا أهل الكرامات نعم ما يهتدى به في بر أو بحر وكون القمر في برج العقرب وما يشاكل هذا فينبغي تعلمه لوروده في الشريعة.

«اللَّهُمْ اجْعَلْنا مِنْ أَرْضَى مَنْ طَلَعَ عَلَيْهِ وَأَزْكَىٰ مَنْ نَظَرَ إِلَيْهْ»

أرضى كما يجوز أن يكون للفاعل كما هو الموافق للقياس يجوز أن يكون للمفعول أيضاً كما في أعذر وأشهر، وقيل المراد باسم التفضيل هنا ما يشملهما من قبيل استعمال المشترك في معنييه، والطلوع قيل المراد به الخروج من تحت الشعاع وقيل المراد به الطلوع الخاص في مدة الليلة، وقيل المراد به الطلوع في الزمن الماضي مطلقاً، والأظهر أن يراد به ظهوره للحس، والمراد بالتزكية تطهير النفس من الرذائل وجعلها متصفة بسعادة الدارين، وفي قوله: اللهم اجعلنا، انتهى، التفات من الغيبة إلىٰ الخطاب وفيه نكتة لا تخفىٰ علىٰ ذوي الألباب.

«وَأَسْعَدَ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهْ»

الضمائر المجرورة من هنا إلىٰ آخر الدعاء تابعة إلىٰ الهلال بمعنىٰ الشهر وليس

كذلك المرفوع في طلع عليه، والمجرور في نظر إليه، ففي الكلام استخدام من باب فسقىٰ الغضا.

«وَاعْصِمْنا فِيهِ مِنَ الحَوْبَة»

العصمة هنا بمعناها اللغوي أعني الحفظ وإرادة المعنىٰ الإصطلاحي أعني اللطف الذي يفعله الله بالمكلف بحيث لا يكون معه داع إلىٰ فعل المعصية مع قدرته عليها لا يساعد عليه التعدية بمن لعدم معهوديته، والحوبة الخطيئة.

«وَاحْفَظْنا فِيهِ مِنْ مُباشَرَةِ مَعْصِيَتِكْ» ما أحسن هذا التعبير وألطفه.

«وَأَلْبِسْنَا فِيهِ جُنَنَ الْعَافِيَة»

الجنن جمع جنة وهي الستر والإضافة فيه من قبيل لجين الماء ويجوز جعله استعارة بالكتابة مع الترشح.

دعاؤه عليه السلام إذا دخل شهر رمضان

يجوز أن يراد به الليلة الأولىٰ واليوم الأول ويجوز أن يراد به الدخول العرفي وهو المتبادر حيث تنتفي الحقيقة اللغوية.

«وَجَعَلَنَا مِنْ أَهْلِهْ»

بأن علمنا كيف نحمده أو رخص لنا في حمده فإنه لو لم يعلمنا طريق حمده لم نعرفه لعدم إطلاعنا علىٰ صفاته الحقيقية وكنهها ولو لم يرخصنا فيه لكان حمدنا له تعالى من باب حمد أحمق الحمقاء لأعظم أعاظم الملوك والسلاطين وهو مستقبح عقلاً وعرفا، والظاهر أن المراد بالجعل هنا الاتصاف والتلبس به فإن الهداية إلىٰ الشيء وإن استلزمت تعريفه لكنها لا تستلزم التلبس به كما لا يخفىٰ.

«وَلِيَجْزِيَنَا عَلَىٰ ذَلِكَ جَزاءَ الْمُحْسِنِينْ»

الظاهر أن هذا علة للجعل كما أن سابقه علة للهداية وليس علة للأول كالأول فإن الهداية إلىٰ الحمد لا تستلزم الجزاء عليه لما عرفت، ويجوز أيضاً أن يكون كل منهما علة لكل منهما بناء علىٰ أن الهداية هنا بمعنىٰ الإيصال، والجزاء يجوز أن يراد به الجزاء الأخروي ويجوز أن يراد به الجزاء الدنيوي ويكون إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لئن

شكرتم لأزيدنكم﴾، ويجوز أن يراد به الأعم منهما فإن اطلاق الحمد علىٰ ما يعم الشكر شايع في اصطلاح الأخبار كعكسه ويشهد له ما هنا.

«وحَبَانَا بِدِينِهْ»

من الحبوة وهي العطية علىٰ طريق الإختصاص والمراد بالدين الإسلام بحكم قوله تعالىٰ إن الدين عند الله الإسلام، وقد خصهم الله تعالىٰ به كما رُوي عن الصادق عليه السلام أنه ما على دين إبراهيم غيرنا وشيعتنا.

«وَسَبكَنا فِي سُبُلِ إحْسَانِهْ»

أي أدخلنا في طرق إحسانه ادخالاً كثيراً من أماكن كثيرة.

«حَمْدَاً» نصبه علىٰ المفعولية لفعل محذوف أو للحمد السابق لقيامه مقام الفعل.

«شَهْرُ رَمَضَانْ»

الرمضان مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء فأضيف إليه الشهر وجعل علماً ومنع الصرف وحينئذ فقوله عليه السلام من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه من باب حذف أحد جزأي العلم لأمن اللبس، وأما وجه التسمية فلأن الصوم فيه عبادة قديمة فكأنهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع، وقيل لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالأزمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر، وقيل إنما سمي رمضان لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها، وقيل إن رمضان اسم من أسماء الله تعالىٰ ولذا روي لا تقل جاء رمضان ولا ذهب رمضان ولكن قل شهر رمضان فإنك لا تدري ما رمضان.

«وَشَهْرُ الإِسْلامْ»

أي الإنقياد والطاعة الذي هو أعلىٰ مراتب الإيمان، وهو المراد من قوله تعالىٰ حكاية عن خليله «حنيفاً مسلماً»، ويجوز أن يراد به معناه العام فإن هذا الشهر من شعائر المسلمين يعرفون به ويُميزون به عن غيرهم من ذوي الملل والأديان.

«وَشَهْرُ التَّمْحِيصْ»

أي الإبتلاء والاختيار ومحو الذنوب والتخليص منها فإنه قد أتىٰ في اللغة بهما.

«وَشَهْرُ الطُّهُورْ»

علىٰ المصدر والإضافة من باب إضافة الظرف إلىٰ المظروف والسبب إلىٰ المسبب كما في شهر الصيام، وبالفتح علىٰ فعول إما للمبالغة أو بمعنىٰ ما به الطهور من باب أقذار الذنوب وأدناس السيئات.

«الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنْ»

فإنه نزل فيه جملة واحدة إلىٰ سماء الدنيا ثم نزل نجوماً إلىٰ الأرض وهو مروي عن الصادق عليه السلام وقد مر الكلام مفصلاً فيه في أول الكتاب.

«هُدَىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَىٰ وَالفُرْقَانْ»

أي حال كونه هادياً للناس ومُشتملاً علىٰ علامات ظاهرة من الهداية وما يفرق به بين الحق والباطل، والمراد بالهدىٰ الأول الهدىٰ من الضلالة وبالثاني الحلال والحرام، وقيل المراد من الأول ما كلف من العلم وبالثاني ما يشتمل عليه من ذكر الأنبياء وشرائعهم وأخبارهم فإنها لا تدرك إلا به.

«المَوْفُورَة» المتكثرة.

«سَلاَمٌ دَائِمُ البَرْكَة»

أي يسلمون سلاماً دائم البركة علىٰ الإمام عليه السلام فحذف الفعل وعدل إلىٰ الجملة الإسمية لإرادة الثبوت والاستمرار، وقيل المراد إنه ما يتنزل في تلك الليلة إلا السلامة والخير والإحسان، وأما النقمات والشدائد فيقضى في غيرها من الليالي، والأول هو المروي عنه عليه السلام.

«عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبادِهْ»

وهو إمام العصر عليه السلام والتعبير بمثله إما للتقية أو للتعظيم، والظرف إما متعلق بالسلام وإما متعلق بالتنزل.

«بِمَا أَحْكَمَ مِنْ قَضَائِهْ»

أي بقضائه المحكم المبرم الذي لا يتطرق إليه محو ولا إثبات بخلاف غيرها من الليالي.

«بِكَفِّ الْجَوَارِحْ»

الظاهرة والباطنة مما سواه تعالىٰ، روي أنه ﷺ سمع امرأة تسب جارية وهي صائمة فدعا رسول الله ﷺ بطعام فقال لها كلي فقالت إني صائمة فقال كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك إن الصوم ليس من الطعام والشراب وحده، والظاهر أن دعاءه عليه السلام لها بالطعام بناء علىٰ علمه عليه السلام بأن صومها كان تطوعاً، ويحتمل وجوبه، ويكون مثل هذا من باب التأديب يعني أن مثل هذا الصوم لا يثاب عليه صاحبه بل وجوده كعدمه وإن كان يجب إتمامه، والحاصل أن المراد طلب التوفيق لهذا الصوم الكامل، وقيل إن الباء بمعنىٰ مع وهو كما ترىٰ.

«لا تَعِي» لا تحفظ ولا تجمع مأخوذ من الوعاء وهو الظرف.

«إلاّ بِمَا مَثَّلْتْ»[1] المثل لحركة الحجة والحديث وقد مثل به تمثيلاً إذا صوره.

«وسُمْعَةِ المُسْتَمِعِينْ»[2]

الفرق بين الرياء والسمعة أن الرياء يكون مقارناً والسمعة تكون بعده.

وقِفْنَا فِيهْ»

من الوقوف وفي خ بالواوين والتشديد من التوقيف أي اجعلنا ذي وقوف عليها لا نتجاوزها.

بِحُدُودِهَا الَّتِي حَدَّدْتَ»

قال الصادق عليه السلام الصلاة لها أربعة آلاف حد وهي عبارة عما يتعلق بها من الأحكام الواجبة [و][3] المستحبة، وقد صنف بعض أصحابنا كتاباً في تفصيل هذه الأحكام.

«وَفُرُوضِهَا الَّتِي فَرَضْتَ»

هذا وما بعده من باب عطف الخاص علىٰ العام، والمراد بوظائفها.

---

(١) وفي نسخة «قلت».
(٢) وفي نسخة «المُسْمِعين».
(٣) غير موجودة في الأصل، ولكن يقتضيها سياق الكلام.

«الحَافِظِينَ لأَرْكانِها»

الظاهر أن المراد بالأركان هنا واجباتها المحثوث عليها شرعاً، ويجوز إرادة المعنىٰ المصطلح منها.

«وأَنْ نُسَالِمَ» المسالمة المصالحة.

«حَتَّىٰ لا يُورِدَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ مَلاَئِكَتِكَ إِلاَّ دُونَ مَا نُورِدُ مِنْ أَبْوَابِ الطَّاعَةِ»

لهذه الفقرة معنيان، أحدهما أن يكون قد طلب أن تكون جرائمه أذونَ وأقل من طاعاته حتىٰ تكون طاعاته مكفرة لسيئاته، والتقدير لا يصعد إليك أحد من حفظة أعمالنا بشيء من ذنوبنا إلا أن تكون تلك الذنوب أقل مما يصعدون به إليك من طاعاتنا، وثانيها أن تكون الطاعات الصادرة منا كثيرة بحيث يكون كلما يورد الملائكة ويصعدون به منها أقل مما يصدر منا ونفعله من تلك الطاعات كما أن بعض الطاعات لعظمه لا يحصيها ولا يثنيها إلا هو سبحانه، وثالثها طلب أن تكون طاعاته أكثر من طاعات سائر الملائكة، وحاصله أن كل طاعة تصدر من أحد من الملائكة تكون أقل من الطاعة الصادرة مني، ولعل هذا المعنىٰ هو الأظهر.

«الرَّفِيعُ الأَعْلَىٰ بِرَحْمَتِكَ»

وهو أعلىٰ درجات الجنة الذي هو محل الأنبياء عليهم السلام ومنزلهم، والظرف متعلق باجعلنا ويجوز تعلقه باستحق.

«وَجَنِّبْنَا الإِلْحَادَ فِي تَوْحِيدِكَ»

الإلحاد الميل وكأن المراد الميل عن التوحيد الخالص.

«والإِنْخِدَاعَ لِعَدُوِّكَ»

إما أن تكون اللام بمعنىٰ من وإما أن يضمن الإنخداع معنىٰ الطاعة ونحوها.

«وإِذَا كَانَ»

إذا هنا للتعليل لكنها لما تضمنت معنىٰ الشرط دخلت الفاء في جوابها.

«إِمَّحَاقْ»

الإمْحاق الإبطال والمحو من باب الإنفعال أو الإفتعال علىٰ مطاوعة محقه فانمحق وامتحق فأبدلت النون أو التاء ميماً وأدغمت إحدىٰ الميمين في الأخرى.

«إِشْحَنْهُ»

املأه والضمير للشهر، ﴿**الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون**﴾ لفظ الإرث إستعارة لإستحقاقهم الفردوس بأعمالهم وإن كان مقتضىٰ وعده مبالغة فيه، كذا قال جمهور المفسرين والمروي عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام أن المؤمنين يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها علىٰ أنفسهم، لأنه تعالىٰ خلق لكل إنسان منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار.

«وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا»

أي يعطون ما أعطوا من الصدقات. «**وقُلُوبُهم وجِلة**» خائفة أن لا يقبل منهم وأن لا يقع علىٰ الوجه اللائق فيؤخذوا به. ﴿**أنَّهم إلىٰ ربّهم راجعُون**﴾ لأن مرجعهم إليه أو (منِ) أن مرجعهم إليه وهو يعلم ما يخفىٰ عليهم. ﴿**ومِنَ الذين يُسارعون في الخيرات**﴾ أي يرغبون في الطاعات أشد الرغبة فيبادرون إليها أو أنهم يتعجلون في الدعاء المنافع ووجوه الإكرام كما قال فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

«وهُمْ لَها سَابِقُونْ»

أي فاعلون السبق وسابقون الناس لأجلها أو إياها سابقون أي فيأتونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا.

وكان من دعائه عليه السلام في وداع شهر رمضان

قيل باستحباب قراءته آخر يوم من الشهر وقيل في ليلة العيد، ويؤيده ما سيأتي من قوله عليه السلام السلام عليك ما كان أحرصنا بالأمس عليك وأشد شوقنا غدا إليك، وقيل بما يسمىٰ آخره عرفاً، وفي توقيع صاحب الزمان في جواب كتابه لمحمد بن عبد الله بن جعفر الحميري استحباب قراءته آخر ليلة من الشهر، وكذا يستحب في آخر جمعة لما رواه السيد الأجل السيد علي بن طاووس في كتاب الإقبال، وهذان الوقتان هما وقته ولا اعتبار بغيرهما.

«لاَ يَرْغَبُ فِي الْجَزَاءْ»

أي لا يحرص عليه وينتفع فيه حتى يجازي علىٰ مقدار الأعمال بل جازىٰ علىٰ الحسنة بعشر أمثالها.

«ويَا مَنْ لاَ يُكَافِيءُ عَبْدَهُ عَلَىٰ السَّوَاءْ»

يعني لم تعامل المجرمين بالعدل بل عاملتهم بالتفضل، أو أنه إذا عمل أحد خيراً في جنبك لم تعامله بالعدل بأن تجازيه حسنة بل تعامله بالتفضل فتجازيه بالحسنة سبعمائة بحكم قولك ﴿**كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة**﴾.

«تَشْكُرُ مَنْ شَكَرَكْ»

أي تجازيه علىٰ شكره فالتسمية لمجاز المقابلة، والأظهر أنه عبارة عما رُوي من أن العبد إذا عمل عملاً خالصاً باهىٰ الله به الملائكة وأرواح الأنبياء، كما قال تعالىٰ في الحديث القدسي يابن آدم اذكرني في ملإك أذكرك في ملإٍ خير منه.

«مَنْ قَصَدَ لِنَفْسِهِ بِالظُّلْمْ»

الظرف الأخير متعلق بقصد والباء زائدة أو بتضمن ما يتعدىٰ بها، ويجوز أن تكون الباء للسببية ومفعول الفعل محذوف أي قصد المهالك والعذاب بسبب ظلمه، والظرف الأول علىٰ هذا الأخير يجوز تعلقه بالفعل ويجوز تعلقه بالمصدر من تأخر عنه.

«بِأَناتِكَ» أي بتأخير عذابهم ومؤاخذتهم.

«كَيْلاَ يَهْلِكَ عَلَيْك هَالِكُهُمْ»

المراد بالهلاك هنا الهلاك المعنوي وهو الموت علىٰ غير بصيرة فإنه مستوجب للعذاب الدائم، ومعنىٰ يهلك عليك أي يهلك علىٰ يديك كما يقال فلان كان هلاكه علىٰ يد فلان أي كان هو القاتل له.

«ولاَ يَشْقَىٰ بِنِعْمَتِكَ»

الباء للمصاحبة أي مع وجودها أو للسببية فإن النعمة قد تبعث علىٰ الشقاوة، قال تعالىٰ: ﴿**إن الإنسان ليطغىٰ إن رآه استغنىٰ**﴾.

«الإعْذَارُ» من التهديد بإيصال المكروه إليه.

«وعَائِدَة» العائدة الصلة والتفضل.

«دَلِيلاً مِنْ وَحْيِكْ» وهو الآية الآتية واحتمال إرادته ﷺ بعيد.

«تَبارَكَ اسْمُكْ»

تنزه عن شوائب النقص كما قال تعالىٰ أياً ما تدعو فله الأسماء الحسنىٰ. ﴿**توبوا إلىٰ الله توبة نصوحا**﴾ قيل فيها ضروب من التفسير، الأول المراد بها توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلىٰ الإتيان بمثلها لظهور آثارها الحسنة علىٰ صاحبها، أو تنصح صاحبها فيقلع عن الذنوب ثم لا يعود إليها أبداً، الثاني أنها الخالصة له تعالىٰ من قولهم عسل نصوح إذا كان خالصاً من الشمع، الثالث أن النصوح مأخوذ من النصاحة وهي الخياطة لأنها تنصح من الدين ما مزقته الذنوب، أو أنها تجمع بين التائب وبين أولياء الله كما تجمع الخياطة بين قطع الثوب، الرابع أن النصوح وصف التائب وإسناده إلىٰ التوبة من قبيل الإسناد المجازي أي توبة ينصحون بها أنفسهم ويمحون بها سيئاتهم، وروي أن أمير الؤمنين عليه السلام سمع أعرابياً يقول اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك فقال يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين، قال وما التوبة قال يجمعها ستة أشياء علىٰ الماضي من الذنوب الندامة والفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم علىٰ أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي، هذا ما ذكره المفسرون وأما ما في الأخبار ففي

بعض الروايات عن الصادق عليه السلام أن المراد بها صوم يوم الأربعاء والخميس ويوم الجمعة في بعض منها، وعنه أيضاً أن النصوح هو أن يكون باطن الرجل كظاهره وأفضل، وقال عليه السلام إذا تاب الرجل توبة نصوحاً أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة فقلت وكيف يستر عليه قال يُنسِي ملائكته ما كتبا عليه من الذنوب ويوحي إلىٰ جوارحه اكتمي عليه ذنوبه ويوحي إلىٰ بقاع الأرض اكتمي ما كان يعمل عليك من الذنوب فيلقىٰ الله ولا يشهد عليه أحد.

«عَسَىٰ رَبُّكُمْ»

إطماع من الله لعباده وفيه وجهان: الأول إنه جار علىٰ ديدن الجبابرة من الإجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت، الثاني إنه تعليم للعباد في وجوب الترجح بين الخوف والرجاء ويؤيد الأول قراءة ابن عبلة ويدخلكم بالجزم لعطفه علىٰ محل عسىٰ أن يكفِّر كأنه قال توبوا توبة توجب تكفير سيئاتكم وتدخلكم [جنات][1].

«تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا» أي من تحت أشجارها أو من تحت قصورها وبنيانها.

«يَوْمَ لا يُخْزِي»

من هنا إلىٰ آخر الآية يكتب تارة في الصحائف وأخرىٰ علىٰ الهامش، ونصب الظرف بيدخلكم وهو تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق واستحماداً إلىٰ المؤمنين علىٰ أنه عصمهم من مثل حالهم.

«يَسْعَىٰ نُورُهُمْ» علىٰ الصراط أو في عرصات القيامة.

«أَتْمِمْ لَنا نُورَنَا»

قيل بقوله (أتمم لنا نورنا) أي أدناهم منزلة لأنهم يعطون من النور قدر ما يبصرون مواطىء أقدامهم لأن النور علىٰ قدر الأعمال فيسألون إتمامه تفضلاً.

«ذَلِكَ الْمَنْزِلُ» وهو عفوه تعالىٰ.

«فِي السَّوْمْ» المساومة المجاذبة بين البايع والمشتري علىٰ السلعة وفضل ثمنها.

---

(١) غير موجودة في الأصل، لكن يقتضيها سياق الكلام.

«بِالوِفَادَة» أي القدوم.

«مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ»

قال الصادق عليه السلام ويلٌ لمن غلبت آحاده أعشاره فقلت له وكيف هذا فقال أما سمعت الله عز وجل يقول: ﴿من جاء بالحسنة﴾ الآية فالحسنة الواحدة إذا عملها كتبت له عشراً والسيئة الواحدة إذا عملها كتبت واحدة فنعوذ بالله ممن يرتكب في يوم واحد عشر سيئات ولا يكون له حسنة واحدة فتغلب حسناته سيئاته.

«مَثَلُ الّذينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ»

أي مثل نفقتهم وصدقاتهم كمثل حبة أو مثلهم كمثل باذر حبة وسبيل الله هو الجهاد وسائر الطاعات، وقيل هو الجهاد خاصة وأما غيره من الطاعات فإنما يجزي بالواحدة عشرة أمثالها لا غير، والأول هو الموافق للرواية وحاصل الآية أن النفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف وقوله: ﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾ معناه أنه يزيد عليها أو يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء، وروىٰ العياشي في تفسيره عن المفضل الجعفي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله حبة أنبتت سبع سنابل قال الحبة فاطمة عليها السلام والسبعة السنابل سبعة من ولدها سابعهم قائمهم قلت الحسن قال إن الحسن إمام من الله مفترض طاعته ولكن ليس من السنابل السبعة أولهم الحسين وآخرهم القائم فقلت قوله ﴿في كل سنبلة مائة حبة﴾ فقال يولد للرجل منهم في الكوفة مائة من صلبه وليس ذاك إلا هؤلاء السبعة وهو تفسير لباطن الآية ومع هذا فلا يخلو من اشكال إلا أن يراد حذف مكرر أسمائهم عليهم السلام

«وَقُلْتَ مَنْ ذَا الّذِي يُقْرِضُ الله»

في أكثر النسخ نصب يضاعفه وذكر الزمخشري أن الرفع أحسن منه لأن الإستفهام إنما هو عن فاعل الإقراض لا عنه، ووجه النصب حمل الكلام علىٰ المعنىٰ وذلك لأنه لما كان المعنىٰ أيكون قرض؟ حمل قوله فيضاعفه علىٰ ذلك ونصب أضعافاً علىٰ الحال من الضمير المنصوب أو المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنىٰ التصير والمراد بهذا الإستفهام الأمر وليس بقرض حاجة علىٰ ما ظنه اليهود فقالوا إنما يستقرض منا ربنا عن عوز فإذا هو فقير ونحن أغنياء، بل سمىٰ سبحانه الانفاق قرضاً

تلطفاً إلىٰ فعله وتأكيداً للجزاء عليه فإن القرض يوجب الجزاء، والقرض الحسن أن ينفق من حلال ولا يفسده بمن ولا أذىٰ، وقيل هو أن يكون طلق الوجه عند الإنفاق، وعن الصادق عليه السلام أنه قال نزلت هذه الآية ﴿**من جاء بالحسنة فله خير منها**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رب زدني، فأنزل الله سبحانه ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رب زدني، فأنزل الله ﴿**من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً**﴾ الآية. والكثير عند الله لا يحصىٰ، ويجوز تنزيل هذه المراتب علىٰ اختلاف نيات العاملين وتفاوتهم في الإخلاص، والأظهر في وجه الجمع ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال «الصدقة علىٰ خمسة أجزاء جزء الصدقة فيه بعشرة وهي الصدقة العامة قال الله تعالىٰ ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾ وجزء الصدقة فيه بسبعين وهي الصدقة علىٰ ذوي العاهات وجزء الصدقة فيه بسبعمائة وهي الصدقة علىٰ ذوي الأرحام وجزء الصدقة فيه بسبعة آلاف وهي الصدقة علىٰ العلماء وجزء الصدقة فيه بسبعين ألفاً وهي الصدقة علىٰ الموتىٰ.

«**ما وُجِدَ فِي حَمْدِكَ مَذْهَبْ**» أي مدة دوام وجود المذهب إلىٰ حمدك أو ما دام.

«**ومَعْنَىً يَنْصَرِفُ إلَيْه**» وهو المحمود عليه كالصفات والأفعال.

«**تَحَمَّدَ**» باب التفعل هنا للطلب أي طلب منهم حمده بسبب الإحسان.

«**وَغَمَرَهُم**» غطاهم.

«**وَمِلَّتِكَ الَّتِي ارْتَضَيْتْ**»

قال الراغب الملة كالدين وهو اسم لما شرع الله لعباده علىٰ لسان الأنبياء ليتوصلوا إلىٰ جوار الله والفرق بينها وبين الدين أن الملة لا تضاف إلا إلىٰ النبي عليه السلام نحو اتبعوا ملة إبراهيم ولا تكاد توجد مضافة إلىٰ الله ولا إلىٰ آحاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا تستعمل إلا في جملة الشرائع دون آحادها فلا يقال للصلاة ملة الله كما يقال دين الله وأصل الملة من أمللت الكتاب، انتهى.

«**الذِّمَامْ**» أي العهد.

«**قَرُبَتْ فِيهِ الآمَالْ**»

بسبب استجابة الدعوات فيه فكل من أمل شيئاً في غيره وكان أمله بعيداً عنه صار

قريباً إليه مشرفاً علىٰ الوصول إليه، وقيل معناه أن أهل الآمال لما علموا ثوابه الأخروي أحبوا لقاء الله فقصروا آمالهم الدنيوية حباً للقائه تعالىٰ.

«وَأَفْجَعَ» الفجع أن يوجع الإنسان بشيء كرم عليه.

«مُقْبِلاً»

وفي ش علىٰ صيغة المفعول فهو بمعنىٰ الإقبال أي إقبالاً مؤنساً كقوله تعالىٰ: **﴿أدخلني مدخل صدق﴾** علىٰ قراءة الفتح أو آنَسَ باقباله علينا كما نقول سترنا إكراماً أي بإكرامه.

«فَمَضّ» يقال مض الجرح إذا أوجع.

«لا تُنَافِسُهُ الأَيّامْ» أي لا تجادله ولا تنازعه فإنه خير منها.

«كَمَا وَفَدْتْ» الكاف للتعليل أي لقدومك.

«برَمَا» سآمة وملالاً.

«وعَلَىٰ فَضْلِكَ الّذِي حُرِمْنَاهْ»

أي حرمنا دوامه واستمراره فالسلام علىٰ ذلك الفضل الذي عقد حصل، ويجوز له أن يكون السلام علىٰ الفضل الذي لم يحصل ويكون من قبيل حسن الطلب.

«حِينَ جَهِلَ الأَشْقِياءُ وقْتَهْ»

المراد بالأشقياء الكفار، ويجوز إرادة المخالفين أيضاً فإنهم لما لم يحافظوا علىٰ حرمته فكأنهم لم يعلموه ولم يعرفوا وقت أحواله وخروجه نظير قوله تعالىٰ: **﴿ولبئس ما اشتروا أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾**.

«فَلَكَ الحَمْدُ إِقْرَاراً بِالإِسَاءَة»

أي لأجل الإقرار بالذنوب حتىٰ يكون الحمد مكفراً لها أو في حال الإقرار بها لأنه من أعظم الأعمال وأشرفها فلذا استحق الحمد عليها، والتقدير لك الحمد علىٰ الإقرار بالإساءة، ويجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف.

«عَقْدُ النَدَمْ» أي التوبة الخالصة التي عقدنا قلوبنا عليها.

«فَأَجِرْنا عَلَى مَا أَصَابَنَا فِيهِ مِنَ التَّفْرِيطْ»

أي علىٰ الأعمال القليلة التي فرطنا في آدابها وفي رعايتها، أو علىٰ الغم والحزن الذي حصل لنا بسبب التفريط، ويحتمل أن يكون قد طلب الأجر علىٰ نفس التفريط مع أنه من أسباب العذاب تعويلاً علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**أولئك الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات**﴾.

«المَحْرُوصِ عَلَيْهْ»

في أكثر النسخ بالصاد المهملة وفي بعضها بالضاد المعجمة بمعنى المرغب فيه، وفي البعض الآخر بالخاء المعجمة والصاد المهملة من الخرص والتخمين للتنبيه علىٰ أن ما نؤمله من الأجر إنما هو علىٰ سبيل الخرص والتخمين لا علىٰ وجه الإستحقاق والاستيجاب.

«أَلْمَمْنَا» أي باشرنا وقصدنا واللمم صغار الذنوب.

«أَوِ انْتَهَكْنَا» الإنتهاك المبالغة في الشيء.

«حَقَّ رِعَايَتِهْ» علىٰ ما في ش يكون الضمير عائد إلىٰ الحق المضاف إلىٰ هذا الشهر.

«وُجْدِكْ» الوجد الغِنى.

«لا يَغِيضْ» أي لا ينقص.

«اللَّهُمَّ إِنَّا نَتُوبُ إِلَيْكَ فِي يَومِ فِطْرِنَا»

هذا ربما يؤيد القول باستحباب قراءته يوم العيد.

«وَمُحْتَشَداً» كالبيان لما قبله.

«نَصُوحاً مِنَ الشَّكْ»[1] خالصة منه وهو إشارة إلىٰ أحد معاني التوبة النصوح.

«وكَآبَةَ»

الحزن والغم. أوجبت لهم محبتك بقولك إن الله يحب التوابين، وفي الحديث التائب حبيب الله.

---

(١) وفي نسخة: نصوحاً خلصت من الشك.

«وَعَلَىٰ أَنْبِيائِكَ المُرْسَلِينْ»

وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والفرق بين النبي والرسول أن الرسول من كان له كتاب والنبي أعم منه.

وكان من دعائه عليه السلام في يوم الفطر

«مَنْ لاَ تَقْبَلُهُ البِلاَدْ»

ناظر إلىٰ استحباب صلاة العيد في الجبانة فكأن البلاد لم تقبل المصلي حتىٰ خرج عنها إلىٰ الصحراء.

«ويَا مَنْ لاَ يَحْتَقِرُ أَهْلَ الحَاجَةِ إِلَيْه»

كما في غيره تعالىٰ فإن المحتاج إليه يرىٰ المحتاج حقيراً في نظره غالباً.

«لا يَجْبَهُ بِالرَّدِّ أَهْلَ الدَّالَّةِ عَلَيهْ»

يقال جبهه: أي ضرب جبهته وهو كناية عن الخيبة وعدم نيل المطلوب، والدالة مأخوذة من الدلال والمراد بأهل الدالة الجماعة المنبسطين معه المفرطين عليه وثوقاً بحبه مأخوذ من يدل بوزن يكرم وقيل من يدل بوزن ينصر أي يشير بالدليل إليه مع تنزه ساحته سبحانه أن يعرف بالدليل.

«وَيَا مَنْ يَجْتَبِي صَغِيرَ مَا يُتْحَفُ بِهْ»

الاجتباء الاختيار والاصطفاء وكونه صغيراً إنما هو بالنسبة إلىٰ ما يستحقه كبرياؤه وجبروته وإلا فالطاعات كلها كبار.

«وَيُجَازِي بِالجَلِيلْ» أي بالجزاء الجليل.

«ويَا مَنْ يَدْنُو إِلَىٰ مَنْ دَنَا مِنْهْ»

كما روي في الحديث القدسي أن من تقرب إليَّ شبراً تقرَّبت إليه ذراعاً ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ومن مشىٰ إلي هرولت إليه. وفي الدعاء يا من يدلج بين يدي المدلج من خلقه، أي سبق بالجزاء من بادر إلىٰ العمل.

«حتَّىٰ يُنْمِيها»

كما روي أن الصدقة تقع بيد الرحمٰن فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله.

«حتَّىٰ يُعَفيِّهَا»

أي يمحوها ـ كما روي أن العبد إذا أذنب ذنباً أطلعت عليه الملائكة وأثبت في الصحائف والألواح فإذا تاب إلى الله تعالىٰ مُحي من خواطر الملائكة.

«إنْصَرَفَتِ الآمالُ دُونَ مَدَىٰ كَرَمِكَ بِالحَاجَاتْ»

المدىٰ تارة أتى بمعنىٰ نهاية المسافة وأخرىٰ بمعنىٰ بدايتها، فعلىٰ الأول معناه أن المؤملين انصرفوا بحاجاتهم مقضية بالنسبة إلىٰ أول مرتبة من كرمك من غير احتياج إلىٰ إعمال فكر وروية وكسب ومبالغة منك في قضائها حتى ينتهي قضاؤها إلىٰ نهاية كرمك، وأما علىٰ الثاني فمعناه أن حاجاتهم قد قضيت برحمتك وبركاتك من غير حاجة إلى وصولها إلىٰ درجة من درجات كرمك واتصافك بالكرم لأجلها كما في سائر الناس، وهذا المعنىٰ ألطف وأدق، وقيل إن دون بمعنىٰ عند وهو كما ترىٰ.

«أوْعِيَةُ الطَّلِبَاتْ»

ظروف أهل الحوائج والظاهر أن الإضافة تلبسية والكلام من باب الإستعارة.

«وتَفَسَّخَتْ دُونَ بُلُوغِ نَعْتِكَ الصِّفَاتْ»

أي وصف الواصفين قد انقطع قبل أن يبلغ إلىٰ نعتك وحاصله أنهم لم يقدروا علىٰ وصفك لعدم إطلاعهم علىٰ صفاتك وذاتك، وقد سبق لهذه الفقرة معان أخرىٰ فارجع إليها.

«المُلِمّونْ» النازلون.

«وأَجْدَبَ المُنْتَجِعُونَ إلاَّ مَنِ انْتَجَعَ فَضْلَكْ»

الإجداب انقطاع المطر والمنتجع طالب الكـلأ، والمعنىٰ أنه قد انقلع مطر الرحمة عن طالب الكـلأ والخير إلا عمن طلب كـلأ فضل رحمتك.

«ولاَ يَيْئَسُ» فتح الهمزة والكسر كما في بعض النسخ شاذ.

«نَاوَاكَ» عاداك وضادك.

«عَنِ النُّزُوعْ» أي الرجوع.

«خَذَلْتَهُ لَهَا» تركته لها.

«لَمْ يَهِنْ» من الوهن وهو الضعف.

«ولَمْ يَدْحَضْ» أي لم يبطل.

«وأَبْلَيْتَ الأَعْذَارْ»

أي أديتها فقبلت قال في القاموس أبلاه عذراً أي أداه إليه فقبله، ويجوز أن يكون من قولهم أبليت الثوب أي صيرته خلقاً بالياً يعني أن أعذارك من الوعد والوعيد ووصول المكاره وإرسال الرسل لتكررها وكثرتها كأنها صارت كالثوب الخلق من تكرر لبسه.

«فَهَهَنِي»

أي أعياني فإن قلت لِمَ نسب التقصير إلىٰ التحميد والتفهيه والعي إلىٰ التمجيد، قلت الغالب في لسان الشريعة الإتيان بمقام التحميد في مقابلة الإحسان كما أشار إليه عز شأنه في فاتحة الكتاب حيث جعل الحمد بإزاء كونه رباً أي مربياً للعالمين، علىٰ أنه مقام مبذول، الناس كلهم يعرفون كيفية حمده تعالىٰ شأنه فيكون السكوت عنه تقصيراً، وأما التمجيد فهو مقام عال فوق مقام التحميد وهو نعت الباري عز جلاله بنعوت الجمال وصفات الجلال، وقوله عليه السلام ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك إشارة إلىٰ مقام التحميد، وقوله ولكن وجدتك أهلاً، المراد منه مقام التمجيد، فهو عدول من مقام إلىٰ آخر أجل وأعلىٰ وهذا المقام موقوف علىٰ الخواص غير مبتذل للناس فالسكوت عنه عجز وتفهيه فكأنه قال إمساكي عن التمجيد تفهيه وعِيّ.

«وَقُصَارَايَ الإِقْرَارُ بِالحُسُورْ»

أي جهدي وغايتي الاعتراف بالكلال والانقطاع عن تمجيدك.

وكان من دعائه عليه السلام في يوم عرفة

وما قبله يسمىٰ يوم التروية وللتسمية بهما وجوه مذكورة في الأخبار، منها أن الله تعالىٰ أهبط آدم علىٰ الصفا وحوا علىٰ المروة وبه سمي الجبلان لنزول صفي الله علىٰ الصفا ونزول المرأة وهي حوا علىٰ المروة فنظر إليها في يوم ثامن ذي الحجة فلم يعرفها لبعد العهد ولطول مدة بكائهما علىٰ ما أتيا به فتروىٰ في ذلك اليوم وتفكر، وعرفها في يوم عرفة فهو مأخوذ من المعرفة، ومنها أن الخليل علىٰ نبينا وآله وعليه السلام رأىٰ في الليلة الثامنة أنه يذبح ولده فتروىٰ في ذلك اليوم وتأمل هل هو أضغاث أحلام أم وحي وإلهام فعرفه في اليوم التاسع، ومنها قول الصادق عليه السلام إن جبرئيل عليه السلام خرج بإبراهيم يوم عرفة فلما زالت الشمس قال جبرئيل اعترف بذنبك واعرف مناسكك فسميت عرفات لقول جبرائيل اعرف واعترف، ومنها ما روي أن آدم عليه السلام لما كان تحت العرش رأىٰ اسم النبي والأئمة عليهم السلام مكتوباً علىٰ ساق العرش بسطور من نور، فتروىٰ وتفكر في اليوم الثامن فيهم وفي مراتبهم وعرفهم في اليوم التاسع، ومنها أنها مأخوذة من عرف الديك فسميت عرفات لارتفاعها، ومنها ما روي أن جبرئيل عليه السلام كان يرىٰ إبراهيم عليه السلام فيقول عرفت عرفت، ومنها أن الناس كانوا يتعارفون فيه.

«الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينْ»

قال الشيخ الكفعمي واعلم أن هذا الإسم وهو الله قد امتاز عن غيره من الأسماء الحسنىٰ بأمور عشرة الأول والثاني والثالث إنه أشهر أسماء الله تعالىٰ وأعلاها محلاً في القرآن وأعلاها محلاً في الدعاء، والرابع والخامس والسادس إنه جعل أمام سائر الأسماء، وخصت به كلمة الإخلاص ووقعت به الشهادة، والسابع إنه علم علىٰ الذات المقدسة فلا يطلق علىٰ غيره حقيقة ولا مجاز، قال الله تعالىٰ ﴿**هل تعلم له سمياً**﴾ هل أحد يسمىٰ الله، الثامن إن هذا الاسم الشريف دل علىٰ الذات المقدسة الموصوفة بجميع الكمالات، وباقي الأسماء لا تدل آحادها إلا علىٰ آحاد المعاني كالقادر علىٰ القدرة والعالم علىٰ العلم، أو فعل منسوب إلى الذات مثل قوله الرحمٰن فإنه اسم للذات مع اعتبار الرحمة، التاسع إنه اسم غير صفة بخلاف سائر الأسماء فإنها تقع

صفات، العاشر إن جميع أسمائه الحسنىٰ تتسمىٰ بهذا الإسم ولا يتسمىٰ هو بشيء منها فلا يقال الله اسم من أسماء الغفور أو الرحيم، ولكن يقال الغفور اسم من أسماء الله تعالىٰ، ورأيت في كتاب الدر المنتظم في السر الأعظم لمحمد بن طلحة أن الجلالة تدل علىٰ التسعة والتسعين اسماً لأنك إذا قسمتها في علم الحروف علىٰ قسمين كان كل قسم ثلاثة وثلاثين فتضرب الثلاثة والثلاثين في آخر بعد إسقاط المكرر وهي ثلاثة يكون عدد الأسماء الحسنىٰ، وأيضاً إذا جمعت من الجلالة طرفيها وهما ستة وتقسمها علىٰ حروفها الأربعة يقوم لكل حرف واحد ونصف فتضربه فيما للجلالة من العدد تبلغ تسعة وتسعين عدد الأسماء الحسنىٰ، ورأيت في كتاب مشارق الأنوار للشيخ رجب البرسي أن هذا الإسم المقدس أربعة أحرف الله فإذا وقفت علىٰ الأشياء عرفت أنه منه وبه وإليه وعنه، فإذا أخذت منه الألف بقي لله ولله كل شيء، فإذا أخذ اللام وترك الألف بقي إله وهو إله كل شيء، فإن أخذ الألف من اللام بقي له وله كل شيء فإن أخذ من له اللام بقي هاء مضمومة وهي هو فهي هو لا شريك له، وهو لفظ يوصل إلىٰ ينبوع العزة، ولفظ هو مركب من حرفين والهاء أصل الواو فهو حرف واحد يدل علىٰ الواحد الحق، والهاء أول المخارج والواو آخرها هو الأول والآخر والظاهر والباطن، انتهى ملخصاً، وأما اشتقاقه فقيل هو مشتق من لاه الشيء إذا خفي، أو من اله بالمكان إذا أقام به، أو من وله الفصيل بأمه إذا ولع بها، أو من لاه يلوه إذا ارتفع لارتفاعه عن إدراك العقول البشرية، والرب بمعنىٰ التربية في الأصل وهو تبليغ الشيء إلىٰ كماله شيئاً فشيئاً.

«**بَدِيعُ السَّمَوَاتِ والأَرْضْ**» أي مبدعها أو بديعة سمواته وأرضه.

«**ذُو الْجَلاَلِ والإِكْرَامْ**»

أي ذو العظمة والغنىٰ المطلق والفضل العام، وقيل معناه أنه يستحق أن يجل ويكرم لا أن يكفر به، وقيل الجلال صفة القهر والإكرام صفة اللطف، وقيل معنىٰ ذو الجلال أهل لأن ينزه ويعظم ويجل مما لا يليق بصفاته ومعنىٰ ذو الإكرام أنه صاحب صفات الإكرام كالرزق والرحمة.

«**وإِلَهُ كُلِّ مَأْلُوهْ**»

أي معبود كالشمس والأصنام ونحوها، ويجوز أن يكون من باب الاشتقاق الجعلىٰ كما مر فمعنىٰ مألوه ذو إله.

«وَوَارِثُ كُلِّ شَيْءْ»

وهو الباقي بعد فناء الخلق فرجعت إليه الأملاك بعد فناء الملاك.

«وَلاَ يَعْزُبُ» أي لا يغيب.

«وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطْ»

الواو فيه وفيما بعده يجوز أن تكون للحال ويجوز أن تكون للعطف.

«الْمُتَوَحِّدْ»

تأكيد الأحد أو يكون معناه المتفرد بالأحدية أو الواحدية لأن واحدية غيره تعالىٰ اعتبارية أو المتفرد بالخلق والإيجاد.

«المُتَفَرِّدْ» بالخالقية والرازقية وغيرهما أو المظهر للفردية بالدلائل.

«الكَرِيمْ» كثير الخير أو العزيز.

«العَظِيمْ»

ذو العظمة والجلال الذي لا يحيط بكنهه العقول، وقيل إنما سمي العظيم لأنه الخالق للخلق العظيم كما أن معنىٰ اللطيف الخالق للخلق اللطيف.

«المُتَكَبِّرْ»

ذو الكبرياء وهو الملك أو من يُرىٰ الملكُ حقيراً بالنسبة إلىٰ عظمته أو المتعالي عن صفات الخلق أو المتكبر علىٰ خلقه، قال الراغب المتكبر علىٰ وجهين، أحدهما أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة زائدة علىٰ محاسن غيره وعلىٰ هذا وصف الله سبحانه بالمتكبر، والثاني أن يكون متكلفاً لذلك وذلك في وصف عامة الناس.

«العَلِيُّ»

الذي لا رتبة فوق رتبته أو المنزه عن صفات المخلوقين أو العالي فوق خلقه بالقدرة عليهم.

«الأَعْلَىٰ»

أي الغالب كما قال تعالىٰ وأنتم الأعلون أي الغالبون أو المنزه عن الأمثال والأضداد.

«الشَّدِيدُ المِحَالْ» أي الحول وهو القوة أو التحمل والمكر كما قال والله خير الماكرين.

«العَلِيمْ»

مبالغة في العالم لأنه عالم بالجزئيات والكليات علىٰ الوجه الجزئي لا كما يقوله الفلاسفة من أنه تعالىٰ لا يعلم الجزئيات علىٰ الوجه الجزئي بل إنما يعلمه علىٰ الوجه الكلي فإنه عن الشرع بمراحل.

«الحَكِيمْ»

المحكم خلق الأشياء والذي لا يفعل قبيحاً ولا يخل بواجب أو الذي يضع الأشياء مواضعها أو العالم لأن الحكمة لغة العلم ومنه ﴿**ومن يؤت الحكمة**﴾.

«السَّمِيعْ»

قال الشيخ الطبرسي هو من كان علىٰ صفة يجب لأجلها أن يدرك المسموعات وهي ترجع إلىٰ كونه تعالىٰ حياً، والسامع المدرك، وقيل معناه أنه يسمع السر والنجوىٰ، وقيل معناه العلم بالمسموعات وهي الأصوات والحروف، أو السامع لدعاء الخلائق القائل لها سمع الله لمن حمده.

«البَصِيرْ» العالم بالخفيات أو المبصرات.

«الدَّانِي فِي عُلُوِّهْ» أي القريب إلىٰ خلقه بالرحمة في حال علوه وتنزهه عن المشابهة.

«ذُو البَهَاءْ» أي الحُسن الذاتي.

«والمَجْدْ» الكرم والعزة.

«والكِبْرِياءْ» العظمة والملك وقيل هو عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود.

«سِنْخْ»

أي أصل ومادة وفي خَ شبح وهي الصورة الذهنية التي يتصورها البناء قبل العمل ثم يعمل في الخارج ما يوافقها.

«مِنْ غَيْرِ مِثَالْ»

أي من غير صورة سابقة، قال الغزالي قد يظن أن الخالق والباريء والمصور

ألفاظ مترادفه وأن الكل يرجع إلىٰ الخلق والاختراع وليس كذلك بل كل ما يخرج من العدم إلىٰ الوجود مفتقر في تقديره أولاً وإلىٰ إيجاده علىٰ وفق التقدير ثانياً وإلىٰ التصوير بعد الإيجاد ثالثاً، فالله تعالىٰ خالق من حيث أنه مقدر وبارىء من حيث أنه مخترع موجد ومصور من حيث أنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب، وهذا كالبناء مثلاً فإنه يحتاج إلىٰ مقدر يقدر ما لا بد منه من الخشب واللبن ومساحة الأرض، وهذا يتولاه المهندس فيرسمه ويصوره، ثم يحتاج إلىٰ بنّاء يتولىٰ الأعمال التي عندها تحدث أصول الأبنية، ثم يحتاج إلىٰ مزين ينقش ظاهره فيتولاه غير البناء، هذه هي العادة في التقدير في البناء والتصوير وليس كذلك في أفعاله تعالىٰ بل هو المقدر والموجد والصانع وهو الخالق والبارىء والمصور.

«**بِلاَ احْتِذَاءْ**» أي بلا اقتداء بأحد.

«**وَلَمْ يُؤَازِرْكَ**»

أي لم يعاونك ولم يتحمل أوزارك وأثقالك وبه سمي الوزير لتحمله أثقال السلطان.

«**نِصْفاً**» أي عدلاً.

«**وَلَمْ يَقُمْ لسُلطَانِكْ**» أي لم يقم لمعارضة سلطنتك وملكك أحد من السلاطين.

«**وَلَمْ يُعْيِكَ**» أي لم يعجزك.

«**قَصُرَتِ الأَوْهَامْ**»

لأنها لا تدرك إلا الجزئيات المحسوسة والظاهر أن المراد ما يشمل القوة العقلية أيضاً لما تقدم من أن الفرق اصطلاح جديد.

«**عَنْ ذَاتِكْ**» أي كنه ذاتك.

«**عن كَيْفِيَّتِكْ**» لأنها ليست كالكيفيات المألوفة حتىٰ يدركها العقل.

«**وَلَمْ تُدْرِكِ الأَبْصَارُ مَوضِعَ أَيْنِيَّتِكْ**»

الأين المكان وإضافة الموضع إليه بيانية وهو كالدليل علىٰ عدم إمكان رؤيته تعالىٰ فإن من لم ير مكانه لم ير هو أيضاً، وظاهر هذه الفقرة وما قبلها أن له تعالىٰ

كيفية وأينا لكنهما غير الكيف اللازمين للحدوث، كما ورد أنه في كل مكان وأنه لا يخلو منه مكان، ويجوز أن يكون معناه أن الأفهام عجزت عن أن تكيفك بكيفية ولم تدرك لك موضع أينية لعدمها، وقوله عليه السلام فيما سيأتي واسنىٰ في الأماكن مكانك بما يؤيد الأول ظاهراً.

«أَنْتَ الَّذِي لاَ تُحَدُّ فَتَكُونَ مَحْدُوداً»

الظاهر أن المراد بالحد هنا المقدار من الطول والعرض والعمق، أي لم تقدر بهذه المقادير فتكون من جملة المحدودات بها، ويحتمل إرادة الحد العلمي من الجنس والفصل لأنهما كاشفان عن حقيقة المحدود ولا حقيقة معلومة هنا.

«وَلَمْ تُمَثَّلْ فَتَكُونَ مَوْجُوداً»

أي لا يقدر العقل علىٰ أن يمثلك ويصورك حتىٰ تكون موجوداً فيه بتلك الصورة والمثال فتكون موجوداً من جملة الموجودات، أو فيقع عليك الإيجاد، ويجوز أن يكون مأخوذاً من قولهم وجدت الضالة أي أصبتها، والمعنىٰ أن العقل لم يمثلك بمثال حتىٰ يقال أنه وجدك وأنت موجود له، وقيل معناه فيكون موجوداً كوجود المثل بحيث يكون ظاهراً للبصر لأن كل ما مثل لا بد وأن يكون ظاهراً للبصر ولو في وقت ما، أو تتصور فتكون موجوداً علىٰ تلك الصورة.

«فَتَكُونَ مَوْلُوداً»

لأنه لو صح والداً علىٰ التفسير المفهوم من الوالدية وهو أن يتصور من بعض أجزائه حي آخر من نوعه علىٰ سبيل الاستحالة لذلك الجزء كما في النطفة لصح كونه مولوداً لأن الأجسام متماثلة في الجسمية، وكونه مولوداً لا يلزم منه تأخره بالزمان عن والده فيكون مُحدَثاً تعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً، وقيل يمكن أن يكون المراد بالوالدية والمولودية ما هو أعم من المعنىٰ المشهور فإن الملازمة علىٰ المعنىٰ المشهور غير واجبة كما في أصول الحيوان الحادثة فحينئذ فبيانها أن مفهوم الولد هو الذي يتولد وينفصل عن آخر مثله من نوعه، لكن أشخاص النوع الواحد لا تتعين إلا بواسطة المادة وعلائقها، وكل ما كان مادياً فهو متولد عن مادته وصورته وأسباب وجوده وتركيبه ولو كان مولوداً بذلك المعنىٰ لكان منتهياً إلىٰ حدوده وهي أجزاؤه التي يقف عندها وينتهي في التحليل إليها ولكان محاطاً ومحدوداً بالمحل الذي يتولد منه، ويحتمل أن يقال لو

كان مادياً لكان جسماً فيكون بنهايات وأطراف، انتهىٰ، وهو حسن وما قيل من أن الكلام خطابي غايته الاقتناع بعيد.

«ولاَ عِدْلَ لَكَ فَيُكَاثِرَكْ»

العدل بكسر العين وفتحها كما في بعض النسخ بمعنىٰ المثل والنظير وقيل بكسر العين بمعنىٰ المساوي في المقدار وبفتحها المساوي في الحكم وإن لم يكن من جنسه.

«فَيُكاثِرُكْ» أي يغلبك في الكثرة أي القوة أو كثرة المخلوقات.

«ولاَ نِدَّ»

الند المثل، قال الراغب الند يقال فيما يشارك في الجوهرية فقط والشكل فيما يشارك في القدر والمساحة والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط والمساوي يقال فيما يشارك في الكمية فقط والمثل عام في الألفاظ كلها.

«وأَصْدَعَ» أي أظهر وأقوم من صدع بالأمر إذا قام به.

«فُرْقَانَكْ» أي فرقك بين الحق والباطل، ويجوز أن يراد به القرآن بل هو الأظهر.

«سُبْحَانَكَ مِنْ لَطِيفٍ»

وهو العالم بغوامض الأشياء والبر بعباده، وفاعل اللطف وهو ما يقرب من الطاعات ويبعد من المعاصي، أو الخالق للخلق اللطيف أو العالم بالشيء اللطيف كالبعوضة، وأكثر هذه المعاني مأثورة عن الأئمة عليهم السلام.

«رَؤُوفْ»

وهو الرحيم العاطف برحمته علىٰ عباده، وقيل الرأفة أبلغ من الرحمة، وقيل الرافة أخص من الرحمة.

«مَلِيكْ» أي ملك أو مالك.

«مَا أَمْنَعَكْ»

أي ما أقواك أو ما أشد غلبتك أو ما أشد منعك لأن تصل إليك العقول والأوهام.

«لا تُحَسُّ» أي لا تدرك بالحس.

«ولا تُجَسُّ» أي لا توضع يد علىٰ مجستك أو لا تعلم أخبارك.

«ولا تُمَسّ» أي لا يضع أحد من بدنه عليك.

«ولا تُكَادْ» من الكيد وهو المكر.

«ولا تُمَاطْ»

بالطاء المهملة أي لا يقدر أحد علىٰ أن يعزلك عن سلطانك كسلاطين الدنيا، ولقد كان سلطان البصرة حسين باشا في وقت المساء ليلة الجمعة حادي عشر شهر رمضان المبارك سنة ثمان وسبعين بعد الألف في نهاية الاستقلال محفوفاً بالجنود والعساكر لو رآه الرائي لقال لا سلطان في المشارق والمغارب إلا هو فما أتىٰ عليه نصف الليل إلا وقد تفرقت عنه الأعوان وتنكرت منه الخلان وأرادوا تسليمه إلىٰ أعدائه وهم عساكر السلطان محمد فخرج خائفاً يترقب وأتى نحو بلاد الدورق من ثغور كسرىٰ سلطان العجم ولما لم يراع كسرىٰ حرمته مضىٰ عنه إلىٰ سلطان الهند فاحترمه إحتراماً كثيراً، وقد كنت ممن شاهد تلك الواقعة العجيبة، وقد ذهب من أهل الجزائر والبصرة في برية بين بلاد الجزائر والحويزة يقال لها شلوا خلق كثير من الجوع والعطش إلا أن الله لم يظفر عساكر الروم بسبي أحد من ذراري أهل الجزائر، وبعدها بأيام قليلة قام أهل الجزائر علىٰ عساكر السلطان وأضرمت بينهم حروب النيران، وقد ذكرنا مجمل هذه القصة لغرابتها وإن كانت غير مناسبة لهذا المقام، وفي بعض النسخ بالظاء المعجمة ومعناه لا تنازع، وفي البعض الآخر لا تحاط أي لا يحيط علم أحد بك.

«ولا تُجَارَى»

أي لا تطاول ولا تغالب، ويجوز أن يكون من الجرأة أي ليس لأحد جرأة كجرأتك.

«ولا تُمَارَى»

المراء الجدال وفي بعض النسخ ولا تمانن أي لا يكون لأحد عليك منة أي نعمة.

«جَدَدْ» مستو واضح.

«رَشَدْ» هداية.

«صَمَدْ»

هو الذي يصمد إليه في الحوائج أي يقصد، وقيل هو الباقي بعد فناء الخلق، وقال الحسين عليه السلام الصمد الذي انتهىٰ إليه السؤدد والصمد الذي لم يزل ولا يزال والذي لا جوف له والذي لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، قال وهب بعث أهل البصرة إلىٰ الحسين عليه السلام يسألونه عن الصمد فقال إن الله قد فسره فقال لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، لم يخرج منه كثيف كالولد ولا لطيف كالنفس ولا تنبعث منه البدورات كالنوم والغم والرخاء والرغبة والجوع والشبع والخوف وأضدادها، وكذا هو لا يخرج من كثيف كالحيوان والنباتات ولا لطيف كالبصر وسائر الآلات، وقال ابن الحنفية الصمد هو القائم بنفسه الغنيُ عن غيره، وقال سيد الساجدين عليه السلام هو الذي لا شريك له ولا يؤوده حفظ شيء ولا يعزب عنه شيء، وقال زيد بن علي عليه السلام هو الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وهو الذي أبدع الأشياء أمثالاً وأضداداً، وقال الصادق عليه السلام قدم على أبي الباقر عليه السلام وفد من فلسطين بمسائل منها الصمد فقال تفسيره: فيه خمسة أحرف الألف دليل علىٰ إنيّته وذلك قوله شهد الله أنه لا إله إلا هو، واللام تنبيه علىٰ الهيئة وهما مدغمان لا يظهران ولا يسمعان بل يكتبان، فادغامهما دليل لطفه فإنه تعالىٰ لا يقع في وصف لسان ولا يقرع الآذان، فإذا فكر العبد في إنية الباري تحير ولم يخطر بشيء يتصور مثل لام الصمد لم يقع في حاسة وإذا نظر في نفسه لم يرها، وإذا فكر أنه خالق الأشياء ظهر له ما خفي كنظره إلىٰ اللام المكتوبة، والصاد دليل صدقه في كلامه وأمره بالصدق لعباده، والميم دليل ملكه الذي لا يزال، والدال دليل دوامه المتعالي عن الزوال، وعنه عليه السلام أيضاً أن الصمد هو السيد الذي ليس فوقه ناه ولا آمر، وقيل الصمد المتعالي عن الكون والفساد، والصمد الذي لا يوصف بالنظائر، وقال الصادق عليه السلام لو وجدت لعلمي حملة لنشرت التوحيد والإسلام والدين والشرائع من الصمد.

«قَوْلُكَ حُكْمٌ» أي حكمة ومنة. ومنه قوله تعالى: ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾ أي الحكمة.

«وَقَضَاؤُكَ حَتْمٌ»

أي ما تقضي به علىٰ طريق الجزم يكون واجب الوقوع فلا ينافي ما ورد من أن له

تعالىٰ قضاء غير حتم، وقيل معناه أن قضاءك موصوف بالحتم فلا ينافي في ثبوت قضاء غير حتم.

«وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِكْ»

وهي علم الله وحكمته أو ما يقدر الله علىٰ أن يخلقه من الأشياء، وقيل أراد بها ما أعد لأهل الثواب في الجنة وأهل العقاب في النار، وقيل أراد بها معاني كلمات الله وفوائدها وهي القرآن وسائر كتبه سبحانه وقد تقدم لها تفاسير أخرىٰ وأن أشهر تفاسيرها بالأئمة عليهم السلام فإنهم لسان الله المعبر عنه ولم يقدر أحد علىٰ أن يبدلهم ويزيلهم عن مراتبهم الإلٰهية من الإمامة ووجوب الإطاعة.

«بَاهِرُ الآيَاتْ»

البهر الضوء والغلبة يعني أن آياتك غالبة كل الآيات وأوضح منها.

«فَاطِرُ السَّمَواتْ»

مبتدعها من الفطر وهو الشق كأنه تعالىٰ شق العدم باخراجها منه، قال ابن عباس ما كنت أدري ما فاطر السموٰات حتىٰ احتكم إليِ أعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها.

«بَارِىءُ النَّسَماتْ» خالق الناس.

«يُسْتَدَامُ بِهِ الأَوَّلْ»

الظاهر أن المراد بالأول والآخر إفراد الحمد والنعمة الأولىٰ والنعمة الأخيرة.

«يُعَانُ مَنِ اجْتَهَدَ فِي تَعْدِيدِهْ»

أي يحتاج إلىٰ معاونة الناس أو إلىٰ تأييده تعالىٰ وهو إخبار، وقيل هو دعاء كأنه قال اللهم أيد من بالغ في توفيته حتىٰ يوفيه وهو بعيد.

«وَيُؤَيِّدُ مَنْ أَغْرَقَ نَزْعاً فِي تَوْفِيَتِهْ»

يقال أغرق نزعاً في الأمر إذا بالغ أو استفرغ الجهد فيه.

«وَيَنْتَظِمُ مَا أَنْتَ خَالِقُهْ» أي ينظم ويجمع الحمد الذي سيخلق.

«**إِلَىٰ قَوْلِكَ**» وهو الحمد الذي حمدت به نفسك.

«**أَمْتَعَ رَحَمَاتِكَ**» أدومها من قولهم متّعني الله برؤيتك أي أدامها أو نفعني بها.

«**صَلاةً رَاضِيَةً**» أي راضية لصاحبها.

«**وَلاَ يَنْفَدْ**» أي الإتصال وإن قرىء بالتاء فالضمير راجع إلىٰ الصلاة.

«**تَنْتَظِمُ صَلَوَاتِ مَلاَئِكَتِكَ**» أي تجمعها وتجمع فضلها أو يكون التقدير تنتظم معها.

«**نِحَلِكَ**» عطاياك.

«**ونَوَافِلِكَ**» وهي الزائد علىٰ العطايا.

«**لاَ أَمَدَ**» أي لا نهاية.

«**زِنَةَ عَرْشِكَ**» هذه الفقرة وما بعدها من باب تشبيه المعقول بالمحسوس.

«**تُقَرِّبُهُمْ**»

هذا صريح فيما صرنا إليه من أن صلاتنا علىٰ النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزيد في مراتبه ورفع درجاته وقد تقدم الكلام فيه مفصلاً في الدعاء الثاني.

«**عَلَماً لِعِبَادِكَ**» العلم والمنار ما يوضع علىٰ الطريق من الآثار ليستهدي به.

«**بِحَبْلِكَ**»

أي القرآن كما قال عليه السلام كتاب الله حبل ممدود من السماء إلىٰ الأرض أي نور هداه ممدود والعرب تشبه النور الممتد بالحبل والخيط أو المراد بالحبل العهد والذمام كما قال تعالىٰ: ﴿**إن الذين يبايعونك تحت الشجرة إنما يبايعون الله**﴾.

«**فَأَوْزِعْ لِوَلِيِّكَ**» أي ألهمه والمراد به إمام العصر عليه السلام.

«**مِثْلَهُ فِيهْ**» أي مثل ذلك الشكر في وليك فإنه نعمة تستحق منا الشكر عليها.

«**سُلْطَاناً**»

السلطان الحجة والبرهان والملكة القدرة وقيل للخليفة سلطان لأنه ذو السلطان.

«**أَزْرَهْ**» قوته وعزيمته.

«**عَضُدَهْ**» أي إعانته إستعارة من عضد اليد لأن قوامها به.

«**وَرَاعِهِ بِعَيْنِكْ**» أي احفظه بحفظك وحراستك.

«**وأَبِنْ بِهِ الضَّرَّاءْ**»

من الإبانة بمعنىٰ البعد والتفريق والضراء نقيض السراء وتستعمل في الأنفس كالقتل والعمىٰ كما أن البأساء تستعمل في الأموال.

«**وأَزِلْ بِهِ النَّاكِبِينْ**»

أي أهلك بسببه وعلىٰ يديه المولين مناكبهم عن صراطك وعادلين عنه، وقيل معناه اهدهم بسببه إلىٰ الحق وأزلهم من طريق الباطل وهو كما ترىٰ.

«**بُغَاةَ قَصْدِكَ عِوَجاً**» أي طالبي الإعوجاج في دينك.

«**واجْعَلْنَا لَهُ سَامِعِينْ**»

هذه الفقار بظاهرها علىٰ رجعتهم عليهم السلام في زمان المهدي عليه السلام، والأخبار بهذا متكثرة وقد اطَّلعت علىٰ خمسمائة تقريباً.

«**مُكْنِفِينْ**» محيطين وفي نسخة مكبين أي مقبلين ملازمين.

«**قَبْلَ خَلْقِكَ لَهْ**» بأن حكمت له بالخير في علمك الأزلي.

«**زَيَّلْتَهْ**»

أي صرفته عنه والتنزيل التفريق إما باعتبار أنه تعالىٰ فرق بين المعاصي والطاعات بالأوامر والنواهي أو باعتبار أنه أمر بتفريق المعاصي وإعدامها.

«**تَغَمُّدِكْ**» متعلق بقوله مغد واقترف بمعنىٰ كسب الذنب.

«**وعِصْمَةٌ بِحَبْلِكْ**»[1] أي القرآن أو أهل البيت عليهم السلام والعهد والأمان.

«**من أَلْقَى بِيَدِهْ**» الباء إما زائدة أو للتعدية والمفعول محذوف أي القىٰ نفسه.

---

(١) لم ترد هذه الفقرة في بعض النسخ.

«صِفْراً» خالياً.

«مِنَ الأَبْوابْ الَّتِي أَمرتَ أَنْ تُؤْتَى مِنْهَا»

في قوله تعالىٰ ﴿**وأتوا البيوت من أبوابها**﴾، وقال أهل البيت عليهم السلام نحن الأبواب التي أمر الله أن يؤتىٰ منها.

«وَشَفَعْتُهْ» ضممت إليه.

«يَخِيبُ عَلَيْه»

أي حال كونه وارداً عليه وقيل إن علىٰ بمعنىٰ من مثلها في قوله تعالىٰ إذا اكتالوا علىٰ الناس يستوفون.

«وَمَعْ ذَلِكَ خِيفَةً»

يجوز نصبه علىٰ التميز أي ومع فقري أسألك من جهة الخيفة، ويجوز أيضاً علىٰ المصدرية أي ومع أني أسألك مسألة الفقير أخاف منك خيفة.

«وَتَلَوُّذاً» التلوذ الإلتجاء.

«وَلاَ مُسْتَطِيلاً» لا طالباً للعلو والرفعة.

«بِدَالَّةِ المُطِيعِينْ» أي بوثوقهم بطاعتهم وتدللهم عليها.

«وَمِثْلُ الذَّرَّةِ أَوْ دُونَها»

الذرة تطلق علىٰ النملة وعلىٰ ما تصاعد في الهواء من الذرات، وأو هنا إما بمعنىٰ بل أو على حالها من الترديد أي أن حالي متردد بين هذين فمن شاء شبهني بالذرة ومن شاء شبهني بما هو أدون منها، وهذا وأمثاله يؤيد ما ذكرنا في تحقيق توبتهم من أن غرضهم عليهم السلام من إظهار مثل هذا إنشاء التواضع والتذلل لجنابه تعالىٰ لا الإخبار عما في الواقع فإنه عليه السلام ليس أقل الأقلين ولا كالذرة.

«لا يَنْدَهُ المُتْرَفِينْ»

أي لا يمنع الطاغين نعمته وفي نسخة لا يغافص بالغين المعجمة والفاء الغفص وهو الأخذ مفاجأة بل لم يؤاخذهم إلا بعد طول الإعذار والإنذار.

«العَنَاءُ» أي الخضوع أو التعب.

«وَمَنِ اجْتَبَيْتَ لِشَأْنِكَ» أي اخترته لأمرك العظيم كالرسالة والإمامة.

«جَأَرَ» تضرع.

«مُتَنَصِّلاً» متبرئاً من ذنوبه.

«وتَوَحَّدْنِي» يقال توحده الله أي عصمه ولم يكله إلىٰ غيره، وحاصل المعنىٰ تول أموري وحدك من غير مشاركة الآدميين.

«فِي جَنْبِكَ» أي في طاعتك وفي قربك من قوله تعالىٰ والصاحب بالجنب.

«وَلاَ تَسْتَدْرِجْنِي بِإِمْلاَئِكَ لِي اسْتِدْرَاجَ مَنْ مَنَعَنِي خَيْرَ مَا عِنْدَهُ وَلَمْ يُشْرِكْكَ فِي حُلُولِ نِعْمَتِهِ لِي»(١)

الاستدراج كما قال الصادق عليه السلام هو العبد يذنب الذنب فيملي له ويجدد له عنده النعم فيلهيه عن الاستغفار من الذنوب، وإضافة المصدر إلىٰ الموصول من باب إضافة المصدر إلىٰ المفعول ومعناه لا تستدرجني مثل استدراجك لأهل الأموال الذين لم يصل خيرهم إلي ولم تحل نعمتهم لدي مع أني أولىٰ منهم بالأموال والأرواح(٢)، وقيل المراد بمن منعه عليه السلام خير ما عنده أهل الدولة والسلطان من أعدائهم الذين منعوهم حقهم فإنهم منعوهم السلطان الذي هو ثابت لهم من الله سبحانه. وهو خير ما عند عدوهم، وقوله عليه السلام ولم يشركك في حلول نعمته لي أي في حلول النعمة التي هي حالّة بي منك وهي وجوب طاعتي ومتابعتي وإضافة النعمة إليه حينئذ باعتبار غصبه إياها، وقيل المراد به الشيطان فإنه تعالىٰ قد استدرجه إلىٰ يوم الوقت المعلوم بالأموال والأولاد والملك، وهذان القولان كما ترىٰ سيما الثاني فإن الشيطان عديم الخير فكيف يمنع ما ليس عنده.

«مِنْ حَيْثُ أَمَرْتُ»

أي من أبوابها وهم الأئمة المعصومون عليهم السلام وإلا فمطلق المسابقة إلىٰ

---

(١) وفي نسخة «بي».

(٢) من الرَّوْح بمعنى الفرح، والرحمة، والراحة، أو من الرَوَح بمعنى السعة. (المنجد).

الخيرات غير حسن، أو المعنىٰ من حيث أمرت في القرآن بقولك فاستبقوا الخيرات.

«والْمُشَاحَّةَ فِيهَا»

المشاحة بمعنىٰ البخل والمراد هنا الإستكثار من الأعمال الصالحة.

«وَلاَ تُتَبِّرْنِي»

أي لا تهلكني وكذا معناه على نسخة تبرني من البوار بمعنىٰ الهلاك أيضاً.

«غَمَراتُ الفِتْنَةَ»

شدائدها وفضلاتها وإلا فالاستغاثة من الفتن غير ممكن بحكم قوله تعالىٰ: **﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾**.

«لَهَواتُ البَلْوَىٰ»

جمع لها وهي الشحمة المشرفة علىٰ الحلق أو ما بين منقطع أصل اللسان إلىٰ منقطع القلب من أعلىٰ الفم والبلوىٰ الإختبار والامتحان والكلام من باب استعارة.

«مِنْ أَخْذِ الإمْلاَءْ» أي أخذه لي أو أخذ لي بسببه.

«تَرْهَقُنِي»

بفتح التاء أي تأخذني وفي ش بضم التاء أي تدخلني في الإثم من قولهم أرهقني فلان إثماً أي حملني عليه.

«وَلاَ تَمْنَحْنِي»

من المنحة بمعنىٰ العطاء فإن النعم ربما كانت موجبة للطغيان كما قال تعالىٰ: **﴿إن الإنسان ليطغىٰ إن رآه استغنىٰ﴾**، وفي نسخة تمتحني من الإمتحان بمعنىٰ الاختبار والابتلاء والباء علىٰ الأول زائدة أو بتضمين الفعل معنىٰ التفضيل ونحوه.

«فَتَبْهَظَنِي» أي فتثقلني.

«وَلاَ حَاجَةَ بِكَ إِلَيْه» كناية عن تركه كترك من لا حاجة به ولا غرض يتعلق بمصلحته.

«المُتَرَدِّينْ» الساقطين في بئر الضلالة.

«وَوَهْلَةِ المُتَعَسِّفِينْ» أي غفلتهم وغلظهم والمتعسف الخابط علىٰ غير هداية.

«وَوَرْطَة» الورطة الهلاك.

«وَطَوِّقْنِي» اجعل الطوق في عنقي وجرني إليك.

«وأَشْعِرْ قَلْبِي الإِزْدِجَارْ»

أي اجعل خوفك ملاصقاً لقلبي كالشعار الملاصق للجسد أو اجعل قلبي شاعراً به عالماً به فأشعر علىٰ هذا من الشعور.

«الحَوْبَاتْ» الآثام.

«بِمَا لاَ أُدْرِكُهُ إِلاَّ بِكْ» من الرزق والسعي فيه.

«عَمَّا لاَ يُرْضِيكَ عَنِّي غَيْرُهْ» من الطاعات والعبادات.

«دُنْيا دَنِيَّة»

الظاهر أن هذه الأوصاف للإحتراز فإنك قد عرفت أن الدنيا دنياوان: دنيا ممدوحة بقوله نعم العون علىٰ الآخرة الدنيا، ودنيا مذمومة كما ترىٰ، ويحتمل سؤال نزع حب الدنيا التي لا تنفك عن هذه الصفات وغير الموصوفة غير داخل تحت الدنيا.

«العَظَائِمْ» جمع عظيمة وهي النازلة الشديدة.

«دَنَسُ العِصْيَانْ»

الدنس بالتحريك الوسخ وفي نسخة بالكسر وهو صفة مشبهة من إضافة الصفة إلىٰ الموصوف.

«بِسِرْبَالْ» السربال القميص.

«وَجَلِّلْنِي» اجعلها علي كجلال الفرس.

«مُعَافَاتِكْ»

المعافات أن يعافيك من الناس ويعافيهم منك ويغنيك عنهم.

«إِلَىٰ حَوْلِي» عن المعاصي.

«وَقَوِّنِي»[1] علىٰ الطاعات.

«أَسْدَيْتَهُ إِلَيَّ» يقال أسدى إليه أي أحسن.

«بِمَا أَسْدَيتَهُ إِلَيْكَ»

إطلاق لفظ الإسداء إما علىٰ طريق المقابلة، والمشاركة من باب فجزاء سيئة سيئة، أو يكون من باب فبشرهم عذاب(١) أليم، إلا أن الاستهزاء في الآية راجع إلىٰ المخاطبين وهم الكفار وهنا راجع إلىٰ المتكلم، ويجوز أن يكون الإسداء هنا بمعنىٰ الإهمال من قوله تعالىٰ: ﴿**يحسب الإنسان أن يترك سدى**﴾، لكنه قد يحتاج إلىٰ التضمين حتىٰ يتعدىٰ بإلى وما أسديته إليك عبارة عن الذنوب، وقيل هو عبارة عن الطاعات التي لم يقبلها.

«وَأَعْوَدَ بِالإِحْسَانْ» من العادة أو العود وهو النفع.

«وَأَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَة»

رُوي أنه لما نزل قوله تعالىٰ هو أهل التقوىٰ وأهل المغفرة قال عليه السلام اللهم اجعلنا من أهل التقوىٰ وأهل المغفرة، الأول من الأول والثاني من الثاني من المجهول والأول من الثاني والثاني من الأول من المعلوم.

«مَنْ يَسْعَىٰ نُورُهْ» تلميح إلىٰ قوله تعالىٰ يوم ترىٰ المؤمنين والمؤمنات يسعىٰ نورهم بين أيديهم وبإيمانهم ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا وقد تقدم تفسيرها.

«وَزِدْنِي إِلَيْكَ فَاقَةً وَفَقْراً» يعني فقري إليك أزيد من فقري إلى غيرك وليس المراد طلب أصل الفقر فإنه مما لا ينبغي.

«مِنْ شَماتَةِ الأَعْدَاءْ»

روي أنه قيل لأيوب علىٰ نبينا وآله و عليه السلام ما كان أشد عليك من بلائك فقال شماتة الأعداء، وإن أهل النار يتصبرون علىٰ عذابها حذراً من شماتة الأعداء.

---

(١) في نسخ أخرى من الصحيفة (وقوّني).   (٢) كذا في الأصل.

«تَغَمَّدْنِي فيمَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنِّي بِما يَتَغَمَّدُ بِهِ القَادِرُ عَلَىٰ البَطْشِ لَوْلاَ حِلْمِهِ»

التغمد الستر وقوله لولا حلمه راجع إلىٰ البطش أي لولا حلمه لفعل البطش، ويحتمل تعلقه بالقادر علىٰ طريق المبالغة في الحلم علىٰ معنىٰ أن حلمه يمنعه عن القدرة علىٰ البطش فهو غير قادر مع وجوده.

«عَلَىٰ الجَرِيرَة» وهي الجناية.

«فِتْنَة»

الفتنة ترد بمعنىٰ الشرك والضلال والقضاء والإثم والمرض والعقوبة والاختبار والعذاب والاحتراق والجنون وأكثرها يناسب هذا المقام.

«لِوَاذاً بِكَ» أي لأجل التجائي وتمسكي بك.

«مَقَام» بفتح الميم وضمها مصدر بمعنىٰ الإقامة أو اسم مكان.

«وَلاَ تَمْدُدْ لِي» أي في عمري أو في رزقي.

«وَلاَ تَقْرَعْنِي قَارِعَةً» أي لا تطرقني بداهية.

ولاَ تَسُمْنِي» أي لا تورد علي.

«وَلاَ نَقِيصَة»

وفي ش ولا يقتضب بجهل من أجلها مكاني الاقتضاب الإقتطاع أي بما يجهل الناس مكاني عندهم لأجلها بسبب جهالتهم وإلا فهي لا توجب مثله.

«أُبْلِسُ» الإبلاس الإياس ومنه سمي إبليس لإياسه من رحمة الله تعالىٰ.

«أُوجِسُ دُونَها» أخاف عندها وفي نسخة أوجر والوجر فزع القلب.

«وَحَذَرِي مِنْ إِعْذَارِكَ وَإِنْذَارِكَ»

الإعذار إبداء العذر ومحو الإساءة والإنذار التخويف والمعنىٰ أنه يكون خوفي من إعذارك لي بأن لا تفعله بل لا تقبل مني الإعذار يعني أكون في مقام الخوف والحذر ولا أعتمد علىٰ أنك تقبل عذري فأتجرأ علىٰ معاصيك نظراً إلىٰ ذلك الاعتماد.

«وَمُنَازَلَتِي إِيَّاكْ»

يقال نازلت ربي في كذا أي راجعته وسألته مرة بعد مرة وهو مفاعلة من النزول عن الأمر أو من النزال في الحرب وهو تقابل القرنين فيه.

«عَامِهَاً» كالعمىٰ في البصر.

«وَلاَ فِي غَمْرَتِي» أي إغمائي وغفلتي.

«حتَّىٰ حِينْ»

إلىٰ وقت طويل وهو تلميح إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فذرهم في غمرتهم حتى حين﴾.

«وَلاَ فِتْنَةً لِمَنْ نَظَرْ»

بأن أكون شديد الفقر حتىٰ يقول الناظر إليّ ما أصابه هذا الفقر إلا بما جنىٰ أو بأن أكون كثير الغنىٰ حتىٰ أن غنائي يفتن الناس والحاصل أن المراد طلب الاقتصاد.

«فِيمَنْ تَمْكُرُ بِهْ» أي لا أكون في جملتهم.

«ولاَ تَسْتَبْدِلْ بِي غَيْرِي»

ناظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وإن تتولوا يستبدلَ قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾، روي أن أُناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه، وكان سلمان إلىٰ جنب رسول الله ﷺ فضرب عليه السلام يده علىٰ فخذ سلمان فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس، وفي حديث آخر أن المراد بهم أبناء الوالي المعتقين.

«وَلاَ تُغَيِّرْ لِي إِسْماً» بأن تمحوه من ديوان السعداء وتثبته في ديوان الأشقياء.

«ولاَ تُبَدِّلْ لِي جِسْماً»

بالآفات الدنيوية وفي الآخرة بالنار أو بالمسخ كما روي أن قوماً يحشرون علىٰ صورة الذر وآخرون على صورة الخنازير ونحو ذلك.

«وَلاَ تَتَّخِذْنِي سُخْرِيّاً لَكْ»

بأن تعاملني معاملة من تسخر به أما في الدنيا فبالاستدراج، وأما في الآخرة فبأن

تريني علىٰ أحسن الوجوه من أعظم الأعمال في وقت الاحتياج إليه حتىٰ إذا دنا مني أمرت الريح ففرقته في الهواء كما قلت وقدمنا إلىٰ ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً وذلك بدخول الرياء في الأعمال، وهذا كله في الرواية وقيل المراد سخرية الناس بسبب ما فعله الله تعالىٰ به ولذا أسند السخرية إليه.

«ولاَ مُمْتَهَناً»

أي لا أكون محتقراً ذليلاً إلا لأجل الذب عن دينك والمعاداة لأعدائه.

«وَأَوْجِدْنِي» إجعله في وجداني وقلبي.

«وَرَوْحِكَ وَرَيْحَانِكْ»

الروح النسيم أو الاستراحة من التكاليف الدنيوية ومشاقها، وقيل الروح النجاة من النار والريحان الدخول في دار القرار، وقيل الروح في القبر والريحان في الجنة، وقيل الريحان هو المشموم من ريحان الجنة يؤتى به للمؤمن عند الموت فيشمه حتىٰ يجود بنفسه فيقول عندها للملائكة عجلوني عجلوني.

«بِسَعَة» في الرزق.

«يُزْلِفْ» يقرب.

«لَدَيْكَ وَعِنْدَكْ»

قد عرفت الفرق بينهما من أن لدى أخص من عند وأنه لا يقال المال لدىٰ زيد إلا إذا كان حاضراً عنده في مجلسه، ويقال عند زيد مال بمجرد ملكه وإن لم يكن حاضراً عنده، وحاصل المعنىٰ فيما يقترب إلىٰ رحمتك الخاصة والعامة.

«وكرَّنِي» أي[1] رجعني إليك.

«مَقَامَكْ»

أي قيامي بين يديك فإنك الذي أوجبت قيام الخلائق بين يديك في القيامة فلذا صحت إضافته إليك وحاصله الموقف الذي يقف الخلائق فيه للحساب.

---

(١) وفي نسخة: وكَرَّتي غَيرَ خَاسِرَة

«حِلْيَةُ الْمُتَّقِينْ»

من الخلع السنية والأنوار المعنوية بل الحسية التي تشاهد في جباه الصالحين.

«فِي الغَابِرِينْ» أي الماضين والمستقبلين لأنه من الأضداد.

«وَوَافِ» تمّم بي عرصتهم وميدانهم وحاصله طلب الكون معهم.

«مَقِيلاً» من القيلولة أي محل استراحة.

«ومَثَابَةً أَتبوَّؤُهَا» أي محل ثواب يكون انصرافي من هذه النشأة إليه.

«وَلاَ تُقَايِسْنِي»

هو من المقايسة بمعنىٰ المشابهة أي مهما عملت من جريرة قايستني بها وجازيتني عليها.

«يَوْمَ تُبْلَىٰ السَّرَائِرْ»

أي يوم تختبر البواطن، وقال رسول الله ﷺ السرائر هي الصلاة والصيام والزكاة وكل مفروض لأن الأعمال كلها سرائر خفية فإن شاء الرجل قال صليت ولم يصل فذلك قوله يوم تبلىٰ السرائر وهو يوم القيامة وخطب أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير فقال وهذا يوم إبلاء السرائر يعني يوم الغدير، وعن الصادق عليه السلام في وصف رجعة القائم عليه السلام بعد أن ذكر ظهوره وخروج الحسين عليه السلام قال ثم يخرج الصدِّيق الأكبر أمير المؤمنين عليه السلام وينصب القبة علىٰ النجف وتقام أركانها ركن بالنجف وركن بهجر وركن بصنعاء اليمن وركن بأرض طيبة لكأني أنظر إلىٰ مصابيحها تشرق في السماء والأرض كأضوأ من الشمس والقمر فعندها تبلىٰ السرائر وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وترىٰ الناس سكارىٰ، ولا منافاة بين هذه الأخبار لصدق اليوم عليها كلها.

«وَالدَّعَة» أي السعة في العيش.

«نَزَغَاتُ فِتْنَتِكْ» مفاسدها والمراد بالفتنة إما الاختبارات والامتحانات أو الشيطان.

«وحِطْنِي» احفظني واكلأني.

وكان من دعائه عليه السلام يوم الأضحى ويوم الجمعة

ظاهره أن اليوم بأجمعه ظرف للدعاء لكن ذكر الشيخ (قده) في المصباح أن محل قراءته وقت الفراغ من صلاتيهما وفي بعض فقرات هذا الدعاء تأكيد له.

«بِجُودِكْ» الباء إما للسببية أو للقسم، ويُوَهِّن هذا بهوان.

«بِأَنَّ لَكَ المُلْكْ»

الباء للسببية ومفعول قوله و«أسألك» هو قوله «مهما قسمت» انتهى، فإنه في معنىٰ أسألك من هذا كله، وفي نسخة أن توفر حظي بعد قوله والآخرة وحينئذ فهو المفعول وقوله مهما قسمت، انتهى، جملة معترضة.

«الحَنَّانْ» أي ذو الرحمة والذي يقبل علىٰ من أعرض عنه.

«المَنَّانْ» المعطي المنعم والذي يبتدي بالنوافل قبل السؤال.

«تَهَيَّأَ» هي مع أخواتها الثلاثة متقاربة المعنىٰ.

«لِوَفَادَةٍ» أي لقدوم.

«لا يُحْفِيهِ سَائِلْ»

أي لا يستقصيه ولا يبلغ آخر ما عنده إذ ما سأل بالنسبة إلىٰ ما ترك نسبة متناهية، وقال الشيخ الكفعمي (قده) معناه أنه لا يمنعه إعطاء سائل عن إعطاء آخر وهو مبني علىٰ ورود الإحفاء بمعنىٰ المنع ولم نجده فيما عندنا من كتب اللغة، وفي خَ لا يحيفه من الإحافة وهو الحمل علىٰ الجور.

وكان من دعائه عليه السلام في العيدين

«اللَّهُمَّ إِنَّ هَذا المَقَامَ لِخُلَفَائِكْ»

قد استدل بعضهم بهذا علىٰ اختصاص هاتين الصلاتين بحضورهم عليهم السلام وهو كما ترىٰ، فإن الظاهر أن هذا وأمثاله إنما هو تعريض بمخالفيهم الذين غصبوا مراتبهم وأما شيعتهم فإنهم إن صلوهما فإنما هو بالرخصة العامة منهم عليهم السلام وهو لا ينافي الاختصاص. لخلفائك: مفعول المقام، وخبر إنّ هو قوله قد ابتزوها أي سلبوها وضمير ابتزوها إما راجع إلىٰ المواضع أو إلىٰ الدرجة أو للمقام لاكتسابه التأنيث من الدرجة وها علىٰ نسخة للمجهول كلمة تنبيه أو كلمة دعوة لا ضمير تأنيث ثم إن افردت الكلمة فالقائم مقام المفعول المقام وإن جمعت الخلفاء.

«ولاَ يُجاوِزُ المَحْتُومَ مِنْ تَدْبِيرِكْ»

فإنك قد حتمت عليهم المغلوبية صلاحاً لهم فأنت لا تتهم فيما قضيت بأن يقال إن الصلاح في غير ما قضيت بل ما قضاه تعالىٰ وقدره علىٰ الأئمة عليهم السلام إنما هو برضاء منهم وأنهم باعوا أنفسهم علىٰ الله تعالىٰ بأن يصل إليهم ما وصل والثمن ما أعد لهم من تلك الدرجات العاليات كما قال يحي عليه السلام إن لي عند الله درجة لا أنالها إلا بالشهادة وهذا كله قد ورد في صحيح الأخبار.

«أَشْرَاعُكْ» أي أبوابك يقال أشرع باباً إلىٰ الطريق إذا فتحه.

«مَجِيدْ» أي كريم أو عزيز أو شريف وقيل معنىٰ مجيد أنه مجده خلقه وعظموه.

«كَصَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكْ»

وههنا إشكال مشهور وحاصله أن المشبه به لا بد وأن يكون أقوىٰ من المشبه مع أن نبينا صلى الله عليه وآله أشرف سائر الممكنات فكذا الصلاة عليه ينبغي أن تكون أقوىٰ وأشد من الصلاة علىٰ غيره والتقصي عنه من وجوه: الأول إن أشدية المشبه به أغلبية لتحقق

التشبيه بدونها كقوله تعالىٰ: ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب علىٰ الذين من قبلكم﴾، الثاني إنه صلى الله عليه وآله وسلم لما كان من جملة آل إبراهيم كان داخلاً في تلك الصلاة المشبه بها وهذه الصلاة خاصة به ولا شك أن الصلاة الشاملة له ولآل إبراهيم أفضل من الصلاة الخاصة به، وقد اعتمد جل أساتيذنا علىٰ هذا وبمثله دفعوا الشبهة الواردة علىٰ ما ورد من أن المراد بالفداء في قوله تعالىٰ: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ الحسين عليه السلام مع أنه أشرف من إسماعيل وحاصل الدفع أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من صلب إسماعيل فلو وقع الذبح علىٰ إسماعيل لم توجد تلك الذرية الطاهرة التي من جملتها الحسين عليه السلام ولا ريب في أن المجموع أفضل من واحد، وأورد علىٰ هذا ما حاصله أن مبناه علىٰ أن يكون عطفت قوله وآل إبراهيم علىٰ إبراهيم مقدماً علىٰ التشبيه حتىٰ يكون المقصود تشبيه الصلاة علىٰ نبينا وآله عليهم السلام جميعاً بالصلاة علىٰ إبراهيم وآله جميعاً فيتم التشبيه إذ لو فرضنا تقدم الحكم أعني التشبيه علىٰ العطف لعاد المحذور إذ مرجعه حينئذٍ إلىٰ تشبيهين، أحدهما تشبيهها بالصلاة علىٰ إبراهيم، وثانيهما تشبيهها بالصلاة علىٰ إبراهيم والمحذور باق في التشبيه الأول دون الثاني ولكن في تقدم الحكم علىٰ العطف وعكسه خلاف بين أهل العربية والظاهر أن القرينة قائمة هنا علىٰ تقدم العطف علىٰ الحكم كما لا يخفىٰ، الثالث إن إبراهيم عليه السلام لما كان أفضل من الأنبياء قبله كانت الصلاة عليه أفضل من الصلاة علىٰ جميع من قبله وإذا كانت الصلاة علىٰ نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مثل تلك الصلاة فلا جرم تكون أفضل من الصلاة علىٰ جميع من قبله واعترضه شيخنا البهائي (قده) بأنه لا يحسم مادة الإشكال إلا إذا ثبت أن فضل الصلاة علىٰ إبراهيم علىٰ من قبله أزيد من فضل الصلاة علىٰ نبينا صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ من قبله وأتباعه متعسراً ومتعذراً، الرابع أن الصلاة علىٰ إبراهيم أقوىٰ من حيث الأقدمية وهو كاف في التشبيه ويضعف بقوله صلى الله عليه وآله وسلم كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، الخامس ما ذكره شيخنا الشهيد (ره) في قواعده وحاصله أن هذا دعاء وهو إنما يتعلق بالمستقبل ونبينا صلى الله عليه وآله وسلم كان الواقع قبل هذا الدعاء أنه أفضل من إبراهيم، وهذا الدعاء يطلب فيه زيادة علىٰ هذا الفضل مساواته لصلاته علىٰ إبراهيم فهما وإن تساويا في الزيادة إلا أن الأصل المحفوظ خال عن معارضته الزيادة، السادس أنه لا يلزم أن يكون المشبه به أقوىٰ من كل وجه بل يلزم أن يكون شيئاً واضحاً ظاهراً كما في قوله تعالىٰ: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ لأن نورها مشاهد للسامع وكذا الصلاة علىٰ إبراهيم شائع مشهور علىٰ ألسنة أهل الملل والأديان،

السابع أن الكاف للتعليل مثلها في قوله تعالىٰ: ﴿**واذكروه كما هداكم**﴾، الثامن إن الصلاة بهذا اللفظ جارية في كل صلاة علىٰ لسان كل مصلٍ إلىٰ انقضاء التكيف فيكون الحاصل لنبينا ﷺ بالنسبة إلىٰ مجموع الصلوات أضعافاً مضاعفة، وقد بقيت وجوه كثيرة ذكرناها في شرحنا الكبير من أرادها فلينظرها ثمة.

«مِمَّنْ يَجْرِي ذَٰلِكَ بِهِ»

إشارة إلىٰ النصر والتأييد لآل محمد أو إلىٰ التوحيد أي يجري توحيدك بهم بأن يوحدوك وعلىٰ يديهم بأن يأمروا به، وقيل هو بيان لضمير طاعتهم الراجع إلىٰ الأئمة عليهم السلام، ويجوز تعلقه بفعل محذوف دل عليه الفعل السابق أي اجعلني من الذين يجري التوحيد بهم وعلىٰ يديهم.

«حَتَّىٰ تَسْتَجِيبَ لِي»

أي لا تمتني إلا بعد استجابة دعواتي التي من جملتها المغفرة والتوفيق لرضاك.

«غَرَضَاً» بالغين المهملة بمعنىٰ الهدف وبالمهملة بمعنىٰ العرض للبلايا.

«نَصَباً» أي علماً.

«ألفَ مَرّة»

يدل علىٰ استحباب التصلية علىٰ محمد وآله في يوم الجمعة ألف مرة كما ورد في صحيح الأخبار، قيل وإن ضاق وقتك فقل اللهم صلى علىٰ محمد وآل محمد ألف مرة كما ورد في لا إله إلا الله ألف مرة.

وكان من دعائه عليه السلام في دفع كيد الأعداء

وهذا الدعاء يسمىٰ بالجوشن الصغير والظاهر أن المراد بالأعداء هنا أعداء الدين فلا يجوز أن يدعىٰ به إلا عليهم، وأما إذا كان من أهل النحلة فينبغي الدعاء لهم بالهداية والإرشاد، وقد شاهدنا جماعة في هذا العصر قد تلبسوا بلباس أهل الدين يدعون بهذا الدعاء وأضرابه علىٰ من أسدىٰ إليهم مكروهاً، وربما حصل عليه ضرر وهذا الضرر عند جمهور الأصحاب اتفاقي لا مدخل لدعائهم وعبادتهم المخترعة فيه، وأما أنا فقد ظهر لي من ممارسة الأخبار وجه وجيه وحاصله أن الله تعالىٰ قد أقسم علىٰ

نفسه بنفسه أن لا يضيع عمل عامل كما قال تعالىٰ: ﴿**ومن يرد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من خلاف**﴾، فإذا توجه واحد من الناس وعبد الله تعالىٰ لأجل إيصال ضرر إلىٰ غيره يحصل منه نفع أخروي لذلك الغير وأعطاه الله تعالىٰ هذا المطلب الحقير لا يدل علىٰ أنه مستجاب الدعوة ولا يدل علىٰ علو مرتبته وشرافة درجته بل العكس إذ قد عرض نفسه للعقاب وغيره للثواب، ومثل هذا قد ورد في عبادة الشيطان فإنه قد عبد الله تعالىٰ ستة آلاف سنة طلباً للرئاسة الدنيوية التي قد وصل إليها ولو كانت عبادته علىٰ وجه الإخلاص لم يدعه الله تعالىٰ نفسه طرفة عين ولا كان وقع منه ما وقع.

«**فَلَهَوْتُ**» لعبت.

«**وأَبْلَيْتَ الجَمِيلْ**» أعطيت العطاء الجميل.

«**مَا أَصْدَرْتُ**»

أي أرجعت معرفته إلي، وقيل معناه أني عرفت الشيء الذي رددتني عن الذنوب بسببه، وقيل المراد ما رددت الناس وأرجعتهم عنه.

«**تَقَحَّمْتُ**» ألقيت نفسي فيها بلا روية وفكر.

«**شِعَابُ**» جمع شعب وهو الصدع في الجبل.

«**وبِحُلُولِها**» أي السطوات أو الشعاب وهو الأظهر.

«**إنْتَضَىٰ**» أي سل.

«**وَشَحَذَ لِي ظُبَةَ مُدْيَتِهْ**» أي حدد لي طرف شفرته وهي السكينة العظيمة.

«**وَأَرْهَفَ لِي شَبَا حَدِّهْ**» أي رقق لي طرف حدته وبأسه وسورته.

«**وَدَافَ لِي قَوَاتِلَ سُمُومِهْ**» أي مزج لي بماء ونحوه أو سحق لي سمومه القاتلة.

«**وسَدَّدَ نَحْوِي صَوَائِبَ سِهَامِهْ**» أي قوم إلىٰ جانبي سهامه الصائبة.

«**يَسُومُنِي**» أي يورد علي.

«**زُعَافَ**» بالقاف الماء الغليظ وبالفاء القاتل السريع القتل.

«الفَوَادِحْ» الأثقال.

«الإنْتِصَارْ» الانتقام.

«نَاوَانِي»

عاداني وأما ناءاني بهمزة بعد الألف الأولىٰ فلم ترد في اللغة والظاهر أن وجودها في بعض النسخ تصحيف ما هنا.

«وَأَرْصَدَ لِي» أي أعد لي.

«أَزْرِي» ظهري.

«فَلَلتَ حَدَّهْ» كسرت سورته.

«وَأَعْلَيْتَ كَعْبِي» كناية عن تمام الغلبة والاستيلاء.

«غَلِيلَهْ» الغليل حرارة العطش.

«شَوَاهْ»

أطراف بدنه كاليدين لما تعارف من أن الغضبان يعض علىٰ أصابعه خصوصاً السبابة.

«سَرَايَاهْ» عساكره التي جمعها لي ولإهلاكي.

«وأَضْبَأَ» أي أشرف علي لينظرني.

«لِطَرِيدَتِهْ» صيده.

«لإنْتِهَازِ الفُرْصَة» اغتنامها.

«الحَنَقْ» الغيظ.

«غَلُ سَرِيرَته»[1] فسادها.

«أَرْكَسْتَهُ لأُمِّ رَأسِهِ فِي زُبْيَتِهْ»

---

(١) وفي احدى النسخ المعتبرة: دغل سريرته.

أي رددته مقلوباً علىٰ رأسه في حفرته وأم الرأس هي رأس الدماغ أو الجلدة الرقيقة التي عليها واللام بمعنىٰ علىٰ مثل ما في قوله تعالىٰ: ﴿**يخرون للأذقان**﴾.

«رِبَقٌ» كعنب جمع ربق بالكسر حبل فيه عدة عرىٰ تشد به البهم.

«شَرِقَ بِي» يقال أشرق عدوه اي أغصه.

«وشَجِيَ مِنِّي»

الشجو ما نشب واعترض في الحلق من عظم ونحوه والشجو الحزن أيضاً.

«وسَلَقَنِي» أذاني بكلامه.

«وَوَحَرَنِي» أغاظني.

«بِقَرْفِ عُيُوبِهْ» باكتسابها أي نسب إليّ عيوبه التي اكتسبها.

«وَوَحَرَنِي بِكَيْدِهْ» وفي ش بالمعجمتين أي طعنني طعناً ليس بنافذ.

«لاَ يُضْطَهَدْ» أي لا يغلب ولا يقهر.

«كَنَفَكْ» إحاطتك.

«مَعْقِلِ انْتِصَارِكْ» محرزه.

«وأعيان الحدث»[1] أي فتيان وخصهم بالذكر لقوة تأثير عيونهم.

«طَمَسْتَها»

أذهبتها أو أذهبت تأثيرها وما روي من أنه قد رفع ببركة النبي ﷺ فالظاهر أنه قد رفع شدة تأثيرها الذي كان في زمن الجاهلية.

«وَغَواشِيَ» جمع غاشية وهو ما يغشىٰ الشيء ويغطيه.

«وَعَدَمٍ» أي فقر وكسر حال.

«وصَرْعَةٍ» أي سقطة بالفتح للحالة وبالكسر للنوع.

---

(١) وفي نسخة: وأعْيُنِ أحْدَاث.

«أَنْعَشْتَ» رفعتني منها.

«وأَسْتَمِيحُ» أي استعطي والمميح كل من أعطىٰ معروفاً والسائل محتاج ومستميح.

«فَمَا أَكْدَيْتُ» أي ما رددت.

«بالمحمدية» أي الملة المحمدية والملة العلوية.

دعاؤه عليه السلام في الرهبة

«فَيا سَوْأَتَاه»(١)

السوأة في الأصل بمعنىٰ العورة وما لا يجوز أن ينكشف من الجسد ثم نقل إلىٰ كل كلمة أو فعلة قبيحة كأنه يقول لها احضُري يا سوأة فهذا من الأحوال والأوقات التي ينبغي أن تمضي بها وهي إحصاء الكتاب قبائحي.

«فَلَولاَ المَوَاقِفُ» ورد في الخبر أن ليوم القيامة خمسين موقفاً والناس في كل واحد منها علىٰ حال من الأحوال.

«لأَلْقَيْتُ بِيَدِي»

أي لألقيت يدي إلىٰ مَصَارع المهالك أو لألقيت نفسي بيدي وهو كناية عن الاستسلام للوقوع في المهالك، وقيل بيدي أي بنفسي كما قيل في قوله تعالىٰ: **﴿ولا تلقوا بأيديكم﴾**.

«حَسِيباً» أي كافياً فعيل بمعنىٰ مُفعِل والحسيب المحاسب أيضاً ويطلق علىٰ المحصي والعالم.

«رَاغِمْ» لاصق أنفي بالرغام وهو التراب.

«بِالمَخْزُونِ مِنْ أَسْمَائِكْ»

عند الأنبياء وأوصيائهم كما روي أن الاسم الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً وقد علم

---

(١) وفي نسخة: فيا سوأتا.

سبحانه كل نبي ووصيه شيئاً منها لم يطلع عليه أحداً، ويجوز أن يراد بالمخزون هو ذلك الحرف فإنه المخزون حقيقة عن جميع الكائنات.

«وَبِمَا وَارَتْهُ الحُجُبُ مِنْ بَهَائِكْ»

المواراة الستر وأما الحجب فهي حجب حسية وحجب معنوية أما الأولىٰ فقد قدمنا تعدادها في أول الكتاب وأن بعضها ظلمة لو رجح أحدهما علىٰ الآخر وزن خردلة لأحرقت سبحات جلاله ما في الكونين، وأما الثانية فهي علىٰ قسمين الأول أن المراد منها صفاته تعالىٰ الذاتية العالية عن مطارح الأنظار ومطارح الأفكار كما ورد في الدعاء: يا من كان الحجاب بينه وبين خلقه أنه الواحد القادر العالم الدعاء، الثاني أنها عبارة عن صفاتنا الظلمانية كالإمكان والجهل وفي الدعاء ما يؤيده أيضاً.

«إلاَّ رَحِمْتَ»

أي أسألك في كل أوقاتي ولا أفتر عن السؤال إلا في وقت ترحم نفسي فيه والتعبير بصيغة الماضي للتفاؤل.

«الجَزُوعَةَ» كثيرة الجزع.

«وهَذِهِ الرِمَّةِ الهَلُوعَة» أي العظام المندرسة الكثيرة الفزع.

«صَوتَ غَضَبِكَ» أي المسبب عنه وهو صوت النار وزبانيتها.

«خَطَرِي» شأني وقدري.

دعاؤه عليه السلام في التضرع والاستكانة

«جَهْدَ البَلاءْ»

وهي الحالة التي يتمنىٰ الإنسان معها الموت العظيم المحنة أو مشقة، وقيل هي قلة المال وكثرة العيال.

«مَحْذُورَ القَضَاءْ» أي القضاء المحذور منه.

«جَاهِدْ» مبالغة في الجهد يعني صاحب جهد.

«صَنِيعَة» إحسان.

«**بِظُلاَمَتِي**» أي بما ظلمت به.

«**نُعْمَاكْ**»

بضم النون مقصور المعنىٰ النعمة ونعماءك بفتح النون محدود أجمع نعمة وأما فتح النون مقصوراً كما في بعض النسخ فلم يرد في اللغة.

«**مَبْرُوراً**» أي متسع فيه أو مصدق من قولهم فلان بر يمينه.

«**يا كَهْفِي حِين تُعْيِينِي المَذَاهِبْ**»

أي يا ملجئي حين يعجزني ذهابي إلىٰ الخلق وترداداتي إليهم لتحصيل ما عندك وحين لا أهتدي إلىٰ سلوكها.

«**وَيَا مَنْ وَضَعَتْ لهُ المُلُوكُ نِيرَ المَذَلَّة**»

النير الخشبة التي تجعل علىٰ عنق الثور وقت الحرث وفيه تشبيه الملوك بالثيران لجامع الجهل وإثبات ما هو من لوازم المشبه به أعني المذلة وما يلائمه أعني النير.

«**أَهلَ التَّقْوَىٰ**» أي مستحق لأن تبقىٰ من سطواتك.

«**فَأَعْتَذِرْ**» أظهر العذر عند السؤال.

«**ولاَ بِذِي قُوَّةٍ فَأَنْتَصِرْ**»

أي لست صاحب أعوان ينصروني عليك ويخلصوني من عذابك.

«**وأَتَنَصَّلْ**» أي أتبرأ.

«**مِسْكِيناً مُسْتَكِيناً**»

سمي الفقير مسكيناً لأنه لشدة فقره كأن الفقر أسكنه فلم يقدر علىٰ التحرك والمستكين مبالغة فيه.

«**بِسَرِيرَتِي**» باطلاعي عليها.

«**لَبَّيكَ لَبيَّكْ**» أي إنك أمرتني بالدعاء فأنا أقول لبيك.

«**المُضَجِّعُ**» أي المقصر.

دعاؤه عليه السلام في الإلحاح على الله تعالى

«أَعْلَمُهُمْ بِكَ»

تلميح إلى قوله تعالى **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** والمراد بهم العلماء الربانيون وهم العاملون بما علموا أو هم العلماء حقيقة وعلى الإطلاق، وأما من علم المسائل وسلب العمل بها فهو خارج عن عدادهم على التحقيق.

«قَضَاءَكَ» أي حلمك.

«أَرْدَانِي».

أهلكني مأخوذ من الردى بمعنى الهلاك أو أسقطني في بئر غضبك من قولهم تردى فلان في البئر أي سقط فيه. «لسكون عروقه» كناية عن صحة البدن فإن المرض يحرك العروق الساكنة، روى يعقوب بن شعيب قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إن في ابن آدم ثلاثمائة وستين عرقاً منها ثمانية وثمانون متحركة ومنها مائة وثمانون ساكنة فلو سكن المتحرك لم ينم ولو تحرك الساكن لم ينم، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أصبح قال الحمد لله رب العالمين كثيراً على كل حال ثلاثمائة وستين مرة وإذا أمسى قال مثل ذلك على عدد العروق.

«لِمَا هُوَ صَائِرٌ» صلة للفكر.

- **«وأَظَلَّهُ الأَجَلُ»** أي دنا منه يقال ظلّك فلان إذا دنا منك كأنه ألقى عليك ظله.

«وأَنْ تُثْنِيَنِي بِالكَثِيرِ مِنْ كَرَامَتِكَ»

أي تعطفني وتأخذني إليك متلبساً بالكثير من كرامتك، وقيل المراد تثنيني عن الذنوب بسبب الكثير من كرامتك وفي نسخة تثيبني من الثواب ولعله الأول.

دعاؤه عليه السلام في التذلل لله عز وجل

«أَفْحَمَتْنِي ذُنُوبِي»

منعتني عن المقال أو أبكتني حتىٰ انقطع صوتي من قولهم فلان مفحم أي منقطع الصوت عن الخصومة.

«المُتَرَدِّدُ فِي خَطِيئَتِي»

كناية عن كثرة الذنوب حتىٰ صارت كأنها طريق له فهو يجيء ويذهب فيها علىٰ طريق التردد.

«قَصْدِي» القصد استقامة الطريق ويجوز أن يكون بمعنىٰ اسم المفعول.

«المُنْقَطِعْ»

يقال قطع بفلان فهو مقطوع به وكذلك انقطع به بالفتح إذا انقطع سفره فصار منقطعاً بالكسر دون بيته كما إذا نفد زاده أو عطلت راحلته أو نحوها.

«سُبْحَانَكَ أَيَّ جُرْأَةٍ اجْتَرَأْتُ عَلَيْكَ»

أي أنزّهك عن أن يكون وعيدك مستحقاً للاستخفاف به ومع هذا فقد اجترأت عليك جرأة عظيمة لأن كل ذنب يصدر منا فهو جرأة على جنابه سبحانه كما قال عليه السلام لا تنظر إلىٰ صغر معصيتك وانظر إلىٰ من عصيت.

«وأَيَّ تَغْرِيرْ» يقال غرر بنفسه تغريراً إذا عرّضها للهلكة.

«كَبْوَتِي لِحُرِّ وَجْهِي»

أي انكبابي في الذنوب أو في النار كما روي أن الزبانية يكبون الناس في النار علىٰ وجوههم فيصلوا إلىٰ قعرها بعد مضي سبعين ألف سنة، وحر الوجه ما بدا من الوجنة يقال لطمه علىٰ حر وجهه.

«وَزَلَّةَ» بالكسر خبر معطوف علىٰ حرّ أي كبوتي بسبب زلة قدمي.

«أَسْتَكِينُ بِالقَوَدِ مِنْ نَفْسِي»

أي أخضع وأذل إن تقاصني في نفسي بسبب الذنوب وحاصله إظهار الرضا بهذا القصاص، وقيل المراد تقاصني بسبب إهلاكي نفسي.

دعاؤه عليه السلام في استكشاف الهموم

«يَا فَارِجَ الهَمّ وكاشِفَ الغَمّ» قيل بترادفهما وقيل الهم لما لم يقع والغم لما وقع من المكروه وقيل الهم ما لا يعلم سببه والغم ما يعلم.

«آيَةُ الكُرْسِي» إذا اطلقت كانت إلىٰ العظيم.

«والمُعَوِّذَتَيْنْ»

بالكسر سميتا به لأنهما نزلا لتعويذ الحسنين عليهما السلام لما زلقوهما بالأبصار حتىٰ أنه رُؤي تأثير العين فيهما عليهما السلام فعافاهما الله بهذا التعويذ.

«واقْبِضْ عَلَىٰ الصِّدْقِ نَفْسِي»

أي خذني إليك وقت الموت حال كوني مستقراً علىٰ التصديق نفسي وقت الحياة ولا تكلني إلىٰ نفسي فأرجع عن التصديق بك وبرسولك.

«أَسْأَلُكَ خَيْرَ كِتَابٍ قَدْ خَلاَ»

أي خير مكتوب قد مضىٰ في علمك بأن تكون قد كتبني في الألواح والدفاتر من الأخيار، اللهم اجعلنا من الأخيار بحق النبي وآله الأطهار.

تمّ الشرح المبارك المتعلق بالصحيفة الشريفة علىٰ يد مؤلفه الفقير إلىٰ الله الغني نعمت الله الحسيني الجزائري في بلدة خرم آباد أوان انصرافي من زيارة مولاي الرضا عليه السلام سنة الثامنة والسبعين بعد الألف، وهذا الشرح مختصر شرحنا الكبير علىٰ الصحيفة ويتلوه إن شاء الله تعالىٰ الشرح المتعلق بالملحقات والحمد لله حق حمده والصلاة علىٰ محمد وآله الطاهرين.

● ● ●

بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم

الحمد لله وصلىٰ الله علىٰ عباده الذين اصطفىٰ محمد وأهل بيته الطاهرين وبعد فإن المذنب الجاني قليل البضاعة وكثير الإضاعة نعمت الله الحسيني الموسوي الجزائري هداه الله سبحانه سواء الطريق وسقاه من رحيق التحقيق لما ألف قبل هذا بأعوام شرح الصحيفة السجادية على مصدرها وآبائه وأبنائه أكمل الصلوات وأسنىٰ التحية أعاق عن شرح ملحقاتها ما أردنا تأليفه من الشروح لكتب الحديث التهذيب والاستبصار وعقود المرجان في حواشي القرآن ثم لما منح سبحانه التمام مالت بنا الإرادة إلىٰ الكشف عن معانيها علىٰ وجه الإجمال لنبو الطبع عن الإطناب والإملال مع التماس بعض العزيزين علينا المترددين إلينا فصار العزم جازماً والهمة قاطعة فنقول قال المترجمون لأكثر نسخ الصحيفة.

«مما الحق ببعض نسخ الصحيفة»

«وكان من تسبيحه أعني زين العابدين عليه السلام»

قد عرفت أوائل الصحيفة قول المتوكل بن هارون ثم أملىٰ عليّ أبو عبد الله عليه السلام الأدعية وهي خمسة وسبعون باباً سقط منها أحد عشر باباً وحفظت منها نيفاً وستين باباً،انتهىٰ، والموجود من أدعية الصحيفة أربع وخمسون دعاء وشيخنا الشهيد عطر الله مرقده ألحق هذه الملحقات بالصحيفة ظناً منه أنها من الأدعية الساقطة، والحق أن بعضها وإن قرب من أدعية الصحيفة في طبقات الفصاحة والبلاغة، إلا أن البعض الآخر بعيد عنها ونسبتها إليه نسبة ما يدعي سقوطه من القرآن إليه، ويحتمل أن الأُنس بقرائتهما مناط نفي ما سواهما، والأدعية المنسوبة إلى مولانا زين العابدين عليه أفضل الصلوات كثيرة وقد جمع منها شيخنا المعاصر صاحب الوسائل أبقاه الله تعالىٰ ما يقرب من الصحيفة وسماه بأخت الصحيفة، كما أنه لما جمع الأحاديث القدسية سماه أخا القرآن.

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَحَنَانَيْكَ»

قال الجزري تكرر في الأحاديث ذكر التسبيح علىٰ اختلاف تصرف اللفظة، وأصل التسبيح التنزيه والتقديس والتنزيه من النقائض يقال سبحته أسبحه تسبيحاً

وسبحاناً، فمعنىٰ سبحان الله تنزيه الله وهو نصب على المصدر بفعل مضمر كأنه قال أبرأ الله من السوء براءة، وقيل معناه التسرع إليه والخفة في طاعته، وقبل معناه السرعة إلىٰ هذه اللفظة، وقد يطلق التسبيح علىٰ غيره من أنواع الذكر مجازاً كالتحميد والتمجيد وغيرهما، انتهى، وهو مضاف إما إلىٰ المفعول وهو المشهور ومعناه أسبحك وأنزهك عما لا يليق بذاتك ولا بصفاتك، أو إلى الفاعل أي التسبيح والتنزيه الذي نزهت به ذاتك، كما قال ﷺ لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت علىٰ نفسك، والمراد به ما علّمه الأنبياء أو ما أجراه علىٰ السنة جميع العباد أو ما ورد في الأخبار من أنه يخلق كل ليلة أو كل ليلة جمعة صوتاً في الملكوت تقدسه وتمجده بما يليق به من المحامد حتىٰ الصباح، أو يكون كما قيل عبارة عن بسطه بساط الوجود علىٰ ما لا يتناهى من المخلوقات فإن كل ذرة من ذرات الوجود السنة متكثرة تنبيء عليه شاهدة له بالصنع والوحدة والتفرد بصفات الكمال، وفي كلام مولانا الصادق عليه السلام.

فيا عجباً كيف تعصي الإلٰه ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل علىٰ أنه واحد

واللهم أصله يا الله عوضوا الميم المشددة عن أداة النداء وقد سبق تحقيقه، واعلم أن هذه الكلمة أعني قوله عليه السلام سبحانك اللهم هي الكلمة الطيبة الجارية علىٰ لسان أهل الجنة، قال عز شأنه: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم﴾، أي دعوىٰ المؤمنين في الجنة وذكرهم فيها أن يقولوا سبحانك اللهم لا علىٰ وجه العبادة لأنه ليس هناك تكليف بل يتلذذون بالتسبيح، وقيل: إنه إذا مر بهم الطير في الهواء يشتهونه قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم الطير فيقع مشوياً بين أيديهم، وإذا قضوا منه الشهوة قالوا الحمد لله رب العالمين، كما قال عز شأنه ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ فيطير الطير حياً كما كان، فيكون مفتتح كلامهم في كل شيء التسبيح ومختتم كلامهم التحميد، ويكون التسبيح بدل التسمية في الدنيا، وعن أبي جعفر عليه السلام إذا أراد المؤمن شيئاً في الجنة فإنما دعواه أن يقول سبحانك اللهم فإذا قالها تبادرت إليه الخدم بما اشتهىٰ من غير أن يكون طلبه منهم، وأما قوله وحنانيك فقال ابن الأثير حنانيك يارب أي ارحمني رحمة بعد رحمة، وهو من المصادر المثناة التي لا تظهر فعلها كلبَّيك وسعديك.

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَعَالَيْتْ»

أي جللت عن إفك المفترين، وقيل جل عن كل وصف وثناء، وذلك كما قيل إن الصفات التي بنيتها له سبحانه إنما هي علىٰ حسب أوهامنا وقدر أفهامنا، فإنا نعتقد اتصافه سبحانه بأشرف طرفي النقيض بالنظر إلىٰ عقولنا القاصرة وهو تعالىٰ أجل وأرفع من جميع ما نصفه به، وفي كلام الإمام أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ إشارة إلىٰ هذا المعنىٰ حيث قال كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع منكم مردود إليكم، ولعل النمل الصغار يتوهم أن لله تعالىٰ زبانتين فإن ذلك كمالها، ويتوهم أن عدمهما نقصان لمن لا يتصف بهما، وهكذا حال العقلاء فيما يصفون الله تعالىٰ به انتهى كلامه صلوات الله عليه، والزبانتان القرنان.

«وَالعِزُّ إِزَارُكْ»

العز مأخوذ من العزيز وهو من الأسماء الحسنىٰ، والعزيز حقيقة كما حققه الإمام الغزالي من يجمع معاني ثلاثة: عدم النظير في الأعيان والإمكان، واشتداد الحاجة إليه، وصعوبة الوصول إليه. ولا يجمعها إلا هو عز شأنه، فيكون العز مخصوصاً به وقد ضرب الإزار والرداء مثلاً في انفراده تعالىٰ شأنِه بصفة العز والعظمة، أي ليست كسائر الصفات التي يتصف بها الخلق مجازاً كالرحمة والكرم وغيرهما، وشبههما بالإزار والرداء لأن المتصف بهما يشملانه كما يشمل الرداء الإنسان، ولأنه لا يشاركه في إزاره وردائه أحد فكذلك الله لا ينبغي أن يشركه فيهما أحد.

«وَالعَظَمَةُ رِدَاؤُكْ»

وذلك أن العظمة من العظيم والعظيم هو الذي لا تتسلق العقول إلىٰ إدراك كنهه والإحاطة بحقيقة ذاته، وهذا مختص به تعالىٰ شأنه، وأما تخصيص العز بالأزار والعظمة بالرداء فلعل الوجه فيه أن العظمة في الملوك مثلاً أوضح وأشهر وأعلىٰ من العز، لأن العظمة فيهم مشاهدة بالأبصار والعز مدرك بالبصائر، فناسب العظمة التشبيه بالرداء الذي هو فوق الإزار.

«والكِبْرِياءُ سُلْطَانُكْ»

الكبرياء من التكبر ومعناه فيه سبحانه المتعالي عن صفات الخلق أو المتكبر علىٰ

عتاة خلقه، والتاء فيه للتفرد والتخصيص لا تاء التعاطي والتكلف، والكبرياء العظمة والملك، وقيل هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها إلا الله تعالىٰ، وقال الغزالي المتكبر الذي يرىٰ الكل حقيراً بالإضافة إلىٰ ذاته ولا يرىٰ العظمة والكبرياء إلا لنفسه فينظر إلى غيره نظر الملوك إلىٰ العبيد، فإن كانت هذه الرؤيا صادقة كان التكبر حقاً وكان صاحبها متكبراً حقاً، ولا يتصور ذلك علىٰ الإطلاق إلا لله سبحانه وتعالىٰ ويجوز أن يكون الكبرياء هنا مأخوذاً من الكبير وهو من أسمائه تعالىٰ، ومعنىٰ الكبير يرجع إلىٰ شيئين: أحدهما دوامه أبداً وأزلاً فكل وجود مقطوع بعدم سابق أو لاحق فهو ناقص فلذلك يقال إن الإنسان إذا طال وجوده أنه كبير، أي كبير السن طويل مدة البقاء فاطلاق الكبير عليه مجاز، والثاني أن وجوده هو الوجود الذي عنه وجود كل موجود، فإن كان الذي تم وجوده في نفسه كاملاً وكبيراً فالذي منه الوجود لجميع الموجودات أولىٰ بأن يكون كاملاً وكبيراً، والسلطان الوالي وجمعه سلاطين، والسلطان أيضاً الحجة والبرهان ولا يجمع لأن مجراه مجرىٰ المصدر، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ والكبرياء سلطانك يجوز أن يراد منه الوالي الملك أي كونك كبيراً أو متكبراً مما تقدم من المعاني علامة كونك ملكاً سلطاناً أما غيرك من الملوك فعلامة سلطانه الحاجة إلى كثرة الجنود والخزائن وفتح البلاد بالقهر والجبر وذلك مما تشتد حاجتهم إليه، ويجوز أن يراد منه معنىٰ الحجة والدليل يعني أن الكبرياء حجتك القائمة علىٰ جميع المصنوعات بالحاجة والإمكان.

«سُبْحَانَكَ مِنْ عَظِيمٍ مَا أَعْظَمَكْ»

من هنا إما للابتداء أي أنزهك عن كل ما سواك مبتدئاً من صفات العظمة متدرجاً منها إلىٰ غيرها من صفات الجمال ونعوت الجلال، وإما للتبيين وإما للتعليل مثلها في قوله عز شأنه ﴿**مما خطيئاتهم أغرقوا**﴾ ويجوز كونها زائدة أيضاً علىٰ أحد القولين.

«سُبِّحْتَ فِي المَلأُ الأَعْلَىٰ»

أصل الملأ الأشراف والرؤساء الذين يرجع إلىٰ قولهم قيل لهم ذلك لأنهم ملأ بالرأي والغنى أو لأنهم يملأون العين أو القلب والمراد بالملأ الأعلىٰ الملائكة.

«مَا تَحْتَ الثَّرَىٰ»

قيل هو الكنوز والأموات، والثرىٰ هو التراب الندي، والأظهر أنّ المراد بما

تحت الثرىٰ ما تقدم في دعاء الصباح والمساء فارجع إليه.

«كُلُّ نَجْوَىٰ»

اقتباس من قوله تعالىٰ: **﴿ما يكون من نجوىٰ ثلاثة إلا هو رابعهم﴾** الآية، والنجوىٰ التسارّ والتشاور وما خفي من الكلام بين المتسارين.

«أَنفاسُ الحِيتَانْ» بالتسبيح أو ما هو أعم منه.

«وَزْنُ الشمسِ والقَمَرْ»

سئل أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن طول الشمس والقمر وعرضهما قال تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ.

«وَزْنُ الظُّلْمَةِ والنُّورْ»

يجوز أن يراد من الوزن هنا العلم بمقاديرهما وما يملأ به من الخلاء كما يسمون ما يعلم بحركة الشمس اصطرلاباً وهو ميزان الشمس، ويجوز أن يراد منه وزنهما حقيقة بما يضاف إليهما من الأجسام والذرات المشاهدة بأشعة الشمس في الكوة ونحوها، ويجوز أن يكون لهما في أنفسهما وزن لأن الأجسام اللطيفة لا يبعد أن يكون لها ضرب من الجسمية المعروفة به.

«مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّة»

المراد من المثقال في الأصل مقدار من الوزن أي شيء كان من قليل أو كثير فمعنىٰ مثقال ذرة وزنها ومقدارها، والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرىٰ في شعاع الشمس من الهباء.

«قُدُّوسٌ قُدُوسْ»

من جملة أسمائه عز شأنه قدوس بالضم. ومعناه كما قال المحقق الغزالي هو المنزه عن كل وصف يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق إليه وهم، ولست أقول منزه عن العيوب والنقائص فإن ذلك يكاد يقرب من ترك الأدب فليس أن يقول القائل ملك البلد ليس بحائك ولا حجام، فإن نفي الوجود يكاد يوهم إمكان الوجود وفي ذلك نقص، بل أقول القدوس هو المنزه عن كل وصف من أوصاف الكمال الذي يظنه

أكثر الخلق كمالاً. لأن الخلق أولاً نظروا إلىٰ أنفسهم وعرفوا صفاتهم وأدركوا انقسامها إلىٰ ما هو كمال ولكن في حقهم مثل علمهم وقدرتهم وسمعهم وبصرهم واختيارهم ووضعوا هذه الألفاظ بإزاء هذه المعاني وقال إن هذه أسماء الكمال، ونظروا إلىٰ ما هو نقص في حقهم مثل جهلهم وفخرهم وعماهم وصممهم وخرسهم فوضعوا بإزاء هذه المعاني هذه الألفاظ، ثم كانت غايتهم في الثناء عليه تعالىٰ شأنه أن وصفوه بما هي أوصاف كمالهم كما أنهم نزهوه عن صفات بعضهم، بل كل صفة تتصور للخلق فهو يتقدس عنها وعما يشبهها ويماثلها ولولا ورود الرخصة والإذن بإطلاقها لم يجز إطلاق أكثرها عليه.

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكْ»

أي أنزهك عما لا يليق بجناب قدسك وعز جلالك، والواو في «وبحمدك» إما حالية أو عاطفة والتقدير وأنا متلبس بحمدك علىٰ التوفيق لتنزيهك والتأهيل لطاعتك، كأنه لما أسند التسبيح إلىٰ نفسه أوهم ذلك تبجحاً فعقب بهذه الجملة الحالية ليزول علىٰ قياس ما قيل في إياك نعبد وإياك نستعين.

دعاء وتمجيد له عليه السلام

«الحَمْدُ للهِ الّذي تَجَلَّى لِلْقُلُوبِ بِالعَظَمَة»

التمجيد تعظيمه سبحانه بصفات الحمد، والمجد في كلام العرب الشرف الواسع ورحل ماجد كثير الخير شريف والمجيد فعيل منه للمبالغة، وقال الغزالي إذا قارن شرف الذات حسن الفعال سُمي مجيداً وهو الماجد أيضاً وفعيل أبلغ من فاعل فكأنه يجمع معنىٰ الجليل والوهاب والكريم، وحاصل معنىٰ التمجيد تعظيم الباري جل شأنه بصفاته الذاتية والثناء عليه بأفعاله، ومقام التمجيد كما سبق تحقيقه في أدعية الصحيفة، وقوله تجلىٰ للقلوب أي انكشف لها لكن لا بحقيقته وكنهه بل بعظمته وآثار جبروته، ويكون المتجلي للقلوب حقيقة منه إنما هو صفات العظمة والسلطان فانتقلت القلوب والعقول من آثار عظمته إلىٰ توحيده وتنزيهه عن مشابهة الممكنات، فالباء للسببية ويجوز أن يكون للمصاحبة ويكون حاصل المعنىٰ أنه جل شأنه انكشف للقلوب مصاحباً للعظمة والجبروت ليس علىٰ حد انكشاف الملوك والسلاطين فإن العظمة

والجبروت لا يستلزمان تصورهما والتصديق بوجودهما، إذا عرفت هذا فاعلم أن المستفاد من هذه الفقرة وما في معناها أن المعرفة موهبية وهي نور يقذفه الله بالقلوب لا مدخل للكسب فيه، والأخبار الواردة بتأييده مستفيضة كقوله عليه السلام المعرفة من صنع الله عز وجل في القلب مخلوقة، وقوله ليس لله علىٰ خلقه أن يعرفوا قبل أن يعرِّفهم، وقوله صلوات الله عليه ستة أشياء ليس للعباد معرفتها صنع المعرفة تمام الحديث، وفي حديث آخر قيل له عليه السلام: المعرفة صنع من هي؟ قال من صنع الله عز وجل ليس للعباد فيها صنع، ونزلوا عليه الحديث المتواتر وهو قوله صلى الله عليه وآله كل مولود يولد علىٰ الفطرة، وفسروا تلك الفطرة بالمعرفة، وإلىٰ هذا ذهب جماعة من أهل الحديث، ونزلوا عليه حديث من عرف نفسه فقد عرف ربه، وجعلوا أول الواجبات هو الإقرار بالشهادتين كما نطق به الخبر، وهؤلاء ذهبوا إلىٰ أن تلك المعرفة المركوزة في العقول المقذوفة في القلوب تتزايد في درجات الكمال بسبب الطاعات والإطلاع علىٰ تفصيل البراهين القاطعة، وذهب معظم علماء الإسلام من المتكلمين وغيرهم إلىٰ أن المعرفة كسبية يجب تحصيلها وهي أول الواجبات، وفي بعض الأخبار دلالة عليه أيضاً، وقد ذكرنا في شرح كتاب التوحيد وجوها للجمع بين الأخبار.

منها ما ذكره العالم الرباني الشيخ ميثم البحراني عطر الله مرقده ونص علىٰ أنه مستفاد من الأخبار وهو أن للمعرفة مراتب، الأول وهي أدناها أن يعرف العبد أن للعالم صانعاً، الثانية أن يصدق وجوده، الثالثة أن يترقىٰ إلىٰ توحيده وتنزيهه عن الشركاء، الرابعة مرتبة الإخلاص له، الخامسة نفي الصفات التي تعتبرها الأذهان له عنه، وهي غاية العرفان، وكل مرتبة من المراتب الأربع مبدأ لما بعدها والأوليان مجبولتان في الفطرة الإنسانية بل في الفطرة الحيوانية أيضاً، ولذا لم يدع الأنبياء عليهم السلام إليهما مع أنهما لو توقفا علىٰ الدعوة لزم الدور لأن صدقهم مبني علىٰ أن ههنا صانعاً للخلق أرسلهم، بل الذي دعا إليه الأنبياء عليهم السلام هي المرتبة الثالثة وما بعدها، وهي الواردة في كلمة الإخلاص بقوله صلى الله عليه وآله من قال لا إلٰه إلاّ الله دخل الجنة، ثم لما استعدت أذهانهم لما بعدها من المراتب قال عليه السلام من قال لا إلٰه إلا الله خالصاً مخلصاً دخل الجنة، وحينئذ فالموهبي من المعرفة الدرجتان الأوليان وباقي المراتب كسبية نظرية، ولهذا اضطربت فيها عقول أرباب الملك وغيرهم من الكفار، أما الأوليان فلم يخالف فيهما أحد لأن القائلين بأن العالم وجد عن طبيعة وأن الطبيعة

هي المدبرة، والقائلون بتصادم الأجزاء في الخلاء الذي لا نهاية له حتىٰ حصل منها هذا العالم، والقائلون بأن أصل العالم وأساس بنيته هو النور والظلمة، والقائلون بأن مبادىء العالم هي الأعداد المجردة، والقائلون بالهيولى القديمة التي منها حدث العالم، والقائلون بعشق النفس الهيولي حتىٰ تكونت منها هذه الأجسام فكل هؤلاء أثبتوا الصانع وإنما اختلفوا في ماهيته وكيفية فعله، نعم وضع جماعة من الوراقين مقالة لم يذهب أحد إليها وهي أن العالم قديم لم يزل علىٰ هيئته هذه ولا إلٰه للعالم ولا صانع أصلاً وإنما هو هكذا ما زال ولم يزل من غير صانع، وهؤلاء هم المعطلة الدهرية المراد من قوله تعالىٰ حكاية عنهم: ﴿**وما يهلكنا إلا الدهر**﴾، ومنها أن المراد من المعرفة الموهبية المقدمات النظرية وأسبابها الموصلة إليها بأدنىٰ التفات.

وفي كل شيء له آية   تدل علىٰ أنه واحد

ومنها أن المفيض للمعارف بعد ترتيب المقدمات هو عز شأنه، فتكون المعرفة كأنها منه إذ لم يكن من العبد إلا تحصيل الأوليات. بقي الكلام في بيان انكشافه تعالىٰ وحاصله أنه أراد انكشاف وجوده لأبصار عباده في جزئيات آثاره، كما قال تعالىٰ: ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم**﴾، وإن كانت مشاهدة الخلق له علىٰ مراتب متفاوتة ودرجات متصاعدة، كما قاله بعض المحققين حاكياً له عن بعض أهل العرفان قال ما رأينا شيئاً إلا ورأينا الله بعده، فلما ترقوا عن تلك المرتبة درجة من المشاهدة والحضور قالوا ما رأينا شيئاً إلا ورأينا الله فيه، فلما ترقوا قالوا ما رأينا شيئاً إلا ورأينا الله قبله، فلما ترقوا قالوا ما رأينا شيئاً سوىٰ الله، والأولىٰ مرتبة الفكر والاستدلال عليه والثانية مرتبة الحدس، والثالثة مرتبة المستدلين به لا عليه، والرابعة مرتبة الفناء في ساحة عزه، واعتبار الوحدة المطلقة محذوفاً عنها كل لاحق، وهذا الظهور لا يكون لشيء من الممكنات.

«وَاحْتَجَبَ عَنِ الأَبْصَارِ بِالعِزَّة»

الأبصار جمع بصيرة والمراد منها العقول، أو جمع بصر وهو العيون لأنه عز شأنه احتجب عن العقول والأبصار، ولكن لا كحجاب الملوك والسلاطين يحتجبون بإرخاء الستور وتغليق الأبواب عن كل أحد، بل احتجابه عن أبصار خلقه وبصائرهم إنما هو بالعزة، وهي كما عرفت عبارة عن صعوبة الوصول إليه وعدم إمكان الإطلاع

عليه، فيرجع إلىٰ قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يا من كان الحجاب بينه وبين خلقه خلقه إياهم، يعني به أن كونهم مخلوقين أهل الحاجة والإمكان هو الحجاب بينهم وبينه جل شأنه لعدم الربط والمناسبة الذي هو شرط الإبصار والعلم، والإبصار جمع محلّى باللام يفيد استغراق الأوقات أيضاً، فما ذهب إليه الأشاعرة من أنه جل جلاله يرى في الآخرة برؤية العين كالبدر ليلة التمام ميل منهم إلىٰ التجسم وقول منهم بالجهة تعالىٰ عما يقول الجاهلون علواً كبيراً.

«وَاقْتَدَرَ عَلَىٰ الأَشْياءِ بِالقُدْرَة»

يعني أن اقتداره على قهر الأشياء ليس مثل غيره من الملوك بالجنود والتوابع وإنما هو بقدرته الذاتية التي هي عين ذاته لا بقدرة كما توهمه ظاهر العبارة.

«تَثْبُتُ لِرُؤْيَتِهْ»

لأن الأبصار إنما تثبت رؤيتها للجسم وتوابعه وما كان متحيزاً ومقارناً للمادة.

«وَلاَ الأَوْهَامُ تَبْلُغُ كُنْهَ عَظَمَتِهْ»

يجوز أن يراد من الأوهام المصطلح فيكون المعنىٰ أن الأوهام لا يصدق حكمها إلا فيما كان محسوساً أو متعلقاً بمحسوس كإدراك الشاة معنىٰ في الذئب، فأما الأمور المجردة عن علائق المادة والوضع فالوهم ينكر وجودها أصلاً فضلاً عن أن يصدق في إثبات صفة لها، ويجوز أن يراد ما هو أعم من العقل فإن الفرق بين العقول والأوهام اصطلاح حكمي فيكون حاصله أن الحكم بإثبات صفاته وإن كان هو العقل الصرف إلا أن ما يثبته من صفاته ليس صفات حقيقة خارجية بل أموراً اعتبارية تجذبها عقولنا عند مقايسته إلىٰ الغيرة، وقوله كنه عظمته يجوز أن يراد منه صفاته الذاتية التي اتصف من أجلها بالعظمة والجلال وأن يراد منه كنه عظمة آثاره ومعلولاته فإن منها العرش وما فوقه والثرىٰ وما تحته ولا يعلم ما هناك إلا هو.

«تَجَبَّرَ بِالعَظَمَةِ والكِبْرِيَاءْ»

قد عرفت أن التاء في مثل تجبر إنما هي للتفرد والتخصيص لا التكلف، أي تفرد بالجبر وهو نفوذ المشية في كل شيء وقهر كل أحد، أو بالجبروت مبالغة في الجبر كالرحموت مبالغة في الرحمة بسبب العظمة والكبرياء لأن العظيم المطلق والكبرياء

حقيقة يكون نافذ المشية قاهراً لما سواه، ويجوز أن تكون الباء للملابسة أي نفذت مشيته حال كونه متلبساً بالعظمة والجلال.

«وتَعَطَّفَ بِالعِزِّ وَالبِرِّ وَالجَلاَلْ»

في النهاية الأثيرية سبحان من تعطف بالعز أي تردى به، العطاف والمعطف الرداء وقد تعطف به وسمي عطافاً لوقوعه علىٰ عطفي الرجل وهما ناحيتا عنقه، والتعطف في حق الله تعالىٰ مجاز يراد به الإتصاف كأن العز شمله شمول الرداء، والبر الإحسان المطلق إلىٰ كل أحد حتىٰ من عصاه في وقت العصيان، وأما الجلال كما قال بعض المحققين فهو الغناء والملك والقدس والعلم والقدرة وغيرها من صفات الكمال، والجامع لجميعها هو الجليل المطلق، وكان الكبير يرجع إلىٰ كمال الذات والجليل يرجع إلىٰ كمال الصفات والعظيم يرجع إلىٰ كمال الذات والصفات.

«وَتَقَدَّسَ بِالحُسْنِ وَالجَمَالْ»

إعلم أن صفات الجلال إذا نسبت إلىٰ البصيرة المدركة لها سميت جمالاً وسمي المتصف بها جميلاً، واسم الجميل في الأصل وصف للصورة الظاهرة المدركة بالبصر مهما كانت لكن لا بشرط موافقةالبصر،ثم نقل إلى الصورة الباطنة التي تدرك بالبصائر حتىٰ يقال سيرة جميلة وخلق جميل وذلك يدرك بالبصائر، والصورة الباطنة إذا كانت كاملة مناسبة جامعة جميع كمالاتها اللائقة بها فهي جميلة بالإضافة إلىٰ البصيرة الباطنة المدركة لها وهي ملائمها ملاءمة يدرك صاحبها عند مطالعتها من اللذة والبهجة والإهتزاز أكبر ما يدركه الناظر بالبصر الظاهر إلىٰ الصورة الجميلة، فالجميل الحق المطلق هو الله تعالىٰ فقط لأن كل ما في العالم من جمال وكمال وبهاء وحسن فهو من أنوار ذاته وآثار صفاته، وليس في الوجود موجود له الكمال المطلق الذي لا مثنوية فيه سواه، والناظر إلى جماله يظهر له من البهجة والسرور واللذة ما يستحقر معه نعيم الجنة وجمال الصور المتغيرة، بل لا مناسبة بين جمال الصور الظاهرة وبين جمال المعاني الباطنة المدركة بالبصائر، وحاصل المعنىٰ أنه تقدس وتنزه بحسنه وجماله عن مشابهة حسن المخلوقات وجمالها.

«تَمَجَّدَ بِالفَخْرِ والبَهَاءْ»

البهاء من المباهاة بمعنىٰ المفاخرة والفخر كما في النهاية ادعاء العظم والكبر

والشرف، والعظم الكامل والشرف الذاتي ليس إلا له عز شأنه، ومن ثم قال ﷺ: أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي لا أقوله تبجحاً ولكن شكراً لله ومحدثاً بنعمته، والمعنىٰ أنه تعظم وتفرد بهذين الصفتين.

«وَتَهَلَّلَ بِالمَجْدِ وَالآلاَءْ»[1]

قال الجزري في حديث فاطمة فلما رآها استبشر وتهلل وجهه أي استنار وظهرت عليه إمارات السرور، والمجد كثرة الخير والشرف، والآلاء النعم أي فرح وتهلل وجه جوده بما أسدىٰ إلى عباده من النعم لا كغيره من المعطين.

«وَاسْتَخْلَصَ بِالنُّورِ والضِّيَاءْ»

استخلص تميز وتخصص يعني أنه سبحانه تخصص وتميز من بين الموجودات بكونه نوراً وضياءً لعالم الإمكان ومنوراً له. والنور منه حسي ومنه معنوي، ومعنىٰ النور هو الظاهر الذي به كل ظهور فإن الظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمىٰ نوراً، ومهما قوبل الوجود بالعدم كان الظهور لا محالة للوجود، ولا ظلام أظلم من العدم فالبرىء عن ظلمة العدم بل عن إمكان العدم المخرج كل الأشياء من ظلمة العدم إلىٰ نور الوجود جدير بأن يسمىٰ نوراً، فالوجود نور فايض علىٰ الأشياء كلها من نور ذاته، ونور السموات والأرض وما بينها إلا وهي دالة علىٰ وجوب موجدها، وفي النهاية النور هو الذي يبصر بنوره ذو العماية ويرشد بهداه ذا الغواية، وقيل هو الظاهر الذي به كل ظهور، فالظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمىٰ نوراً، وبالجملة فلا نور ولا منور إلا هو بكل واحد من المعاني المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿**الله نور السموٰات والأرض**﴾.

«خَالِقٌ لاَ نَظِيرَ لَهْ»

قوله لا نظير له ربما يومي إلىٰ جواز تسمية غيره خالقاً كما يظهر من قوله عز شأنه ﴿**تبارك الله أحسن الخالقين**﴾، وقوله ﴿**وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير**﴾ وبيان هذا يتوقف على الكشف عن معنىٰ الخالق ويستلزم بيان معنىٰ البارىء والمصور، فنقول قد ظن قوم أنها أسماء مترادفة، وأن الكل يرجع إلى الخلق والإختراع، ويرشد إليه أن الأخبار الواردة في تعديد الأسماء الحسنىٰ بعضها يتضمن بعضها والآخر يتضمن

---

(١) وفي نسخة «تمجد».

البعض الآخر، والمحققون من المفسرين وشراح الأسماء المقدسة فرقوا بينها بأن كل ما يخرج من العدم إلى الوجود يفتقر إلى تقدير أولاً، وإلى الإيجاد علىٰ وفق التقدير ثانياً، وإلىٰ التقدير بعد الإيجاد ثالثاً، والله تعالىٰ خالق من حيث أنه مقدر، وبارىء من حيث أنه مخترع وموجد، ومصور من حيث أنه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب، وهذا كالبناء مثلاً فإنه محتاج إلى مقدر ما لا بد منه من الخشب واللبن ومساحة الأرض وعدد الأبنية وطولها وعرضها، وهذا يتولاه المهندس فيرسمه ويصوره ثم يحتاج إلىٰ بناء يتولىٰ الأعمال التي عندها تحدث أصول الأبنية ثم يحتاج إلىٰ مزين ينقش ظاهره ويزين صوره فيتولاه من البناء، هذه هي العادة في التقدير والبناء والتصوير، وليس كذلك في أفعال الله تعالىٰ بل هو المقدر والموجد والمزين، فهو الخالق والبارىء والمصور ومثاله من صنعه عز شأنه الإنسان، وهو محتاج في وجوده أولاً إلى أن يقدر ما منه وجوده فإنه مخصوص، فلا بد من الجسم أولاً حتىٰ يخصص بالصفات كما يحتاج إلىٰ الآلات حتى يبني ولا يصلح لبنية الإنسان إلا الماء والتراب جميعاً، والتراب وحده يابس لا ينعطف في الحركات، والماء وحده رطب لا يتماسك، فلا بد من امتزاجهما، ثم لا بد من حرارة طائحة حتىٰ يستحكم مزج الماء بالتراب فلا ينفصل حتىٰ يكون صلصالاً كالفخار، والصلصال هو الطين المعجون بالماء الذي قد عملت فيه النار، ثم يحتاج إلى تقدير الماء والطين بمقدار مخصوص حتىٰ لا يكون كالذرات يلعب فيه العواصف ولا كالجبل لا يتحرك من مكانه وكل ذلك يحتاج إلىٰ التقدير، فهو باعتبار تقدير هذه الأمور خالق، وباعتبار الإيجاد علىٰ وفق التقدير بارىء لأنه ركب تلك الأجزاء المقدرة وضم بعضها إلىٰ بعض حتىٰ صار شبحاً طينياً أو لحماً يتطور في الأرحام طوراً طوراً، ومن هنا سمت العرب الحذّاء خالقاً لتقديره بعض طاقات النعل علىٰ بعض، وأما المصور فهو اسم له من حيث أن صور الأشياء أحسن ترتيب حتىٰ انتهىٰ في مراتب التدريج إلىٰ قوله ﴿تبارك الله أحسن الخالقين﴾، وإن شئت ضرب المثال في العالم فهو ممكن أيضاً لأنه في حكم شخص واحد مركب من أعضاء متفاوتة علىٰ غرض مطلوب منه، وأعضاؤه وأجزاؤه السمٰوات والأرض والكواكب والماء والهواء وغيرهما، وقد كان عرشه علىٰ الماء قبل خلق السموات والأرضين وما فيهن وما بينهن وما فوقهن وما تحتهن، فخلق الريح فموجت الماء فأزبد وأبخر بالدخان، فجعل الزبد لثقله مادة للأرض والدخان مادة للسماء كما أن البناء يضع الحجارة أسفل

والخشب فوقها لا بالاتفاق بل بالحكمة والقصد لإرادة الإحكام، ولو قلب ذلك فوضع الحجارة فوق الحيطان والخشب أسفلها لأنهدم البناء ولم يثبت، وكذلك ينبغي أن يفهم السبب في علو الكواكب وسفل الأرض والماء وسائر أنواع الترتيب في الأجزاء العظام من أجزاء العالم، ولما تم خلق السمواٰت مد الأرض فقال ﴿**والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها**﴾ إلىٰ آخر الآية المشتملة علىٰ أنواع التصوير والتحسين بعد تركيب أجزائها، ثم صور السماء وزينها كما قال ﴿**إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب**﴾، وما حكاه عز شأنه من أن السمواٰت والأرض كانتا رتقاً ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات، وقد صنف بعض من قارب عصرنا رسالة في تحقيق العالم وأنه كإنسان واحد، وشبه الملوك والسلاطين بالرأس والعلماء بالقلب وكل طائفة من أهل الحرف بعض من أعضائه كما يناسب حاله، وقد أحسن في تشبيهه الطائفة القلندرية بشعر العانة والإبطين إذ لا مدخل لهم في هذا العالم إلا بالفساد والإضرار بأهله، وكما يستحب إزالة الشعر من الموضعين ينبغي إزالة تلك الطائفة التي صارت كَلاًّ على عباد الله بالإخراج من البلاد، إذا تحققت هذا كله ظهر لك معنىٰ قوله عليه السلام خالق لا نظير له لأن غيره وإن اتصف بالخلق بمعنىٰ التقدير كالبناء والحذاء وما حكاه عن المسيح عليه السلام إلا أن تقديرها ناقص بالنسبة إلى تقديره من وجوه لا تخفىٰ.

«وَاحِدٌ لاَ نِدَّ لَهُ وَأَحَدٌ لاَ ضِدَّ لَهُ»

الند بالكسر المثل والنظير وفي الصحاح الضد واحد الأضداد وقد ضاده وهما متضادان، ويقال لا ضد له أي لا نظير له ولا كفو، والأحد معناه الواحد في ذاته الذي لا يقبل مطلق القسمة لا خارجاً ولا عقلاً ولا وهماً، والواحد الذي لا نظير له فيما يوصف به، والله واحد لا من عدد، ويقال في التأكيد واحد أحد لأن في الأحد خصوصية ليست في الواحد لأنه يمتنع دخوله في الضرب والعدد والقسمة وفي شيء من الحساب، والواحد منقاد للعدد والقسمة داخل في الحساب، إلا أن واحديته تعالىٰ تغاير واحدية الأعداد لأنه كما لا شيء قبله لا شيء معه ولا بعده إذ لا يقال فيه واحد واثنين، وفي القواعد الشهيدية الواحد والأحد يدلان علىٰ معنىٰ الوحدانية وعدم التجزي، وقيل الفرق بينهما أن الواحد هو المتفرد بالذات لا يشابهه أحد، والأحد المتفرد بصفاته الذاتية بحيث لا يشاركه فيها أحد، والضد إن أريد به معنىٰ المثل فهو للتأكيد وإن أريد به المضاداة والمعاندة فيكون رداً على الديصانية والمانوية ونحوهما

من القائلين بتعدد الإله، فإن كثيراً منهم قال إن النور فاعل الخير والظلمة فاعل الشر وقد وقع بين أجزائهما تنازع ومحاربة غلب أحدهما الآخر في واقعة وغلبه الآخر في أخرىٰ، وأطالوا من خرافاتهم في تفصيل ما وقع بين الإلٰهين من التضاد والتحارب، فيكون حاصل المعنىٰ أنه رب واحد لا ضد له كما قاله المثلثة والمثنية وغيرهم من طوائف الملاحدة.

«وَصَمَدٌ لاَ كُفُوَ لَهُ»

في النهاية الأثيرية الصمد الذي انتهىٰ إليه السؤدد، وقيل هو الدائم الباقي، وقيل الذي لا جوف له، وقيل الذي يصمد إليه في الحوائج أي يقصد، والأول مروي عن الباقر عليه السلام والثاني والثالث عن الحسين عليه السلام، وفي رواية أخرىٰ عنه عليه السلام أيضاً أن الله فسره بقوله لم يلد ولم يولد الآية، وعن الصادق عليه السلام لو وجدت لعلمي حملة لنشرت التوحيد والإيمان والإسلام والشرائع من الصمد.

«وَإِلَهٌ لاَ ثَانِي مَعَهُ»

الإله المستحق للعبادة ولا تحق إلا له، ويقال لم يزل إلهاً أي مستحقاً للعبادة، ولما ضل المشركون فقدروا أن العبادة تجب للأصنام سموها آلهة مأخوذ من الإلٰهة بمعنىٰ العبادة.

«وَفَاطِرٌ لاَ شَرِيكَ لَهُ»

الفاطر الذي ابتدع وابتدأ خلق [الأشياء][1] قال ابن عباس ما كنت أدري ما فاطر السمٰوات والأرض حتىٰ احتكم إليَّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأت حفرها، قال بعض المحققين الفطر الشق في الأجسام، وحقيقة هذه الإستعارة كما قال الرازي أن المخلوق قبل دخوله في الوجود كان معدوماً محضاً والعقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا شق فإذا خرج الوجود المبدع من العدم إلىٰ الوجود فكأنه بحسب التخيل والتوهم شق ذلك العدم وفطره وأخرج ذلك الموجود منه، فيكون الكلام علىٰ حذف المفعول أي فاطر عدم الخلائق.

---

(١) في الأصل: له أشياء.

«وَرَازِقٌ لاَ مُعِينَ لَهُ»

الرازق الذي خلق الأرزاق والمرتزقة وأوصلها إليهم وخلق لهم أسباب التمتع بها، والرزق رزقان ظاهر وهو الأطعمة والاقوات وذلك للظواهر وهي الأبدان، وباطن وهي العلوم والمعارف والإلهامات وذلك رزق القلوب وهذا أشرف الرزقين فإن ثمرته حياة الأبد وثمرة الرزق الظاهرة في الجسد إلى مدة قريبة الأمد، والله سبحانه هو المتولي الخلق الرزقين والمتفضل بإيصالهما إلىٰ كل الفريقين، فينبغي أن لا يتوكل في الرزق إلا عليه، قال رجل لحاتم الأصم من أين تأكل قال من خزائنه قال يلقي عليك الخبز من السماء قال لو لم تكن الأرض له لكان يلقيه من السماء، وهذان النوعان من الرزق في الجنة أيضاً فإنه عز شأنه لما حكىٰ لنا ما فيها من الثمار والأزواج والولدان واللذات الحسية قال ورضوان من الله أكبر، فالرضوان رزق القلوب فمن ثم صار أعظم الرزقين لمكان القلب وأشرفيته علىٰ بقية الأعضاء، وفي الخبر أنه جاء رجل إلى الصادق عليه السلام وشكا إليه الحاجة وذكر له واحداً من الناس ذا ثروة كثيرة فقال عليه السلام اعطه علمك وخذ ماله وجهله فقال لا أرضىٰ فقال عليه السلام إن الله رزقك أفضل الرزقين فكيف تشكو قلة الرزق. وأما قول الشاعر.

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة وصير العالِم النحرير زنديقا

فهو خيال شعري لا معول عليه لأن توفير الرزقين علىٰ واحد ربما يخل بالنظام الأعظم.

«وَالأَوَّلُ بِلاَ زَوَالْ» الأول الذي انتهت إليه سلسلة الموجودات في إيجادها وأما هو فموجود بذاته.

«والدَّائِمُ بِلاَ فَنَاءْ» أي الدائم في صفاته وهو الباقي الذي لا يبيد ولا يفنى وهو كالتأكيد لسابقه.

«وَالقَائِمُ بِلاَ عَنَاءْ»

يجوز أن يريد بالقائم معنىٰ الدائم الباقي ويجوز أن يريد به القائم بأمور العالم، وللمفسرين علىٰ هذا الوجه أقوال، أحدها عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنه كونه عالماً بالخلق أينما كانوا وضابطاً لأحوالهم، الثاني قيامه بتوكيله الحفظة عليهم وهو المشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿**أفمن هو قائم علىٰ كل نفس بما كسبت**﴾، الثاني القائم

علىٰ الشيء وهو الحافظ له والمدبر لأمره، الرابع هو المجازي بالأعمال، الخامس هو القادر لعباده المقتدر عليهم.

«وَالمُؤْمِنُ بِلاَ نِهَايَة»

قال الصدوق طاب ثراه المؤمن معناه المصدق والإيمان التصديق في اللغة،يدل علىٰ ذلك قوله عز وجل حكاية عن أخوة يوسف عليه السلام **﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾** فالعبد مؤمن مصدق بتوحيد الله وبآياته والله مؤمن مصدق لما وعده ومحققه، ومعنىٰ ثان بأنه محقق حقق وحدانيته بآياته عند خلقه وعرفهم حقيقته لما أبدىٰ من علاماته وأبان من بيناته وعجائب تدبيره ولطائف تقديره ومعنىٰ ثالث أنه أمنهم من الظلم والجور، وقال الصادق عليه السلام سمي الباري عز وجل مؤمناً لأنه يؤمن من عذابه من أطاعه، وسمي العبد مؤمناً لأنه يؤمن علىٰ الله فيجير الله أمانه، وقال عليه السلام المؤمن من أمن جاره بوائقه، وقال عليه السلام المؤمن من يأتمنه المسلمون علىٰ أموالهم ودمائهم، وقال شيخنا الشهيد عطر الله ضريحه المؤمن المصدق عباده المؤمنين يوم القيامة، أو الذي لا يتصور أمن وأمان إلا من جهته، وذكر الغزالي سؤالاً وجواباً وهو قوله، لعلك تقول الخوف من الله تعالىٰ ولا يخاف إلا إياه فهو الذي خوف عباده والذي خلق أسباب الخوف فكيف ينسب إليه الأمن، فجوابك أن الأمن منه والخوف منه وهو خالق سبب الخوف والأمن جميعاً وكونه مخوفاً فلا يمنع كونه مؤمناً كما أن كونه مذلاً لا يمنع كونه معزاً بل هو المعز المذل وكونه خافضاً لا يمنع كونه رافعاً بل هو الخافض الرافع وكذلك المؤمن المخوف ولكن المؤمن ورد التوقيف به خاصة دون المخوف، أقول وإن شئت مثالاً له فانظر إلىٰ حال الأب الشفيق بالنسبة إلىٰ ولده الذي يريد ضربه للتأديب فهو يخاف منه من جهة ويرجوه من أخرىٰ.

«وَالمُبْدِىءُ بِلاَ أَمَدْ»

المبدىء هو الموجد بلا سبق مدة ولا مادة، والأمد الغاية ومعناه المخترع للأشياء بلا سبق زمان لأن الزمان أيضاً من مخترعاته، ويجوز أن يكون الأمد بمعنىٰ النهاية يعني أن خلقه للأشياء لا ينتهي إلىٰ غاية وزمان بل هو عز شأنه كل يوم في شأن.

«والصَّانِعُ بِلاَ أَحَدْ»

لفظ الصانع لم يرد في الأسماء الحسنىٰ الواردة في الأخبار إلا نادراً وكان الوجه

فيه أنه من الصفات الغير العالية عليه عز شأنه ومعناه الموجد.

«والرَّبُّ بِلاَ شَرِيكْ»

الرب المالك وكل من ملك شيئاً فهو ربه، ويطلق علىٰ غيره تعالىٰ بالإضافة كرب البيت والدار، وهو في الأصل بمعنىٰ التربية وهي تبليغ الشيء إلىٰ كماله شيئاً فشيئاً ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل، وقيل هو نعت من ربه يربه سمي به المالك لأنه يحفظ ما يربيه ويملكه والله سبحانه قد ربَّى الخلائق وغذاهم بما يناسب حاليتهم من غذاء الأبدان وغذاء الأرواح.

«لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فِي مَكَانْ» يعني ليس له مكان يحيط به فيكون محدوداً به لأن المكان والحدود من عوارض الأجسام.

«وَلاَ غَايَةٌ فِي زَمَانْ»

أي أنه لا يدخل تحت نهايات الزمان ولا يحيط به لأن الزمان من الحوادث وما اشتمل عليه الحادث يكون حادثاً.

«الحَيُّ القَيُّومْ»

قال الصدوق عطر الله مرقده: الحي معناه الفعال المدبر وهو حي لنفسه لا يجوز عليه الموت والفناء وليس يحتاج إلىٰ حياة بها يحيا، والقيوم فيعول من قمت بالشيء إذا وليته بنفسك وتوليت حفظه وإصلاحه.

«القَادِرُ الحَكِيمْ»

الحكيم ذو الحكمة، قال الغزالي الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم وأفضل العلوم العلم بالله تعالىٰ وأجل الأشياء هو الله تعالى، وقد سبق أنه لا يعرف كنه معرفته غيره وجلالة العلم بقدر جلالة المعلوم فهو الحكيم الحق لأنه يعلم أجل الأشياء بأجل العلوم إذ أجل العلوم هو العلم الذي لا يتصور زواله المطابق للمعلوم مطابقة لا يتطرق إليها خفاء وشبهة ولا يتصف بذلك إلا علم الله تعالىٰ، وقد يقال لمن يختبر دقائق الصناعات ويحكمها ويتقن صنعها حكيم وكمال ذلك ليس إلا في الله تعالىٰ فهو الحكيم المطلق، أقول ويطلق الحكيم علىٰ من يضع الأمور مواضعها اللائقة بها ولا يحكم هذا الأمر نهاية إحكامه إلا الله عز شأنه.

«عُبَيْدُك بِفِنائِكْ»

في الصحاح فناء الدار ما امتد من جوانبها، وقال الفقهاء هو خارج الدار من جميع جوانبه وهو ما خرج عن حريمه وهو مطرح التراب، وفي النهاية هو المتسع أمام الدار وهو الأنسب هنا.

«ثَلاثاً» يعني من قوله إلٰهي عبيدك.

«يَرْهَبُ المُتَرَهِّبُونْ»

يرهب أي يخاف والترهب التعبد أي يخافك العابدون، وأما ترهب النصارىٰ وهو التخلي من أشغال الدنيا وترك ملاذها والزهد فيها والعزلة عن أهلها وتعمد مشاقها حتىٰ أن فيهم من كان يخصي نفسه ومنهم من يضع السلسلة في عنقه ويشد نفسه إلىٰ أساطين المسجد فمما نهىٰ صاحب الشرع ﷺ، وأبدل الخصاء بالصوم فقال الصوم خصاء أمتي، وقال عليكم بالجهاد فإنه رهبانية أمتي، وكذلك الإتكاء في المسجد انتظاراً لدخول وقت الصلاة إلىٰ غير ذلك مما ورد في السنة النبوية والإمامية، نعم بقي من هذه الأمة طائفة علىٰ ترهب النصارىٰ وهم الصوفية علىٰ تلك الطريقة بل أقبح منها، لكنهم غيروا الأسماء فاخترعوا لهم ذكراً يشتمل علىٰ الصفق والغناء والوجد والغشيان وابتعدوا (وابتدعوا) أربعين يوماً كالنفساء يتركون فيها الملاذ ويعمدون إلى الأمكنة المنخفضة أو تحت الأرض، والله المطلع علىٰ أحوالهم مما يصنعون في تلك المضائق، والمصيبة من هؤلاء علىٰ المسلمين أشد من مصيبة إخوانهم النصارىٰ لأنهم يقولون ويصدقون، وكان أولهم في أعصار الأئمة عليهم السلام معارضين لهم وبعد ذلك العصر إلىٰ هذا الزمان في مقام المعارضة مع علماء الدين والحق يعلو ولا يعلىٰ عليه، وقد ذكرنا نبذة وافية من تفاصيل بدائعهم في كتابنا الموسوم بالأنوار النعمانية.

«أَخْلَصَ المُسْتَهِلُّونْ»

الإهلال رفع الصوت بالتلبية يقال أهلَّ المحرم بالحج إهلالاً إذا لبىٰ ورفع صوته يعني أن التلبية بالحج ونحوه مخصوصة بك لا يستحقها غيرك، وفي بعض النسخ المبتهلون والإبتهال الاجتهاد في الدعاء والتضرع فيه، وعن مولانا الصادق عليه السلام الإبتهال أن تقدم يديك وتبسطهما، وفي حديث آخر عنه عليه السلام الإبتهال في الدعاء أن ترفع يديك وتجاوز بهما رأسك.

«رَهْبَةً لَكَ وَرَجَاءً لِعَفْوِكَ»

أي لأجل الخوف والرجاء، واللام في لك إما بمعنىٰ من أو للتعليل أي للرهبة من أجل عقابك وفيه دلالة ظاهرة علىٰ ما صار إليه جمهور المتأخرين وممن قارب عصرنا من أن العبادة بقصد الخوف من العذاب والرجاء للثواب مقبولة عند الله سبحانه غير منافية للإخلاص، وقد أثنىٰ الله سبحانه علىٰ أصفيائه بأنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً، أي الرغبة في الثواب والخلاص من العقاب في مواضع من القرآن، والأخبار مشحونة بما يدل عليه، فما ذهب إليه كثير من علماء الخاصة والعامة من بطلان العبادة إذا قصد بفعلها تحصيل الثواب أو الخلاص من العقاب قائلاً إن هذا قصد جلب النفع ودفع الضرر عن النفس لا قصد وجه الله سبحانه خال من التحقيق، والحديث الوارد عن مولانا الصادق عليه السلام نص في المطلوب، وهو قوله العباد ثلاثة: قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً من العقاب فتلك عبادة العبيد، وقوم عبدوا الله تعالىٰ طلباً للثواب فتلك عبادة الأُجراء، وقوم عبدوا الله تعالىٰ عز وجل حباً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة، فإن قوله وهي أفضل العبادة يعطي أن العبادة علىٰ الوجهين السابقين فيه فضل أيضاً، وما استدلوا عليه بقول قدوة السالكين أمير المؤمنين عليه السلام ما عبدتك خوفاً من نارك. الحديث، فهو عند التحقيق دليل لنا لأن تمدحه عليه السلام وافتخاره به من أقوىٰ الشواهد علىٰ أن النفي الوارد في الخبر من خصائص غيره والإثبات من خواصه، وذلك مقام جليل لم يبذل لكل وارد بل ولا لواحد بعد واحد، بل هو مقصور عليه وعلىٰ من شركه في العصمة الإلٰهية، وقولهم إن قصد الثواب أو الخلاص من العقاب في النية ينافي ما يقصده بها من التقرب إلىٰ الله مما لا وجه له أيضاً لأن ذلك القصد مما يحقق قصد القربة إلىٰ الله سبحانه لأنه عز شأنه هو الذي جعل تلك العبادة مأمور بها لذلك القصد، لأنه قال: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**، ثم قال: **﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾**، أي لكي تفلحوا والفلاح هو الفوز، وهذا البحث قد فصلناه في شرحي التهذيب والاستبصار بما لا يسعه هذا المختصر.

«المُسْتَصْرِخِينْ» الاستصراخ الإستغاثة.

«الغَافِلِينْ» الذين استغفلهم الشيطان وأوقعهم في الغفلة فمن ثم ارتكبوا الذنوب.

«وَزِدْ فِي إِحْسَانِ المُنِيبِينَ يَوْمَ الوُفُودْ»

الإنابة التوبة من أناب إلىٰ الله أي أقبل وتاب، ويوم الوفود يوم الورود عليك، والإحسان مصدر مضاف إما إلىٰ المفعول يعني زد في جزاء حسناتهم وأعمالهم الصالحة، لأن منهم من يعوض عن الحسنة عشراً ومنهم من يعوض إلىٰ سبعين إلى سبعمائة إلى سبعة آلاف إلىٰ سبعين ألف ومنهم من يبلغ درجة **﴿والله يضاعف لمن يشاء﴾** ولا يعلم مقدار هذه المضاعفة إلا هو جل شأنه وهذا الإختلاف منزل علىٰ اختلاف نيات العاملين والتلبس بشرائط أبلغ القبول ونحو ذلك، ويجوز أن يكون إشارة إلىٰ ما ورد من أن طائفة المؤمنين يعطون صحائفهم يوم القيامة وهم مشفقون من أجل ما فيها من الذنوب فإذا قرأوا ما فيها وجدوه كله حسنات وموضع السيئات أيضاً حسنات، وقد ذكرناه عند قوله عليه السلام يا مبدل السيئات بأضعافها من الحسنات، وإما أن يكون مضافاً إلى الفاعل أي في إحسانك إليهم لأنه يتفضل عليهم يوم القيامة بما يبلغهم به أقصىٰ مناهم.

ومن دعائه عليه السلام في التذلل

«مَوْلاَيَ مَوْلاَيْ أَنْتَ البَاقِي وَأَنَا الفَانِي»

هذه الفقرة وما في معناها يجوز أن تكون إشارة إلىٰ أحد معنيين هما المعنىٰ الحق لوحدة الوجود والدائرة علىٰ ألسنة الناس، الأول أن يكون المعنىٰ في أنا الفاني المعدوم وإن كنت حياً موجوداً لأن حياةً بين الموتين ووجوداً بين العدمين يكون اطلاق الفناء والعدم عليه أحق من إطلاق الوجود، وتحققه أن الممكن مما يتساوىٰ وجوده وعدمه فمن أين له الوجود، الثاني وهو الذي حققه الفاضل الدواني في بعض رسائله أن الممكن ليس له وجود وليس الوجود مضافاً إليه من حيثياته بل هو من حيثيات الوجود المطلق واجب الوجود عز شأنه، لأن الوجود الواجب يقتضي إفاضة الوجود منه علىٰ الغير كما حقق في محله، فيكون هذه الوجودات كلها من حيثيات ذلك الوجود المطلق ومن آثاره وتوابعه فتكون الممكنات في نفسها عارية عن الوجود، وحينئذٍ فلا موجود إلا هو سبحانه وهذا هو المعنىٰ الحق لوحدة الوجود، وأما الصوفية فإنهم وإن تعاطوا هذه الكلمة علىٰ ألسنتهم إلا أن بعضهم لم يفهم لها معنىٰ أصلاً، ومن

ادعىٰ تحقيق معناها قال لما سئل ما معنىٰ وحدة الوجود هي تحويل الأصل الواحد إلىٰ أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها، ولا يخفىٰ فساد هذا المعنىٰ وزندقة القائل، وأفسد منه قول بعض مشايخهم ليس في جبتي سوى الله.

وكان من دعائه عليه السلام في ذكر آل محمد عليهم السلام

«يَا مَنْ خَصَّ مُحَمَّداً وَآلَهُ بِالكَرَامَةِ»

يستفاد من هذه الكلمات المذكورة في هذا الدعاء أفضلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام علىٰ جميع أنبيائه عليهم السلام أولي العزم وغيرهم، أما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا خلاف في أفضليته مطلقاً، وأما مولانا أمير المؤمنين وأولاده المعصومون عليهم السلام فمن أصحابنا من ساواهم بأولي العزم ومنهم من توقف، وبالجملة الخلاف إنما هو بينهم وبين أولي العزم وإلا فلا خلاف في أفضليتهم عليهم السلام علىٰ باقي الأنبياء وذهب أهل الحديث إلىٰ أفضليتهم عليهم السلام وهو الحق الذي دلت عليه الأخبار، وما صح من قوله عليه السلام محمد وعلي خير البشر من أبى فقد كفر دال عليه، وكذلك ما روي عن مولانا أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أن الله تبارك وتعالىٰ خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام أعلاها وأشرفها محمد وعلي والحسن والحسين والأئمة صلوات الله عليهم الحديث، وقد اقتصرنا في كتاب الأنوار النعمانية علىٰ اثني عشر دليلاً وهو قليل من كثير، وأما التفاضل بينهم عليهم السلام فقد صح في الأخبار عنهم أن أمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام أفضل من باقي الأئمة عليهم السلام، والوجه فيه ظاهر سيما بالنظر إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فإن بسيفه انتظم الدين وهزم المشركين ولو لم يكن له إلا ضربة ابن عبد ود التي رجحت عبادة الثقلين إلىٰ يوم القيامة لكفى به شرفاً وأفضلية علىٰ سائر الخلق سوىٰ ابن عمه صلى الله عليه وآله وسلم فإنه عليه السلام لما أثنىٰ علىٰ نفسه قال إنما أنا عبد من عبيد محمد، والمراد كما قال الصدوق نور الله ضريحه إنه عبد طاعة لا عبد رق، وأما الحسنان صلوات الله عليهما فقد نص النبي صلى الله عليه وآله وسلم علىٰ إمامتهما مشافهة وكانا يشاهدان الوحي وفي بيتهم ينزل وخصهما جدهما صلوات الله عليهم من الفضائل والكرامات ما لم يشاركهما به أحد، بقي الكلام في التسعة الأطهار.

سلام من الرحمٰن نحو جنابهم   فإن سلامي لا يليق ببابهم

فالوارد في بعض الأخبار تسعة أئمة هم في الفضل سواء، وفي البعض الآخر تسعة أفضلهم قائمهم، ولما كانت الأخبار ظاهرها المعارضة أوّلنا الأخبار السابقة بأن يكون معنىٰ قوله عليه السلام هم في الفضل سواء أنهم متساوون بالأفضلية على غيرهم وهو لا يستلزم المساواة بينهم ولعل الوجه في أفضلية القائم عليه السلام في عصره من الجهاد والتعب في نظام الدين مثل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في زمانه، ولا يخفىٰ أن البحث والكلام في تحقيق الأخبار اقتضىٰ جريان القلم بهذا الميدان وإلا فنحن في سعة من تفصيل هذا المقام.

«وَحَباهُمْ بِالرسَالَة» أعطاهم الرسالة وخصهم بها من بين الخلائق ومنه الحبوة.

«وخَصَّصَهُمْ بِالوَسِيلَة»

أي كونهم وسائل الخلق في أمور دنياهم وفي الشفاعة لهم في العقبىٰ، وذلك أنهم صلوات الله عليهم السبب في وجود هذا العالم بحكم قوله لولاك لما خلقت الأفلاك، وهم السبب أيضاً في بقائه كما قال عليه السلام لو بقيت الأرض يوماً واحداً بغير إمام لساخت بأهلها، وما من نبي إلا وقد توسل بهم إلىٰ الله تعالىٰ في كشف ما به من الضراء أو قبوله التوبة كما سيأتي في الدعاء التالي لهذا، وروي في الكافي عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أن الله وعد نبيه الوسيلة وهي أعلىٰ درج الجنة ونهاية غاية الأمنية لها ألف مرقاة ما بين المرقاة إلىٰ المرقاة حضر الفرس الجواد مائة عام ما بين مرقاة درة إلىٰ مرقاة جوهرة إلىٰ مرقاة زبرجدة إلىٰ مرقاة لؤلؤة إلىٰ مرقاة زمردة إلىٰ مرقاة كافور إلىٰ مرقاة ذهب إلىٰ مرقاة فضة الحديث، وهذه الوسيلة مخصوصة بهم أيضاً.

«وَجَعَلَهُمْ وَرَثَةَ الأَنْبِيَاءْ»

وذلك من وجوه: الأول: إنهم قاموا مقامهم وأعطوا مكانهم في النبوة والإمامة وتبليغ الأحكام إلىٰ الأمم ووجوب الطاعة لهم علىٰ سائر الرعية فهم ملوك الدنيا كما أنهم سلاطين الآخرة، وزادوا علىٰ غير أولي العزم بالرسالة والإمامة العامتين للثقلين وغيرهم من المخلوقات، كما ورد أن طاعتهم وولايتهم عرضت علىٰ الأرض وبقاعها فمن قبلها من بقاع الأرض صارت أرضاً حلوة تلد المعادن والأزهار، ومن أبت قدر عليها أن تكون سبخة منكرة يكره إيقاع الصلاة فيها، وكذلك علىٰ المياه ومنه انقسمت إلىٰ المائين العذب والمالح، وعرضت علىٰ الشجر فمن ثم كان بعضها حلو الثمر

وبعضها مره، وكذلك الطيور والعصفور ممن لم يقبلها، وعلىٰ الحيتان فالجَرِّي[1] والمارماهي وما حرم من الحيتان ودواب البحر ممن أبىٰ عن قبولها، وكذلك سائر أصناف المخلوقات علىٰ تكثرها، وأما نوح وإبراهيم وموسىٰ علىٰ نبينا وأهل بيته وعليهم صلوات الله فرسالتهم عامة إلىٰ كافة الخلق كما نطقت به الأخبار، ومن كان في أعصارهم من الأنبياء وبعدهم فإنما يبلغون شرائعهم ويعملون بها.

الثاني: إنهم ورثوا منهم العلم والأخلاق وزادوا عليهم، من ذلك ما روي أن الإسم الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أعطي عيسىٰ بن مريم عليه السلام منها حرفين كان يعمل بهما وموسىٰ عليه السلام أربعة أحرف وإبراهيم عليه السلام ثمانية أحرف ونوح عليه السلام خمسة عشر وآدم عليه السلام خمسة وعشرين وأعطىٰ محمداً وأهل بيته صلوات الله عليهم اثنين وسبعين حرفاً واستأثر هو جل شأنه بحرف واحد، ومن ذلك ما رواه صاحب كتاب الأربعين أنه وجد في ذخيرة حواريي عيسىٰ عليه السلام في رق مكتوب أنه لما تشاجر موسىٰ والخضر عليهما السلام في قصة السفينة والغلام والجدار ورجع موسىٰ عليه السلام إلىٰ قومه سأله أخوه هارون عما شاهده من عجائب البحر قال موسىٰ عليه السلام بينما أنا والخضر علىٰ شاطىء البحر إذ سقط بين أيدينا طائر فأخذ في منقاره قطرة من ماء البحر ورمىٰ بها نحو المشرق وأخذ ثانية ورمىٰ بها نحو المغرب وأخذ الثالثة ورمىٰ بها نحو السماء وأخذ رابعة فرمىٰ بها نحو الأرض ثم أخذ خامسة فألقاها في البحر فبهت أنا والخضر من ذلك فسألته عنه فقال لا أعلم فبينما نحن كذلك وإذا بصياد يصيد في البحر فنظر إلينا وقال ما لي أراكما في فكرة من أمر الطائر فقلنا هو كذلك فقال أنا رجل صياد وقد علمت إشارته وأنتما نبيان لا تعلمان فقلنا لا نعلم إلا ما علمنا الله عز وجل فقال هذا الطائر في البحر يسمىٰ مسلماً لأنه إذا صاح يقول في صياحه مسلم فإشارته برمي الماء يقول باقي في آخر الزمان نبي يكون علم أهل السمٰوات والأرض والمشرق والمغرب عند علمه مثل هذه القطرة الملقاة في هذا البحر ويرث علمه ابن عمه ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام فعند ذلك سكن ما كنا فيه من التشاجر واستقل كل واحد منا علمه.

الثالث: إنهم ورثوا منهم الكتب والأعيان المتعلقة بالنبوة كثوب إبراهيم الذي

---

(١) قال في المنجد: الجري والجرِّيث: نوع من السمك النهري الطويل المعروف بالحنكليس.

كان عند يوسف ولما ألقي علىٰ يعقوب فارتد بصيراً وعصىٰ موسىٰ وتابوت حربه والحجر الذي كان عنده إذا ضربه بالعصا تفجرت منه العيون وخاتم سليمان عليهما السلام، وفي الحديث أن ذلك الخاتم هو الذي كان في يد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وتصدق به في ركوعه ثم اشتراه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من السائل ورده إلىٰ علي عليه السلام إلىٰ غير ذلك مما هو مفصل في الأخبار، وهذا كله الآن عند مولانا صاحب الزمان منضماً إلىٰ ما بقي من النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل سيفه ودرعه وعمامته وكتبه وسلاحه، وأما حديث نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة فمن موضوعات الأول[1]، وإلا فما معنىٰ تفرده من أهل البيت عليهم السلام مع أنه حديث ينفعهم حتىٰ لا يطالبوا بفدك، والناس يظنون أن الثاني أشقىٰ وأشد مكراً منه وليس الثاني كما قال عليه السلام إلا سيئة من سيئات الأول.

«وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ»

إشارة إلىٰ ما حكاه عن الخليل عليه السلام بقوله: ﴿**ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم**﴾، قاله لما وضع إسماعيل وأمه عند أرض بيت الله الحرام، ومن في قوله من الناس إما للتبعيض كما قيل في الآية إنه لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم علىٰ البيت فارس والروم، ويدل عليه هنا قول الباقر عليه السلام فيما رواه الثقة العياشي لم يعن الناس كلهم بل أنتم أيها الشيعة رحمكم الله إنما مثلكم في الناس مثل الشعرة البيضاء في الثور الأسود، وقال عليه السلام نحن بقية ذرية إبراهيم، وإما للإبتداء أي أفئدة ناس لأن غير الشيعة وإن لم يحبهم في المذهب لكنهم يطيرون إلىٰ ودهم لما جمع فيهم من الكمال والأخلاق فلذلك كانت الزنادقة وأهل الخلاف يقصدونهم من أقصىٰ البلاد شوقاً إليهم وإلىٰ الأخذ عنهم، ومن ثم روي عن الصادق عليه السلام أنه قال ليس الناصبي من نصب لنا العداوة أهل البيت وإنك لو درت العراقين لما وجدت من يبغضنا بل الناصب العداوة لشيعتنا وهو يعلم أنهم شيعتنا.

«صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينْ»

كأنه قال ارحمهم فوق ما رحمتهم به فيكون فيه إشارة إلىٰ ما رجحناه من أن

---

(١) إشارة إلى أبو بكر.

الصلاة عليهم والدعاء لهم مما يزيد في درجات قربهم ورفيع منازلهم، وفي واضحات الأخبار دلالة عليه ويرشد إليه أن أعمالنا في الطاعات محسوبة من أعمالهم لأنهم الهادون لنا والمنقذون لنا من شفا جرف الهلكات، ولا ريب أن عمل الإنسان يزيد في قربه وزيادة ثوابه، وأما ما ذهب إليه جماعة من أصحابنا منهم الشهيدان قدس الله أرواحهما من أن الله عز شأنه أعطىٰ النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم من منازل القرب ما لا يؤثر في زيادته صلاة مصلٍّ ولا دعاء داع بل الفائدة تعود إلىٰ المصلي وحده فهو مدخول وخال من الدليل.

وكان من دعائه عليه السلام في الصلاة على آدم عليه السلام

«اللَّهُمَّ وَآدَمُ بَدِيعُ فِطْرَتِكْ»

هذا الدعاء مذكور في بعض نسخ الصحيفة وقوله وآدم مبتدأ وبديع فطرتك صفته والخبر ما سيأتي من قوله فصل عليه، والابتداع الخلق لا عن مثال سبق، والفطرة الخلقة والحالة التي فطر الناس عليها وهي التهيؤ لقبول الدين والقول بالتوحيد لو ترك عليها ولم تعتره آفات البشر بالعدول عنها كقوله عليه السلام إلا أن أبويه يهوِّدانه وينصِّرانه، وبديع مضاف إما إلىٰ الفاعل فيكون بمعنىٰ المفعول أي الذي ابتدعته فطرتك حيث لم يسبق له مثال من الآدميين ولم يتكون من مواد الآباء والأمهات، وإما إلىٰ المفعول فيكون بمعنىٰ مبدع كقوله ضرب وجيع وعذاب أليم، وإنكار صاحب الكشاف مجيء فعيل بمعنىٰ مفعل لا يلتفت إليه، والمعنىٰ حينئذ أنه مبدع فطرتك كما أنه مظهرها فهو الذي أظهر ابتداع فطرتك لعدم ظهورها فيما قبله من نوع البشر وبهذا الكلام يؤول الحديث المشهور وهو قوله صلى الله عليه وآله إن الله خلق آدم علىٰ صورته يعني لم يسبق له من الآباء ما يخلق علىٰ صورة أحدهم كما ورد في الأخبار أن الله يخلق الولد علىٰ صورة واحد من آبائه، أو أن آدم لم تختلف عليه الأطوار نطفة وعلقة ومضغة وعظاماً ثم يصور بل ابتدع علىٰ تلك الصورة التي كان عليها ابتداء منه تعالىٰ شأنه، وقد سبق لهذا الحديث معان أخرىٰ أوائل الصحيفة.

«وَأَوَّلُ مُعْتَرِفٍ مِنَ الطِّينِ بِرُبُوبِيَّتِكْ»

ما أحسن إضافة قوله من الطين نظراً إلىٰ قوله صلى الله عليه وآله كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، وما روي أن جبرئيل عليه السلام كان جالساً عند النبي صلى الله عليه وآله فأتىٰ علي عليه السلام

فقام له جبرئيل عليه السلام فقال أتقوم لهذا الفتىٰ فقال نعم إن له علي حق التعليم فقال النبي صلى الله عليه وآله وكيف ذلك التعليم يا جبرئيل فقال لما خلقني الله تعالىٰ سألني من أنت وما اسمك ومن أنا وما اسمي فتحيرت في الجواب وبقيت ساكتاً ثم حضر هذا الشاب في عالم الأنوار وعلمني الجواب فقال قل أنت ربي الجليل واسمك الجميل وأنا العبد الذليل واسمي جبرئيل ولهذا قمت له وعظمته فقال النبي صلى الله عليه وآله كم عمرك يا جبرئيل فقال يا رسول الله يطلع نجم من العرش في كل ثلاثين ألف سنة مرة وقد شاهدته طالعاً ثلاثين ألف مرة، وبالجملة فأول معترف بالربوبية هو النبي وأهل بيته عليهم السلام في عالم الأنوار وعالم الظلال.

«وَبَدْوُ حُجَّتِكَ عَلَىٰ عِبادِكْ»

أي أول حجة لك في الأرض علىٰ عبادك لأنه كان حجة علىٰ أولاده.

«وَالدَّلِيلُ عَلَىٰ الإسْتِجَارَةِ بِعَفْوِكْ»

يعني هو الذي دل الخلق على الالتجاء إلىٰ عفوك إذا فعلوا ذنباً يستحقون عليه العقاب لأنه الذي أسس طريق التوبة ومنه تعلم المذنبون كيفية الرجوع إلىٰ الله وشتان ما بين الفريقين فإنه روي أنه بكىٰ حتىٰ خرج من إحدىٰ عينيه مثل ماء دجلة ومن الأخرىٰ مثل ماء الفرات.

«والنَّاهِجُ سُبُلَ تَوْبَتِكْ»

يقال نهج الطريق أي أوضحه وبيّنه ويقال نهجه أي سلكه والمعنيان مناسبان هنا.

«والمُتَوَسِّلُ» بالكسر أي الذي جعل نفسه وسيلة وحجة بين طريق معرفتك إلىٰ خلقك، وفي بعض النسخ والوسيلة وهو الأنسب.

«والَّذِي لَقَّنْتَهُ مَا رَضِيتَ بِهِ عَنْهْ»

إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿**فتلقىٰ آدم من ربه كلمات فتاب عليه**﴾، قال أمين الإسلام الطبرسي نور الله ضريحه اختلف في الكلمات فقيل هي قوله: ﴿**ربنا ظلمنا أنفسنا**﴾ الآية، وقيل بل هي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وقيل هي رواية تختص بأهل البيت عليهم السلام إن آدم رأىٰ مكتوباً علىٰ العرش أسماء مكرمة معظمة فسأل عنها فقيل له هذه أسماء أجلة الخلق عند الله منزلة والأسماء محمد وعلي وفاطمة

والحسن والحسين عليهم السلام فتوسل آدم إلىٰ ربه بهم في قبول توبته ورفع منزلته فتاب عليه، أقول وهذا هو الوارد في الأخبار المستفيضة.

«وَالمُنِيبْ» في الصحاح أناب إلىٰ الله أي أقبل وتاب.

«بِحَلْقِ رَأْسِهِ فِي حَرَمِكْ»

لأنه أول من سن حلق الرأس يوم النحر في منىٰ حلقه جبرئيل عليه السلام، وكان الحلق مطلقاً سنة تتعاطاها الأنبياء عليهم السلام، وفي زمان الفترة أمات الكفار هذه السنَّة خصوصاً مكة وما والاها كما هي إلىٰ الآن شائعة بين سكان البادية من أهل الحجاز، ولما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحيا هذه السنة وأمر بالحلق وكان مثله بينهم كحلق شعور النساء الآن، وكان الزنادقة يثنون علىٰ الصادق عليه السلام بقولهم هذا ابن من حلق رؤوس من ترون.

«وأَكْثَرُ سُكَّانِ الأَرْضِ سَعْياً فِي طَاعَتِكْ»

عمر آدم عليه السلام وإن وقع فيه اختلاف في الأخبار وبين المؤرخين إلا أنهم أطبقوا علىٰ أنه لم يتجاوز الألف، والأكثر علىٰ ما نقله السيد الأجل ابن طاووس (قده) من السفر الثالث من التوراة من أن عمره تسعمائة وثلاثين سنة، وقد روىٰ الصدوق طاب ثراه أن ابن شبرمة القاضي سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أول كتاب كتب في الأرض فقال إن الله عز وجل عرض علىٰ آدم ذريته عرض العين في صورة الذر نبياً فنبياً وملكاً فملكا ومؤمناً فمؤمناً وكافراً فكافراً فلما انتهىٰ إلىٰ داود قال من هذا الذي نبأته وكرمته وقصرت عمره فأوحىٰ الله إليه هذا ابنك داود وعمره أربعون سنة وإني قد كتبت الآجال وقسمت الأرزاق وأنا أمحو ما أشاء وأثبت وعندي أم الكتاب فإن جعلت له شيئاً من عمرك ألحقته له قال يا رب قد جعلت له من عمري ستين فقال الله لجبرائيل وميكائيل وملك الموت اكتبوا عليه كتاباً فإنه ينسىٰ فكتبوا عليه كتاباً وختموه بأجنحتهم من طينة عليين قال فلما حضرت آدم الوفاة أتاه ملك الموت فقال آدم يا ملك الموت ما جاء بك قال جئت لأقبض روحك قال قد بقي من عمري ستون سنة قال الملك قد جعلتها لابنك داود قال ونزل عليه جبرئيل وأخرج له الكتاب فقال أبو عبد الله عليه السلام فمن أجل ذلك إذا خرج الصك ذل المديون فقبض روحه، وروي في كتاب العلل عن أبي جعفر عليه السلام حديثاً آخر بهذا المضمون، وهما ينطبقان علىٰ مذهب الصدوق من

جواز إسهاء الله سبحانه الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وقد رجحنا ما ذهب إليه ومال إليه جماعة من أهل الحديث وجمهور الأصحاب من أهل الكلام وغيرهم حيث أنهم صاروا إلىٰ نفي السهو مطلقاً حملوا هذين الخبرين علىٰ التقية لأنهما موافقين لمذهبم، وهذه القصة موجودة في أخبارهم لأنهم رووا أن الله سبحانه كتب لآدم الف سنة فوهب ستين لداود ثم رجع، ورووا عن ابن عباس أنه من الألف أربعين فجحد فأكمل لآدم ألف سنة ولداود مائة سنة، وهذا كلام وقع في البين للمناسبة وإلا فالمقصود بيان كمية عمر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأما عمر نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فروىٰ الشيخ رحمه الله في كتاب الآمال عن مولانا الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه عاش ألفي سنة وخمسمائة سنة قبل أن يبعث وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم ومائتي سنة في عمل السفينة وخمسمائة سنة بعدما نزل من السفينة ونضب الماء فمصر الأمصار وأسكن ولده البلدان ثم أن ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال السلام عليك فرد عليه نوح وقال ما حاجتك يا ملك الموت قال لأقبض روحك فقال له تدعني أدخل من الشمس إلىٰ الظل فقال له نعم فتحول نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ (١) فكأن ما مر بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس إلىٰ الظل فامض لما أمرت به قال فقبض روحه صلىٰ الله عليه.

أقول فيكون قد عمر نوح في الأرض أزيد من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وكان يسعىٰ في الطاعات مثل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فكيف يكون آدم أكبر أهل الأرض سعياً في الطاعة، والجواب أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي أسس الأساس في الطاعات ومهد قواعد الأرض وقوانين الشرع وعلم اللغات والحرث وآداب الكسب وغير ذلك، ولا ريب أن سعيه بما يوافق عمره أزيد من سعي غيره.

«وَدَلَّنَا عَلَىٰ سَبِيلِ مَرْضَاتِكْ»

أي رضاءك ولعل المراد بهذا السبيل ما تقدم من إيضاح سبيل التوبة لأولاده إلىٰ يوم القيامة خصوصاً لهذه الفرقة الناجية فإنه أوضح لهم الوسيلة في قبول التوبة وهو ما تقدم في تفسير الكلمات التي تلقاها.

---

(١) لعله قد وقع حذف هنا قد يكون من سهو القلم وحاصله بما معناه ـ . . قال له جبرائيل كيف وجدت في انتقالك من الشمس إلى الظل فأجابه: فكأن ما مر بي من الدنيا. . . إلخ. . ـ

وكان من دعائه عليه السلام في الكرب والإقالة

الكرب الغم الذي يأخذ بالنفس والإقالة فسخ البيع وهنا المراد بها العفو عن الذنوب ووجه المناسبة ظاهر.

«لاَ تُشْمِّتْ بِي عَدُوِّي»

لا يخفى أن أعداءه عليه السلام ليس إلا نواصب المخالفين وشماتتهم به مما يدخل النقص علىٰ الدين، أما إذا كان لنا عدو من أهل نحلتنا فهل يسوغ قراءة هذا الدعاء، الجواب نعم لأنه أمر مطلوب بل شماتة الأعداء علىٰ النفس أشد المصائب كما روي أن أيوب عليه السلام لما عافاه الله تعالىٰ مما حل به من المصائب التي من بعضها موت الأولاد وذهاب الأموال وآفات البدن سئل أي المصائب كان أشد عليك فقال شماتة الأعداء، وفي حديث آخر إن أهل النار يتصبرون علىٰ عذاب النار ويخفون حالهم حذراً من شماتة أهل الجنة بهم.

«وَصَدِيقِي»

كالبيان لما قبله.

«هَبْ لِي لَحْظَةً مِنْ لَحَظَاتِكَ تَكْشِف بِهَا عَنِّي مَا ابْتَلَيْتَنِي بِهْ»

هذا إشارة إلى ما روي عنه عليه السلام في أنه كتب ملك الروم إلىٰ عبد الملك أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة لأغزونك بجنود مائة ألف ومائة ألف ومائة الف فكتب عبد الملك إلىٰ الحجاج أن يبعث إلىٰ زين العابدين عليه السلام يتوعده ويكتب إليه ما يقول ففعل فقال علي بن الحسين عليه السلام إن لله لوحاً محفوظاً يحفظه في كل يوم ثلاثمائة لحظة ليس فيها لحظة إلا يحيي منها ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وإني لأرجو أن يكفيك منها لحظة واحدة فكتب بها الحجاج إلىٰ عبد الملك فكتب بذلك عبد الملك إلىٰ ملك الروم فلما قرأه قال ما خرج هذا إلا من كلام النبوة، أقول فيكون عليه السلام قد طلب لحظة من تلك اللحظات.

«عَادَاتِكْ» جمع عائدة وهي العطف والمنفعة.

«المُتَكَفِّلُ بِرِزْقِي»

تكفل عز شأنه وضمن إيصال الرزق في مواضع من القرآن المجيد كقوله: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾، وقوله: ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾، وقوله: ﴿وما من دابة في الأرض إلا علىٰ الله رزقها﴾، وقيل للصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ لو أن رجلاً أغلق بيته عليه وجلس فمن أين كان يأتيه رزقه فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ من الموضع الذي يأتي إليه أجله، وما أحسن ما ورد في الأثر أن ابن آدم يعصي اتكالاً علىٰ العفو مع أنه تعالىٰ لم يوجب العفو علىٰ نفسه ويقطع البحار والفلوات في تحصيل الرزق ولا يعتمد علىٰ الله مع أنه حتمه وأوجبه علىٰ نفسه.

«وَفِي قَضَائِكَ كَانَ مَا حَلَّ بِي وَبِعِلْمِكَ مَا صِرْتُ إِلَيْه فَاجْعَلْ يَا وَلِيِّ وَسَيِّدِي مِمَّا قَضَيْتَ عَلَيَّ وَحَتَمْتَ عَافِيَتِي»

تضمنت هذه الكلمات أن ماحل به عَلَيْهِ السَّلَامُ كان في القضاء المقدر، وحيث أنها اشتملت علىٰ لفظة القضاء والعلم والتقدير فلا بأس بإطلاق العنان في هذا المقام بالإشارة إلىٰ أمور: الأول أنه قد ورد النهي عن الخوض في معنىٰ القضاء والقدر، روىٰ الصدوق رحمه الله بسنده إلىٰ مولانا أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ حين سأله رجل عن القدر فقال بحر عميق فلا تلجه ثم سأله ثانية فقال طريق مظلم فلا تسلكه ثم سأله ثالثة فقال سراً لله فلا تتكلفه، وفي حديث آخر عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ إن القدر بحر زاخر مواج خالص لله عز وجل عمقه ما بين السماء والأرض عرضه ما بين المشرق والمغرب أسود كالليل الدامس كثير الحيات والحيتان يعلو مرة ويسفل أخرىٰ في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطلع عليها إلا الله الواحد الفرد فمن تطلع عليها فقد ضاد الله في حكمه ونازعه في سلطانه وكشف عن سره وستره وباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير. إلىٰ غير ذلك مما روىٰ فيه، وأجاب عنها شيخنا المفيد نور الله ضريحه في شرح اعتقادات الصدوق بوجهين، أحدهما أن يكون النهي خاصاً بقوم كان كلامهم في ذلك يفسدهم ويضلهم عن الدين ولايصلحهم إلا الإمساك عنه وترك الخوض فيه، ولم يكن النهي فيه عاماً لكافة المكلفين، وقد يصلح بعض الناس بشيء يفسد فيه آخرون، فدبر الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أشياعهم بحسب ما علموه من مصالحهم فيه، والوجه الثاني أن يكون النهي عن الكلام فيهما النهي عن الكلام فيما خلق الله تعالىٰ، وعن علله وأسبابه وعما

أمر به وتعبد، وعن القول في علل ذلك إذ كان طلب علل الخلق والأمر محظور إلا أن الله سترها عن أكثر خلقه فلا يجوز لأحد من خلقه أن يطلب لخلقه عز وجل جميع ما خلق عللاً مفصلات فيقول لم خلق كذا وكذا حتىٰ يعد المخلوقات كلها، ولا يجوز أن يقول لم تعبَّد بكذا ونهى عن كذا وقد أعلمهم في الجملة أنه لم يخلق شيئاً إلا لحكمة ومصلحة، انتهىٰ ملخصاً وهو حسن، وهذه المسألة من المزالق الزلقة قل أن تثبت قدم في حافة من حوافها لأنها دقيقة ترجع تارة إلىٰ صفات الذات وأخرىٰ إلىٰ صفات الأفعال، إلا أن السادة الأطهار صلوات الله عليهم ربما كشفوا عن شيء من هذا الحجاب فينبغي أن يقتصر عليه ولا يعدوه، والأشاعرة ونحوهم إنما زلقت منهم الإقدام لأنهم سلكوا هذا الطريق المظلم بغير دليل ولا مصباح ووقعوا في هذا البحر المظلم بغير سفينة نجاة.

الأمر الثاني: الأخبار الواردة في معنىٰ القضاء والقدر وإن كانت متكثرة إلا أن المفصل منها ما رواه الصدوق رحمه الله بإسناده إلىٰ المُعلّى قال سئل العالم عَلَيْهِ السَّلَامُ[1] كيف علم الله قال علم وشاء وأراد وقدر وقضىٰ وأمضى، فأمضى ما قضى، وقضىٰ ما قدر، وقدر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة، وبمشيئته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، فالعلم متقدم المشيئة، والمشيئة ثانية، والإرادة ثالثة والتقدير واقع علىٰ القضاء بالإمضاء. فلله تبارك وتعالىٰ البدا فيما علم متىٰ شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء فالعلم في المعلوم قبل كونه والمشيئة في المنشأ قبل عينه والإرادة في المراد قبل قيامه والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً وقياماً والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام المدركات بالحواس من ذي لون وريح ووزن وكيل وما دب ودرج من إنس وجن وطير وسباع وغير ذلك مما يدرك بالحواس فلله تبارك وتعالىٰ فيه البدا مما لا عين له فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بدا والله يفعل ما يشاء فبالعلم علم الأشياء قبل كونها وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وإنشاءها قبل إظهارها وبالإرادة ميز أنفسها في ألوانها وفي صفاتها وحدودها وبالتقدير قدر أقواتها وعرف أولها وآخرها وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلهم عليها وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها ذلك تقدير العزيز العليم.

---

(١) لعل لفظة العالم من سهو القلم والأولى إبدالها بلفظة «الكاظم».

أقول إذا عرفت هذه المراتب في الشاهد وفرقت بينها لعلك تطلع علىٰ بعض تفاصيلها في الغالب، فنقول إذا أردت إيجاد عمل من أعمالك ككتابة قرآن مثلاً فما تقدم من تلك التفاصيل كله موجود هنا قبل إيجادها في الخارج فالعلم هنا ما به تنكشف لك أحوال الكتابة وإلا كنت طالباً لتحصيل ما لا تعلم، وأما المشيئة فهي ميلك الأول إلىٰ تلك الكتابة التي أحاط علمك بتفاصيلها، وأما الإرادة فهو شدة ذلك الميل حتىٰ صار عزماً جازماً، وأما التقدير فهو عبارة عن الشروع في تحصيل ما تتوقف عليه الكتابة من الآلات، وأما القضاء فهو جمع تلك الآلات وتركيب بعضها مع بعض وإحضارها كلها موجودة عنده، وأما الإمضاء فهو عبارة عن إيجاد ما أردت من الكتابة في الخارج فهذه الجمل معاني العلم وما بعده مما يجب سبقه علىٰ حصول الأثر في الخارج في حق الشاهد، وأما الغائب جل شأنه فليس فيه ذلك الميل الضعيف المسمىٰ بالمشيئة ولا القول المسمىٰ الإرادة ولا به حاجة إلىٰ تحصيل تلك الأدوات بمضي زمان، وبالجملة فتلك الحركات النفسانية في تحصيل ذلك الأثر لا حاجة به إليها عز وجل فلا بد أن يكون فيه مغايرة لهذه المعاني، فنقول وبالله التوفيق، أما علمه تعالىٰ بما يريد فعله فهو عبارة عن انكشاف ذلك المعلوم عنده بصورته وحقيقته لأن علمه بالأشياء قبل وجودها كعلمه بعد وجودها كما ورد في النصوص الصحيحة، ولعله بما ذهب إليه حكماء الإسلام من أن علمه تعالىٰ لما لم يكن زمانياً ولا مكانياً لم يوجد فيه ماض وحال ومستقبل فيكون نسبة علمه سبحانه إلىٰ جميع الأزمنة علىٰ السواء، فالموجودات من الأزل إلىٰ الأبد معلومة له كل في وقته، وليس في علمه كان وكائن وسيكون بل هي حاضرة عنده في أوقاتها، فالزمان خط ممتد من الأزل إلىٰ الأبد قد انتظم فيه جميع المخلوقات، وذلك الخيط بما فيه منكشف له حاضر عنده كما هو موجود في الأعيان، وأما المشيئة وما بعدها فلعلها عبارة عن نقوشها في الألواح السماوية بتفاوت الأسباب والشروط، كأن تكون المشيئة عبارة عن نقش ذلك المراد وكتابته من غير تعليق علىٰ شيء من الشروط والأسباب، والإرادة كتابته بنحو آخر موقوف علىٰ بعض أسبابه وشروطه، والتقدير عبارة عن نقشه مرة أخرىٰ بجميع حدوده وتفاصيله، والقضاء نقشه كذلك واطلاع الملائكة علىٰ تفاصيله، والإمضاء إيجاده في الخارج، روىٰ شيخنا الكليني عطر الله مرقده بإسناده إلىٰ زرارة قال قال أبو عبد الله عليه السلام التقدير في ليلة تسع عشرة من شهر رمضان والإبرام في ليلة إحدىٰ

وعشرين والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين، وقد سبق تحقيقه أوائل الشرح، ويظهر من بعض الأخبار وكلام بعض المحققين تحقيق آخر وهو أن يكون العلم والمشية والإرادة محسوبة من عالم الأمر وهو عبارة عما سبق من مراتب النقوش والكتابة في الألواح، وأماالتقدير والقضاء والإمضاء فهو معدود من عالم الخلق لأنه من صفات الأفعال وراجع إليها كما أن المراتب الثلاثة السابقة راجعة إلىٰ الأفعال فيكون التقدير معناه تهيئة أسباب الفعل الذي يراد إيجاده وإحضار أجزائه وتقديرها، والقضاء عبارة عن تركيب الأسباب وضم الأجزاء بعضها مع بعض، والإمضاء إيجاد ذلك المراد إيجاده في الخارج، وهذا مجمل الكلام في القضاء والقدر والإمضاء في أفعاله تعالىٰ علىٰ سبيل الإحتمال والله الهادي إلىٰ سواء السبيل.

الأمر الثالث: في بيان معناها في أفعال العباد قال شيخنا المفيد طيب الله ثراه القضاء علىٰ أربعة أضرب، أحدها الخلق كقوله: ﴿**فقضاهن سبع سموات**﴾، والثاني الأمر: ﴿**وقضىٰ ربّك ألا تعبدوا إلا إياه**﴾، والثالث الإعلام ﴿**وقضينا إلىٰ بني إسرائيل**﴾، والرابع القضاء بالحكم ﴿**والله يقضي بينهم بالحق**﴾، يعني يفصل بالحكم بالحق بين الخلق، وقيل له معنىٰ خامساً وهو الفراغ من الأمر كقول الصديق عليه السلام ﴿**قضي الأمر الذي فيه تستفتيان**﴾ وهذا يرجع إلىٰ معنىٰ الخلق، ثم قال بعد كلام رد فيه أقوال المجبرة والوجه عندنا في القضاء والقدر بعد الذي بيناه أن لله تعالىٰ في خلقه قضاء وقدراً وفي أفعالهم أيضاً قضاء وقدراً معلوماً ويكون المراد بذلك أنه قضىٰ في أفعالهم الحسنة بالأمر بها وفي أفعالهم القبيحة بالنهي عنها وفي أنفسهم بالخلق لها وفيما فعله فيهم بالإيجاد له، والقدرة منه سبحانه فيما فعله إيقاعه في حقه وموضعه وفي أفعال عباده ما قضاه فيها من الأمر والنهي والثواب والعقاب لأن ذلك كله واقع موقعه وموضوع في مكانه لم يقع عبثاً ولم يصنع باطلاً، فإذا فسر القضاء في أفعال الله تعالىٰ والقدر بما شرحناه زالت الشبهة منه وثبتت الحجة، انتهىٰ. وروي أنه سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن القضاء والقدر فقال لا تقولوا وكلهم الله إلىٰ أنفسهم فتوهنوه ولا تقولوا أجبرهم علىٰ المعاصي فتظلموه ولكن قولوا الخير بتوفيق الله والشر بخذلان الله وكل سابق في علم الله، وقال عليه السلام لما سأله شيخ من أصحابه بعد انصرافهم من صفين أكان خروجنا إلىٰ أهل الشام بقضاء وقدر فقال نعم يا شيخ ماعلوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله وقدر فقال الرجل عند الله احتسب عنائي والله ما لي

أرىٰ من الأجر شيئاً فقال عليه السلام بعد كلام لعلك أردت قضاء لازماً وقدراً حتماً لو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب تلك مقالة قدرية هذه الأمة ومجوسها ثم قال له الرجل فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين؟ قال الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية والمعونة علىٰ القربة إليه والخذلان لمن عصاه والوعد والوعيد والترغيب والترهيب كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وقدره لأعمالنا أما غير ذلك فلا تظنه فإن الظن له محبط للأعمال فقال الرجل فرجت عني يا أمير المؤمنين فرج الله عنك، وقال العلامة الحلي طاب ثراه في شرح التجريد بعد أن حكىٰ معاني القضاء بما قدمناه عن المفيد نقول للأشعري ما تعني بقولك إنه تعالىٰ قضىٰ أعمال العباد وقدرها إن أردت به الخلق والإيجاد فقد بيّنا بطلانه وأن الأفعال مستندة إلينا وإن عنى به أنه تعالىٰ بينها وكتبها وعلم أنهم سيفعلونها فهو صحيح لأنه تعالىٰ كتب ذلك أجمع في اللوح المحفوظ وبينه للملائكة، وهذا المعنىٰ هو المتعين للإجماع علىٰ وجوب الرضا بقضاء الله تعالىٰ وقدره ولا يجوز الرضا بالكفر وغيره من القبائح، أقول هذا الذي ورد في الأخبار من معنىٰ القضاء والقدر وحكيناه عن أكابر علمائنا هو الأمر بين الأمرين الذي أفاده مولانا الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بقوله لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين، فإن الجبر هو ما ذهب إليه الأشاعرة في معنىٰ القضاء، قال شارح المواقف الشريف، إعلم أن قضاء الله عند الأشاعرة هو إرادته الأزلية المتعلقة بالأشياء علىٰ ما هي عليه فيما لا يزال، وقدره إيجاده إياها علىٰ وجه مخصوص وتقدير معين في ذواتها وأحوالها، وأما التفويض فهو ما صار إليه المعتزلة وذلك أنهم لما نظروا إلىٰ ما يلزم الأشاعرة من نسبة القبائح إليه تعالىٰ شأنه فروا منه وذهبوا إلىٰ أن أفعال العباد صادرة عنهم من غير علم ولا تقدير .لا قضاء منه سبحانه ولا لطف ،فهم قد عزلوا الله تعالىٰ عن سلطانه، وأما الأمر بين الأمرين فهو أن الله تعالىٰ وإن لم يجبر العباد علىٰ أفعالهم بل صدرت منهم بالإختيار لكن بقضاء الله وقدره الغير الحتميين وبتوفيقه ولطفه أو خذلانه وتركه الإنسان ونفسه ونحو ذلك مما تقدم، وتحقيق هذا المطلب الجليل قد حررناه في شرحنا علىٰ كتاب التوحيد.

«عَافِيَتِي وَمَا فِيهِ صَلاَحِي»

ليس المراد بالعافية هنا وفي أكثر موارد الدعاء خصوص صحة الأبدان من الأمراض بل هي مع صحة الأديان من الآفات، قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام

ونسأله المعافاة في الأديان كما نسأله المعافاة في الأبدان، أقول وذلك أن سقمها أشد. قيل لأعرابي ما تشتكي قال ذنوبي فقيل ما تشتهي قال مغفرة ربي قيل أفلا ندعو لك طبيباً قال الطبيب أمرضني، وسمعت عنبرة العابدة رجلاً يقول ما أشد العمىٰ علىٰ من كان بصيراً فقالت يا عبد الله غفلت عن مرض الذنوب واهتممت بمرض الأجساد.

يا ذَا الجَلاَلِ وَالإكْرَامْ»

قال الغزالي هو الذي لا جلال ولا كمال إلا وهو له ولا كرامة ولا مكرمة إلا وهي صادرة عنه، فالجلال له في ذاته والكرامة فائضة منه علىٰ خلقه، وفنون إكرامه علىٰ خلقه لا تكاد تنحصر وتتناهىٰ، وعليه دل قوله تعالىٰ ولقد كرمنا بني آدم، وفي القواعد الشهيدية ذو الجلال والإكرام أي العظمة أو الغنىٰ المطلق والفضل العام.

«عِنْدَ أَحْسَنِ ظَنِّي بِكْ»

أي ظني الأحسن. في الحديث القدسي أنا عند ظن عبدي بي إن خيراً فخيراً وإن شراً فشر، وفي الخبر أنه عندما يفرغ الله سبحانه من حساب الخلائق يبقىٰ رجل غلبت سيئاته فيؤمر به إلىٰ النار فيلتفت وهو يمشي فيقول له الجبار ما التفاتك فيقول ماكان ظني بك هذا فيقول وعزتي وجلالي ما أحسن هذا الظن بي يوماً واحداً ولكن لدعواه حسن الظن بي أدخلوه الجنة، وقال عليه السلام إذا دعوت الله فظن حاجتك بالباب، وفي الخبر أن يحيىٰ بن زكريا عليه السلام كان خوفه أشد من رجائه والمسيح عليه السلام كان رجاؤه أكثر من خوفه فكان أفضل من يحيىٰ.

«وَاكْشِفْ كُرْبَتِي» الكربة والكرب الغم الذي يأخذ بالأنفاس.

«نَبِيُّكَ وَعَبْدُكْ»

قد سبق في شرح الصحيفة أن العبودية بالنسبة إليه صلى الله عليه وآله وسلم أشرف من الرسالة والنبوة لأنها حالة خاصة بينه وبين ربه، والنبوة والرسالة حالة بينهما لكن بإضافة المرسل إليهم، ومن ثم لا تراها في أغلب موارد الأدعية إلا مقدمة عليهما، وأما تأخيرها هنا فمن باب عطف أخص الوصفين وأشرفهما علىٰ الآخر.

«وأَنَا المُضْطَرُ الَّذِي أَوْجَبْتَ إِجَابَتَهْ»

إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: **﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم**

خلفاء الأرض﴾، ويعني لا يجيب دعاء المضطر المحتاج إلىٰ ما يدعو لأجله ويكشف السوء عنه إلا أنا، فهذا وعد منه ويجب الوفاء منه بوعده، فقوله وأنا المضطر يعني به أنه من جملة المضطرين ولكن لشدة اضطراره كأنه لا مضطر إلا هو ويجوز أن يكون إشارة إلىٰ تأويل الآية وبطنها فإن المراد من تأويل المضطر في الآية الذي يجعله خليفة في الأرض هم الأئمة عليهم السلام فيكون التأكيد والحصر علىٰ حاله.

وكان من دعائه عليه السلام مما يخافه ويحذره

«تُحْيِي مَيْتَ البِلاَدْ»

يعني به إحياء الخلائق من القبور يوم القيامة ويجوز أن يراد ما هو أعم منه ومن إحياء الأموات في الربيع.

«وَعَرِّفْنِي الإِجَابَةَ» يعني قبل موتي وهلاكي بأن أرىٰ أثرها ظاهراً فيمن دعوت لأجله.

«نَصَباً»

مصدر نصب الشيء إذا أقمته أي لا أكون قائماً منصوباً بإزاء عذابك يدركني كل حين.

دعاء يوم الأحد

«وَلاَ أُمْسِكُ إِلاَّ بِحَبْلِهْ»

في النهاية في صفة القرآن حبل ممدود من السماء إلىٰ الأرض أي نور ممدود يعني نور هداه، والعرب تشبه النور الممدود بالحبل والخيط ومنه قوله تعالىٰ: ﴿**حتىٰ يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود**﴾، يعني نور الصبح من ظلمة الليل، وفي حديث آخر وهو حبل الله المتين أي نور هداه وقيل عهده وأمانه الذي يؤمن من العذاب، والحبل العهد والميثاق، أقول هذه المعاني تناسب الحمل عليها هنا.

«بِكَ أَسْتَجِيرُ يَا ذَا العَفْوِ والرِّضْوَانِ مِنَ الظُّلْمِ والعُدْوَانْ»

العفو محو الذنوب من صحائف الأعمال ومن خواطر الملكين ومن بقاع الأرض حتىٰ إذا وافى القيمة لا يشهد عليه أحد بذنب، وأما الرضوان فهو أعلىٰ درجات

المقربين، قال عز شأنه في صفة الصادقين رضِيَ الله عنهم ورضوا عنه ذلك هو الفوز العظيم، وفي سورة التوبة وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم، وذكر المفسرون لكون الرضوان أكبر وأعظم لذات الجنة وجوهاً: منها إنه لا يوجد شيء من الله سبحانه إلا بالرضوان وهو الداعي إليه الموجب له، ومنها ما يصل إلىٰ القلب من السرور برضوان الله أكبر من جميع ذلك، ومنها إنه سبب للتعظيم والكرامة وهي أكبر أصناف الثواب، وأوسط الوجوه أوسطها، وتفصيله أن ما تقدم علىٰ الرضوان من اللذات كلها لذات حسية وهي رزق الأبدان، وأما رضاؤه تعالىٰ فهو لذة معنوية كالعلوم والمعارف وهي أرزاق الروح وملاذها وسرور القلب وأفراحه، ولا شك أن الروح أفضل من البدن فيكون ما به لذتها أعظم وأكبر، وهذا هو الذي سعىٰ الصديقون وهم في الدنيا في تحصيله كما قال سيد الموحدين عليه أفضل الصلوات ما عبدتك خوفاً من نارك الحديث، فلما كان غاية طاعاتهم في الدنيا أنالهم الله إياه في العقبى، واعلم أن عطف الرضوان علىٰ العفو من باب عطف أخص الوصفين وأشرفهما علىٰ الآخر لأن الرضوان يستلزم العفو من غير عكس، والظلم والعدوان إما بمعنىٰ المفعول أو بمعنىٰ الفاعل والأول أقرب من السياق.

«وَمِنْ غِيَرِ الزَّمَانْ»

أي تغير الحال وانتقالها من الصلاح إلىٰ الفساد، والغير الاسم من قولك غيرت الشيء فتغير.

«وَطَوَارِقِ الحَدَثَانْ»

الطوارق جمع طارق وهو الأمر النازل ليلاً من الطرق وهو الدق، سمي الآتي بالليل طارقاً لأنه يحتاج إلىٰ دق الباب، ومنه نُهي المسافر أن يأتي أهله طروقاً، والحدثان ما يحدثه الله بعد أن لم يكن، وبالجملة معنىٰ طوارق الحدثان النوازل والمصائب الحادثة.

«أَسْتَرْشِدُ لِمَا فِيهِ الصَّلاَحُ وَالإِصْلاَحْ»

أي أطلب الهداية منك لما فيه صلاحي وإصلاحي غيري لأن ما به يكون صلاح الإنسان قد لا يكون فيه إصلاح الغير.

«النَّجَاحُ وَالإِنْجَاحْ» يقال نجح فلان إذا أصاب طلبته وهو كالأول.

«هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينْ»

الهمز النخس والغمز والهمز أيضاً الغيبة والوقيعة في الناس وذكر عيوبهم فعلىٰ الأول المراد منه شياطين الجن وعلىٰ الثاني شياطين الإنس.

«مِنَ الشِّرْكِ وَالإِلْحَادْ»

المراد من الشرك جميع أفراده وأنواعه فإنه كما قال ﷺ الشرك أخفىٰ في أمتي من دبيب النمل علىٰ الصخرة السوداء في الليلة الظلماء وفسره جماعة بالرياء كأنه أشرك في عمله غير الله تعالىٰ، ومنه قوله تعالىٰ ولا يشرك بعبادة ربه أحداً، وفي الحديث من حلف بغير الله فقد أشرك، حيث جعل ما لا يحلف به محلوفاً كإسم الله تعالىٰ الذي يكون به القسم، وفي الحديث الطِيَرة شرك ولكن الله يذهبه بالتوكل، جُعِل التطير شركاً لله تعالىٰ في اعتقاد جلب النفع ودفع الضرر وليس كالكفر بالله تعالىٰ لأنه لو كان كفراً لما ذهب بالتوكل، ومن تابع إمام ضلالة في أقواله وآرائه كالكوفي والثلاثة فهو مشرك تابع مشركاً لأنه كان يقول في مسجد الكوفة قال علي وأنا أقول يعني خلافاً لقوله، ولا شك أن قول علي عليه السلام هو قول الله وحكمه **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾** وكان يقول أيضاً إن جاء الحكم من الله فعلىٰ الرأس وإن جاء من النبي فعلىٰ العينين وإن جاء من الصحابة فهم رجال ونحن رجال، ومن أعظم الصحابة أهل البيت عليهم السلام، وقد جعل نفسه وعلمه المستند إلىٰ القياسات الشيطانية معادلاً لعلم أهل البيت عليهم السلام كما فعل وتبعه ما لا يتناهىٰ من الخلق إلىٰ يوم القيامة، ويدل علىٰ هذا الشرك نص صريح قوله تعالىٰ: **﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾** إلىٰ قوله تعالىٰ **﴿فتعالىٰ عما يشركون﴾**، واتخاذهم لهم أرباباً كما ورد في الأخبار الصحيحة إنما كان بالتحليل والتحريم بآرائهم وأهوائهم، ومن هذا التحقيق تعلم معاني الأحاديث الواردة في قوله عليه السلام من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، فخرج منه الكوفي ومتابعوه، ومما يناسب هذا المقام أنه سألني رجل من علماء المخالفين في مناظرة جرت بيننا وبين مذهب الشيطان في الأصول والفروع لأنه في درجة رفيعة من العلم فقلت له إني اطلعت في تأليفي عقود المرجان في حواشي القرآن علىٰ مذهبه وهو كان أشعري الأصول حنفي الفروع أما الأول فقوله فيما حكاه عنه **﴿فبما أغويتني**

لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ حيث نسب الإغواء إلىٰ ربه تعالىٰ شأنه، وأما الثاني فبقوله: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ حيث اعتذر به عن السجود لآدم عليه السلام لأنه قاس العنصرين وجعل استحقاق السجود لشرافة العنصر وكأن العنصر الناري بزعمه أشرف من الطين فهو الذي يستحق أن يسجد له بالطريق الأولىٰ لا أن يسجد لغيره وقد لمح ربه في الاكتفاء بالعمل بقياس الأولوية وأما الكوفي فقد زاد عليه بالعمل بقياس المساواة وسائر وجوه الإستنباطات الفاسدة.

وأما الإلحاد فهو في اللغة الميل والعدول عن الشيء وشرعاً الإنحراف من الحق إلىٰ الباطل، والإلحاد يكون في الذات والصفات والأسماء قال الله تعالىٰ ﴿وذر الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ماكانوا يعملون﴾ وأما الإلحاد في الذات فكما ذهب إليه الدهرية والمعطلة ومن أنكر الصانع فإنهم مالوا بذاته من الوجود إلىٰ العدم وكذلك المثنية والمثلثة ومن قال بالشريك والولد والصاحبة فإنهم مالوا بذاته من صفة الوحدانية وعدلوا بها عن إثبات العديل وكذلك المجسمة والغلاة ومن حذا حذوهم فإنهم مالوا بذاته من البساطة إلىٰ التركيب، ويدخل فيه الأشاعرة ومن قال بزيادة الصفات وإثبات الأحوال فإنهم أخرجوا ذاته ومالوا بها إلىٰ التشبيه بصفات الممكن الزائدة وزادوا علىٰ من قال بالتشبيه بالزيادة علىٰ من أثبت قديمين لأنهم قالوا بزيادة الصفات الثمانية وقدمها لأنها لو كانت حادثة كان ذاته تعالىٰ محلاً للحوادث، وقد هربوا منه فوقعوا فيما هو أقبح وأشنع منه.

وأما الإلحاد في الصفات فكوصفه بمشيته القبائح وخلق الفحشاء والمنكر والقول بالرؤية كما قاله صاحب الكشاف وأراد منه أهل دينه الأشاعرة، فقد ظهر أنهم ملحدون كما سبق مشركون، ويعجبني ما أجاب به الصدوق نور الله ضريحه لما اجتمع مع بعض علمائهم في مجلس الخليفة، وذلك أنه قال له نحن وأنتم نعبد رباً واحداً وندين بما جاء به نبي واحد ونوافقكم علىٰ الإمامة أيضاً وإن اختلفنا في زمانها فمع هذا الإتفاق في الدين كيف تجوزون الطعن واللعن علىٰ الخلفاء الثلاثة ومن جرىٰ علىٰ سنتهم، فأجابه أما عن قولك بإجتماعنا علىٰ إلٰه واحد ونبي واحد فليس الأمر كما زعمت لأن الإلٰه الذي أرسل نبياً خليفته أبو بكر ليس ذلك إلٰهنا ولا هذا النبي نبياً لنا، وأما الإختلاف في الإمام فظاهر، وأما عن تجويزنا البراءة ونحوها علىٰ من ذكرت فلأنا وأنتم مجمعون علىٰ أن التوحيد لا يتم إلا بكلمة الإخلاص لا إلٰه إلا الله وهي مركبة

من إيجاب وسلب لا يتم التوحيد إلا بهما وكذلك التصديق لا يتم إلا أن نقول: (محمد نبي لا غيره) ننفي بذلك من ادعىٰ النبوة في زمانه وبعد زمانه فكذلك الإمامة لأن هذه الأصول الثلاثة عندنا مناط الدين والإيمان وعليها يكون دخول الجنان والنيران، ومن هذا يظهر السر الوارد في قوله ﷺ ستفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة واحدة منها في الجنة والباقون في النار وذلك أن كل فرقة تدَّعي أنها هي الناجية لا غير، قال العلامة الحلّي نور الله مضجعه تباحثنا في معنىٰ هذا الحديث مع الأستاذ نصير الدين الطوسي فقال إني ما زلت أتفكر في معناه فطالعت كتب الفرق كلها فوجدتهم متفقين علىٰ أن ما به النجاة ودخول الجنة هو الشهادتان ولم يخالفهم في هذا الإعتقاد سوىٰ هذه الطائفة الإمامية حيث قالوا إن الولاية في أجزائها أو شروطها فعلمنا بذلك أن الناجية لو كانت غير هذه الفرقة لكان الناجي كل الفرق لا فرقة واحدة فتحققنا بذلك أن النجاة إنما تكون لهذه الفرقة مع أنه ﷺ لما سأله أمير المؤمنين عليه السلام في حديث عن تعيين تلك الفرقة فقال هم الذين يكونون علىٰ ما أنت عليه وأصحابك، ويرشد إليه قوله ﷺ في المتفق عليه: أهل بيتي كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق، ومن الظاهر البين أنه لم يلازم خدمة هذه السفينة ولم يركب فيها سوىٰ هذه الطائفة كما اعترف به جماعة من أهل الحديث منهم، وأما الإلحاد في الأسماء الوارد في الآية فقد ذكر جار الله وغيره أن المراد منه ما كانوا يسمونه في الجاهلية كقولهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا سخي فهؤلاء يعدلون من التسمية بالأسماء الحسنىٰ إلىٰ التسمية بهذه الأسماء التي لم يرد فيها توقيف من الشارع مع إيهامها المعنىٰ الباطل، وقيل إلحادهم في أسمائه تسميتهم الأصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزّى من العزيز، وذكر جار الله أيضاً في تفسير قوله سبح اسم ربك الأعلىٰ أن المعنىٰ نزهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي الحاد في أسمائه كالجبر والتشبيه مثل أن تفسير الأعلىٰ بمعنىٰ العلو الذي هو القهر والإقتدار لا بمعنىٰ العلو في المكان والإستواء علىٰ العرش حقيقة.

وأما الإلحاد في الآيات الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿**إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا**﴾، فقد فسروه تارة بالإنحراف عن الإيمان بها وتارة بما كانوا يفعلون من المكاء والصفير، قال ابن عباس المراد بالآيات دلالات التوحيد والإلحاد فيها الإنحراف عنها وترك الاستدلال بها، ومن أعظم وأقبح أنواع الإلحاد في الآيات

تفسيرها بالرأي وحملها علىٰ التأويلات الباطلة مثل تفسير الأشاعرة وتأويلهم قوله تعالىٰ: **﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلىٰ ربها ناظرة﴾** بالنظر إليه حقيقة، وكادعائهم نزول كثير من الآيات في مدح من شهد عليهم النبي ﷺ بالكفر ولعنهم الله سبحانه في جملة المنافقين فظهر إلحادهم من هذه الجهة أيضاً.

«بِعِزِّكَ الَّذِي لاَ يُضَامْ»

أي لا يظلم ولا يقدر أحد أن يظلم من التجأ إليه، وفي الحديث القدسي ويطلب عبادي العزة بخدمة السلطان فلم يجدوها وإنما العزة بخدمتي.

«وَاحْفَظْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لاَ تَنَامْ»

أي راعني وراقبني من ينظر بعينه إلىٰ من يرقبه فيكون أشد محافظة ورعاية أو المراد من العين العلم لأن كونه سبحانه بصيراً يرجع إلىٰ كونه عالماً بالمبصرات فيكون طلب حفظه بعلمه الذي لا يلحقه غفلة ولا نسيان وبهما فسر قوله تعالىٰ **﴿ولتُصنَع علىٰ عيني إذ تمشي أختك﴾** ومعنىٰ لتصنع لِتُرَبَّى وتحسن إليك.

«وَاخْتِمْ بِالإنْقِطَاعِ إِلَيْكَ أَمْرِي»

أي أجعل خاتمة أموري، بالتوسل إليك والانقطاع عن سائر الخلق والإلتجاء إليك وما بعده كالبيان له.

دعاء يوم الإثنين

«وَلَمْ يُظَاهَرْ فِي الوَحْدَانِيَّة»

من التظاهر بمعنىٰ التعاون أي لم يعنه أحد علىٰ تحصيل التفرد بالوحدانية بخلاف ملوك الدنيا فإنهم إذا أرادوا التفرد بملك من غير منازعة شريك احتاجوا إلىٰ المعاونة بالجنود، ويجوز أن يكون مأخوذاً من قولهم ظهرت عليه أي غلبته، والمعنىٰ حينئذ أنه لم يقدر أحد علىٰ مغالبته في الوحدانية حتىٰ يتصف بها دونه.

«كَلَّتِ الأَلْسُنُ عَنْ غَايَةِ صِفَتِهْ»

الصفة هنا بمعنىٰ الجنس والمراد الصفات أي حسرت الألسن وعجزت عن

الوصول إلىٰ غاية صفاته والإحاطة بها وذلك كما عرفت أن صفاته تعالىٰ إنما هي بحسب ما تعتبره عقولنا وتثبته له فكل أحد يثبت له أشرف طرفي النقيض بحسب ما يتعقله ويتخيله أنه كمال له كما تقدم من أن النمل الصغار لعلها تتوهم أنه له سبحانه زبانتين أي قرنين لأن عدمهما بالنسبة إليها نقصان وإلا فهو تعالىٰ يجل عن كل ما نثبته له وننسبه إليه، ولولا ما أمرنا بالتضرع إليه بأسمائه وصفاته الواردة في موارد الأدعية والآثار لما ساغ لنا الجرأة علىٰ ساحة جلاله بذكر وصف لم نتحقق معناه بالنسبة إليه ولعله نقص بالنسبة إلىٰ ما يليق بجلاله وعزه كما قيل إن القول بأن سلطان البلد ليس بحايك نقص له وإن كان موافقاً للواقع إذ يوهم إثبات صفة الحياكة له فقولنا الله تعالىٰ ليس بظالم يوهم إمكان اتصافه بهذه الصفة، لأنه لا يقال الحجر ليس بظالم ولا جاهل لعدم إمكان اتصافه بهما مطلقاً، ومن أجل هذا قال سيد الموحدين عليه السلام وكمال توحيده نفي الصفات عنه، ويجوز أن يراد من الصفة معناها الواحد والمعنىٰ أن الألسن عجزت عن البلوغ إلىٰ غاية صفة واحدة من صفاته والإحاطة بكيفيتها إما لأنها عين ذاته وإما لأن آثارها وما يجوز أن يترتب عليها من الآثار مما لا يدخل تحت مراتب النعت كالقدرة مثلاً فإنها لا تقف عند حد لا تعدوه كقدرة العباد وكذلك العلم وما يتعلق به من المعلومات، ويجوز أن يراد من الألسن اللغات والمعنىٰ علىٰ ما ذكر.

«والعُقُولُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهْ»

لأن معرفته بالكنه لا تكون إلا بالجنس والفصل وهما مستلزمان للتركيب الذي هو من خواص الممكنات ولأن العقل يحتاج في اقتناص المعقولات إلىٰ معاونة الحواس، وما لا تدركه مطلق الحواس الظاهرة والباطنة لا يمكن أن يحاط بالعقل ويكون العقل محيطاً به، وفي هذا رد علىٰ من قال من أهل الرؤية في الآخرة أنه يمكن أن يعرف بالكنه وهو فرع فاسد مبني علىٰ أصل باطل.

«وَعَنَتِ الوُجُوهُ» أي ذلت وخضعت.

«مُتَّسِقاً»

أي مجتمعا منضماً بعضه إلىٰ بعض ومنه حديث النجاشي استوسق عليه أمر الحبشة أي اجتمعوا علىٰ طاعته واستقر الملك فيه.

«مُسْتَوْثِقاً»

من الوثاق وهو في الأصل حبل أو قيد يشد به الأسير والدابة كأن ذلك الحمد أوثق نفسه أو أحكمها بحبل الإتصال بعضه ببعض.

«دَائِماً سَرْمَداً» الثاني بيان للأول وبمعناه.

«يَوْمِي هَذَا صَلاَحاً وَأَوْسَطَهُ فَلاَحاً وآخِرَهُ نَجَاحاً»

الفلاح الفوز والظفر وهو من أفلح ومنه في الأذان حيَّ علىٰ الفلاح أي هلموا إلىٰ سبب البقاء في الجنة والفوز بها وهو الصلاة في الجماعة والنجاح من قولهم نجح فلان إذا أصاب طلبته.

«أَوَّلُهُ فَزَعْ وَأَوْسَطُهُ جَزَعْ وَآخِرُهُ وَجَعْ»

الفزع الخوف كما ورد أن الأموات إذا قاموا من قبورهم قبل أن ينفضوا التراب عن رؤوسهم يأخذ بعضدي كل واحد ملكان يقولان له أجب رب العزة فيحصل من الفزع ما يبيض شعر بدنه، وأما الجزع فهو الاضطراب من طول الوقوف وشدة أهوال ذلك اليوم، وأما آخره فهو الورود إلىٰ جهنم وعقاربها الفاغرة بافواهها.

«لِكُلِّ نَذْرٍ نَذَرْتُهُ وَلِكُلِّ وَعْدٍ وَعَدْتُهْ وَكُلِّ عَهْدٍ عَاهَدْتُهْ»

ذكره عليه السلام الوعد بين الوفاء بالنذر والعهد الواجبين وطلب المغفرة عليه يرشده إلىٰ أن الوفاء به واجب كما ذهب إليه جماعة من الأصحاب وفي الأخبار دلالة عليه، منها أن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في غير موضع من نهج البلاغة إذا ذكر مطاعن معاوية وما يرتكبه من المحرمات يعد من جملتها أنه يعد ولا يفي، ولو كان الوفاء بالعهد مستحباً لما نعاه على معاوية لأن حاله أقبح من أن يذم علىٰ ترك السنن، ومنها قوله عليه السلام المرء حرٌ ما لم يعد، يعني إذا وعد صار رقاً فلا يخرجه من الرِقية إلىٰ الحرية إلا الوفاء، ومنها قول الصادق عليه السلام إذا قال الرجل للرجل هلم أحسن بيعك يحرم عليه الربح، والحمل علىٰ الكراهة المؤكدة خلاف الظاهر، ومنها ما رواه في الكافي بسند حسن بل صحيح لمكان إبراهيم بن هاشم عن هشام بن سالم قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول عدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له فمن أخلف فبخلف الله بدأ ولمقته تعرض وذلك قوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً**

عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾، وقال النبي ﷺ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد، والأخبار متضافرة بهذا المعنىٰ وذهب جمهور الأصحاب إلىٰ استحباب الوفاء به تأويلاً للأخبار بالحمل عليه، وأورد عليهم بعض الفضلاء المعاصرين بأنهم حصروا جواز الكذب في موارد خاصة ليس هذا منها، وعدم الوفاء بالوعد والقول بجوازه يستلزم القول بجواز الكذب فيه ولم يصرّحوا بجوازه فقد ناقضوا أنفسهم من حيث لا يشعرون، هذا لفظه وحكىٰ لي أنه بحث في هذا الإشكال مع بعض العلماء فأجابه بأن الوعد داخل في أبواب الإنشاءات لا الأخبار فلا يتصف بالصدق والكذب فلم يرتضِ هذا الجواب والحق معه إذ قول القائل أزورك غداً إخبار صريح ووعد صحيح فكيف يخرج عن بابه إلىٰ غيره، والذي ظهر لي في حل هذا الإعتراض مبني علىٰ مقدمة، وهي أن دلالة الإنشاءات كالأوامر والنواهي علىٰ الأحكام دلالة مطابقية مفهومة من نفس الألفاظ وهو ظاهر، وأما الأخبار فقد تتضمن الأحكام أيضاً إلا أن دلالتها عليها بالتبع والالتزام ويحتاج في تحصيل الأحكام منها إلىٰ الدليل من خارج أعني الأوامر والنواهي وما كان بمعناها ألا ترىٰ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿والمطلقات يتربصن﴾ فإنه خبر تضمن حكماً احتاج في الدلالة عليه إلىٰ بيان الشارع والدليل الخارج، إذا عرفت هذا.

فاعلم أن قولك أزورك غداً خبر تضمن الوعد بالزيارة فإن كان الوفاء بالوعد واجباً من الدليل الخارج كما حكيناه من الأخبار كان الخبر متضمناً لحكم واجب فإذا أتى بصدق وعده فأثيب علىٰ الصدق وأتىٰ بالحكم المدلول علىٰ وجوبه فأثيب عليه أيضاً، وإن كان الدليل الخارج دالاً علىٰ الإستحباب كما عقله جمهور الأصحاب كان الوفاء به مستحباً وكان الحكم المندوب داخلاً في هذا الخبر ومستلزماً له إلا أنه إذا لم يف به يكون تاركاً للمندوب ويوضح هذا أن قولك أصلي نوافل الظهر غدا لا يصيِّر النوافل واجبة غداً بل هي باقية علىٰ الاستحباب ومتىٰ أخل بها غداً كان معاقباً علىٰ كذبه وغير معاقب علىٰ ترك النافلة وكذلك إذا قال أنظر غداً إلىٰ السماء فقد تضمن هذا الوعد حكماً مباحاً من الأدلة إلا أنه لو لم يأتِ به غداً لكان تاركاً للحكم المباح عاص من حيث الكذب، أما لو قال لصاحبه سأزني معك[1] غداً فالشارع هنا نهاه عن هذا

(١) لفظة «معك» لعلها تصحيف من الناسخ للفظة معاً. ولفظة معاً إشارة الى ما ورد في مقدمة الكتاب من أن ما كان في الأصل مرقوم عليه (معاً) معناه: فكانا معاً في نسخة ابن السكون.

الصدق وحظره عليه فلا يعاقب علىٰ هذا الكذب بل يثاب عليه، وبالجملة فلا منافاة بين قولهم باستحباب الوفاء بالوعد وعدم جواز الكذب فيه، وهم لم يصرحوا بجواز الكذب هنا وإنما نصوا علىٰ استحباب الحكم فيكون خبراً متضمناً للحكم المستحب.
بقي الكلام في أن بعض المجتهدين من المعاصرين ذهب إلىٰ أن الوعد إذا اقترن بالمشيئة كأن يقول آتيك غداً إن شاء الله خرج عن كونه وعدا يجب الوفاء به أو يستحب، وفيه اشكال لأن العرف لا يفهم من هذه المشية إلا التبرك بل المفهوم أنها مؤكدة للوعد لا معلقة له وكونها مشية تعليق بقصد القائل لا تنفع هنا ألا ترىٰ إلىٰ اليمين فإنه على نية المحلوف له لا الحالف حتىٰ لا تنفعه التورية اللهم إلا إذا كان ذلك الوعد المقارن للمشية وعدا لمن يعرف حال القائل ويتحقق مذهبه.

«أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ»

لا يظن جواز صدور مثل هذه المذكورات منه عَلَيْهِ السَّلَامُ بل الغرض منه مجرد التعليم وإنشاء التواضع كما مر نظيره في كثير من أدعية الصحيفة وغيرها، ومنه إشعار بأن الزنا فيه حق الآدمي أيضاً ليكون من الحقوق المشتركة، وجمهور علمائنا قدس الله أرواحهم أطلقوا القول بأنه من حقوق الله، والأولىٰ ما فصله شيخنا بهاء الملة والدين عطر الله ضريحه في الجواب عن جملة مسائل سأله عنها الشيخ الفاضل الشيخ صالح الجزائري رحمه الله وهذا لفظ السؤال والجواب.

مسألة: هل الزنا حق الله فقط، أو مشترك بينه جل شأنه وبين الزوج لو كانت المرأة المزني بها ذات بعل، وبينه تعالىٰ وبين الزوجة مع إكراهها، وبينه جل وعلا وبين الزوجين مع الإكراه، وعلىٰ تقدير الإشتراك ما وجه التخلص من ذلك عند إرادة التوبة هل هذا الحق يورث أم لا؟ بيِّن نفعك الله.

الجواب: الثقة بالله وحده إطلاق القول بأن الزنا حق الله سبحانه لا يخلو من شيء ولعل القول بالتفصيل أقرب إلىٰ التحصيل. فالأظهر أن يقال إن الزنا إن وقع بالحرة الخلية المطاوِعة فهو حق الله سبحانه، وإن وقع بالأمة أو ذات البعل أو المكرهة أو ممن تركب منهما ثنائياً أو ثلاثياً فهو مركب من حق الله وحق الآدمي أعني حق المولىٰ والزوج والمرأة نفسها، ولا شك أن غصب العرض واستهلاكه أفحش وأفظع وأشق علىٰ النفس من غصب المال بمراتب لا تحصىٰ، وفي الحديث يحكم البعل في حسنات

الزاني، ووجه التخلص إذا أراد التوبة أن يعلم صاحب الحق كالزوج والمولىٰ بأن له عليه حقاً عرضياً ويكون ذلك علىٰ سبيل الإجمال التام ويعظمه ولكن لا يبالغ في تعظيمه وتفاحشه إلىٰ حد يظهر لصاحب الحق أنه ما هو فتثور الفتنة وتشيع الفاحشة ويعظم الخطب بل تقتصر علىٰ ما لا يؤدي إلىٰ ذلك فإذا أبرأ ذمته من ذلك الحق العرضي كائناً ما كان حصل فراغ الذمة منه إن شاء الله تعالىٰ، وأما ما سألت أيدك الله أن هذا الحق يورث أم لا، فعندي في ذلك توقف والله أعلم بحقائق الأمور، انتهى.

أقول ويؤيده أنه ورد في الأخبار أنه إذا حصل الزنا بالأمة فطريق التوبة أن يستحل مولاها، وفي حديث آخر أنه إذا حصل من ذلك الزنا حمل ولبن. ويختلج بالبال إشكال فيما ذكره هو وغيره في كيفية التوبة، وحاصله أن هذا الإجمال في الاستحلال من الزوج والمولىٰ وإن كان لفظه عاماً وشاملاً لأنواع الحقوق العرضية إلا أنا نقطع بأن الزاني لو كشف الحجاب له وصرح بذلك الحق لم يحصل له منه استحلال بل ما كان يحصل منه إلا إثارة الفتنة كما قال فمع هذا القطع كيف يكون طلب ذلك استحلالاً وإسقاطاً لحقه العرضي وكذلك في جانب الحقوق المالية فإن من لم يعلم كم خنته من المال وكم يطلب منك واستحللته فأحلك وأنت جازم بأنك لو ذكرت كمية ذلك المال وفصلت له الحال لما حصل منه إحلال لك ولبالغ في طلبه منك، ولعل لأجل ما ذكرناه ورد في الأخبار أن كفارة الغيبة أن تستغفر له كلما ذكرته فيكون هذا توبة الغيبة، وذلك أنه لو أنهىٰ إليه الحال فيما استغابه لم يحلله، ولكن ما ذكره البهائي رحمه الله وجماعة هو الطريق الممكن في هذا المقام فلا مندوحة عنه والإشكال بحاله.

«أَوْ تَحَامُلٌ عَلَيْهِ بِمَيْلٍ أَوْ هَوَىً أَوْ أَنَفَةٍ أَوْ حَمِيَّةٍ أَوْ رِيَاءٍ أَوْ عَصَبِيَّةٍ»

في الصحاح تحامل عليه أي مال، وفي النهاية تحاملت الشيء تكلفته على مشقة والمعنىٰ أني ملت عليه وكلفته المشاق لأجل ميلي وهواي إلىٰ غيره، والهوىٰ الميل الشديد، والأنفة الكراهة يقال أنف من الشيء يأنف إذا كرهه واستنكفت نفسه عنه أي تحاملت عليه استنكافاً منه وكراهة له لأجل الحمية لغيره من أصدقائي أو ملت عليه للريا والعصبية.

دعاء يوم الثلاثاء

«إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي»

إشارة إلىٰ الآية التي في سورة يوسف عليه السلام وهي من كلام زليخا عند أكثر المفسرين، أي إن النفس كثيرة الأمر بالسوء والشهوة، واللام للعهد إشارة إلىٰ نفسها فيكون في موارد الدعاء إشارة إلى نفس الداعي، أو يكون للجنس أي كل النفوس كذلك إلا ما رحم ربي أي إلا ما رحمه الله وعصمه باللطف، أو الآمرة بما عصم ربي، ومن قال إنه من كلام الصديق عليه السلام أراد الدعاء والمنازعة والشهوة، ولم يرد العزم علىٰ المعصية أي لا أبريء نفسي مما لا تُبرَّأ عنه طباع البشر وإنما امتنعت عن الفاحشة بحول الله ولطفه وهدايته لا بنفسي، وإنما قال وما أبريء نفسي لأنه كره أن يكون قد زكّىٰ نفسه، أقول وهذا يناسب حال سيد العابدين عليه السلام وما نسبه من الأمر إلىٰ نفسه، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول في دعائه اللهم لا تكلني إلىٰ نفسي طرفة عين فقالت له واحدة من نسائه لو وكلك إلىٰ نفسك ما كنت فاعلاً فقال ما فعل أخي يونس حين استحق الإلقاء في بطن الحوت.

«مِنْ حِزْبِكْ» حزب الرجل طوائفه.

«عِصْمَةُ أَمْرِي»

قال الجزري في الحديث من كانت عصمته شهادة أن لا إلٰه إلا الله أي ما يعصمه من المهالك يوم القيامة. والعصمة المنعة والعاصم المانع الحامي.

«لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونْ»

أي لا خوف عليهم فيما قدموا أو في العقبىٰ ولا هم يحزنون علىٰ ما خلفوا، كذا قال أمين الإسلام الطبرسي تغمده الله برحمته في تفسير الآية.

«وَالوَفَاةَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرّ»

إشارة إلىٰ ما روي من أن الله سبحانه يحيي المؤمن ما دامت الحياة خيراً له فإذا علم منه ارتكاب المعاصي لو بقي قبضه إليه، وفي الحديث إن أكثر أهل المقابر من مات بالذنوب.

«خَاتَمُ النَبِيِّين»

بفتح التاء أي زينهم كما أن الخاتم زينة اليد، وبالكسر آخرهم في الوجود وإن كان أولهم في الخلق وفي عالم الأنوار كما قال ﷺ كنت نبياً وآدم بين الماء والطين.

«المُنْتَجَبِينْ»

النجيب الفاضل من كل حيوان وقد نجب نجابة إذا كان فاضلاً نفيساً في نوعه، ومنه الحديث: إن الله يحب التاجر النجيب أي الفاضل الكريم السخي، ولقد اطّردَت الصلاة علىٰ الأصحاب في جميع موارد الدعاء بقيد يخرج منه من تعرف من باقي الأصحاب الذين أحدثوا بعده ما أحدثوا.

«وَلاَ عَدُوّاً إلاَّ دَفَعْتَهْ»

لا شك أن أعداءه عليه السلام من النواصب وأعداء الدين فيجوز الدعاء عليهم بالدفع والموت، وأما أعداؤنا نحن من المؤمنين للأغراض والمطالب الدنية الدنيوية فالظاهر أنه لا يجوز الدعاء عليهم بالموت والهلاك بل يدعو لهم بالتوفيق والهداية والارتداع عن عداوته وحينئذ فيقصد بقوله إلا دفعته الدفع عن العداوة والرجوع عنها، نعم إذا بلغ الحد في العداوة إلىٰ الخوف علىٰ النفس والمال وإيصال الضرر الذي لا يحتمل في العادة فلا منع في جواز الدعاء عليهم بما أراد.

دعاؤه يوم الأربعاء

«جَعَلَ اللَّيْلَ لِبَاسَاً» أي غطاء وسترة يستر كل شيء بظلمته وسواده.

«والنَّوْمَ سُبَاتاً»

السبات قطع العمل للراحة ومنه يوم السبت أي يوم قطع العمل على ما جرت به العادة في شرع موسىٰ عليه السلام أي جعل النوم راحة ودعة للأجساد أو جعله قاطعاً للأعمال والتصرفات أو جعله سباتاً ليس يموت علىٰ الحقيقة ولا يخرج عن الحياة والإدراك.

«نُشُوراً»

ينتشرون به من نوم الليل لأعمال النهار كما ينتشر يوم القيامة أهل القبور من قبورهم.

«خَلَقْتَ فَسَوَّيْتْ»

أي سويت خلقه تسوية ولم تأتِ بخلق الأشياء متفاوتاً ولكن علىٰ إحكام واتساق ودلالة علىٰ أنه صنعة حكيم.

«وَعَلَى العَرْشِ اسْتَوَيْتْ» استويت وظهرت آثار قدرتك.

«لَطِيفٌ لِمَا تَشَاءْ»

ورد في الحديث أنه تعالىٰ لطيف لخلقه الخلق اللطيف كالجرجس وما هو أصغر منه ولعلمه بالشيء اللطيف أو يكون مأخوذاً من اللطف بمعنىٰ الشفقة فهو الشفيق علىٰ الإطلاق.

دعاء يوم الخميس

«مُبْصِراً»

أي مضيئاً يبصرون فيه مواضع حاجاتهم فجعل النهار مبصراً علىٰ المجاز لما كان يبصر فيه المبصرون.

«بِذِمَّةِ الإِسْلامِ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكْ»

قال الجزري تكرر في الحديث ذكر الذمة والذمام وهما بمعنىٰ العهد والأمان والضمان والحرمة والحق وسمي أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأيمانهم وكلها تناسب المقام.

«فَاعْرِفِ اللَّهُمَّ ذِمَّتِي»

مأخوذاً إما من العرف بمعنىٰ الرائحة الطيبة أي فزك وطيب ذمتي التي لي عندك وهي عهد الإسلام وحقه الذي وعدت عليه الجزاء، أو من المعرفة أي اجعل ذمتي معروفة عندك مكتوبة في لوحك المحفوظ حتى تجازيني عليها.

دعاء يوم الجمعة

«وَلاَ تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي وَهَبِ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابْ»

إشارة إلىٰ الآية وهي قوله تعالىٰ في سورة آل عمران: **﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾** الآية، وذكر في تأويله وجوه أحدها أن معناه لا تمنعنا لطفك الذي تستقيم معه القلوب فتميل قلوبنا عن الإيمان بعد أن وفقتنا بألطافك حتىٰ اهتدينا إليه، وهو دعاء للتثبت علىٰ الهداية والإمداد بالألطاف والتوفيقات أي لا تخل بيننا وبين نفوسنا بمنعك التوفيق والإلطاف عنا فنزيغ ونضّل، وإنما ذلك بسبب ما يكتسبه العبد من المعصية ويفرط فيه من التوبة كما قال سبحانه فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم، وثانيها أن معناه لا تكلفنا من الشدائد ما يصعب علينا فعله فنتركه فتزيغ قلوبنا بعد الهداية، ونظيره فلما كتب عليهم القتال تولوا، فأضافوا ما يقع من زيغ القلوب إليه سبحانه لأن ذلك عند تشديده تعالىٰ المحنة عليهم كما قال سبحانه فزادتهم رجساً إلىٰ رجسهم، وثالثها أن المراد لا تزغ قلوبنا عن ثوابك ورحمتك، وهو ما ذكره الله تعالىٰ من الشرح والسعة بقوله يشرح صدره للإسلام، وضد هذا الشرح هو الضيق والحرج اللذان يقعان بالكفار عقوبة ومن ذلك التطهير الذي يفعله في قلوب المؤمنين ويمنعه الكافرين كما قال أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم، فكأنهم سألوا الله تعالىٰ أن لا يزيغ قلوبهم من هذا الثواب إلىٰ ضده من العقاب، ورابعها أن الآية محمولة علىٰ الدعاء بأن لا يزيغ القلوب عن القلوب[1] والإيمان وهذا علىٰ سبيل الإنقطاع إليه، ولا يقتضي إنه لولا المسألة لجاز أن يفعله، وهب لنا من لدنك رحمة أي من عندك لطفاً نتوسل به إلىٰ الثبات علىٰ الإيمان إذ لا يتوصل إلىٰ الثبات علىٰ الإيمان إلا بلطفك كما لا يتوصل إلىٰ ابتدائه إلا بذلك وقيل نعمه، إنك أنت الوهاب المعطي للنعمة.

«فَرْضُ الجُمُعَاتْ»

جمع جمعة وهو يوم الجمعة أي الواجبات من العبادات الواجبة في أيام الجمع، وسمي يوم الجمعة لأنه سبحانه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام أولها

---

(١) لعل لفظة «القلوب» إما زائدة، وإما تصحيف لفظة «التقوى» وعليه يصبح المعنى:
١ ـ لا يزيغ القلوب عن التقوى والإيمان ٢ـ لا يزيغ القلوب عن الإيمان.

يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة فاجتمعت المخلوقات فيه وفيه يظهر صاحب الدار عليه السلام فيجمع الله سبحانه له الخلق فيه الأحياء وطوائف الأموات كما قال: **﴿ويوم نحشر من كل فرقة منهم طائفة﴾** ويقوم القيامة يوم الجمعة فتجتمع الخلائق في أرض القيامة في ذلك اليوم.

دعاء يوم السبت

«بِسْمِ اللَّهِ كَلِمَةِ المُعْتَصِمِينْ وَمَقَالَةِ المُتَحَرِّزِينْ»

أي ابتدىء أو أعوذ باسم الله الذي هو كلمة من أراد الاعتصام من مهالك يوم القيامة وقول من أراد أن يتخذ من العذاب حرزاً وحصناً يمتنع به من العذاب.

«وَأَحْمَدُهُ فَوْقَ حَمْدِ الحَامِدِينْ»

أي يفوق ويغلب حمد الحامدين، هذا منه عليه السلام يمكن حمله علىٰ الحقيقة لأنهم عليهم السلام الذين حمدوا الله تعالىٰ بمحامده اللائقة به كما قال عليه السلام لولانا ما عبد الله، والناس لهم صورة العبادة أما إذا صدر منا مثل هذه الكلمة فمعناه سؤال أن يلحقه الله تعالىٰ بذلك الفرد الكامل من الحمد تفضلاً منه تعالىٰ مثله في قولهم حمداً وشكراً ملء السمٰوات والأرض ويفوق حمد الحامدين وحمداً لا يقدر علىٰ إحصائه غيرك ونحو ذلك.

«تُوزِعَنِي مِنْ شُكْرِ نُعْمَاكْ»

قال الجزري في الدعاء اللهم أوزعني شكر نعمتك أي ألهمني وأولعني بها.

«تَشْرَحَ بِكِتَابِكَ صَدْرِي» أي تنور قلبي بتلاوته.

«وَلاَ تُوحِشَ بِي أَهْلَ أُنْسِي»

أي لا تمتني حتىٰ يستوحش أهل أنسي بسبب فقدهم إياي فيكون طلبنا للحياة، ويجوز أن يكون معناه لا أعمل بسوء يستوحش مني بسببه من كان يأنس بي لأن الذنوب تكره المذنب في أعين أهل الطاعة.

اللهم حببنا إلىٰ أوليائك الصالحين، واحشرنا في زمرة أوليائك المقربين،

وأدخلنا في شفاعة أئمتنا الطاهرين، واجعل هذه التعليقات خالصة لوجهك الكريم، موجبة لثوابك الجسيم، قال هذه الأحرف بلسانه وحررها ببنانه مؤلفها المذنب الجاني نعمت الله الحسيني الجزائري عفىٰ الله سبحانه عن جرائمه وسيئاته وحشره مع أئمته وساداته، عصر يوم السبت تاسع جمادي الأولىٰ عام الثاني بعد المائة والألف الهجرية ببلدة شوشتر حرسها الله تعالىٰ وأهلها من آفات الزمان.

فرغت من نقلها في آخر الثلث الأول من ليلة السبت رابع عشر رجب الحرام من شهور سنة تسعين وثلاثمائة وألف هجرية علىٰ هاجرها أزكىٰ الثناء وأسنىٰ التحية وأنا أقل العباد مصطفىٰ بن محمد بن مرتضىٰ بن الحسين بن حيدر بن مرتضىٰ بن محمد بن حيدر بن محمد بن مرتضىٰ بن حيدر بن علي بن حيدر بن محمد بن يوسف بن محمد ابن قاسم بن الحسين بن محمد بن عيسىٰ بن طاهر بن محمد بن علي بن محمد بن يحيىٰ الحسيني وذلك في عيتا الزط جبل عامل.

ربِ اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات واحشرنا في زمرة نبيك محمد وآله الطيبين الطاهرين صلواتك وسلامك عليهم أجمعين صلاةً وسلاماً لا أمد لهما ولا انقطاع أبد الآبدين ودهر الداهرين يا رب العالمين.

فكتبت وقد علمت بأن خطي ... سيبقىٰ بعد ما بليت عظامي

وأرجو أن يكون لدي ذخراً ... بيوم الحشر من خوف وذام

وذاك لرغبتي ولفرط حبي ... وتعليقي بأدعية الإمام

إمام رابع وأبو ثمان ... هم حجج الإله علىٰ الأنام

عليهم يا إله العرش سلم ... سلاماً غير منقطع الدوام

المحتويات


بسم الله الرحمن الرحيم